MILLENNIUM

ديفيد لاغركرانتز

فتاة تعاقب بالمثل

استكمالا لسلسلة

ستيغ لارسن

التي أسرت 90 مليون قارئ





فتاة تعاقب بالمثل

ديفيد لاغركرانتز

الفتاة ذات وشم التنّين

لا تعرف معنى الغفران.

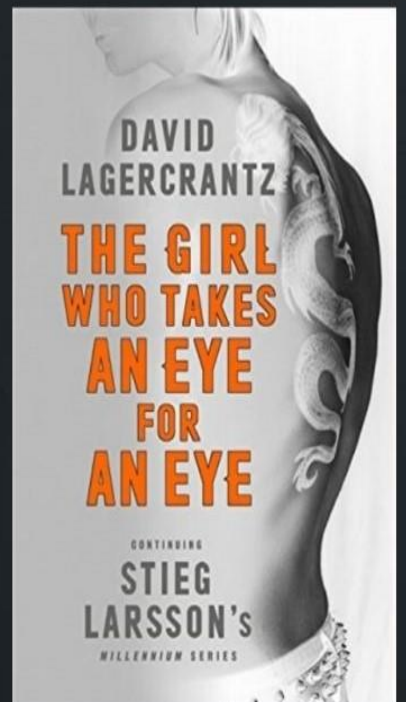
سالاندر محتجزة داخل جناحٍ شديد التحصين في سجنٍ نسائي، عالمٌ يضجّ بالعنف من كل الجهات. لكن هكر بقدراتها لا تُردع بجدرانٍ أو أقفال.

تمدّ ميكائيل بلومكفيست بخيطٍ ثمين يقوده إلى سبقٍ صحفي خطير لمجلة ميلينيوم، تحقيقٍ يكشف تجربةً مظلمة تُخفي سرًّا بالغ السوء — وقد يكون هو نفسه المفتاح لكشف ألغاز طفولتها المروّعة.

أما وشم التنّين على ظهر سالاندر، فهو تعهّدٌ لا يفارقها: معركة لا نهاية لها ضد الظلم الذي يطوّقها من كل صوب. وهي عازمة على الوصول إلى الحقيقة... أيًّا كان الثمن.







ترجمة / قناة wadistreambooks

@t.me/wadistreambooks

فتاة تعاقب بالمثل

THE GIRL WHO TAKES AN EYE FOR AN EYE



للمزيد من الترجمات

t.me/wadistreambooks



ديفيد لاغركرانتز

DAVID LAGERCRANTZ

فتاة تعاقب بالمثل

THE GIRL WHO TAKES AN EYE FOR AN EYE

ترجمة

أ / كاميليا وليد

شخصيات سلسلة ميلينيوم

ليزبيث سالاندر قرصانة إلكترونية موهوبة وعبقرية في الرياضيات. ذات ماضٍ مضطرب وجسد موشوم، تسعى لتحقيق العدالة والانتقام. تُعرف في مجتمع الهاكرز باسم "واسب" (Wasp).

ميكائيل بلومكفيست صحفي استقصائي بارز في مجلة *ميلينيوم*. تعاون مع سالاندر في قضية هارييت فانغر وفي تبرئتها لاحقًا. يُلقب أحيانًا بـ "كالي بلومكفيست".

ألكسندر زالاتشينكو جاسوس روسي سابق (زالا / كارل أكسل بودين) وزعيم إمبراطورية إجرامية. والد ليزبيث سالاندر (التي حاولت قتله لاعتدائه على والدتها). حظي بحماية سرية من جهاز الأمن السويدي (Säpo) قبل أن يتخلصوا منه.

رونالد نيدرمان الأخ غير الشقيق لليزبيث، عملاق أشقر لا يشعر بالألم. دبرت سالاندر مقتله.

كاميلا سالاندر الأخت التوأم لليزبيث (على قطيعة معها). مرتبطة بعصابات إجرامية ويُعتقد أنها تعيش في موسكو. قتلت الصحفي أندريه زاندر.

أجنيتا سالاندر والدة ليزبيث وكاميلا، توفيت في دار رعاية عن عمر ٤٣ عامًا.

هولغر بالمغرين محامٍ والوصي السابق على سالاندر. أحد القلائل الذين تثق بهم ليزبيث.

دراغان أرمانسكي رئيس شركة *ميلتون* للأمن وصاحب عمل سابق لسالاندر. من الأشخاص القلائل الذين تثق بهم.

بيتر تيليبوريان طبيب نفسي سادي عالج سالاندر في طفولتها، وكان شاهد الادعاء الرئيسي ضدها في المحكمة.

أنيكا جيانيني شقيقة ميكائيل بلومكفيست ومحامية دفاع مثّلت سالاندر في قضاياها.

إريكا بيرغر رئيسة تحرير مجلة *ميلينيوم*، وصديقة مقربة (وعشيقة متقطعة) لبلومكفيست.

غريغر بيكمان مهندس معماري وزوج إريكا بيرغر.

مالين إريكسون مديرة تحرير مجلة *ميلينيوم*.

كريستر مالم المدير الفني وشريك في مجلة *ميلينيوم*.

أندريه زاندر صحفي شاب وموهوب في *ميلينيوم*، قُتل على يد كاميلا سالاندر.

هارييت فانغر سليلة عائلة صناعية ثرية، اختفت وهي فتاة وعثر عليها بلومكفيست وسالاندر. أصبحت مساهمة في *ميلينيوم*.

يان بوبلانسكي كبير المفتشين في شرطة ستوكهولم ("الضابط بابل"). قاد الفريق الذي حقق في قضية سالاندر.

سونيا موديغ مفتشة شرطة عملت لسنوات عن كثب مع بوبلانسكي، إلى جانب كورت سفينسون، أماندا فلود، وييركر هولمبيرغ.

ريتشارد إكستروم المدعي العام الذي رفع القضية ضد سالاندر، وأصبح الآن رئيس الادعاء العام.

سابو (Säpo) الشرطة الأمنية السويدية. كانت تأوي فصيلًا سريًا ("القسم") لحماية زالاتشينكو.

نادي سفالسيو للدراجات النارية عصابة همجية مرتبطة بنيدرمان وزالاتشينكو. أصيب بعض أعضائها بإصابات خطيرة على يد سالاندر.

جمهورية الهاكرز	تحالف قراصنة إنترنت يعتبرون سالاندر نجمتهم. يضم أعضاء مثل "بلايغ"، "ترينيتي"، و"بوب ذا دوغ".
البروفيسور فرانس بالدر	عالم رياضيات استثنائي قُتل بسبب قصة كان سينشرها مع *ميلينيوم*. أنقذت سالاندر ابنه المصاب بالتوحد (أوغست) من شركاء كاميلا.
إيرين نيسر	امرأة نرويجية استخدمت سالاندر جواز سفرها لانتحال هويتها عند الحاجة.
فرح شريف	أستاذة في علوم الحاسوب وخطيبة يان بوبلانسكي.

استهلال

كان **هولجر بالمجرين** يجلس على كرسيه المتحرك داخل غرفة الزوار.

سأل:

– «لماذا يكتسب وشم التنين ذاك كل هذه الأهمية لديكِ؟ لطالما رغبتُ في معرفة السبب.»

أجابت:

– «لأن الأمر يتعلّق بأمي.»

– «بـ **أجنيتا**؟»

– «كنتُ صغيرةً، في السادسة ربما، حين هربتُ من المنزل.»

– «كانت ثمة امرأة دأبت على زيارتكِ، أليس كذلك؟ عادت لي الذاكرة الآن. كانت لديها وحمةٌ ما.»

– «بدت وكأنها حرقٌ على عنقها.»

– «وكأنّ تنينًا نفث ناره عليها.»

I

التنين

١٢ – ٢٠ يونيو

أمر **ستين ستوره الأكبر** بنصب تمثال عام ١٤٨٩، احتفالًا بانتصاره على ملك الدنمارك في معركة **برونكبيرغ**.

يقف التمثال – الموجود في **ستور تشيركان**، كاتدرائية **ستوكهولم** – ويُصوّر القديس جرجس على صهوة جواده، وسيفه مرفوع. وأسفله يرقد تنين يحتضر.

وبجوارهما تقف امرأة بزي بورغندي. إنها العذراء التي ينقذها الفارس في هذا المشهد الدرامي، ويُعتقد أنها نُحتت على هيئة زوجة **ستين ستوره الأكبر**، **إنغبورغ أوكسدوتر**.

يبدو على تعابير العذراء لا مبالاة غريبة.

-١-

١٢ يونيو

كانت **ليزبيث سالاندر** في طريق عودتها إلى زنزانتها، قادمةً من صالة الألعاب الرياضية والاستحمام، حين اعترض طريقها المأمور في الممر. كان **ألفار أولسن** يثرثر بحماسٍ أهوج حول أمرٍ ما، مُلوّحًا بيديه في الهواء وتلتقط أصابعه رزمةً من الأوراق، لكن سالاندر لم تسمع حرفًا مما قال؛ فقد كانت الساعة تشير إلى السابعة والنصف مساءً.

إنه التوقيت الأخطر في سجن «فلودبيرجا»؛ ففي السابعة والنصف تمامًا يزمجر قطار البضائع اليومي عابرًا، فترتعد الجدران، وتتقعقع المفاتيح، ويمتلئ المكان بعبير العرق والعطور الرخيصة. في تلك اللحظة بالذات، وتحت سِتار ضجيج السكة الحديدية وفي خضم الفوضى التي تسبق إغلاق أبواب الزنازين، تقع أسوأ الانتهاكات. اعتادت سالاندر أن تجيل بصرها في أرجاء الوحدة في هذا الوقت من كل يوم، وربما لم يكن من قبيل الصدفة أن وقعت عيناها على **فاريا كازي**.

كانت فاريا شابةً حسناء من بنجلاديش، تقبع داخل زنزانتها. ومن حيث وقفت سالاندر بجوار أولسن، لم يكن بوسعها رؤية شيءٍ سوى وجه الفتاة. كان ثمة من يصفع فاريا؛ إذ راح رأسها يرتد يمنةً ويسرة، ورغم أن الضربات لم تكن قاسيةً للغاية، إلا أنها اتسمت برتابةٍ آليةٍ مقيتة. كان جليًّا من تعبيرات فاريا الغارقة في الذل أن هذا التنكيل مستمرٌ منذ زمن بعيد، حتى إنه حطّم بداخلها كل إرادة للمقاومة.

لم ترتفع أي يدٍ لصد الصفعات، ولم تظهر في عيني فاريا أي بادرة دهشة، بل سكنهما خوفٌ أخرس كليل. كان هذا الرعب جزءًا من نسيج حياتها اليومي. أدركت سالاندر ذلك بمجرد تأمل وجهها، وهو ما طابق ملاحظاتها طوال أسابيعها في السجن.

قالت وهي تشير بإصبعها نحو زنزانة فاريا:

— «انظر إلى هذا.»

لكن بحلول الوقت الذي التفت فيه أولسن ليرى، كان الأمر قد انتهى. توارت سالاندر داخل زنزانتها وأغلقت الباب. تناهت إلى سمعها أصوات وضحكات مكتومة في الممر، بينما كان قطار البضائع في الخارج يجلجل بعنف هازًّا الجدران. وقفت أمام حوض الغسيل اللامع والسرير الضيق، وتأملت رفّ الكتب والمكتب الذي تناثرت عليه أوراق حساباتها لميكانيكا الكم. هل لديها الرغبة في استكمال العمل على نظرية الجاذبية الكمومية الحلقية؟ أدركت فجأة أنها تمسك شيئًا ما، فنظرت إلى يدها.

كانت رزمة الأوراق نفسها التي كان أولسن يلوّح بها، الأمر الذي أثار فضولها قليلاً. لكنها لم تكن سوى هراء تلطخه دوائر أكواب القهوة على الصفحة الأولى؛ اختبار ذكاء. يا للسخافة. كانت تمقت أن تخضع للفحص أو القياس.

تركت الأوراق تسقط لتنفرش كالمروحة على الأرضية الخرسانية. وللحظة عابرة، غابت الأوراق عن ذهنها وعادت أفكارها إلى فاريا كازي. لم ترَ سالاندر من كان يضربها، لكنها كانت تعلم جيدًا هوية الفاعل. فرغم أن حياة السجن لم تثر اهتمامها في البداية، إلا أنها انسحبت إليها مكرهة، مفككةً رموزها الظاهرة والخفية واحدًا تلو الآخر، حتى باتت تدرك من يُمسك بخيوط اللعبة.

كانت هذه تُسمى الوحدة «ب»، أو القسم الأمني. يُنظر إليها باعتبارها المكان الأكثر أمانًا في المؤسسة، وربما هذا ما قد يبدو للزائر العابر؛

فالحراس هنا أكثر عددًا، والرقابة أشد، وبرامج إعادة التأهيل أوفر منها في أي مكان آخر بالسجن. لكن، من يُدقق النظر سيدرك أن ثمة عفنًا ينخر في جوهر المكان. يتظاهر الحراس بفرض السلطة، ويمثلون دور من يهتم، لكنهم في الحقيقة زمرة من الجبناء فقدوا السيطرة، وتنازلوا عن السلطة لخصومهم الرئيسيين: زعيمة العصابة **بينيتو أندرسون** وحاشيتها.

خلال النهار، تحافظ بينيتو على ظهورٍ خافت وتتصرف كسجينة مثالية، ولكن بعد وجبة العشاء، حين يُسمح للسجينات بالتريض أو استقبال الزيارات، تُحكم قبضتها على المكان. في هذا الوقت من اليوم، وقبيل إيصاد الأبواب ليلاً، تسود مملكة الرعب الخاصة بها بلا منازع. وبينما تجول السجينات بين الزنازين، يتبادلن التهديدات والوعود بصوت هامس، تنحاز عصابة بينيتو إلى جانب، وضحاياهن إلى الجانب الآخر.

حقيقة وجود سالاندر في السجن كانت فضيحة كبرى بحد ذاتها. لكن الظروف لم تكن في صالحها، وهي لم تبذل جهدًا مقنعًا للدفاع عن نفسها. بدت لها تلك الفترة الفاصلة عبثية، لكنها فكرت أيضًا أن وجودها في السجن لا يختلف كثيرًا عن وجودها في أي مكان آخر.

حُكم عليها بالسجن شهرين بتهمة الاستخدام غير القانوني للممتلكات وتعريض حياة الآخرين للخطر في الأحداث الدرامية التي تلت مقتل البروفيسور **فرانس بالدر**. كانت سالاندر قد أخذت على عاتقها إخفاء صبي توحدي يبلغ من العمر ثماني سنوات، ورفضت التعاون مع الشرطة لإيمانها ـــ المحق تمامًا ـــ بأن تحقيقات الشرطة قد تعرضت للخيانة. لم يجادل أحد في أنها بذلت جهودًا بطولية لإنقاذ حياة الطفل. ورغم ذلك، قاد المدعي العام **ريتشارد إكستروم** القضية باقتناع شديد بإدانتها، وحكمت المحكمة ضدها في النهاية، رغم اعتراض أحد القضاة غير المتفرغين. قامت محامية سالاندر، **جيانيني**، بعمل استثنائي، لكنها لم تتلقَّ أي مساعدة تُذكر من موكلتها، مما أعدم فرصتها في النجاح. التزمت

سالاندر صمتًا عبوسًا طوال المحاكمة ورفضت استئناف الحكم؛ أرادت ببساطة أن تنهي هذا الأمر برمته.

في البداية، أُرسلت إلى سجن «بيورنجاردا جارد» المفتوح، حيث تمتعت بقدر كبير من الحرية. ثم طفت معلومات جديدة تشير إلى وجود من يتربص بها لإيذائها. لم يكن الأمر مفاجئًا تمامًا، نظرًا لقائمة أعدائها، فنُقلت إلى الجناح الأمني في فلودبيرجا.

لم تجد سالاندر غضاضة في مشاركة المساحة مع أشهر المجرمات في السويد. كانت محاطة بالحراس دائمًا، ولم تُسجَّل أي حالات اعتداء أو عنف في الوحدة لسنوات عديدة. كما أظهرت السجلات أن عددًا مبهرًا من النزيلات قد تم إعادة تأهيلهن. لكن تلك الإحصاءات كانت تعود جميعها إلى ما قبل وصول بينيتو أندرسون.

منذ اليوم الأول لوصول سالاندر إلى السجن، واجهت شتى أنواع الاستفزازات. كانت سجينة بارزة ومعروفة إعلاميًا، ناهيك عن الشائعات التي سرت في العالم السفلي. قبل بضعة أيام فقط، دست بينيتو ورقة في يدها كُتب فيها: «صديق أم عدو؟» رمتها سالاندر بعد دقيقة واحدة؛ استغرق الأمر حوالي ثمانٍ وخمسين ثانية حتى كلفت نفسها عناء قراءتها.

لم يكن لديها أدنى اهتمام بصراعات القوة أو التحالفات. صبت تركيزها على المراقبة والتعلم، وبحلول الآن شعرت أنها تعلمت ما يكفي وزيادة. حدقت ببرود في رف كتبها المكدس بمقالات عن نظرية المجال الكمومي التي طلبتها قبل أن ينتهي بها المطاف في الداخل. وفي الخزانة على اليسار، كان هناك غياران من ملابس السجن، مدموغين بالأحرف الأولى لمصلحة السجون، بالإضافة إلى بعض الملابس الداخلية وزوجين من الأحذية الرياضية. خلت الجدران من أي شيء، ولا أثر لذكرى واحدة من الحياة في الخارج. لم تكن تأبه لمحيط زنزانتها أكثر مما تأبه لمنزلها في شارع «فيسكارجاتان».

بدأ إغلاق أبواب الزنازين على طول الممر، وعادةً ما يعني ذلك بعض الحرية لسالاندر. فحين يخبو الضجيج، يمكنها أن تضيع في عالم الرياضيات —— في محاولات للدمج بين ميكانيكا الكم والنظرية النسبية —— وتنسى العالم من حولها. لكن الليلة كانت مختلفة. كانت تشعر بالانزعاج، وليس فقط بسبب الاعتداء على فاريا كازي أو الفساد المستشري في الوحدة.

لم تستطع التوقف عن التفكير في الزيارة التي تلقتها قبل ستة أيام من **هولجر بالمجرين**، وصيها القديم منذ أن قررت السلطات عدم أهليتها لرعاية نفسها. كانت الزيارة حدثًا ضخمًا؛ إذ نادرًا ما كان بالمجرين يغادر شقته في «ليليولمن»، معتمدًا كليًا على مقدمي الرعاية والمساعدين. لكنه كان مصرًّا. نقلته خدمة النقل المدعومة من الخدمات الاجتماعية على كرسيه المتحرك، وهو يلهث خلف قناع الأكسجين. سُرَّت سالاندر لرؤيته.

تحدثت هي وبالمجرين عن الأيام الخوالي، وبدا عليه التأثر والعاطفة. كان هناك شيء واحد فقط أزعج سالاندر؛ أخبرها بالمجرين أن امرأة تُدعى **ماي بريت توريل** قد جاءت لرؤيته. كانت تعمل سكرتيرة في عيادة «سانت ستيفان» النفسية للأطفال، حيث كانت سالاندر مريضة سابقًا. قرأت المرأة عن سالاندر في الصحف وأحضرت لبالمجرين بعض الوثائق التي اعتقدت أنها قد تثير اهتمامه. وفقًا لبالمجرين، كانت الوثائق تكرارًا لقصص الرعب القديمة ذاتها حول تقييد سالاندر إلى سريرها في العيادة وتعرضها لأسوأ أنواع الإيذاء النفسي. قال لها: «لا شيء تحتاجين للاطلاع عليه». ومع ذلك، لابد أن شيئًا ما قد لفت انتباهه، لأنه عندما سأل بالمجرين عن وشم التنين الخاص بها وذكرت سالاندر المرأة ذات الوحمة، قال:

— «ألم تكن تلك المرأة من السِّجل؟»

سألتْ:

— «ما هذا؟»

– «سجل دراسات الوراثة والبيئة الاجتماعية في أوبسالا؟ أظن أنني قرأت ذلك في مكان ما.»

قالت:

– «لابد أن الاسم ورد في تلك الوثائق الجديدة.»

– «أتظنين ذلك؟ ربما اختلطت عليّ الأمور.»

ربما كان محقًا، فقد تقدم العمر ببالمجرين. ومع ذلك، علقت المعلومة في ذهن سالاندر. ظلت تنهش عقلها بينما كانت تتدرب على كرة السرعة في الصالة الرياضية بعد الظهر، وتعمل في ورشة الخزف صباحًا. وكانت تنهش عقلها الآن وهي تقف في زنزانتها تنظر إلى الأرض.

بطريقة ما، لم يعد اختبار الذكاء الملقى على الخرسانة يبدو غير ذي صلة، بل بدا امتدادًا لحديثها مع بالمجرين. للحظة، لم تستطع سالاندر إدراك السبب. ثم تذكرت أن المرأة ذات الوحمة كانت تُخضعها لكل أنواع الاختبارات في تلك الأيام. وكانت تلك الاختبارات تنتهي دائمًا بمشاجرات، وفي النهاية، بهروب سالاندر ذات الست سنوات إلى عتمة الليل.

لكن الأمر الأكثر إثارة في تلك الذكريات لم يكن الاختبارات ولا هروبها، بل الشك المتنامي بأن هناك شيئًا جوهريًا في طفولتها لم تكن تفهمه. وأدركت أنها بحاجة لمعرفة المزيد.

صحيح أنها ستكون في الخارج قريبًا وحرة لتفعل ما تشاء، لكنها كانت تعلم أيضًا أنها تمتلك ورقة ضغط على المأمور أولسن. لم تكن هذه المرة الأولى التي يختار فيها غض الطرف عن الانتهاكات، والوحدة التي يرأسها، والتي لا تزال مصدر فخر لمصلحة السجون، كانت في حالة انحلال أخلاقي تام. خمّنت سالاندر أنها تستطيع جعل أولسن يمنحها حق الوصول لشيء ممنوع على أي شخص آخر في السجن: اتصال بالإنترنت.

أرهفت السمع للأصوات في الممر. تناهت إليها شتائم متمتمة، وأبواب تُصفق، ومفاتيح تقعقع، وخطوات تبتعد متلاشية في المدى. ثم حل الصمت. الصوت الوحيد الباقي كان صادرًا عن نظام التهوية؛ كان معطلاً — والجو خانق لا يطاق — لكنه ما زال يصدر أزيزًا مستمرًا. نظرت سالاندر إلى الأوراق على الأرض وفكرت في بينيتو، وفاريا كازي، وألفار أولسن... وفي المرأة ذات الوحمة النارية على عنقها.

انحنت لتلتقط الاختبار، وجلست إلى المكتب وخربشت بعض الإجابات. ثم ضغطت زر الاتصال الداخلي بجوار الباب الفولاذي. رد أولسن بعد فترة طويلة، وبدا صوته متوترًا. أخبرته أنها بحاجة للتحدث إليه فورًا.

قالت:

— «الأمر مهم.»

-٢-

١٢ يونيو

كان **أولسن** يتوق للعودة إلى منزله، بل للفرار بعيدًا. لكن كان عليه أولًا أن يُنهي مناوبته، وينجز أعماله الورقية، ويهاتف ابنته «فيلدا» ذات التسع سنوات ليقول لها: «تصبحين على خير». كانت خالته «كيرستين» تتولى رعاية الصغيرة، وكعادته دائمًا، أوصى خالته بإيصاد الشقة باستخدام قفل الأمان الإضافي.

شَغَل أولسن منصب رئيس وحدة الحراسة المشددة في «فلودبيرجا» لاثني عشر عامًا، ولطالما فخر بمكانته تلك. في ريعان شبابه، أنقذ أمه من براثن إدمان الكحول؛ فقد كان إنسانًا رحيمًا، تميل كفته دائمًا لصف المستضعفين. لذا لم يكن مستغربًا أن ينضم إلى مصلحة السجون ويصنع لنفسه اسمًا في وقت قصير. لكن، وبحلول هذا الوقت، لم يبقَ من مثالية شبابه تلك إلا النزر اليسير.

جاءت الضربة القاصمة الأولى مبكرًا، حين هجرته زوجته ـــ وهجرت ابنتهما أيضًا ـــ لترحل إلى «آره» بصحبة رئيسها السابق في العمل. لكن في النهاية، كانت **بينيتو** هي من سلبه أوهامه. اعتاد القول إن في كل مجرم بذرة خير، ولكن، ورغم أن الأحباب والمحامين والمعالجين والأطباء النفسيين الشرعيين، وحتى قسّيسَين، بذلوا قصارى جهدهم، لم يُعثر في بينيتو على ذرة خير واحدة.

كان اسمها الأصلي «بياتريس»، ثم اتخذت لنفسها اسم فاشي إيطالي معين. في هذه الأيام، صار عنقها موشومًا بصليب معقوف، وشعرها

مقصوصًا كالرجال، وبشرتها شاحبة سقيمة. ومع ذلك، لم تكن دميمة المنظر بأي حال. كانت بنيتها كبنية مصارع، لكن ثمة رشاقة ما تكتنف حركتها. فُتن الكثيرون بأسلوبها المهيب، بينما ارتعدت الغالبية العظمى رعبًا منها.

شاع أن بينيتو قتلت ثلاثة أشخاص بخنجرين أطلقت عليهما اسم «كيريس»، وكثر الحديث عنهما حتى باتا جزءًا من الهالة المخيفة للوحدة. كان الجميع يردد أن أسوأ ما قد يحدث هو أن تعلن بينيتو أن خنجرها موجه إليك، لأنك حينها تصبح محكومًا عليه بالموت، أو في عداد الموتى بالفعل. كان معظمه هراءً بالطبع، ولكن رغم أن السكاكين كانت بعيدة بمسافة آمنة عن السجن، إلا أن الأساطير المحيطة بها بثت الرعب بطول الممر. كان ذلك عارًا، وفضيحة كبرى. وأولسن — فعليًا — كان قد استسلم.

كان حريًّا به أن يكون مؤهلاً تمامًا للتعامل معها؛ فطوله متر واثنان وتسعون سنتيمترًا، ووزنه ثمانية وثمانون كيلوغرامًا، وجسده رياضي مشدود. وفي مراهقته، كان يبرح ضربًا أي نذل يحاول المساس بأمه. لكن كانت لديه نقطة ضعف وحيدة: كونه أبًا أعزب. قبل عام، اقتربت منه بينيتو في حديقة السجن وهمست بوصف دقيق يبعث القشعريرة لكل ممر ومجموعة سلالم يطأها أولسن كل صباح حين يوصل ابنته إلى الصف «٣ أ» في الطابق الثالث بمدرسة «فريدهمسكولان» في أوريبرو.

قالت له: «خنجري مصوب نحو طفلتك الصغيرة». وكان ذلك كل ما لزم الأمر.

فقد أولسن قبضته على الوحدة، وسرى العفن نزولًا عبر السلم الهرمي. لم يشك في أن بعض زملائه — مثل الجبان «فريد سترومر» — قد غرقوا في الفساد تمامًا. ولم تكن الأمور قط أسوأ مما هي عليه الآن، في الصيف، حين يعج السجن بموظفين مؤقتين خائفين وعديمي الكفاءة.

تصاعد التوتر في الممرات شحيحة الأكسجين. وفقد أولسن إحصاء عدد المرات التي أقسم فيها على استعادة النظام، ومع ذلك لم ينجح في فعل أي شيء على الإطلاق. ولم يساعد في تحسين الوضع أن مدير السجن **ريكارد فاغر** كان أحمقًا لا يعبأ إلا بالواجهة البراقة، التي ما زالت أنيقة ولامعة مهما كان الداخل نخرًا.

في كل ظهيرة، كان أولسن يرضخ للتأثير المشل لنظرات بينيتو، وتماشيًا مع سيكولوجية القهر، كان يزداد ضعفًا كلما تراجع أمامها، وكأن الدماء تُسحب من عروقه. والأسوأ من ذلك كله، عجزه عن حماية فاريا.

سُجنت فاريا لقتلها أخيها الأكبر بدفعه عبر نافذة زجاجية ضخمة في ضاحية «سيكلا» بستوكهولم. ومع ذلك لم تظهر عليها أي أمارات عدوانية أو عنف. كانت تقبع جل وقتها في زنزانتها، تقرأ أو تبكي، ولم توضع في الحراسة المشددة إلا لأنها كانت عرضة للانتحار وللتهديد في آن واحد. كانت حطام إنسان، نبذها المجتمع. لم يكن لديها أي تبجح في ممرات السجن، ولا نظرة فولاذية تفرض الاحترام، بل مجرد جمال هش يجتذب المعذبين والساديين. ومقت أولسن نفسه لعدم فعله شيئًا حيال ذلك.

الشيء البناء الوحيد الذي حاول فعله مؤخرًا هو التواصل مع الوافدة الجديدة، **ليزبيث سالاندر**. ولم تكن تلك مهمة يسيرة. كانت سالاندر امرأة شرسة، وكثر الحديث عنها بقدر ما كثر عن بينيتو. البعض أُعجب بسالاندر، والبعض رآها تافهة مغرورة، بينما قلق آخرون من فقدان مكانتهم في الهرمية. كانت كل عضلة في جسد بينيتو تتحفز لعراك، ولم يساور أولسن شك في أنها كانت تجمع المعلومات عن سالاندر عبر جهات اتصالها خارج الأسوار، تمامًا كما فعلت معه ومع كل شخص أثار اهتمامها في الوحدة.

لكن حتى الآن لم يحدث شيء، ولا حتى عندما مُنحت سالاندر الإذن ــــ رغم تصنيفها الأمني العالي ــــ بالعمل في الحديقة وورشة الخزف.

كانت مزهرياتها الخزفية أسوأ ما رأت عيناه. كما أنها لم تكن اجتماعية بالمرة؛ بدت وكأنها تعيش في عالمها الخاص، متجاهلة أي نظرات أو تعليقات في طريقها، بما في ذلك التدافع والمشاحنات الخفية من بينيتو. كانت سالاندر تنفضها عنها وكأنها غبار أو فضلات طيور.

الشخص الوحيد الذي اكترثت لأمره كانت فاريا كازي. كانت سالاندر تراقبها عن كثب، وربما أدركت مدى خطورة الوضع. قد يؤدي هذا إلى نوع من المواجهة. لم يكن أولسن متأكدًا، لكن القلق كان يلازمه.

كان أولسن فخورًا بالبرامج التي صاغها لكل نزيلة. لم يُدفع بأحد إلى العمل تلقائيًا، بل حصلت كل سجينة على جدولها الخاص بناءً على مشاكلها واحتياجاتها الفردية. بعض النزيلات درسن بدوام كامل أو جزئي وتلقين توجيهًا مهنيًا، وأخريات انخرطن في برامج إعادة التأهيل وحضرن جلسات مع أخصائيين نفسيين ومرشدين. وبالحكم على ملف سالاندر، كان يجب منحها فرصة لإكمال تعليمها. فهي لم تذهب إلى المدرسة الثانوية، ولا حتى أنهت الابتدائية، وباستثناء فترة وجيزة عملت فيها لشركة أمنية، لم يبدُ أنها شغلت أي وظيفة حقيقية. كان لديها سجل حافل من الصدامات مع السلطات، رغم أن هذه كانت عقوبتها الأولى في السجن.

في الواقع، كان من السهل تجاهلها كشخص كسول، لكن ذلك لم يكن صورة دقيقة. ليس فقط لأن صحف المساء وصفتها بنوع من أبطال الحركة، بل بسبب مظهرها العام، وحادثة معينة علقت في ذهنه.

كانت تلك الحادثة الشيء الإيجابي والمفاجئ الوحيد الذي حدث في الوحدة خلال العام الماضي. وقعت قبل بضعة أيام في قاعة الطعام بعد العشاء المبكر. كانت الساعة الخامسة مساءً والمطر يهطل في الخارج. أفرغت السجينات أطباقهن، وغسلن الأواني ورتبنها، وكان أولسن يجلس وحيدًا على كرسي بجوار الحوض. لم يكن له عمل حقيقي هناك؛ فهو يتناول وجباته مع الموظفين في جزء آخر من السجن، بينما تتولى النزيلات

شؤون قاعة الطعام بأنفسهن. مُنحت «جوزفين» و«تاين» ــــ حليفتا بينيتو ــــ امتياز إدارة التموين. كانت لديهما ميزانية خاصة، وطلبتا الإمدادات، وحافظتا على نظافة المكان، وتأكدتا من وجود طعام كافٍ للجميع. في السجن، الطعام يعني السلطة، وكان محتومًا أن تحصل أمثال بينيتو على المزيد بينما يحصل الآخرون على الأقل. ولهذا السبب أحب أولسن إبقاء عينه على المطبخ. كما أن سكين الوحدة الوحيد كان محفوظًا هناك. لم يكن حادًا وكان مربوطًا بسلك فولاذي، لكنه ما زال قادرًا على إحداث ضرر. في ذلك اليوم بالتحديد، ظل يختلس النظر إليه بينما يحاول إنجاز بعض العمل.

أراد أولسن بشدة الهروب من فلودبيرجا. أراد وظيفة أفضل. لكن بالنسبة لرجل بلا شهادة جامعية لم يعمل سوى في مصلحة السجون، لم تكن الخيارات كثيرة. سجل في دورة بالمراسلة لإدارة الأعمال، وبينما كانت رائحة فطائر البطاطس والمربى لا تزال عالقة في الهواء، بدأ يقرأ عن تسعير خيارات الأسهم في الأسواق الأمنية، رغم أنه لم يفهم الكثير ولم يكن لديه أدنى فكرة عن كيفية حل التمارين في الدليل التعليمي. في تلك اللحظة دخلت سالاندر لتأخذ المزيد من الطعام.

كانت تنظر إلى الأرض وبدت متجهمة ومنفصلة عن الواقع. ولأن أولسن لم تكن لديه رغبة في أن يجعل من نفسه أضحوكة بمحاولة فاشلة أخرى للتواصل، استمر في العمل على حساباته. كان يمحو ويشطب المراجعات، وبدا أن هذا يثير غيظها. اقتربت منه ورمقته بعبوس، مما أشعره بالحرج. لم تكن المرة الأولى التي يشعر فيها بالحرج بوجودها. كان يهم بالنهوض والعودة لمكتبه حين انتزعت سالاندر قلمه وخربشت بعض الأرقام في كتابه.

قالت:

— «معادلات "بلاك ـ شولز" مجرد هراء مُبالغ فيه عندما يكون السوق متقلبًا كما هو الآن.»

ثم انصرفت وكأنه غير موجود.

وفي وقت لاحق من المساء، بينما كان جالسًا أمام حاسوبه، أدرك أنها لم تُعطِ الإجابات الصحيحة لتمارينه في لمح البصر فحسب، بل سفّهت —— بسلطة فطرية —— نموذجًا حائزًا على جائزة نوبل لتقييم المشتقات المالية. كان هذا مختلفًا عن الذل والهزيمة التي اعتاد تجرعها في الوحدة. كان حلمه أن تكون هذه بداية لعلاقة بينهما، وربما نقطة تحول في حياتها تدرك فيها مدى موهبتها.

فكر طويلاً في خطوته التالية. كيف يمكنه تعزيز دوافعها؟ ثم خطرت له فكرة: اختبار ذكاء. كانت هناك كومة من الاختبارات القديمة في مكتبه؛ استخدمها أطباء نفسيون شرعيون متنوعون لتقييم درجة الاعتلال النفسي واليكسيثيميا والنرجسية —— وأي شيء آخر —— اعتقدوا أن بينيتو قد تعاني منه.

جرب أولسن عددًا من التقييمات بنفسه، واستنتج أن شخصًا يحل المسائل الرياضية بتلك السهولة التي أظهرتها سالاندر، من المتوقع أن يبلي بلاءً حسنًا في الاختبار. من يدري، قد يعني الأمر شيئًا لها بالفعل. وهكذا انتظرها في الممر في وقت ظنه مناسبًا. حتى إنه تخيل أنه يرى انفتاحًا جديدًا في وجهها، وأثنى عليها. شعر باليقين أنه قد عرف طريقه الي قلبها.

أخذت ورقة الاختبار منه. لكن سرعان ما مر القطار مجلجلاً، فتصلب جسدها واظلمت عيناها، ولم يسعه إلا أن يتلعثم ويتركها تنصرف. أمر زملاءه بإغلاق الزنازين، بينما دخل هو مكتبه خلف باب زجاجي ضخم فيما يسمى بقسم الإدارة. كان أولسن الموظف الوحيد الذي يمتلك غرفة

خاصة. تطل نوافذها على ساحة التريض بسياجها الفولاذي وجدارها الخرساني الرمادي. لم تكن أكبر بكثير من الزنازين ولا أكثر بهجة، لكنها احتوت على حاسوب متصل بالإنترنت وشاشتي مراقبة، بالإضافة إلى بعض المقتنيات التي جعلت الغرفة تبدو أكثر حميمية.

كانت الساعة الثامنة إلا ربعًا مساءً. أُغلقت الزنازين. ومضى القطار مسرعًا نحو ستوكهولم، وجلس زملاؤه يثرثرون في غرفة الاستراحة. أما هو فكان يكتب في المذكرات التي يحتفظ بها عن حياة السجن. لم يمنحه ذلك أي شعور بالتحسن؛ إذ لم تعد تدويناته صادقة تمامًا. نظر إلى لوحة الإعلانات، وإلى صور فيلدا وأمه التي توفيت منذ أربع سنوات.

في الخارج، بدت الحديقة كواحة في صحراء السجن القاحلة. لم تكن هناك غيمة في السماء. نظر إلى ساعته. حان وقت الاتصال بالمنزل لقول «تصبحين على خير» لفيلدا. كان يرفع سماعة الهاتف للتو حين انطلق إنذار الاتصال الداخلي. أظهرت الشاشة أن النداء قادم من الزنزانة رقم سبعة، زنزانة سالاندر، مما أثار فضوله وقلقه في آن واحد. كانت النزيلات يعلمن ألا يزعجن الموظفين دون ضرورة. ولم يسبق لسالاندر استخدام الإنذار، كما أنها لا تبدو كشخص يسارع للشكوى. هل حدث مكروه؟

تحدث عبر الجهاز:

– «ما الخطب؟»

– «تعال إلى هنا. الأمر مهم.»

– «ما المهم للغاية؟»

– «لقد أعطيتني اختبار ذكاء، أليس كذلك؟»

– «صحيح، ظننت أنكِ ستبرعين فيه.»

– «ربما كنتَ محقًا. هل يمكنك مراجعة إجاباتي؟»

نظر أولسن إلى ساعته مجددًا. بحق السماء، لا يمكن أنها أنهت الاختبار بهذه السرعة؟

قال:

— «لننتظر حتى الغد. حينها سيكون لديك وقت لمراجعة إجاباتك بتأنٍ أكبر.»

أجابت:

— «سيكون ذلك كالغش، سأحصل على ميزة غير عادلة.»

قال بعد لحظة صمت:

— «حسنًا، أنا قادم.»

لماذا وافق؟ تساءل فورًا إن كان قد تصرف بتهور. ومن ناحية أخرى، كان سيندم لو لم يذهب، نظرًا لرغبته الشديدة في أن تجد الاختبار محفزًا.

أخرج ورقة الإجابات النموذجية من الدرج الأيمن السفلي لمكتبه، وحين تأكد من أن مظهره لائق، فتح البوابات الأمنية المؤدية إلى وحدة الحراسة المشددة باستخدام بطاقته ورمزه الشخصي. وبينما كان يسير في الممر، ألقى نظرة سريعة على الكاميرات السوداء في السقف وتحسس حزامه: رذاذ الفلفل، والهراوة، ومجموعة مفاتيح وجهاز لاسلكي، بالإضافة إلى الصندوق الرمادي المزود بزر الإنذار. ربما كان مثاليًا بشكل ميؤوس منه، لكنه لم يكن ساذجًا. السجينات قد يتصنعن التملق والتوسل، فقط ليسلبنك قميصك عن ظهرك. كان أولسن حذرًا دائمًا.

ازداد قلقه كلما اقترب من باب الزنزانة. ربما كان عليه اصطحاب زميل معه، كما تقتضي اللوائح. مهما كانت سالاندر ذكية، لا يمكنها أن تكون قد صاغت الإجابات بتلك السرعة. لابد أن لديها أجندة خفية —— بات مقتنعًا بذلك الآن. فتح الفتحة في باب زنزانتها ونظر للداخل. كانت سالاندر تقف بجوار مكتبها ومنحته ابتسامة، أو شيئًا قريبًا من الابتسامة، مما أعاد إليه تفاؤله الحذر.

— «حسنًا، سأدخل. ابقي مسافة بيننا.»

أدار الأقفال، مستعدًا لأي شيء، لكن شيئًا لم يحدث. كانت سالاندر ساكنة تمامًا.

قال:

– «إذن؟»

قالت:

– «اختبار مثير للاهتمام. هل يمكنك فحصه لي؟»

– «لدي الإجابات هنا.»

لوّح بورقة الإجابات وأضاف:

– «لقد أنجزتِه بسرعة كبيرة، لذا لا تشعري بخيبة أمل إن لم تكن النتيجة عظيمة.»

حاول رسم ابتسامة مترددة، فابتسمت هي الأخرى. لكن ابتسامتها هذه المرة جعلته يشعر بعدم الارتياح. بدت وكأنها تتفحصه، ولم تعجبه تلك النظرة الماكرة في عينيها. هل تخطط لشيء ما؟ لن يفاجئه مطلقًا أن تكون هناك خطة جهنمية تُحاك. لكن من ناحية أخرى، كانت ضئيلة الحجم ونحيلة. وهو أضخم بكثير، ومسلح، ومدرب للتعامل مع المواقف الحرجة. لا خطر يذكر، بالتأكيد.

بتوجسٍ ما، أخذ ورقة الاختبار من سالاندر، مبتسمًا بارتباك، وألقى نظرة سريعة على الإجابات بينما يبقي عينه عليها بحذر. ربما لم يكن هناك داعٍ للقلق في النهاية. نظرت إليه بترقب، وكأن لسان حالها يقول: «هل أنا بارعة أم ماذا؟»

كان خطها مريعًا. ورقة الاختبار مغطاة بخربشات متسرعة وملطخة. ودون أن يخفض دفاعاته، قارن إجاباتها، واحدة تلو الأخرى، مع ورقة الإجابة النموذجية. في البداية، لاحظ ببساطة أنها أجابت بشكل صحيح على معظم الأسئلة. ثم لم يسعه إلا أن يُذهل تمامًا. لقد أجابت بشكل صحيح حتى على أصعب الأسئلة، تلك التي في النهاية، وهو لم يسمع بحدوث ذلك

من قبل. كان يهمُّ بأن يقول شيئًا مفعمًا بالثناء، وفجأة وجد نفسه عاجزًا عن التنفس.

-٣-

١٢ يونيو

تفرّست **ليزبيث سالاندر** في أولسن بحذر. بدا الرجل متأهبًا؛ فهو طويل القامة، مفتول العضلات، وتتدلى من حزامه هراوة، وعبوة رذاذ فلفل، وجهاز إنذار عن بُعد. ربما كان يفضّل الموت كمدًا على أن يسمح لأحدٍ بالتغلب عليه، لكنها كانت تعلم أن لديه نقاط ضعف.

كانت لديه نقاط الضعف ذاتها التي تعتري الرجال جميعهم، وفوق ذلك كان مثقلاً بالذنب. الذنب والعار؛ وكلاهما سلاح يمكنها استغلاله. ستضربه، وتضغط عليه، وسينال أولسن ما يستحقه. تفحّصت عينيه ومعدته. لم تكن عضلات بطنه هدفًا مثاليًا، فقد كانت صلبة ومشدودة؛ بل إنها في الواقع أشبه بلوح صخري متعرج. ولكن حتى عضلات البطن تلك قد تكون عرضة للاختراق، لذا تحينت الفرصة، وفي النهاية نالت مبتغاها.

شهق أولسن، ربما من المفاجأة. وبينما كان يزفر الهواء، تلاشى التأهب من جسده، وفي تلك اللحظة الحاسمة، سددت سالاندر لكمةً قوية إلى فم معدته. لكمته مرتين، بقوة ودقة متناهية، ثم صوبت ضربتها نحو كتفه، في النقطة التي حددها لها مدرب الملاكمة **أوبينز** تمامًا. عاجلته بضربة أخرى وحشية وعنيفة.

أدركت فورًا أنها أصابت هدفها؛ خُلع كتفه وانثنى أولسن، يلهث عاجزًا حتى عن الصراخ، مكافحًا ليبقى واقفًا على قدميه. ولكن بعد ثانية أو اثنتين، ترنح وانهار على الأرضية الخرسانية بدمدمة مكتومة. تقدمت سالاندر نحوه؛ كان عليها التأكد من أنه لن يرتكب أي حماقة بيديه.

قالت:

– «اصمت.»

لم تكن ثمة حاجة لهذا الأمر؛ فقد كان أولسن عاجزًا عن إصدار ولو صرير خافت. نضب الهواء من رئتيه، ونبض كتفه بألم مبرح، وبدأ يرى أضواءً تتراقص فوقه.

قالت سالاندر وهي تنتزع اختبار الذكاء من يده:

– «إذا أحسنت التصرف ولم تلمس حزامك، فلن أضربك مجددًا.»

خُيِّل لأولسن أنه يميز أصواتًا قادمة من خلف باب الزنزانة. هل كان ذلك صوت تلفاز في زنزانة مجاورة؟ أم زملاء يتحدثون في الممر؟ استحال عليه التمييز، فقد كان دواره شديدًا. فكر في الصراخ طلبًا للمساعدة، لكن الألم كان قد اجتاح عقله، وشلّ قدرته على التفكير السليم. لم يرَ أمامه سوى طيف مشوش لسالاندر، وشعر بالخوف والارتباك. ربما تحركت يده نحو جهاز الإنذار، بدافع غريزي لا عن وعي وإدراك، لكنها لم تصل أبدًا؛ فقد باغتته ضربة أخرى على معدته، تكور على إثرها في وضع الجنين وراح يشهق طلبًا للهواء.

قالت سالاندر بهدوء:

– «أرأيت؟ لم تكن فكرة سديدة. لكنني في الواقع لا أحب إيذاءك. ألم تكن بطلاً صغيرًا فيما مضى، أنقذ أمه أو شيئًا من هذا القبيل؟ هذا ما سمعته. والآن، انظر إلى وحدتك هذه وقد تحولت إلى جحيم، وها أنت تترك فاريا كازي في مهب الريح... مجددًا. يجب أن أحذرك، هذا لا يروق لي.»

لم يحر جوابًا.

أردفت قائلة، وهز أولسن رأسه دون أن يعي السبب تمامًا:

– «لقد عانت تلك المرأة بما يكفي. يجب أن يتوقف هذا الأمر. يبدو أننا متفقان. هل قرأت عني في الصحف؟»

أومأ برأسه مرة أخرى، مبقيًا يديه بعيدًا عن حزامه هذه المرة.

– «جيد. إذن أنت تعلم أن لا شيء يوقفني. وأعني لا شيء. ولكن ربما يمكننا عقد اتفاق.»

تمكن بالكاد من نطق الكلمة:

– «ماذا؟»

– «سأساعدك على إعادة الانضباط إلى هذا المكان، وأضمن ألا تقترب بينيتو وحاشيتها من فاريا كازي، وفي المقابل... ستقرضني حاسوبًا.»

التقط أنفاسه بصعوبة وقال:

– «مستحيل. لقد... اعتديتِ عليّ. أنتِ في ورطة كبيرة.»

قالت:

– «بل أنت من في ورطة. أنت لا تحرك ساكنًا لإيقاف التنمر والانتهاكات هنا. هل لديك أدنى فكرة عن حجم هذا العار؟ فخر مصلحة السجون انتهى به المطاف في يد موسوليني صغيرة!»

– «ولكن...»

– «أغلق فمك. سأساعدك لإصلاح هذا الوضع. لكن أولاً ستأخذني إلى حاسوب متصل بالإنترنت.»

قال بصوت حاول أن يبدو حازمًا:

– «هذا لن يحدث. الكاميرات تغطي الممر بالكامل. لقد انتهى أمركِ.»

قالت:

– «إذن فقد انتهى أمرنا نحن الاثنين، وهذا يناسبني تمامًا.»

في تلك اللحظة تذكر أولسن **ميكائيل بلومكفيست**. خلال الفترة القصيرة التي قضتها سالاندر سجينة، زارها الصحفي الشهير مرتين أو ثلاثًا. وكان آخر ما يتمناه أولسن هو أن ينبش بلومكفيست في غسيله القذر. ماذا عساه أن يفعل؟ كان الألم أشد من أن يسمح له بتفكير منطقي. وبدلاً من ذلك، أمسك بكتفه ومعدته وقال دون أن يدرك حقًا ما يعنيه:

– «لا يمكنني ضمان أي شيء.»

– «ولا أنا، إذن نحن متعادلان. لنذهب.»

سأل:

– «وماذا لو صادفنا موظفًا آخر في قسم الإدارة؟»

– «ستدبر شيئًا ما. ألم يكن اختبار الذكاء فكرةً ملهمةً في النهاية؟»

كافح للوقوف على قدميه وترنح جانبًا. بدا المصباح في السقف وكأنه يدور فوقه. شعر بالغثيان وقال:

– «دقيقة واحدة، يجب أن...»

ساعدته على الاعتدال ومسدت شعره، وكأنها ترتب مظهره. ثم ضربته مجددًا، مما أطار صوابه رعبًا. لكنه لم يشعر بالألم هذه المرة؛ لقد أعادت كتفه إلى موضعه.

قالت:

– «هيا بنا.»

فكر في ضغط زر الإنذار والصراخ طلبًا للنجدة. فكر في ضربها بهراوته واستخدام رذاذ الفلفل. لكنه بدلاً من ذلك، سار في الممر مع سالاندر وكأن شيئًا لم يحدث. وبينما كان يفتح البوابات الأمنية، ابتهل ألا يقابلا أحدًا. لكنهما بالطبع اصطدما بزميلته **هاريت**، التي كانت مراوغة لدرجة أنه لم يعرف أبدًا إن كانت تنحاز لبينيتو أم للسلطات. كان لديه شعور بأنها تميل حيثما مالت الكفة لمصلحتها في أي لحظة.

تمكن أولسن من القول:

– «مرحبًا.»

كان شعر هاريت معقودًا في ذيل حصان وتعابيرها صارمة. بدت الأيام التي رآها فيها جذابة بعيدة للغاية.

سألت:

– «إلى أين أنتما ذاهبان؟»

أدرك أولسن أنه قد يكون رئيسها، لكن لم يكن هناك سبيل لتحدي نظرة هاريت المستجوبة. لم يسعه سوى الغمغمة:

— «نحن ذاهبان لـ... اعتقدنا أننا...»

ومضت في ذهنه فكرة استخدام اختبار الذكاء كذريعة، لكنه علم أنها لن تنطلي عليها.

قال:

— «... سنتصل بمحامي سالاندر.»

علم أولسن أن هذا لم يكن مقنعًا أيضًا، ولابد أنه بدا شاحبًا زائغ العينين. كل ما أراده هو أن يخور إلى الأرض ويصرخ طلبًا للمساعدة، لكنه تمالك نفسه وأضاف بسلطة غير متوقعة:

— «إنه سيسافر جوًا إلى جاكرتا صباح الغد.»

لم يكن لديه أدنى فكرة من أين أتت «جاكرتا»، لكنها كانت محددة وغريبة بما يكفي لتبدو ذات مصداقية.

قالت هاريت بنبرة تناسب وضعها أكثر:

— «حسنًا، فهمت.»

ثم تركتهم ومضت. وبمجرد أن تأكدا من غيابها عن الأنظار، واصلا طريقهما.

كان مكتب أولسن أرضًا مقدسة. بابه مغلق دائمًا ومحرم على السجينات، اللواتي لم يُسمح لهن بالتأكيد بإجراء مكالمات من هناك. لكن هذا هو المكان الذي كانا يتجهان إليه. ربما رآهما الرجال في غرفة التحكم وهما يعبران إلى جانب الموظفين بعد إغلاق الأبواب. في أي لحظة الآن سيأتي شخص ليرى ما يجري. لن يبدو الأمر جيدًا، لكنه قد يكون للأفضل. عبث بأصابعه حول حزامه وفكر في إطلاق الإنذار. لكن الخجل تملكه، ورغم أنه لن يعترف بذلك أبدًا، كان مفتونًا. ما الذي ستفعله تاليًا؟

فتح الباب وأدخلها المكتب، ولأول مرة صدمه بؤس المشهد. كم هو مثير للشفقة أن يعلق صورًا كبيرة لأمه على لوحة الإعلانات، أكبر حتى من صور فيلدا. كان ينبغي عليه إنزالها منذ زمن بعيد. بل كان ينبغي عليه الاستقالة وألا يتعامل مع المجرمين مجددًا. لكنه كان واقفًا هناك. أغلق الباب بينما رمقته سالاندر بنظرة حازمة ومظلمة.

قالت:

— «لدي مشكلة.»

— «وما هي؟»

— «أنت.»

— «ولماذا أنا المشكلة؟»

— «إذا أخرجتُك، ستطلب المساعدة. ولكن إذا بقيت هنا، فستشهد ما أفعله.»

— «لماذا، ماذا ستفعلين؟ شيئًا غير قانوني؟»

قالت:

— «على الأرجح.»

وعندها لابد أنه فعل شيئًا خاطئًا مرة أخرى. إما ذلك، أو أنها كانت مجنونة تمامًا. لكمته في فم المعدة للمرة الثالثة أو الرابعة، ومرة أخرى انهار يلهث بحثًا عن الهواء، مستعدًا لضربة أخرى. لكن سالاندر انحنت وبحركة خاطفة حلت حزامه ووضعته على المكتب. تحامل على نفسه، ورغم الألم، حدق فيها بغضب.

بدا الأمر وكأنهما قد ينقضان على بعضهما البعض. لكنها جردته من سلاحه مرة أخرى بإلقاء نظرة على لوحة إعلاناته.

— «هل تلك أمك في الصورة؟ لقد أنقذتها، صحيح؟»

لم يجب. كان لا يزال يفكر في الهجوم عليها.

سألت مرة أخرى:

– «هل تلك أمك؟»

أومأ برأسه.

– «هل ماتت؟»

– «نعم.»

– «لكنها مهمة بالنسبة لك، أليس كذلك؟ في تلك الحالة ستفهم. عليّ العثور على بعض المعلومات، وأنت ستسمح لي بذلك.»

– «ولماذا قد أفعل ذلك؟»

– «لأنك سمحت للأمور بالتفاقم هنا بالفعل. في المقابل، سأساعدك في القضاء على بينيتو.»

– «تلك المرأة لا تعرف الرحمة.»

قالت:

– «وأنا كذلك.»

كان لدى سالاندر وجهة نظر. لقد تورط فوق طاقته. سمح لها بالدخول، وكذب على هاريت. لم يكن لديه الكثير ليخسره، لذا عندما طلبت منه بيانات الدخول للحاسوب، أعطاها إياها ببساطة.

تحركت يداها بسرعة مذهلة فوق لوحة المفاتيح، وسحرته حركتها. لما بدا وكأنه دهر، كانت تبحث بلا هدف، تتنقل عبر صفحات رئيسية متنوعة في أوبسالا، تلك الخاصة بالمستشفى الجامعي والجامعة نفسها. ولم تتوقف إلا عندما عثرت على موقع لمكان بدا عتيق الطراز —— «معهد الوراثة الطبية» —— حيث توقفت وأدخلت بضعة أوامر. في غضون ثوانٍ، أظلمت الشاشة تمامًا. تسمّرت دون حراك، تنفست بثقل، وراحت أصابعها تحوم فوق لوحة المفاتيح، كعازف بيانو يتأهب لعزف مقطوعة صعبة.

ثم طرقت المفاتيح بسرعة مذهلة، فظهرت صفوف من الأرقام والحروف البيضاء على الشاشة السوداء. وسرعان ما بدأ الحاسوب يكتب

من تلقاء نفسه، نافثًا طوفانًا من الرموز، وأكواد برمجية وأوامر غير مفهومة. لم يفهم سوى كلمات إنجليزية متفرقة: «جارٍ الاتصال بقاعدة البيانات»، «بحث»، «استعلام واستجابة»، ثم «تجاوز الأنظمة الأمنية»، وهو ما كان مثيرًا للقلق. انتظرت، وهي تنقر بأصابعها على الطاولة بنفاد صبر.

تبًا!

ظهرت نافذة منبثقة بعبارة: «تم رفض الوصول». حاولت عدة مرات أخرى حتى مرت موجة عبر الشاشة، واختفت للداخل، ثم ومض لون: «تم السماح بالوصول». وسرعان ما بدأت تحدث أمور لم يتخيل أولسن إمكانيتها. بدا وكأن سالاندر قد سُحبت عبر ثقب دودي إلى عوالم سيبرانية تنتمي لزمن آخر، زمن يسبق الإنترنت ببعيد.

قلّبت عبر وثائق قديمة ممسوحة ضوئيًا وقوائم أسماء مسجلة بآلة كاتبة أو قلم حبر جاف. تلتها أعمدة من الأرقام والملاحظات، بدت وكأنها نتائج اختبارات. كانت بعض الوثائق مدموغة بكلمة «سري». رأى اسمها بين أسماء كثيرة أخرى، وسلسلة كاملة من التقارير. بدا الأمر وكأنها حولت الحاسوب إلى أفعى تتحرك بلا صوت عبر الأرشيفات السرية والسراديب المغلقة. واستمرت في ذلك لساعات، بلا توقف.

لم تكن لديه أدنى فكرة عما تفعله، رغم أنه أدرك من لغة جسدها وتمتمتها أنها لم تصل إلى غايتها تمامًا. بعد أربع ساعات ونصف استسلمت. تنفس الصعداء. كان بحاجة للتبول. كان بحاجة للعودة إلى المنزل والاطمئنان على فيلدا والنوم ونسيان العالم. لكن سالاندر أمرته بالجلوس صامتًا. كان لديها شيء آخر لتفعله. أعادت تشغيل الجهاز وكتبت بعض الأوامر الجديدة. أدرك برعب أنها تحاول اختراق نظام حاسوب السجن.

قال:

– «لا تفعليها.»

– «أنت لا تحب مدير السجن، أليس كذلك؟»

– «ماذا؟»

قالت:

– «ولا أنا.»

ثم فعلت شيئًا لم يرغب في رؤيته.

بدأت تقرأ رسائل البريد الإلكتروني وملفات فاغر. وهو تركها تفعل ذلك. ليس فقط لأنه يكره مدير السجن، أو لأن الأمور قد تمادت بالفعل؛ بل كانت الطريقة التي تستخدم بها الحاسوب هي السبب. بدا وكأنه امتداد لجسدها، آلة تعزف عليها ببراعة فنان، مما جعله يثق بها. ربما كان الأمر غير عقلاني، لم يكن يدري. لكنه تركها تستمر، وتشن هجمات جديدة.

أظلمت الشاشة مجددًا، وظهرت تلك الكلمات مرة أخرى: «تم السماح بالوصول». بحق الجحيم؟ رأى على الشاشة ممر الوحدة بالخارج مباشرة. كان ساكنًا ومظلمًا. شغلت نفس مقطع الفيديو عدة مرات، وكأنها توسعه، أو تعيد تشغيل جزء منه مرارًا وتكرارًا. لوقت طويل جلس أولسن ويداه في حجره وعيناه مغلقتان، آملًا أن ينتهي هذا العذاب قريبًا.

في الساعة الواحدة واثنتين وخمسين دقيقة صباحًا، نهضت سالاندر فجأة وتمتمت: «شكرًا لك». ودون أن يسأل عما فعلته، رافقها عبر البوابات الأمنية عائدًا إلى زنزانتها وتمنى لها ليلة سعيدة. ثم قاد سيارته إلى المنزل ولم ينم إلا لمامًا — باستثناء فترة قصيرة قبيل الفجر، حين حلم ببينيتو وخناجرها.

- ٤ -

١٧ – ١٨ يونيو

كانت أيّام الجمعة هي أيّام **ليزبيث** بامتياز.

في ظهيرة كُلّ جمعة، دأب **بلومكفيست** على زيارة **سالاندر** في سجنها. كان يترقّب تلك الزيارات بلهفة، لاسيما بعد أن تصالح مع الوضع الراهن، وخمدت ثورة غضبه. استغرق الأمر منه وقتًا ليس بالقصير.

كانت المحاكمة والحكم الصادر بحقّها قد أشعلا فيه نيرانًا مستعرة. صال وجال على شاشات التلفاز وصفحات الجرائد، مُندّدًا وساخطًا. لكن حين أدرك، في نهاية المطاف، أن سالاندر نفسها غير عابئة بالأمر، بدأ يتقبّل وجهة نظرها. طالما أنها قادرة على مواصلة الغوص في فيزياء الكمّ وممارسة تدريباتها الرياضيّة، فلا فرق عندها إن كانت خلف القضبان أو في أيّ مكانٍ آخر. ربّما كانت ترى في سجنها تجربةً جديدة، أو سانحةً لا تعوّض. تلك هي طريقتها العجيبة في التعاطي مع الحياة؛ تأخذها كما تأتي، وغالبًا ما كانت تكتفي بابتسامةٍ هادئة حين يُبدي قلقه عليها، حتّى بعد نقلها إلى سجن «فلودبيرجا».

لم يستسغ بلومكفيست سجن فلودبيرجا قط، ولم يفعل أحد. كان السجن النسائي الوحيد شديد الحراسة في السويد، وقد انتهى المطاف بسالاندر هناك لأن **إينجمار إنيروث**، رئيس مصلحة السجون، أصرّ على أنّه الملاذ الآمن الوحيد لها. فقد رصدت كلٌّ من المخابرات السويدية «Säpo» والمخابرات الفرنسية «D.G.S.E» تهديداتٍ تُحيط بها، قيل إن مصدرها الشبكة الإجرامية التي تديرها شقيقتها **كاميلا** في روسيا.

قد يكون الأمر حقيقيًا، وقد يكون محض هُراء. لكن بما أن سالاندر لم تعترض على النقل، فقد نُفّذ الأمر، وعلى أيّة حال، لم يتبقَّ من فترة سجنها الكثير. ربما كان الأمر خيرًا في نهاية المطاف. بدت سالاندر في حالة معنوية جيدة على غير العادة في الجمعة الماضية، وربما يُعزى ذلك إلى أن وجبات السجن تُعتبر طعامًا صحيًا مقارنةً بالوجبات السريعة التي اعتادت التهامها.

كان بلومكفيست يستقلّ القطار المتّجه إلى «أوريبرو»، مُنهمكًا في مراجعة عدد الصيف من مجلة «ميلينيوم» على حاسوبه المحمول، والذي كان مُقرّرًا إرساله إلى المطبعة يوم الاثنين. كانت السماء في الخارج تهمي بمطرٍ غزير. ووفقًا للأرصاد الجويّة، كان من المتوقّع أن يكون هذا الصيف هو الأشدّ حرارةً منذ سنوات، لكنّ الأمطار لم تنقطع، هاطلةً يومًا تلو الآخر بلا هوادة، وتاقت نفس بلومكفيست للفرار إلى منزله في «ساندهامن» بحثًا عن السكينة. لقد عمل بكدٍّ مؤخّرًا، وكانت الأوضاع الماليّة لميلينيوم في أحسن حالاتها. فبعد كشفه عن تورّط شخصيات بارزة في وكالة الأمن القومي الأمريكية مع عصابات الجريمة المنظمة في روسيا لسرقة أسرار الشركات حول العالم، سطع نجم المجلة من جديد. لكنّ النجاح جلب معه همومًا أخرى؛ إذ تعرّض بلومكفيست وإدارة التحرير لضغوطٍ لدمج المجلّة في المشهد الرقمي بشكلٍ أوسع. كان تطوّرًا إيجابيًا وحتميًا في مناخ الإعلام الجديد، لكنه استنزف وقتًا هائلاً. شتّتت نقاشات استراتيجية التواصل الاجتماعي تركيزه، وبدأ في التنقيب عن عدّة قصصٍ واعدة، لكنه لم يصل إلى جوهر أيٍّ منها بعد.

وما زاد الطين بلّة، أن الشخص الذي أهداه السبق الصحفي حول وكالة الأمن القومي — سالاندر — كان يقبع خلف القضبان. كان مدينًا لها.

رمق النافذة بعينين متعبتين، متمنّيًا لو يُترك وشأنه. أمنية بعيدة المنال؛ إذ راحت السيدة العجوز الجالسة بجواره، والتي لم تكفّ عن طرح الأسئلة، تستفسر الآن عن وجهته. حاول التهرّب بإجابات مقتضبة. كانت حسنة النيّة، كمعظم من يُزعجونه هذه الأيام، لكنه تنفّس الصعداء حين اضطر لقطع الحديث للنزول في أوريبرو. ركض تحت المطر ليلحق بالحافلة. كان أمرًا سخيفًا أن يضطر للسفر أربعين دقيقة في حافلة «سكانيا» متهالكة بلا تكييف، رغم قرب السجن من خط السكة الحديدية، لعدم وجود محطة قطار قريبة. كانت الساعة تشير إلى الخامسة وأربعين دقيقة مساءً حين بدأت تلوح له الجدران الخرسانية الرمادية الكئيبة للسجن. بارتفاع سبعة أمتار، مضلعة ومقوسة، بدت كموجة عملاقة تجمّدت في خضم هجومٍ مرعبٍ على السهل المفتوح. بدت غابة الصنوبر كخيط رفيع في الأفق البعيد، ولا أثر لأي مسكن بشري. كانت بوابة السجن قريبة جدًا من حواجز السكة الحديدية لدرجة أنها لا تتسع إلا لمرور سيارة واحدة فقط أمامها.

ترجّل بلومكفيست من الحافلة وسُمح له بالمرور عبر البوابات الفولاذية. توجّه إلى نقطة الحراسة، حيث وضع هاتفه ومفاتيحه في خزانة رمادية. وأثناء مروره عبر التفتيش الأمني، شعر وكأنهم يتعمدون التضييق عليه، كما يحدث كثيرًا. حتى إن رجلاً ثلاثينيًا موشومًا وقصير الشعر تحسّس منطقة حساسة من جسده. ثم أُحضر كلب بوليسي أسود من فصيلة «لابرادور» للكشف عن المخدرات. هل يظنون حقًا أنه سيحاول تهريب المخدرات إلى السجن؟

قرر تجاهل الأمر برمته، وانطلق في الممرات التي لا تنتهي بصحبة ضابط سجن أطول قامة وألطف معشراً قليلاً. فُتحت البوابات الأمنية آليًا من قِبل موظفي مركز المراقبة، الذين كانوا يتابعون تقدمهم عبر كاميرات

السقف. مضى وقتٌ ليس بالقصير قبل أن يصلا إلى قسم الزوار، وهناك تُرِك منتظرًا لفترة طويلة.

لذا، كان من الصعب تحديد اللحظة التي لاحظ فيها أن خطبًا ما قد وقع.

ربما حدث ذلك حين ظهر **أولسن**. كان يتصبب عرقًا وبدا مضطربًا. تمتم بعبارات مهذبة وهو يقود بلومكفيست إلى غرفة الزوار في نهاية الممر. كانت سالاندر ترتدي زي السجن الباهت والمغسول مرارًا، والذي كان يبدو فضفاضًا عليها بشكل مضحك كالعادة. اعتادت أن تقف لاستقباله، لكنها ظلت جالسة هذه المرة، متوترة ومتوجسة. ومالت برأسها قليلاً، محدقةً في الفراغ وراءه. كانت ساكنة على غير عادتها، وأجابت عن أسئلته بمقاطع مقتضبة، دون أن تلتقي عيناهما ولو لمرة واحدة. وفي النهاية اضطر لسؤالها عما إذا كان شيء قد حدث.

قالت:

— «يعتمد ذلك على زاوية رؤيتك للأمور.»

ابتسم؛ كانت تلك نقطة بداية، على الأقل.

سأل:

— «هل تودين إخباري بالمزيد؟»

لم تكن ترغب ــــ «ليس الآن، وليس هنا» ــــ وساد الصمت. كان المطر يقرع ساحة التريض والجدار خلف النافذة ذات القضبان. جال بلومكفيست ببصره في أرجاء الغرفة بذهول.

سأل:

— «هل عليّ أن أقلق؟»

قالت بابتسامة ساخرة:

— «بالتأكيد عليك ذلك.»

لم تكن تلك المزحة التي كان يأمل سماعها، لكنها بددت التوتر، فابتسم هو الآخر قليلاً، وسألها إن كان بوسعه المساعدة في شيء. صمتت لبرهة، ثم قالت «ربما»، مما أثار دهشته؛ فسالاندر لا تطلب المساعدة إلا إذا كانت في أمس الحاجة إليها.

قال:

— «عظيم. سأفعل ما تريدين... في حدود المعقول.»

— «في حدود المعقول؟»

عادت الابتسامة الساخرة لترتسم على شفتيها.

أضاف:

— «أفضّل تجنّب الأنشطة الإجرامية. سيكون من المؤسف أن ينتهي بنا المطاف سويًا هنا.»

— «سيتعين عليك الاكتفاء بسجن الرجال يا ميكائيل.»

— «ما لم يمنحني سحري الطاغي استثناءً خاصًا للمجيء إلى هنا. ما الخطب؟»

قالت:

— «لدي بعض قوائم الأسماء القديمة، وثمة شيء غير صحيح بشأنها. على سبيل المثال، هناك رجل يدعى **ليو مانهايمر**.»

— «ليو مانهايمر.»

— «صحيح، يبلغ من العمر ستة وثلاثين عامًا. لن يستغرق العثور عليه عبر الإنترنت وقتًا طويلاً.»

— «تلك بداية. وعلام يجب أن أبحث؟»

جالت سالاندر ببصرها في غرفة الزوار، وكأن بلومكفيست قد يعثر هناك على ضالته. ثم التفتت وقالت بنظرة شاردة:

— «بصراحة، لا أعرف.»

— «وهل يُفترض بي تصديق ذلك؟»

– «بشكل عام، نعم.»

– «بشكل عام؟»

شعر بوخزة انزعاج.

– «حسنًا، إذن أنتِ لا تعرفين. لكنك تريدين التحقق من أمره. هل فعل شيئًا محددًا؟ أم أنه يبدو مريبًا فحسب؟»

– «لعلّك تعرف شركة الأوراق المالية التي يعمل بها. لكني أفضل أن يكون تحقيقك غير متحيز.»

قال:

– «بحقكِ، أحتاج لأكثر من ذلك. ما تلك القوائم التي ذكرتِها؟»

– «قوائم أسماء.»

كانت غامضة ومبهمة لدرجة أنه ظن للحظة أنها تمازحه، وأنهما سيعودان للثرثرة كما فعلا في الجمعة الماضية. وبدلاً من ذلك، نهضت سالاندر ونادت الحارس، معلنة رغبتها في العودة إلى وحدتها.

– «لا بد أنكِ تمزحين.»

قالت:

– «أنا لا أمزح.»

أراد أن يلعن ويصرخ ويخبرها بعدد الساعات التي قضاها في السفر إلى فلودبيرجا والعودة، وأنه كان بإمكانه قضاء أمسية الجمعة في أمور أفضل بكثير. لكنه أدرك أن ذلك عبث. لذا وقف وعانقها، وبنبرة أبوية، أوصاها بالاعتناء بنفسها. أجابت بـ «ربما»، وكان يأمل أن تكون ساخرة، لكنها بدت غارقة في أفكار أخرى.

راقبها وهي تبتعد بصحبة أولسن، ولم يرق له التصميم الصامت في خطواتها. سمح لهم باقتياده في الاتجاه المعاكس، عائدًا إلى البوابات الأمنية حيث فتح خزانته واستعاد هاتفه ومفاتيحه. قرر أن يدلل نفسه بسيارة أجرة إلى محطة «أوريبرو» المركزية، وفي القطار المتجه إلى

ستوكهولم، قرأ رواية للكاتب الاسكتلندي **بيتر ماي**. وكشكل من أشكال الاحتجاج، أجل البحث عن ليو مانهايمر.

***

شعر أولسن بالارتياح لقصر زيارة بلومكفيست. كان يخشى أن تفشي سالاندر للصحفي قصة سيطرة **بينيتو** على الوحدة، لكن الوقت لم يسعفها، وكان هذا الخبر الجيد الوحيد. لقد بذل أولسن جهدًا مضنيًا لمحاولة نقل بينيتو، لكن دون جدوى، ولم يساعده وقوف العديد من زملائه في صفها، مؤكدين لإدارة السجن عدم الحاجة لأي إجراءات جديدة. سُمح للفظائع بالاستمرار.

في الوقت الراهن، اكتفت سالاندر بالمراقبة والانتظار. في الواقع، منحته مهلة خمسة أيام لإصلاح الأمور بنفسه وحماية **فاريا كازي**. وإلا ستتدخل هي — هذا ما هددت به على الأقل. انقضت الأيام الخمسة دون أن ينجح أولسن في إحداث تغيير واحد. بل على العكس، أصبح جو الوحدة أكثر توترًا وبشاعة. كان ثمة شر مستطير يلوح في الأفق.

بدت بينيتو وكأنها تتأهب لمعركة؛ تعقد تحالفات جديدة، وتستقبل عددًا غير مألوف من الزوار، مما يعني عادة حصولها على كم هائل من المعلومات. والأسوأ من ذلك، تصعيدها لوتيرة الترهيب والعنف ضد فاريا كازي. صحيح أن سالاندر لم تكن بعيدة أبدًا، مما ساعد قليلاً، لكنه أثار حفيظة بينيتو. كانت تفح وتهدد سالاندر، وسمعها أولسن مرة في صالة الألعاب الرياضية تقول:

— «كازي عاهرتي. لا أحد غيري يجبر تلك السمراء القذرة على تقويس ظهرها!»

جزّت سالاندر على أسنانها ونظرت إلى الأرض. لم يعرف أولسن إن كان ذلك بسبب المهلة التي حددتها، أم لشعورها بالعجز. ورجح الاحتمال الثاني. مهما كانت الفتاة شجاعة، لم تكن تملك شيئًا ضد بينيتو. كانت

بينيتو تقضي عقوبة السجن مدى الحياة — ليس لديها ما تخسره — وغوريلاتها، **تاين** و**جريتا** و**جوزفين**، يدعمنها. مؤخرًا، خشي أولسن أن يلمح بريق الفولاذ في يديها.

كان يلح دائمًا على الموظفين المسؤولين عن أجهزة الكشف عن المعادن، ويأمر بتفتيش زنزانتها مرارًا وتكرارًا. ومع ذلك، ظل القلق ينهشه بأن هذا ليس كافيًا. تخيل أنه يرى بينيتو وأتباعها يتبادلن أشياءً بينهن، مخدرات أو أسلحة بيضاء. وربما كان عقله يخدعه. لم تكن حياته أسهل بوجود تهديد ضد سالاندر منذ البداية. كلما انطلق الإنذار أو تلقى مكالمة على جهازه اللاسلكي، خشي أن مكروهًا قد أصابها. حاول إقناعها بالحبس الانفرادي، لكنها رفضت. ولم يملك القوة للإصرار. لم يملك القوة لأي شيء.

كان يمزقه الشعور بالذنب والقلق، وظل يلتفت خلفه باستمرار. وفوق ذلك، كان يعمل ساعات إضافية بجنون، مما أغضب ابنته «فيلدا» ووتر علاقته بخالته وجيرانه. نظام التهوية معطل، والوحدة خانقة وحارة بشكل لا يطاق. كان يتصبب عرقًا بغزارة، وشعر بالإنهاك النفسي، وظل ينظر إلى ساعته منتظرًا مكالمة من فاغر تخبره بنقل بينيتو. لكن المكالمة لم تأتِ. كان أولسن صريحًا تمامًا مع فاغر لأول مرة بشأن الوضع، فإما أن مدير السجن أحمق أكبر مما تصور، أو أنه فاسد أيضًا. وكان من الصعب معرفة أيهما الصحيح.

بعد إغلاق أبواب الزنازين مساء الجمعة، عاد أولسن إلى مكتبه ليلملم شتات أفكاره. لكنه لم ينعم بالسلام طويلاً. نادته سالاندر عبر الاتصال الداخلي؛ أرادت استخدام حاسوبه مرة أخرى. تحدثت قليلاً جدًا وكانت نظرتها مظلمة. لم يعد إلى منزله إلا في وقت متأخر من تلك الليلة أيضًا، وشعر أكثر من أي وقت مضى أنهم في عد تنازلي نحو كارثة.

***

في صباح السبت في شارع «بيلمانسجاتان»، كان بلومكفيست يقرأ نسخة ورقية من صحيفة «داجنز نيهيتر» كالمعتاد، وعلى جهازه اللوحي صحف «الجارديان»، و«نيويورك تايمز»، و«واشنطن بوست»، و«نيويوركر». كان يحتسي الكابتشينو والإسبريسو، ويتناول الزبادي مع الموسلي وشطائر الجبن ومعجون الكبد، تاركًا الوقت ينساب كما يفعل دائمًا حين ينتهي هو و**إريكا** من إرسال النسخة النهائية لمجلة ميلينيوم.

في النهاية جلس أمام حاسوبه وبدأ البحث عن ليو مانهايمر. بدا الاسم مألوفًا في صفحات الأعمال، وإن لم يتكرر كثيرًا. كان ليو حاصلاً على الدكتوراه من كلية ستوكهولم للاقتصاد، وشريكًا ورئيسًا للأبحاث حاليًا في شركة «ألفرد أوجرين للأوراق المالية»، وهي شركة يعرفها بلومكفيست جيدًا — كما خمنت سالاندر. كانوا مديري صناديق ذوي سمعة طيبة للأثرياء، رغم أن أسلوب المدير العام **إيفار أوجرين** الصاخب والمبهرج لم يتماشَ مع رغبة الشركة في التكتم.

بدا ليو مانهايمر في الصور رجلاً ضئيل الحجم، بعينين زرقاوين واسعتين يقظتين، وشعر مجعد، وشفتين ممتلئتين أنثويتين قليلاً. وفقًا لآخر إقرار ضريبي له، كانت ثروته تبلغ ثلاثة وثمانين مليون كرونة؛ مبلغ لا بأس به، لكنه متواضع مقارنة بالحيتان الكبيرة. النتيجة الأبرز — حتى الآن على الأقل — كانت مقالاً في «داجنز نيهيتر» من أربع سنوات مضت، أشار إلى معدل ذكائه المرتفع بشكل ملحوظ. خضع للاختبار وهو طفل صغير، وأثار الأمر ضجة حينها. ومن المثير للاهتمام أنه قلل من شأن ذلك.

قال في المقابلة:

— «معدل الذكاء لا يعني شيئًا. كان **جورينج** يتمتع بمعدل ذكاء مرتفع، ومع ذلك يمكنك أن تكون أحمقًا.»

تحدث عن أهمية التعاطف والحساسية وكل الأشياء التي لا تقيسها اختبارات الذكاء، وأشار إلى أنه من غير اللائق، بل وغير النزيه، وضع رقم لقدرات شخص ما.

لم يبدُ محتالاً. لكن المحتالين غالبًا ما يبرعون في تقديم أنفسهم كقديسين، ولم يكن بلومكفيست لينخدع بالمبالغ الكبيرة التي يتبرع بها مانهايمر للجمعيات الخيرية، أو بكونه يبدو ذكيًا ومتواضعًا.

افترض بلومكفيست أن سالاندر لم تعطه اسم مانهايمر ليُتخَذ مثالاً يحتذى به للبشرية. لكن لم يكن لديه سبيل للمعرفة. كان عليه البحث بعقل متفتح، دون أن تتحكم به الأحكام المسبقة. لماذا كانت غير متعاونة إلى هذا الحد؟ حدق نحو خليج «ريدارفجاردن» وغاص في أفكاره. لمرة واحدة لم تكن تمطر. كانت السماء تصفو، وبدا أن الصباح سيتحول إلى نهار جميل. فكر في الخروج لتناول كوب كابتشينو آخر في مقهى «كافيبار» لإنهاء روايته البوليسية ونسيان أمر مانهايمر، على الأقل في عطلة نهاية الأسبوع. كانت أيام السبت بعد إرسال المجلة للمطبعة هي أفضل أيام الشهر، الوقت الوحيد الذي يسمح فيه لنفسه بيوم عطلة كامل. من ناحية أخرى... لقد وعد.

لم تمنحه سالاندر سبق العقد فحسب، وساعدت في إعادة ميلينيوم إلى مكانتها المرموقة في عيون الجمهور، بل أنقذت حياة طفل وكشفت مؤامرة إجرامية دولية. وإذا كان هناك شيء مؤكد، فهو أن المدعي العام **ريتشارد إكستروم** والمحكمة الابتدائية التي أدانتها كانوا زمرة من الحمقى. غُمر بلومكفيست بالمديح والإعجاب من كل حدب وصوب، بينما البطلة الحقيقية تقبع داخل زنزانة. لذا استمر في القراءة عن مانهايمر، تمامًا كما طلبت سالاندر.

لم يعثر على شيء مثير للاهتمام، لكنه سرعان ما اكتشف قاسمًا مشتركًا بينه وبين مانهايمر. كلاهما حاول الوصول إلى حقيقة الهجوم

الإلكتروني على شركة «فاينانس سكيورتي» في بروكسل. والحق يقال إن نصف صحفيي السويد وسوق المال بأكمله كانوا ينقبون في الأمر أيضًا، لذا لم تكن المصادفة مذهلة، ومع ذلك، ربما كان هذا خيطًا. من يدري، قد يمتلك مانهايمر رؤية خاصة، أو معلومات داخلية حول الهجوم.

كان بلومكفيست قد ناقش تلك الأحداث الاستثنائية مع سالاندر. كانت تتابع أصولها في جبل طارق آنذاك. حدث ذلك في التاسع من أبريل من ذلك العام، قبيل دخولها السجن مباشرة، وبدت غير مبالية بشكل غريب. ظن بلومكفيست أنها ربما أرادت الاستمتاع بآخر لحظات حريتها وعدم الاكتراث بالأخبار، حتى لو تضمنت قرصنة. لكن كان من المتوقع أن تبدي بعض الاهتمام، وربما — ولم يستبعد هذا — كانت تعرف شيئًا عن الأمر.

كان في مكاتب التحرير في شارع «جوتجاتان» ذلك اليوم حين أخبرته زميلته **صوفي ميلكر** أن البنوك تواجه مشاكل في مواقعها الإلكترونية. لم يلقِ بلومكفيست للأمر بالاً. لم تستجب البورصة للأخبار أيضًا. لكن الناس بدؤوا يلاحظون انخفاض حجم التداول المحلي. وسرعان ما جف تمامًا، واكتشف آلاف العملاء أنهم لم يعودوا قادرين على الوصول إلى ممتلكاتهم عبر الإنترنت. لم تكن هناك أصول في حسابات الأوراق المالية ببساطة.

وصدرت سلسلة من البيانات الصحفية:

«نواجه صعوبات فنية ونعمل على إصلاحها. الوضع تحت السيطرة وسيتم حله قريبًا.»

ومع ذلك، تصاعدت المخاوف. انخفض سعر صرف الكرونة[1]، وفجأة اجتاح تسونامي من الشائعات بأن الضرر فادح لدرجة يستحيل معها

[1] الكرونة السويدية :(*Swedish Krona*) عملة السويد الرسمية، ويعادل الدولار الأمريكي الواحد حوالي ١٠٫٤٧ كرونة (بحسب أسعار الصرف في نوفمبر ٢٠٢٥).

استعادة حسابات الأوراق المالية بالكامل: كتل ضخمة من الأصول تبخرت ببساطة. ورغم نفي السلطات المختلفة واعتبار الأمر هراءً، انهارت الأسواق المالية. توقف التداول تمامًا، وتعالت الصيحات الهستيرية في الهواتف، وتعطلت خوادم البريد الإلكتروني. ورد تهديد بوجود قنبلة ضد البنك الوطني السويدي. وحُطمت نوافذ. ومن بين الحوادث الأخرى، ركل الممول **كارل أف ترول** تمثالاً برونزيًا بقوة أدت لكسر ثماني عظام في قدمه اليمنى.

وبينما بدا الوضع وكأنه سيخرج عن السيطرة، انتهى كل شيء. عاودت الأصول الظهور في حسابات الجميع، وأعلنت رئيسة البنك المركزي، **لينا دنكر** بنفسها، أنه لم يكن هناك داعٍ للقلق قط. ربما كان ذلك صحيحًا. لكن الجانب الأكثر إثارة في الذعر لم يكن أمن المعلومات بحد ذاته، بل الوهم والهلع.

ما الذي أقدح زناده؟

اتضح أن السجل المركزي للأوراق المالية السويدية، الذي كان يُدعى «Värdepapperscentralen» قبل بيعه لشركة «فاينانس سكيورتي» البلجيكية (في إشارة لتقلبات الزمن)، كان هدفًا لهجوم «حجب الخدمة[٢]»، مما كشف هشاشة النظام المالي. لكن تلك لم تكن الصورة الكاملة. كانت هناك أيضًا دوامة الاتهامات والتحذيرات والأكاذيب الصريحة التي أغرقت وسائل التواصل الاجتماعي، مما دفع بلومكفيست ليصيح في ذلك اليوم:

— «هل يحاول وغد ما إسقاط السوق؟»

وجد دعمًا لنظريته في الأيام والأسابيع التالية. لكنه، مثل الجميع، عجز عن الوصول لجذور الأحداث. لم يتم تحديد أي مشتبه بهم، فترك

---

[٢] هجوم حجب الخدمة: (*Denial of Service attack*) هو هجوم إلكتروني يهدف إلى جعل خادم أو شبكة غير متاحين للمستخدمين عن طريق إغراقه بالطلبات.

الأمر بعد فترة. والبلد كله تركه. ارتفع سوق الأسهم مرة أخرى. ازدهر الاقتصاد. وأصبحت الأسواق متفائلة مجددًا، وانصرف بلومكفيست لمواضيع أكثر إلحاحًا —— كارثة اللاجئين، الهجمات الإرهابية، صعود الشعبوية اليمينية والفاشية عبر أوروبا والولايات المتحدة. لكن الآن...

تذكر النظرة المظلمة على وجه سالاندر في غرفة الزوار، وفكر في التهديدات ضدها، وفي أختها كاميلا ودائرتها من القراصنة وقطاع الطرق. فبدأ البحث من جديد وعثر على مقال كتبه ليو مانهايمر لمجلة «فوكوس». لم ينبهر بلومكفيست. لم يورد مانهايمر أي معلومات جديدة. لكن أجزاء من المقال قدمت وصفًا جيدًا للجوانب النفسية للحادثة. لاحظ بلومكفيست أن مانهايمر سيلقي قريبًا سلسلة من المحاضرات حول الموضوع، تحت عنوان «قلق السوق الخفي». وكان من المقرر أن يلقي خطابًا حول الموضوع في اليوم التالي، الأحد، في فعالية تنظمها «رابطة المساهمين السويديين» في «ستادجاردسكاجن».

لدقيقة أو دقيقتين، تأمل بلومكفيست صور مانهايمر على الإنترنت وحاول تجاوز انطباعه الأول. رأى رجلاً وسيمًا بملامح دقيقة، لكنه خيّل إليه أنه يلمح مسحة حزن في عينيه، لم تستطع حتى الصورة المنمقة على الصفحة الرئيسية للشركة إخفاءها. لم يُدلِ مانهايمر قط بأي تصريحات قاطعة. لا «بِع»، لا «اشترِ»، لا «تحرك الآن»! كان هناك دائمًا شك، تساؤل. قيل إنه تحليلي، وموسيقي، مهتم بموسيقى الجاز، وبالأخص الجاز القديم، أو ما يسمى بالجاز الساخن.

كان يبلغ من العمر ستة وثلاثين عامًا، الطفل الوحيد لعائلة ثرية من «نوكيبي»، غرب ستوكهولم. والده **هيرمان**، الذي كان في الرابعة والخمسين عند ولادة ليو، كان الرئيس التنفيذي لمجموعة «روسڤيك» الصناعية، وشغل لاحقًا مقاعد في العديد من مجالس الإدارة. امتلك هيرمان ٤٠ في المائة من رأس مال شركة بحجم «ألفرد أوجرين للأوراق المالية».

والدته **فيفيكا**، المولودة بلقب هاميلتون، كانت ربة منزل ونشطة في الصليب الأحمر. بدا أنها كرست جزءًا كبيرًا من حياتها لابنها ولموهبته. المقابلات القليلة التي أجرتها كشفت عن نزعة نخبوية. وفي مقال «داجنز نيهيتر» حول ذكائه المرتفع، ألمح ليو إلى أنها كانت تدربه خلف الكواليس.

قال:

– «ربما كنت مستعدًا بشكل جيد ومبالغ فيه لتلك الاختبارات.»

ووصف نفسه كتلميذ مشاغب في سنواته الأولى بالمدرسة، وهو ما اعتبره كاتب المقال أمرًا نمطيًا للأطفال الموهوبين الذين يفتقرون للتحفيز.

كان ليو مانهايمر يميل للتقليل من شأن الإطراء والمديح الموجه إليه، وهو ما قد يُفسر كنوع من التصنع. لكن الانطباع الذي كونه بلومكفيست كان بالأحرى أن مانهايمر مثقل بالذنب والألم، وكأنه يشعر بالفشل في الارتقاء للتوقعات المعقودة عليه كطفل. ومع ذلك، لم يكن لديه ما يخجل منه. كانت أطروحته للدكتوراه حول فقاعة تكنولوجيا المعلومات عام ١٩٩٩، ومثل والده، أصبح شريكًا في «ألفرد أوجرين للأوراق المالية». بدا أن معظم ثروته موروثة، ولم يبرز قط، لا بشكل إيجابي ولا سلبي، على الأقل بقدر ما استطاع بلومكفيست رؤيته.

المعلومة الوحيدة الغامضة التي اكتشفها بلومكفيست كانت أن مانهايمر أخذ إجازة لمدة ستة أشهر في يناير من العام الماضي، من أجل «السفر». بعدها استأنف عمله، وبدأ في إلقاء المحاضرات وأحيانًا الظهور على التلفاز —— ليس كمحلل مالي تقليدي، بل كفيلسوف، متشكك من الطراز القديم يرفض الجزم بشيء غير مؤكد كالمستقبل. في أحدث مساهماته لبث «داجنز إندستري» الشبكي، حول ارتفاع أسعار السوق خلال شهر مايو، قال:

– «البورصة تشبه شخصًا خرج لتوه من اكتئاب. كل ما كان يؤلمه بشدة من قبل يبدو فجأة بعيدًا. لا يسعني إلا أن أتمنى للسوق حظًا سعيدًا.»

كان من الواضح أنه يسخر. ولسبب ما شاهد بلومكفيست المقطع مرتين. بالتأكيد كان هناك شيء مثير للاهتمام. لم تكن طريقة تعبير مانهايمر فحسب، بل عيناه. كان بريقهما حزينًا وساخرًا، وكأن مانهايمر يفكر في شيء مختلف تمامًا. ربما كان ذلك جانبًا من ذكائه — القدرة على تتبع مسارات فكرية متعددة في آن واحد — لكنه بدا وكأنه ممثل يرغب في الخروج عن نصه.

لم يجعل ذلك من ليو مانهايمر قصة جيدة بالضرورة. ورغم ذلك، تخلى بلومكفيست عن خططه لأخذ إجازة والاستمتاع بالصيف، ولو فقط ليثبت لسالاندر أنه لن يستسلم بسهولة. نهض عن حاسوبه، وراح يذرع الغرفة جيئة وذهابًا، ثم جلس مرة أخرى، كروح قلقة، وتصفح الإنترنت، وأعاد ترتيب رف كتبه، وعبث في المطبخ. لكن موضوع مانهايمر لم يفارقه. في الواحدة ظهرًا، وبينما كان يهم بالحلاقة ويزن نفسه بتذمر — وهي إحدى عاداته الجديدة — صاح فجأة:

– «يا إلهي، **مالين**!»

كيف فاته ذلك؟ لهذا بدت شركة «ألفرد أوجرين للأوراق المالية» مألوفة. كانت **مالين فرود** تعمل هناك. كانت إحدى حبيباته السابقات. نسوية شرسة وشخصية مفعمة بالشغف — تشغل الآن منصب السكرتيرة الصحفية في وزارة الخارجية — أحبها بلومكفيست وتشاجر معها بنفس القدر من الحدة في الأيام التي تلت تركها وظيفتها كمديرة اتصالات في شركة ألفرد أوجرين. كانت مالين تملك ساقين طويلتين، وعينين داكنتين جميلتين، وقدرة عجيبة على النفاذ تحت جلود الناس. طلب بلومكفيست

رقمها وأدرك لاحقًا فقط، أمام إغراء شمس الصيف، أنه افتقد مالين أكثر مما كان يود الاعتراف به.

***

كانت مالين فرود تود الاستغناء عن هاتفها المحمول في عطلات نهاية الأسبوع. أرادت أن يصمت ويمنحها مساحة للتنفس، لكن كونه جزءًا من وظيفتها أن تكون متاحة دائمًا، نجحت دائمًا في أن تبدو لطيفة ومهنية. يومًا ما ستنفجر.

في هذه الأيام كانت أمًا عزباء، بكل المقاييس. **نيكلاس**، زوجها السابق، أراد أن يُعامل كبطل حين يعتني بابنه لعطلة نهاية أسبوع عارضة. كان قد جاء لتوه ليأخذ الصبي وألقى تعليقًا:

— «هيا إذن، استمتعي بوقتك، كالعادة!»

يُفترض أنه كان يشير إلى العلاقات التي أقامتها حين كان زواجهما منتهيًا فعليًا. ابتسمت له بجمود، وعانقت ابنها **لينوس** ذا الست سنوات، وودعته. لكنها شعرت بالغضب لاحقًا. ركلت علبة صفيح في الشارع وشتمت نفسها. والآن يرن هاتفها، أزمة عالمية بلا شك. في هذه الأيام، هناك سيل لا ينقطع من الأزمات. لكن لا —— هذه المرة كان شيئًا أفضل بكثير.

كان ميكائيل بلومكفيست، وفوق الارتياح شعرت بدفقة من الشوق. نظرت نحو «ديورجاردن» إلى قارب شراعي وحيد يعبر الخليج. كانت قد خرجت لتوها إلى شارع «ستراندفاجن».

قالت:

— «يا له من شرف.»

قال بلومكفيست:

— «بالكاد.»

— «لو كنت تعلم فقط. ماذا كنت تفعل؟»

– «أعمل.»

– «أليس هذا ما تفعله دائمًا؟ تكدح كعبد؟»

– «للأسف، نعم.»

– «أحبك أكثر حين تكون مستلقيًا على ظهرك.»

– «ربما أفضل ذلك أنا أيضًا.»

– «استلقِ إذن.»

– «حسنًا.»

انتظرت ثانية أو اثنتين.

– «هل أنت مستلقٍ الآن؟»

– «بالطبع.»

– «ماذا ترتدي؟»

– «القليل جدًا.»

– «كاذب. إذن، لمَ أدين بهذا الشرف؟»

– «إنها مكالمة عمل.»

– «يا للملل اللعين.»

قال:

– «أعرف. لكني لا أستطيع التوقف عن التفكير في هجوم القرصنة ذاك على فاينانس سكيورتي.»

– «بالطبع لا تستطيع. أنت لا تفلت أي شيء، باستثناء النساء اللواتي تتقاطع دروبهن معك...»

– «أنا لا أفلت النساء بتلك السهولة أيضًا.»

– «يبدو ذلك، حين تحتاجهن كمصادر. ما الذي يمكنني فعله لك؟»

– «كنت أقرأ أن أحد زملائك القدامى كان يحاول تحليل خرق البيانات ذاك أيضًا.»

– «من هو؟»

— «ليو مانهايمر.»

قالت:

— «نعم أعرف ليو.»

— «كيف هو؟»

— «رجل هادئ — ويختلف عنك في أمور أخرى أيضًا.»

— «رجل محظوظ.»

— «محظوظ جدًا.»

— «بأي طرق يختلف عني؟»

— «ليو، إنه...»

توقفت.

— «إنه ماذا؟»

— «كبداية، ليس دودة مثلك، يمتص المعلومات دائمًا ممن حوله. إنه مفكر، فيلسوف.»

— «نحن العلقات لطالما كنا بدائيين قليلاً.»

قالت:

— «أنت صيد ثمين يا ميكائيل، وأنت تعرف ذلك. لكنك أشبه براعي بقر. ليس لديك وقت للوقوف والتردد مثل هاملت.»

— «إذن مانهايمر هو هاملت.»

— «ما كان يجب أن ينتهي به المطاف في الصناعة المالية، هذا أكيد.»

— «أين كان يجب أن يكون بدلاً من ذلك؟»

— «في الموسيقى. يعزف البيانو كإله. لديه أذن موسيقية مطلقة، وموهوب بشكل لا يصدق. بالإضافة إلى أنه ليس مهتمًا بالمال.»

— «ليست صفة جيدة لرجل مال.»

— «بالفعل. لابد أنه عاش حياة رغدة جدًا في طفولته. ليس جائعًا بما يكفي. لماذا أنت مهتم به؟»

– «لديه بعض الأفكار المثيرة حول هجوم القرصنة.»

– «قد يكون ذلك. لكنك لن تجد أي قذارة عليه، إذا كان هذا ما تبحث عنه.»

– «لماذا تقولين ذلك؟»

– «لأن وظيفتي كانت مراقبة هؤلاء الرجال، ولأكون صريحة تمامًا معك...»

– «نعم؟»

– «... أشك أن ليو قادر على الخداع الحقيقي. بدلاً من القيام باستثمارات مشبوهة أو التصرف بشكل سيء، يجلس في منزله ليعزف على البيانو ويشعر بالبؤس.»

– «إذن لماذا هو في هذا المجال؟»

– «بسبب والده.»

– «الذي كان شخصية هامة.»

– «بالتأكيد شخصية هامة. وأيضًا أعز أصدقاء **ألفرد أوجرين** العجوز نفسه، ومحور اهتمام ذاته. كان مصممًا على أن يصبح ليو عبقريًا ماليًا، ويتولى حصته في شركة ألفرد، ويمضي لبناء قاعدة قوة لنفسه في الاقتصاد السويدي. وليو... ماذا عساي أقول...؟»

– «أخبريني.»

– «ليس لديه شخصية قوية. سمح لهم بإقناعه، وفي الحقيقة لم يبلِ بلاءً سيئًا. لا يفعل شيئًا بشكل سيء أبدًا. لكنه لم يكن بذلك التألق أيضًا، ليس بالطريقة التي كان يمكن أن يكون عليها. يفتقر للدافع. أخبرني يومًا أنه شعر وكأن شيئًا حيويًا قد انتزع منه. إنه يحمل جرحًا.»

– «جرحًا؟»

– «شيء سيء من طفولته. لم أقترب بما يكفي لفهم الأمر، رغم أننا، لفترة وجيزة...»

– «لفترة وجيزة ماذا؟»

– «لا شيء، كنا مجرد نعبث، أظن.»

قرر بلومكفيست عدم الخوض في الأمر.

قال:

– «قرأت أنه أخذ إجازة للسفر.»

– «بعد وفاة والدته.»

– «كيف ماتت؟»

– «أوه، كان أمرًا مريعًا. سرطان البنكرياس.»

– «مسكين.»

– «اعتقدت فعلاً أن ذلك سيفيده.»

– «حقًا؟»

– «كان والداه يلاحقانه دائمًا. أملت أن تكون لديه فرصة لانتزاع نفسه من عالم المال والبدء بجدية في العزف أو أياً كان. هل تعلم، قبل استقالتي من ألفرد أوجرين، كان ليو في قمة سعادته. لم أعرف السبب أبدًا. للحظة عابرة بدا وكأنه أفلت من السحابة المخيمة فوقه. لكن بعدها أصبح أسوأ من أي وقت مضى. كان الأمر مفجعًا.»

– «هل كانت والدته لا تزال حية حينها؟»

– «نعم، لكن ليس لفترة طويلة.»

– «إلى أين ذهب في أسفاره؟»

– «لا فكرة لدي. كنت قد تركت الشركة بحلول ذلك الوقت.»

– «وفي النهاية عاد إلى ألفرد أوجرين.»

– «أفترض أنه لم يملك الشجاعة للتحرر.»

– «إنه يلقي محاضرات الآن.»

قالت:

– «ربما تكون تلك خطوة في الاتجاه الصحيح. لماذا يثير اهتمامك؟»

– «إنه يقارن الهجمات في بروكسل بحملات تضليل أخرى معروفة.»

– «حملات روسية، صحيح؟»

– «يصفها بأنها شكل حديث من الحروب، وهو ما يثير فضولي.»

– «الأكاذيب كأسلحة.»

– «الأكاذيب كوسيلة لخلق الفوضى والارتباك. الأكاذيب كبديل للعنف.»

قالت:

– «ألا يوجد دليل على أن هجوم القرصنة كان موجهًا من روسيا؟»

– «نعم، لكن لا أحد يعرف من في روسيا يقف وراءه. السادة في الكرملين يزعمون أنه لا علاقة لهم بالأمر، بالطبع.»

– «هل تشك في تلك العصابة التي كنت تطاردها، العناكب؟»

– «خطرت الفكرة ببالي.»

– «أشك أن ليو يستطيع مساعدتك هناك.»

– «ربما لا، لكني أود...»

بدا وكأنه فقد حبل أفكاره.

اقترحت:

– «... أن تشتري لي مشروبًا؟ تغمرني بالإطراء والمديح والهدايا باهظة الثمن؟ تأخذني إلى باريس؟»

– «ماذا؟»

– «باريس. مدينة في أوروبا. يقال إن فيها برجًا بارزًا.»

قال وكأنه لم يكن يستمع:

– «ستتم مقابلة ليو على المسرح مباشرة في متحف "فوتوجرافيسكا" غدًا. لِمَ لا تأتين معي؟ قد نعرف شيئًا.»

– «نعرف شيئًا؟ بحق المسيح يا ميكائيل، هل هذا كل ما لديك لتقدمه لآنسة في محنة؟»

قال:

– «في الوقت الحالي، نعم.» وبدا صوته مشتتًا مرة أخرى، مما زاد من غضبها.

بصقت الكلمات:

– «أنت أحمق يا بلومكفيست!» وأغلقت الخط. وقفت هناك على الرصيف، تغلي بغضب قديم مألوف يلازم الحديث معه.

لكنها هدأت سريعًا. طفت ذكرى لا علاقة لها ببلومكفيست ببطء إلى السطح. في مخيلتها، رأت مانهايمر في مكتبه بشركة ألفرد أوجرين في ساعة متأخرة من الليل، يكتب على ورقة بلون الرمل. كان هناك شيء في المشهد بدا وكأنه يحمل رسالة، تنتشر كالضباب فوق شارع ستراندفاجن. لوهلة وقفت مالين فرود غارقة في أفكارها. ثم تجولت نحو «دراماتين» وفندق «بيرنس»، لاعنة الأزواج السابقين والعشاق القدامى وبقية ممثلي الجنس الذكوري.

***

أدرك بلومكفيست أنه أخطأ وفكر في الاتصال مجددًا والاعتذار، وربما دعوتها للعشاء. لكن ألف فكرة وفكرة تزاحمت في رأسه، فاتصل بـ **أنيكا** بدلاً من ذلك.

لم تكن أنيكا جيانيني شقيقته فحسب، بل كانت محامية سالاندر أيضًا. ربما تكون لديها فكرة عما تبحث عنه سالاندر. كانت دقيقة بشأن سرية الموكل، لكنها قد تكون متعاونة إذا كانت مشاركة المعلومات مفيدة لموكلتها.

لم تجب في البداية، لكنها عاودت الاتصال بعد نصف ساعة وأكدت فورًا أن سالاندر تبدو متغيرة. اعتقدت أنيكا أن عيني سالاندر قد انفتحتا على ما يجري في وحدة الحراسة المشددة، وباتت ترى الآن أنها غير آمنة. لهذا كانت جيانيني تضغط لنقل سالاندر. لكن سالاندر رفضت الذهاب.

قالت إن لديها أمورًا لتنجزها. وأصرت على أنها ليست في خطر. لكن كان هناك آخرون، خاصة شابة تدعى فاريا كازي، كانت ضحية لعنف الشرف في منزلها وتتعرض للإيذاء في السجن أيضًا.

قالت جيانيني:

— «إنها قضية مثيرة للاهتمام. أفكر في توليها أيضًا. قد تكون لدينا مصلحة مشتركة هنا يا ميكائيل.»

— «ماذا تعنين؟»

— «تحصل أنت على قصة جيدة، وقد أحصل أنا على بعض المساعدة في بحثي. هناك شيء لا يبدو صحيحًا تمامًا.»

لم يبتلع بلومكفيست الطُعم. بدلاً من ذلك قال:

— «هل سمعتِ أي جديد عن التهديدات ضد ليزبيث؟»

— «ليس حقًا، باستثناء أن هناك عددًا مخيفًا من المصادر. الحديث كله يدور حول أختها، وأولئك المجرمين في روسيا وعصابة دراجات سفافيلخو.»

— «ماذا تفعلين حيال ذلك؟»

— «كل ما بوسعي يا ميكائيل. ماذا تظن؟ لقد ضغطت على السجن لتكثيف جهود حراستها. حاليًا لا أرى أي خطر داهم. لكن هناك شيئًا آخر ربما أثر عليها.»

— «ما هو؟»

— «هولجر بالمجرين ذهب لرؤيتها.»

— «أنتِ تمزحين.»

— «لا، لا، يبدو أنه كان مشهدًا يستحق الرؤية. لكنه أصر. أعتقد أن الذهاب كان مهمًا بالنسبة له.»

— «لا أستطيع حتى تخيل كيف تمكن من الوصول إلى فلودبيرجا.»

– «ساعدته في الإجراءات الروتينية ودفعت ليزبيث تكاليف النقل ذهابًا وإيابًا. وكانت هناك ممرضة في السيارة. دخل السجن على كرسيه المتحرك.»

– «هل أزعجتها الزيارة؟»

– «إنها لا تنزعج بسهولة، بالطبع. لكنها وهولجر مقربان، كلانا يعرف ذلك.»

– «هل يُعقل أن هولجر قال شيئًا أثار حفيظتها؟»

– «مثل ماذا؟»

– «شيء عن ماضيها، ربما. لا أحد يعرف ما جرى هناك أفضل منه.»

– «لم تقل ذلك. الشيء الوحيد الذي تشعر تجاهه بقوة في الوقت الحالي هو تلك المرأة فاريا كازي.»

– «هل سمعتِ بشخص يدعى ليو مانهايمر؟»

– «يبدو مألوفًا. لماذا تسأل؟»

– «أفكر فحسب.»

– «هل ذكرته ليزبيث؟»

– «سأخبركِ لاحقًا.»

قالت جيانيني:

– «حسنًا، لكن إذا أردت معرفة ما تحدثت عنه هي وهولجر، فمن الأفضل ربما أن تتصل به بنفسك. أعتقد أن ليزبيث ستقدر لو أبقيت عينًا إضافية عليه الآن.»

– «سأفعل.»

أنهيا المكالمة واتصل ببالمجرين فورًا. كان الخط مشغولاً، مرة تلو الأخرى لدهر، ثم فجأة لم يكن هناك رد. فكر بلومكفيست في الذهاب مباشرة إلى «ليليولمن». ثم فكر في صحة بالمجرين. كان عجوزًا ومريضًا، ويعاني ألمًا شديدًا. كان بحاجة لراحته. قرر بلومكفيست الانتظار، واستمر

بدلاً من ذلك في بحثه عن عائلة مانهايمر وشركة ألفرد أوجرين. كشف الكثير. دائمًا ما يعثر على أشياء حين يحفر عميقًا. لكن لم يكن هناك شيء بارز أو يبدو مرتبطًا بسالاندر أو هجوم القرصنة. لذا غير استراتيجيته، تحديدًا بسبب بالمجرين ومعرفة العجوز بطفولة سالاندر. رأى بلومكفيست أنه ليس مستحيلاً بأي حال أن ينتمي مانهايمر لماضيها بطريقة ما؛ فقد كانت تتحدث عن قوائم أسماء قديمة. لذا قرر العودة بعيدًا في الزمن، على الأقل بقدر ما يسمح به الإنترنت وقواعد البيانات. لفتت انتباهه مقالة في صحيفة «أوبسالا نيا تيدنينج»؛ جذبت هذه القصة قدرًا معينًا من الاهتمام لفترة قصيرة لأنها ذُكرت في برقية لوكالة الأنباء السويدية «T.T.» صدرت في نفس اليوم. وبقدر ما استطاع المعرفة، لم تُذكر الحادثة مرة أخرى، ربما مراعاة للأشخاص المعنيين وبسبب النهج الأكثر تساهلاً للإعلام في ذلك الوقت — خاصة حين يتعلق الأمر بالنخبة.

وقعت الحادثة الدرامية أثناء صيد الأيائل في «أوستهمار» قبل خمسة وعشرين عامًا. كانت مجموعة صيد ألفرد أوجرين، التي انتمى إليها والد مانهايمر، هيرمان، قد عادت إلى الغابة بعد غداء مطول. ولا شك أن النبيذ قد استُهلك. يبدو أن ضوء الشمس كان ساطعًا ولأسباب شتى تفرقت المجموعة. وبعد رصد أيلين بين الأشجار، أُطلقت النيران. قال رجل مسن يدعى **بير فالت**، الذي كان حينها المدير المالي لمجموعة روسڤيك، إنه شعر بالارتباك بسبب الإثارة والتحركات السريعة للحيوانات. أطلق رصاصة وسمع صرخة واستغاثة. أصيب عالم نفس شاب يدعى **كارل سيجر**، أحد أفراد مجموعة الصيد، في معدته، أسفل الصدر مباشرة. وتوفي بعد وقت قصير، بجوار جدول صغير.

لم يشر أي شيء في تحقيقات الشرطة اللاحقة إلى أنه كان غير حادث عرضي، ناهيك عن تورط ألفرد أوجرين أو هيرمان مانهايمر. لكن بلومكفيست ظن أنه قد يكون ممسكًا بخيط ما، خاصة بعدما علم أن بير

فالت، الرجل الذي أطلق الرصاصة القاتلة، توفي بعد عام، دون أن يترك زوجة أو أطفالاً. وفي نعي غير ذي أهمية وُصف بأنه «صديق وفي» وزميل مخلص ومجتهد في مجموعة روسڤيك.

نظر بلومكفيست من النافذة، غارقًا في التفكير. أظلمت السماء فوق خليج ريدارفجاردن. كان هناك تحول قادم في الطقس وبدأ المطر اللعين يهطل مرة أخرى. مد ظهره ودلك كتفيه. هل يمكن أن تكون لعالم النفس الذي قُتل أي صلة بليو مانهايمر؟

لم يكن هناك سبيل للمعرفة. قد يكون هذا طريقًا مسدودًا، مأساة لا معنى لها. ومع ذلك، حاول بلومكفيست العثور على أكبر قدر ممكن من المعلومات حول عالم النفس. لم يكن هناك الكثير. عندما مات كارل سيجر، كان في الثانية والثلاثين وكان قد خطب لتوه. أكمل دكتوراه في جامعة ستوكهولم في العام السابق، وكانت أطروحته حول تأثير السمع على الإدراك الذاتي. «دراسة تجريبية»، كما سميت.

لم تكن متاحة على الإنترنت ولم يستطع اكتشاف النتائج بدقة، رغم أن سيجر تطرق بإيجاز لنفس الموضوع في مقالات أخرى تمكن بلومكفيست من إيجادها على «الباحث العلمي من جوجل». في إحداها، وصف عالم النفس تجربة كلاسيكية أظهرت كيف يتعرف الأشخاص على صورة لأنفسهم بسرعة أكبر، وسط مئات الصور الأخرى، إذا تم تجميل الصورة لجعلهم يبدون أكثر جاذبية. إنها ميزة تطورية أن نبالغ في تقدير أنفسنا عندما نحتاج للتزاوج أو السعي للقيادة في مجموعتنا، لكن هذا ينطوي أيضًا على مخاطرة:

«الثقة المفرطة في قدراتنا يمكن أن تعيق التطور. الشك الذاتي يلعب دورًا حاسمًا في نضجنا الفكري.» كتب سيجر. لم يكن هذا فتحًا علميًا بالضبط، لكنه كان مثيرًا للاهتمام على الأقل أنه أشار إلى دراسات عن الأطفال وأهمية الثقة بالنفس.

دخل بلومكفيست المطبخ لتنظيف الطاولة وترتيب المنطقة حول الحوض. صمم على سماع حديث مانهايمر في متحف فوتوجرافيسكا، حتى بدون مالين. كان سيصل إلى جوهر هذه القصة. لكن قبل أن يتمكن من المضي بأفكاره أبعد من ذلك، رن جرس الباب. شعر بالانزعاج — كان يجدر بالناس الاتصال مسبقًا حقًا. ومع ذلك ذهب ليفتح الباب.

- ٥ -

١٨ يونيو

جلست **فاريا كازي** متكوّرة على سرير زنزانتها، وقد طوّقت ركبتيها بذراعيها. لم تكن في نظر نفسها سوى ظلٍّ باهتٍ يتلاشى، هكذا رأت ذاتها. لكنّ كلّ من التقاها تقريبًا وقع في سحرها. كان الأمر كذلك منذ قدمت إلى السويد من بنجلاديش وهي في الرابعة من عمرها —— والآن وقد بلغت العشرين.

نشأت فاريا في برج سكني بضاحية «فالهولمن» في ستوكهولم مع أربعة إخوة؛ واحد يصغرها وثلاثة يكبرونها. كانت طفولتها خالية من الأحداث. أسس والدها، **كريم**، سلسلة من متاجر التنظيف الجاف، وأصبح ميسور الحال نسبيًا، واشترى لاحقًا شقة ذات نوافذ بانورامية كبيرة في «سيكلا».

لعبت فاريا كرة السلة وأبلت بلاءً حسنًا في المدرسة، لا سيما في اللغات، وأحبت الخياطة ورسم قصص «المانجا» المصورة. لكن في سنوات مراهقتها، سُلبت حريتها منها تدريجيًا. كانت تعلم أن ذلك نتيجة مباشرة لصيحات الإعجاب التي بدأت تجتذبها في الحي بمجرد بلوغها سن الرشد. ومع ذلك، كانت مقتنعة بأن التغيير جاء من العالم الخارجي، مثل ريح باردة هبّت من الشرق. ازداد الوضع سوءًا عندما توفيت والدتها، **عائشة**، إثر سكتة دماغية حادة. لم تفقد العائلة أمًا فحسب، بل فقدت نافذة على العالم وقوةً للعقل والمنطق.

وبينما كانت تجلس في زنزانتها، تذكرت فاريا تلك الأمسية التي قام فيها **حسن فردوسي**، إمام مسجد «بوتكيركا»، بزيارة غير متوقعة لمنزلهم.

كانت فاريا تحب الإمام وتتوق للتحدث إليه. لكن فردوسي لم يأتِ في زيارة اجتماعية. سمعته من المطبخ يقول بصوت غاضب:

— «أنتم تسيئون فهم الإسلام. إذا استمررتم على هذا المنوال، فستنتهي الأمور بشكل سيء... سيء للغاية.»

بعد تلك الأمسية، آمنت هي بذلك أيضًا. كان شقيقاها الأكبران، **أحمد** و**بشير**، ينضحان بكراهية قاتمة بدت غير صحية بشكل متزايد. كانا هما، وليس والدها، من أصرا على ارتدائها النقاب حتى لو ذهبت إلى الناصية لشراء الحليب. ولو كان الأمر بيدهما، لتركوها تتعفن في المنزل. لم يكن شقيقها **رازان** حازمًا مثلهما، ولم يكن متورطًا بشكل خاص. كانت لديه اهتمامات أخرى، رغم ميله لاتباع خطى أحمد وبشير. لكن ذلك لم يجعل منه حليفًا؛ فقد كان هو الآخر يراقبها.

رغم الرقابة، تمكنت فاريا من إيجاد نوافذ صغيرة للحرية بين الحين والآخر، وإن تطلب الأمر الكذب والابتكار. استطاعت الاحتفاظ بحاسوبها المحمول، وفي أحد الأيام رأت على الإنترنت أن حسن فردوسي نفسه سيشارك في مناظرة في «المركز الثقافي» مع حاخام يُدعى **جولدمان** حول القمع الديني للمرأة. كان ذلك في نهاية يونيو. كانت قد تخرجت لتوها من مدرسة «كونجشولمن» الثانوية ولم تخرج منذ عشرة أيام. كاد الشوق للخروج يقتلها. كانت عمتها **فاطمة** رسامة خرائط وعزباء، وكانت حليفة فاريا الأخيرة في العائلة. لم يكن من السهل إقناعها. لكن فاطمة أدركت مدى يأس فاريا، ووافقت في النهاية على القول بأنها وفاريا ستلتقيان لتناول عشاء بسيط. وصدّق الإخوة القصة.

استقبلت فاطمة ابنة أخيها في شقتها بـ «تينستا»، لكنها سمحت لها بالتوجه مباشرة إلى المدينة. كان يجب على فاريا العودة بحلول الثامنة والنصف مساءً، حين يأتي بشير لاصطحابها، لكن كان لديها بعض الوقت. أعارتها عمتها فستانًا أسود وزوجًا من الأحذية ذات الكعب العالي. ربما

كان ذلك مبالغًا فيه قليلاً —— فهي ليست ذاهبة إلى حفلة، بل لحضور مناظرة دينية. لكن ارتداء ملابس أنيقة منحها شعورًا بأهمية المناسبة. في الواقع، لم تتذكر النقاش إلا بالكاد، فقد كانت مأخوذة تمامًا بمجرد وجودها هناك ورؤية الناس في الجمهور، ووجدت نفسها تتأثر مرة أو مرتين دون سبب واضح.

بعد المناظرة فُتح باب الأسئلة، وسأل شخص في القاعة لماذا ينتهي الأمر بالنساء دائمًا إلى المعاناة كلما أسس الرجال دينًا. أجاب حسن فردوسي بنبرة قاتمة:

— «من المحزن بعمق أن نتخذ من الكائن الأعظم وسيلةً لخدمة ضآلة نفوسنا.»

كانت تتأمل تلك الكلمات والناس ينهضون من حولها. اقترب منها شاب يرتدي الجينز وقميصًا أبيض. كانت غير معتادة بالمرة على لقاء صبي في عمرها دون ارتداء النقاب أو الحجاب، فشعرت بالعري والانكشاف. لكنها لم تهرب. ظلت جالسة وراقبته بتكتم. كان يبلغ من العمر حوالي خمسة وعشرين عامًا، ليس طويلاً بشكل خاص، ورغم أنه لم يبدُ واثقًا من نفسه، إلا أن عينيه كانتا تلمعان. كان في خطواته خفة تباينت مع النظرة الجادة، بل والكئيبة التي تكتنفه، كما بدا خجولاً، وهو ما وجدته مطمئنًا. خاطبها باللغة البنغالية.

قال:

— «أنتِ من بنجلاديش، أليس كذلك؟»

— «كيف عرفت؟»

— «عرفت فحسب. من أي منطقة؟»

— «دكا.»

— «وأنا كذلك.»

ابتسم بحرارة جعلتها تبتسم رغماً عنها. التقت عيناهما وقفز قلبها. لاحقًا، كل ما استطاعت فاريا تذكره هو كيف تجولا نحو ساحة «سيرجلس تورج»، يتحدثان بانفتاح تام منذ البداية. قبل أن يعرّفا بنفسيهما بشكل لائق، كان يخبرها عن المدونة التي ساهم فيها في دكا، والتي كانت تروج لحرية التعبير وحقوق الإنسان. انتهى الأمر بالمدونين على قوائم اغتيال الإسلاميين، وتم استهدافهم بالقتل واحدًا تلو الآخر. ذُبحوا بالسواطير، ولم تفعل الشرطة ولا الحكومة شيئًا، «لا شيء على الإطلاق»، كما قال. وهكذا اضطر لمغادرة بنجلاديش وعائلته، لطلب اللجوء في السويد.

قال:

— «ذات مرة عندما حدث ذلك، كنت هناك تمامًا. غطى دم صديقي المقرب سترتي.»

رغم أنها لم تفهم تمامًا، ليس حينها على الأقل، إلا أنها استشعرت فيه حزنًا أعظم من حزنها، وشعرت بقربٍ لم يكن من المنطقي أن تشعر به في تعارف قصير كهذا.

كان اسمه **جمال شودري**. أمسكت بيده وتجولا نحو مبنى البرلمان. كانت تجد صعوبة في البلع. كانت المرة الأولى منذ دهر تشعر فيها بأنها حية تمامًا. لكن الشعور لم يدم طويلاً. أصابها القلق وتخيلت عيني بشير السوداوين. عندما وصلا إلى المدينة القديمة «جاملا ستان»، مضت في طريقها. لكن خلال الأيام والأسابيع التي تلت، التمست العزاء في ذكرى لقائهما. كانت بمثابة غرفة كنز سرية.

لم يكن مستغربًا إذن أن تتشبث بتلك الذكرى في السجن، خاصة في هذه الأمسية، قبيل لحظات من زمجرة قطار البضائع العابر. ومع اقتراب خطوات **بينيتو**، علمت فاريا بكل كيانها أن هذه المرة ستكون أسوأ من أي وقت مضى.

كان **أولسن** في مكتبه، لا يزال ينتظر مكالمة من **فاغر**. لكن الوقت مر ولم تأتِ المكالمة. شتم بصوت خافت وفكر في ابنته. كان من المقرر أن يكون في إجازة اليوم مع **فيلدا** في بطولة كرة قدم في «فيستراس»، لكنه ألغى كل شيء لأنه لم يجرؤ على الابتعاد عن الوحدة. عندما طلب من خالته مجالسة الطفلة للمرة الألف، شعر بأنه أسوأ أب على الإطلاق، لكن ماذا عساه أن يفعل؟

جاءت جهوده لنقل بينيتو بنتائج عكسية. علمت بينيتو بكل شيء ورمقته بنظرات تهديد. كان المكان يغلي. في كل مكان كانت السجينات يتهامسن وكأن صدامًا كبيرًا أو هروبًا وشيك الحدوث، وهو بدوره نظر بتوسل إلى **سالاندر**. كانت قد وعدت بالتعامل مع الموقف، الأمر الذي أقلقه بقدر المشكلة ذاتها، وكان قد أصر على أنه سيحاول حل الأمر أولاً. مرت خمسة أيام الآن ولم يحقق شيئًا. كان يرتعد رعبًا.

ومع ذلك، كانت هناك نتيجة إيجابية واحدة. كان يعتقد أنه سيضطر لمواجهة تحقيق داخلي لأنه التُقط عبر الكاميرا وهو يدخل مكتبه مع سالاندر بعد الإغلاق، والبقاء حتى ساعات الصباح الأولى. في الأيام التالية، توقع تمامًا أن يتم استدعاؤه في أي لحظة أمام الإدارة لمواجهة أكثر الأسئلة إحراجًا. لكن ذلك لم يحدث. في النهاية لم يعد يطيق الانتظار، وبذريعة الحاجة للتحقق من بعض الحوادث المتعلقة ببياتريس أندرسون، توجه إلى مركز المراقبة في الوحدة «ب». وبخوف، حدد موقع التسجيلات من مساء ١٢ يونيو حتى الساعات الأولى من ١٣ يونيو.

في البداية لم يستطع استيعاب الأمر. شغّل الفيديو مرارًا وتكرارًا، لكن كل ما رآه كان ممرًا هادئًا ومقفرًا بلا أثر له أو لسالاندر. كان في مأمن. ورغم أنه تمنى لو يصدق أن الكاميرات تعطلت بمعجزة في ذلك الوقت بالتحديد، إلا أنه كان يعلم الحقيقة. لقد شهد سالاندر وهي تخترق خادم المؤسسة. لابد أنها استبدلت بعض لقطات المراقبة. كان ذلك ارتياحًا

هائلاً، لكنه أرعبه أيضًا. شتم وتحقق مرة أخرى من بريده الإلكتروني. ولا كلمة واحدة. هل كان صعبًا لهذه الدرجة اللعينة أن يأتي شخص ويأخذ بينيتو بعيدًا؟

كانت الساعة السابعة والربع مساءً. في الخارج كانت الأمطار تنهمر بغزارة، وكان ينبغي عليه أن يتأكد من عدم حدوث أي مكروه في زنزانة كازي. كان يجب أن يكون هناك يراقب بينيتو ويجعل حياتها جحيمًا. لكنه بقي مكانه، مشلولا. نظر حول مكتبه وشعر بالغثيان. ماذا عسى سالاندر أن تكون قد فعلت بالأمس حين كانت هنا؟ كانت تلك الساعات غريبة. لقد بحثت في تلك السجلات القديمة مرة أخرى، هذه المرة بحثًا عن شخص يدعى **دانيال برولين**. هذا القدر عرفه، لكن بخلاف ذلك حاول أولسن تجنب النظر. لم يرد التورط. لكنه تورط في النهاية، شاء أم أبى. أجرت سالاندر مكالمة هاتفية عبر حاسوبه. الشيء الغريب هو أنها بدت كشخص مختلف، ودودة ومتزنة. خلال المحادثة سألت عما إذا ظهرت أي وثائق جديدة. ومباشرة بعد ذلك، طلبت إعادتها إلى زنزانتها.

بعد أربع وعشرين ساعة، كان شعور أولسن بعدم الارتياح يتزايد، وعقد العزم على الخروج إلى الوحدة. قفز من كرسي مكتبه، لكنه لم يذهب أبعد من ذلك. أزّ الهاتف الداخلي. كان **فاغر** ، يعاود الاتصال أخيرًا. سجن «هامرفورس» في «هارنوساند» يمكنه استقبال بينيتو صباح الغد. كانت أخبارًا ممتازة لكن أولسن لم يشعر بالارتياح الذي توقعه. في البداية لم يفهم السبب. ثم سمع قطار البضائع يمر. أغلق الخط دون كلمة أخرى وهرع إلى الزنازين.

***

سيقول **بلومكفيست** لاحقًا إنه تعرض للاعتداء. لكنه كان واحدًا من أكثر الاعتداءات متعة التي تعرض لها منذ وقت طويل. كانت **مالين فرود** تقف في المدخل، مبللة بالمطر، ومساحيق التجميل تسيل على وجنتيها،

وفي عينيها نظرة وحشية ومصممة. لم يكن بلومكفيست متأكدًا مما إذا كانت هناك لتلكمه أم لتمزق ملابسه عنه.

كانت النتيجة شيئًا بين هذا وذاك. دفعته نحو الحائط، وأمسكت بفخذيه وأخبرته أنه سيعاقب لكونه لا يفعل شيئًا سوى العمل، ولكونه مثيرًا كالجحيم في الوقت ذاته. وقبل أن يدرك ما يحدث كانت تعتليه على السرير. بلغت ذروتها ليس مرة بل مرتين.

بعد ذلك استلقيا متلاصقين، بأنفاس لاهثة. مسد شعرها وقال لها أشياء حنونة. أدرك أنه افتقدها حقًا. كانت المراكب الشراعية تتقاطع في خليج «ريدارفجاردن». وقطرات المطر تقرع الأسطح. كانت لحظة طيبة. لكن أفكاره شردت، وأدركت مالين ذلك فورًا.

سألت:

— «هل أشعرتك بالملل بالفعل؟»

— «ماذا؟ لا، لا، لقد اشتقت إليكِ،» قالها وهو يعنيها. لكنه كان يشعر بالذنب أيضًا. فبعد لحظات من ممارسة الحب مع امرأة لم يكن معها منذ فترة طويلة، لا ينبغي له التفكير في العمل.

قالت:

— «متى كانت آخر مرة نطقت فيها بكلمة صادقة؟»

— «أحاول فعل ذلك، وكثيرًا في الواقع.»

— «هل هي **إريكا** مرة أخرى؟»

— «لا، كلا. إنه ما تحدثنا عنه عبر الهاتف.»

— «هجوم القرصنة؟»

— «وأمور أخرى.»

— «و **ليو**؟»

— «هو أيضًا.»

– «إذن أخبرني بحق السماء. لماذا أنت مهتم به إلى هذا الحد اللعين؟»

– «لست متأكدًا أنني كذلك. أحاول فقط تجميع بعض الخيوط.»

– «الأمر واضح كالطين يا **كالي بلومكفيست.**»

– «حقًا؟»

– «إذن هناك شيء لا تخبرني به. ربما تحاول حماية مصدرك؟»

– «ربما.»

– «يا لك من وغد!»

– «آسف.»

لان وجهها وأزاحت خصلة من شعرها للوراء.

قالت وهي تسحب اللحاف حولها، وبدت لا تقاوم:

– «لقد فكرت في ليو لفترة طويلة بعد حديثنا.»

سألها:

– «هل توصلتِ لشيء؟»

– «تذكرته وهو يعدني بإخباري عما جعله سعيدًا جدًا. لكن عندما لم يعد سعيدًا، بدا من القسوة الضغط عليه.»

– «ما الذي جعلك تفكرين في ذلك؟»

ترددت ونظرت من النافذة.

– «ربما لأنني كنت سعيدة لسعادته، لكنني قلقت بشأنها أيضًا. كانت مفرطة.»

– «ربما كان عاشقًا.»

– «سألته ذلك تحديدًا وأنكر تمامًا. كنا في بار مطعم "ريش"، وكان ذلك بحد ذاته غير مألوف. ليو يكره الحشود. لكنه وافق على المجيء وكان من المفترض أن نناقش من سيتولى منصبي. كان ليو مستحيلاً. بمجرد أن ذكرت بعض الأسماء غير الموضوع، أراد الحديث عن الحب والحياة

ودخل في مونولوج حول موسيقاه. كان غير مفهوم ومملاً جدًا بصراحة، شيء عن كونه ولد ليحب توافقيات ومقامات معينة. لم أكن أصغي حقًا. كان منتشيًا لدرجة أهانتني، وكالحمقاء هاجمته: "ماذا يحدث؟ يجب أن تخبرني". لكنه رفض قول أي شيء آخر. لم يستطع إخباري، ليس بعد. كل ما قاله هو أنه اكتشف أخيرًا المكان الذي ينتمي إليه.»

– «هل رأى النور؟»

– «ليو كان يكره الدين.»

– «إذن ما كان الأمر؟»

– «لا فكرة لدي. كل ما أعرفه أنه انتهى بالسرعة التي بدأ بها، بعد بضعة أيام. لقد انهار تمامًا.»

– «ماذا تعنين؟»

– «كان ذلك قبل عيد الميلاد بعام ونصف، في يومي الأخير في ألفرد أوجرين. أقمت حفلة وداع في منزلي ولم يحضر ليو، وهذا أحزنني. ففي النهاية، كنا مقربين.»

رمقت بلومكفيست بنظرة وأضافت:

– «لا داعي للغيرة.»

– «يتطلب الأمر أكثر من ذلك لإثارة غيرتي.»

– «أعرف. وأنا أكرهك لذلك. كان بإمكانك مجاراتي بالتظاهر على الأقل. على أية حال، كان بيننا مغازلة بريئة، أنا وليو، في الوقت الذي التقيتك فيه. كانت حياتي كارثة، مع الطلاق وكل شيء، وربما لهذا السبب صدمتني السعادة الغامرة التي وجدها فجأة. بالإضافة إلى أنها كانت متناقضة مع شخصيته. اتصلت به في منتصف الليل وكان لا يزال في المكتب، مما زاد من انزعاجي. لكنه اعتذر بشدة لدرجة أنني سامحته، وعندما طلب مني المجيء لتناول مشروب أخير، هرعت إلى هناك فورًا. لم يكن لدي أدنى فكرة عما أتوقعه. لم يكن ليو مدمن عمل بالضبط، ولم يكن

هناك سبب لوجوده هناك في وقت متأخر. تلك الغرفة كانت مكتب والده سابقًا. هناك لوحة لـ **داردل** معلقة على الحائط. وخزانة أدراج لـ **هاوبت** في الزاوية. شيء مذهل. أحيانًا كان ليو يقول إنه يشعر بالحرج من ذلك، من الثراء الفاحش. لكن في تلك الليلة عندما صعدت إلى هناك... لا أستطيع وصف الأمر. كانت عيناه تتوهجان، وكان هناك شيء جديد، شيء مكسور في صوته. كان يبذل قصارى جهده ليبتسم ويبدو سعيدًا، لكن عينيه بدتا تائهتين وحزينتين. كانت هناك زجاجة نبيذ "بورجندي" فارغة وكأسان مستعملان على خزانة الأدراج. من الواضح أنه كان لديه زائر. تعانقنا وتبادلنا المجاملات، وشربنا نصف زجاجة شامبانيا ووعدنا بالبقاء على اتصال. لكن كان من الواضح أن عقله في مكان آخر. في النهاية قلت: "لم تعد تبدو سعيدًا". قال: "أنا سعيد. لقد قمت للتو بـ..." ولم يكمل الجملة. صمت لفترة طويلة. أفرغ كأسه من الشامبانيا. بدا مضطربًا. قال إنه سيقدم تبرعًا كبيرًا.»

— «لمن؟»

— «لا فكرة لدي، وتساءلت إن كان قرارًا وليد اللحظة. بدا محرجًا فورًا مما قاله، وقررت عدم الإلحاح. بدا الأمر خاصًا جدًا، وبعدها جلسنا هناك في حرج. في النهاية نهضت، فقفز هو أيضًا، وتعانقنا مرة أخرى وتبادلنا قبلات فاترة. أخبرته أن يعتني بنفسه وخرجت إلى الممر لانتظار المصعد. بعد دقيقة شعرت بالانزعاج وقررت العودة. لماذا كان كتومًا؟ ماذا كان يخفي؟ أردت أن أفهم. لكن عندما وصلت لغرفته —— أعني، حتى قبل أن أفتح فمي —— أدركت أنني أزعجه. كان جالسًا يكتب على ورقة ذات مظهر مميز، وكان يمكنك ملاحظة أنه يعتني بكل كلمة عناية فائقة. كان كتفاه مشدودين. وبدا أن في عينيه دموعًا. لم يطاوعني قلبي على مقاطعته، وهو لم يلاحظني حتى.»

— «ليس لديك أدنى فكرة عما كان الأمر؟»

– «خمنت لاحقًا أن له علاقة بوالدته. ماتت بعد بضعة أيام، وأخذ ليو إجازة كما تعلم واختفى في تلك الرحلات الطويلة. كان يجب عليّ ربما الاتصال وتقديم تعازيّ. لكن، كما تعلم، تحولت حياتي حينها إلى كابوس. كنت أعمل ليل نهار في وظيفتي الجديدة، وأخوض شجارات ملحمية مع طليقي في ما بين ذلك. وفوق كل هذا كنت أنام معك.»

– «لابد أن ذلك كان الجزء الأسوأ.»

– «على الأرجح.»

– «ولم تري ليو منذ ذلك الحين؟»

– «ليس شخصيًا، فقط في مقطع قصير على التلفزيون. أعتقد أنني نسيته، أو بالأحرى طردته من عقلي. لكن عندما اتصلت اليوم...» ترددت مالين، وكأنها تبحث عن كلمات. «... تذكرت ذلك المشهد في المكتب، وشعرت بخطأ ما فيه. لم أستطع تحديد ماهيته. لقد أزعجني فحسب. في النهاية شعرت بضيق شديد لدرجة أنني حاولت الاتصال به، لكنه غير رقمه.»

قال بلومكفيست:

– «هل ذكرت لكِ الطبيب النفسي الذي قُتل في حفلة صيد ألفرد أوجرين؟ حدث ذلك عندما كان ليو طفلاً صغيرًا.»

– «إيه، لا، لماذا؟»

– «كان اسمه **كارل سيجر**.»

– «الاسم لا يبدو مألوفًا. ماذا حدث؟»

– «أصيب سيجر برصاصة في المعدة قبل خمسة وعشرين عامًا أثناء صيد الأيائل، في الغابات حول "أوستهمار" ـــ على الأرجح عن طريق الخطأ. الشخص الذي أطلق النار كان المدير المالي لشركة روسڤيك، **بير فالت**.»

– «هل تشك في وجود تلاعب؟»

– «ليس حقًا، على الأقل ليس بعد. لكنني ظننت أن سيجر وليو قد تكون بينهما علاقة وثيقة. كان والدا ليو مستعدين لاستثمار الكثير في الصبي، أليس كذلك؟ التدريب على اختبارات الذكاء وما إلى ذلك. قرأت أن سيجر كتب عن أهمية الثقة بالنفس لنمو الشباب، لذا كنت أتساءل...»

قالت مالين:

– «كان لدى ليو شك في الذات أكثر من الثقة بالنفس

– «كتب سيجر عن ذلك أيضًا. هل تحدث ليو كثيرًا عن والديه؟»

– «أحيانًا، ولكن بتردد.»

– «لا يبدو ذلك جيدًا.»

– «أنا متأكدة أن هيرمان وفيفيكا كانت لديهما صفات جيدة، لكني أعتقد أن إحدى مآسي ليو أنه لم ينجح أبدًا في الوقوف في وجههما. لم يُسمح له أبدًا بأن يسلك طريقه الخاص.»

– «أي أصبح خبيرًا ماليًا رغماً عنه، بعبارة أخرى.»

– «لابد أن جزءًا منه أراد ذلك أيضًا. الأمور ليست بسيطة أبدًا. لكني متأكدة تمامًا أن حلمه كان التحرر. ربما لهذا السبب يزعجني ذلك المشهد عند مكتبه. بدا وكأنه يودع شيئًا ما —— ليس والدته فقط بل شيئًا آخر أيضًا، شيئًا أكبر.»

– «لقد وصفتِه بهاملت.»

– «بشكل أساسي للتباين معك، أظن. لكن هذا صحيح، أنه كان يتردد بشأن كل شيء.»

– «هاملت أصبح عنيفًا في النهاية.»

– «ها، نعم، لكن ليو لن يفعل أبدًا...»

– «لن يفعل ماذا أبدًا؟»

مر ظل عابر على وجه مالين، فوضع بلومكفيست يده على كتفها.

– «ما الأمر؟»

— «لا شيء.»

— «هيا، قولي.»

قالت:

— «حسنًا، لقد رأيت ليو يفقد صوابه تمامًا ذات مرة.»

***

في الساعة السابعة وتسع وعشرين دقيقة مساءً، شعرت فاريا بالارتجافات الأولى لقطار البضائع كألم حاد يسري في جسدها. بقي ست عشرة دقيقة فقط قبل الإغلاق. لكن الكثير قد يحدث في ذلك الوقت، كانت تعرف ذلك أفضل من أي شخص آخر. كان الحراس يقعقعون بمفاتيحهم في الممر، والأصوات مرتفعة، ورغم أنها لم تلتقط ما قيل، استطاعت استشعار الهيجان في الجلبة. لم تكن لديها فكرة عما يدور، سوى أن هناك عجلة في الأمر. وسمعت إشاعة بأن بينيتو سترحل. قبل ساعة بدا الأمر وكأن رعدًا في طريقه للهطول. والآن، كان اهتزاز القطار هو كل ما يصلهم من العالم الخارجي.

بدت الجدران وكأنها ترتعد، والسجينات يمشين جيئة وذهابًا، ومع ذلك لم يبدُ أن شيئًا خطيرًا يحدث. ربما ستُترك وشأنها الليلة في النهاية. بدا الحراس أكثر يقظة. وكان المأمور، أولسن، يراقبها عن كثب، وبدا أنه يعمل طوال الوقت. ربما سيحميها، أخيرًا. ربما سيكون كل شيء على ما يرام، مهما كان ما يهمس به في الخارج. فكرت في إخوتها وأمها، وكيف كانت الشمس تشرق ذات يوم فوق المروج في فالهولمن. لكن أحلامها قُطعت. سُمع صوت زحف خفاف بلاستيكية من مسافة بعيدة، صوت ميزته بخوف، والآن لم يعد هناك مجال للشك. وجدت فاريا صعوبة في التنفس. تمنت لو تستطيع تحطيم ثقب في الجدار والهروب عبر خط السكة الحديدية، أو التلاشي وكأنما بالسحر، لكنها كانت تحت رحمة زنزانتها وسريرها. كانت معرضة للأذى كما كانت دائمًا في سيكلا، وحاولت التفكير

في جمال مرة أخرى. لكن ذلك لم يُجدِ، لم يكن هناك عزاء في أي مكان. دمدم قطار البضائع مارًا، واقتربت الخطوات وسرعان ما ستشم ذلك العطر الحلو مرة أخرى. خلال ثوانٍ ستُلقى في نفس الحفرة التي لا قرار لها كعادتها، ولم يكن يهم كم مرة أخبرت نفسها أن حياتها مدمرة بالفعل، وأنه لم يعد لديها ما تخسره. كانت تتجمد رعبًا في كل مرة تظهر فيها بينيتو عند بابها، وبابتسامة آسرة تخبرها أن إخوتها يرسلون تحياتهم.

لم يكن واضحًا ما إذا كانت بينيتو قد التقت بشير وأحمد أو حتى كانت على اتصال بهما. كانت التحية بمثابة تهديد مميت، وتتبعها دائمًا صفعات ومداعبات من بينيتو، تلمس ثدييها وما بين ساقيها، وتصفها بالعاهرة والساقطة. لكن التحرش والإهانات لم تكن الأسوأ. كان الأسوأ هو الشعور بأن كل هذا مجرد تحضير لشيء أفظع بكثير. أحيانًا كانت تتوقع رؤية بريق الفولاذ في يد بينيتو.

تدين بينيتو بشهرتها لزوج من الخناجر الإندونيسية. أُشيع أنها صاغتها بنفسها وهي تتمتم بسيل من اللعنات. قيل إن مجرد توجيه السكاكين نحو شخص ما هو حكم بالإعدام. رافقت الأساطير بينيتو عبر ممرات السجن كهالة شريرة تمتزج بعطرها. كثيرًا ما تخيلت فاريا ما سيحدث لو هاجمتها بينيتو بالسكاكين. في بعض الأيام اعتقدت أنها سترحب بذلك.

أرهفت السمع للأصوات في الوحدة، وللحظة ارتفع أملها. توقف صوت الزحف. هل أُوقفت بينيتو؟ لا، الأقدام تتحرك مرة أخرى، وبينيتو معها رفقة. الآن اختلطت رائحة العطر برائحة نفاذة للعرق، والنعناع. **تاين جرونلوند**، تابعة بينيتو وحارستها الشخصية. عرفت فاريا أن هذه ليست مهلة، بل تصعيد. سيكون الأمر سيئًا.

أصبحت أظافر قدمي بينيتو المطلية مرئية الآن في المدخل، قدماها الشاحبتان تبرزان من خفاف بلاستيكية قياسية. كانت قد شمرت أكمام

قميصها لتكشف عن وشوم الثعابين. كانت متعرقةً، وتضع مساحيق تجميل، وباردة العينين. ومع ذلك كانت تبتسم. لا أحد يملك ابتسامة كريهة كبينيتو. تبعتها جرونلوند، التي أغلقت باب الزنزانة خلفهما —— رغم أن الحراس وحدهم المسموح لهم بإغلاق الأبواب.

قالت جرونلوند:

— «جريتا ولورين بالخارج مباشرة. لذا لا داعي للقلق من الإزعاج.»

خطت بينيتو خطوة نحو فاريا، وهي تعبث بشيء في جيب بنطالها. ضاقت ابتسامتها لتصبح خطًا رفيعًا، مجرد إيحاء. تشكلت أخاديد جديدة على جبينها الشاحب. وظهرت قطرة عرق على شفتها.

قالت:

— «نحن في عجلة من أمرنا نوعًا ما. الحراس يريدون إرسالي بعيدًا، هل سمعتِ؟ لذا علينا اتخاذ قرار الآن. نحن نحبك يا فاريا. أنتِ مثيرة، ونحن نحب الفتيات الجميلات. لكننا نحب إخوتك أيضًا. لقد قدموا عرضًا سخيًا جدًا، والآن نود أن نعرف...»

قالت فاريا:

— «ليس لدي أي مال.»

— «يمكن للفتاة أن تدفع بطرق أخرى، ونحن لدينا تفضيلاتنا، وعملتنا الخاصة، أليس كذلك يا تاين؟ لدي شيء لك يا فاريا، قد يجعلك أكثر تعاونًا قليلاً.»

عادت يد بينيتو إلى جيبها وابتسمت ابتسامة عريضة. ابتسامة احتوت يقينًا جليديًا بالنصر.

قالت:

— «ماذا تظنين لدي هنا؟ ماذا يمكن أن يكون؟ ليس خنجري "كيريس"، لذا لا داعي للقلق بشأن ذلك. لكنه لا يزال شيئًا ثمينًا بالنسبة لي.»

سحبت جسمًا أسود من جيبها بصوت طقة معدنية. لم تستطع فاريا التنفس. كانت مطواة. تجمدت رعبًا لدرجة أنها لم تملك وقتًا لرد فعل عندما أمسكت بينيتو بشعرها وأجبرت رأسها على الرجوع للخلف.

ببطء اقترب النصل من حلقها حتى أصبح مصوبًا نحو شريانها السباتي، وكأن بينيتو توضح مكان إحداث القطع الأكثر فتكًا. فحت بينيتو وبصقت كلمات عن التكفير عن الخطايا بالدم وجعل العائلة سعيدة مرة أخرى. شعرت فاريا بالعطر الحلو في أنفها واستنشقت نفسًا حامضًا برائحة التبغ، وشيء عفن ومقزز. كانت عاجزة عن أي تفكير آخر وأغمضت عينيها، لذا لم تفهم سبب انتشار رفرفة مفاجئة من القلق في الزنزانة. لكنها أدركت بعد ذلك أن الباب خلفها قد فُتح وأُغلق مرة أخرى.

كان هناك شخص آخر في الغرفة. في البداية، لم تستطع فاريا تمييز من يكون. لكن من زاوية عينها رأت سالاندر. بدت غريبة، خالية الذهن وغارقة في التفكير، وكأنها لا تعرف أين هي. لم ترف لها عين حتى عندما اقتربت بينيتو منها.

قالت:

– «أنا لا أقاطع شيئًا، أليس كذلك؟»

– «بالتأكيد تقاطعين، واللعنة. من بحق الجحيم سمح لكِ بالدخول؟»

– «الفتيات اللواتي تركتِهن بالخارج. لم يبدين الكثير من المقاومة.»

فحت بينيتو وهي تلوح بمطواتها:

– «أيتها الحمقاء! ألا ترين ما بيدي؟»

ألقت سالاندر نظرة خاطفة على السكين لكنها لم تبدِ رد فعل لذلك أيضًا. نظرت بشرود إلى بينيتو.

– «اغربي عن وجهي أيتها الساقطة، وإلا ذبحتك كخنزير.»

قالت سالاندر:

- «أخشى أنكِ لن تملكي الوقت لذلك.»

- «لا تظنين ذلك؟»

سرت موجة من الكراهية عبر الزنزانة وانقضت بينيتو نحو سالاندر، والسكين مرفوع. لم تفهم فاريا أبدًا ما حدث بعد ذلك. أُطلقت لكمة، ووُجهت ضربة بكوع، وبدا الأمر وكأن بينيتو اصطدمت بجدار. مشلولة، سقطت على وجهها فوق الأرضية الخرسانية، دون أن تكسر سقوطها بيديها حتى.

ثم ساد الصمت، ولم يبقَ سوى صوت قطار البضائع يقعقع في الخارج.

-٦-

١٨ يونيو

كان **بلومكفيست** و**مالين فرود** يتكئان على اللوح الأمامي للسرير. مرر بلومكفيست أصابعه على كتفها وسأل:

– «ما الذي دفع ليو إلى تلك الحالة؟»

قالت:

– «هل لديك نبيذ أحمر جيد؟ أحتاج لكأس.»

– «أعتقد أن لديّ بعض "البارولو".»

جر نفسه إلى المطبخ، وعاد بزجاجة وكأسين. كانت مالين تحدق من النافذة، حيث المطر ما زال يهطل فوق خليج «ريدارفجاردن»، مخلفًا ضبابًا خفيفًا فوق الماء، بينما دوّت صفارات الإنذار في البعيد. سكب بلومكفيست النبيذ، وقبّلها على خدها وفمها. وعندما بدأت في الحديث، سحب اللحاف فوقهما مجددًا.

قالت:

– «أنت تعلم أن **إيفار**، ابن **ألفرد أوجرين**، هو الآن الرئيس التنفيذي، رغم كونه الأصغر بين الأبناء. يكبر ليو بثلاث سنوات فقط، والاثنان يعرفان بعضهما منذ الصغر. لكنهما ليسا صديقين بالضبط. في الواقع، هما يكرهان بعضهما.»

– «ولمَ ذلك؟»

– «منافسة، انعدام أمان، سمه ما شئت. يعلم إيفار أن ليو أذكى منه، ويرى ما وراء تبجحه وأكاذيبه. لديه عقدة نقص، وليست فكرية فحسب.

يقضي إيفار وقته في الأكل في المطاعم الفاخرة، ورغم أنه لم يبلغ الأربعين بعد، يبدو كرجل عجوز مترهل، بينما ليو عدّاء، وفي أيامه الجيدة قد يبدو في الخامسة والعشرين. من ناحية أخرى، إيفار أكثر جرأة وحزمًا، ثم...»

قطبت مالين وجهها ورشفت بعض النبيذ.

سأل:

— «ثم ماذا؟»

— «أشعر بالخجل من هذا الأمر؛ من كوني كنت جزءًا منه. قد يبدو إيفار رجلاً لا بأس به أحيانًا، مغرورًا قليلاً ربما، لكن لا بأس به. وفي أحيان أخرى كان كابوسًا، ومشهدًا مريعًا. أعتقد أنه خشي أن يتولى ليو القيادة. الكثيرون، حتى بعض أعضاء مجلس الإدارة، أرادوا ذلك. خلال أسبوعي الأخير في الشركة —— كان ذلك قبل أن أرى ليو تلك الليلة —— عقدنا اجتماعًا نحن الثلاثة. كان من المفترض أن نناقش من سيخلفني، لكننا حتمًا انزلقنا لمواضيع أخرى. وكما تعلم، كان إيفار مستشيطًا غضبًا منذ البداية. أنا متأكدة أنه التقط نفس ما التقطته أنا؛ كان ليو سعيدًا بشكل مضحك، وكأنه يطوف فوق كل شيء. علاوة على ذلك، بالكاد حضر للعمل طوال الأسبوع، فهاجمه إيفار بضراوة، ناعتاً إياه بالمتشدق والكسول والجبان. في البداية تقبل ليو الأمر برحابة صدر وابتسم فقط. هذا جنن إيفار، فبدأ يتفوّه بأبشع الأشياء؛ شتائم عنصرية، واصفًا ليو بـ"الغجري" و"الصعلوك". كان الأمر عبثيًا لدرجة ظننت معها أن ليو سيتجاهل الأحمق. لكنه قفز من كرسيه وأطبق على عنق إيفار. كان جنونًا. رميت بنفسي على ليو وسحبته إلى الأرض. أتذكره وهو يتمتم: "نحن أفضل، نحن أفضل"، حتى هدأ أخيرًا.»

— «وماذا فعل إيفار؟»

— «لم يبرح كرسيه، فقط حدق فينا بصدمة. ثم مال للأمام، بوجه يعلوه الخزي، واعتذر. بعدها غادر، وبقيت أنا على الأرض مع ليو.»

– «وماذا قال ليو؟»

– «لا شيء، على حد تذكري. كان تصرفًا مختلاً تمامًا.»

– «ألم يكن نعتُه بالصعلوك والغجري تصرفًا مختلاً أيضًا؟»

– «هذا هو إيفار. عندما يغضب يتحول إلى وحش. كان من الممكن أن يصفه بالحقير أو الخنزير بنفس السهولة. أعتقد أنه ورث ضيق الأفق هذا عن أبيه. هناك الكثير من القذارة والتحيز في تلك العائلة، وهذا ما عنيته حين قلت إنني أشعر بالخجل. ما كان يجب أن أعمل في شركة ألفرد أوجرين أبدًا.»

أومأ بلومكفيست وأفرغ كأسه. ربما كان عليه طرح المزيد من الأسئلة، أو قول شيء لمواساتها، لكنه آثر الصمت. كان ثمة شيء يثقل كاهله، وعجز في البداية عن إدراكه. ثم تذكر أن **أجنيتا**، والدة سالاندر، انحدرت من عائلة من الرحّل. تذكر أن هذا كان خلفية جدها، ولهذا أدرج اسمها في سجلات أصبحت لاحقًا غير قانونية.

قال أخيرًا:

– «ألا تظنين...»

– «ماذا؟»

– «... أن إيفار يرى نفسه متفوقًا بالفعل؟»

– «أنا متأكدة من ذلك.»

– «أعني متفوقًا عرقيًا.»

– «سيكون ذلك غريبًا. عروق مانهايمر زرقاء نبيلة لأقصى درجة. إلام تلمح؟»

– «لست متأكدًا.»

بدت مالين شاردة، فقبّل بلومكفيست كتفها. كان يعرف تمامًا ما عليه التحقق منه. سيتعين عليه العودة بعيدًا في الزمن، إلى سجلات الكنيسة القديمة إن لزم الأمر.

***

سددت سالاندر لكمة قوية ــــ ربما أقوى من اللازم. علمت ذلك قبل أن تنهار **بينيتو**، وحتى قبل أن تلمسها، من سهولة حركتها والقوة غير المعترضة. يعرف أي ممارس للرياضات العنيفة أنه كلما قل الجهد المبذول، اقتربت الحركة من الكمال.

سددت بيمينها ضربة دقيقة نحو قصبة بينيتو الهوائية، وفي تتابع سريع عاجلتها بضربتين بمرفقها على الفك. ثم خطت خطوة جانبية، ليس فقط لإفساح المجال للسقوط، بل لتقييم الموقف. راقبت بينيتو وهي تنهار دون حماية نفسها بيديها، وترتطم بالأرض بذقنها أولًا. سمعت سالاندر صوت تهشم العظام. كانت نتيجة أفضل مما أملت.

رقدت بينيتو بلا حراك على بطنها، ووجهها ملتوي في تكشيرة متيبسة. لم تصدر صوتًا، ولا حتى صوت تنفس. لن يذرف أحد دموعًا أقل على بينيتو مما ستفعل سالاندر، لكن موتها سيكون تعقيداً غير مرغوب فيه. ناهيك عن أن **تاين جرونلوند** كانت تقف هناك بجوارها تمامًا.

لم تكن جرونلوند مثل بينيتو. بدت كتابع بالفطرة، شخص بحاجة لمن يخبره ماذا يفعل. لكنها كانت طويلة ومفتولة العضلات وسريعة، وللكمتها مدى طويل يصعب التعامل معه، خاصة حين تأتي من الجانب كما الآن. صدتها سالاندر جزئيًا فقط. رن في أذنيها طنين وحرقت وجنتها، وتأهبت لجولة أخرى. لكن لم تكن هناك جولة تالية. بدلاً من شن هجوم، حدقت جرونلوند ببساطة في بينيتو الملقاة على الأرض. لم يبدُ الوضع جيداً هناك بالأسفل.

لم يكن الدم النازف من فمها والسائل في جداول حمراء كالمخالب على الأرضية الخرسانية هو السبب الوحيد؛ بل جسدها ووجهها الملتويان بالكامل. بدت بينيتو كحالة تستدعي رعاية طويلة الأمد ــــ إن لم يكن أسوأ.

نعبت تاين بصوت مبحوح:

– «بينيتو، هل أنتِ حية؟»

قالت سالاندر، دون أن تكون متأكدة تمامًا:

– «إنها حية.»

لقد أسقطت أشخاصًا مغشيًا عليهم من قبل، داخل الحلبة وخارجها، ودائمًا ما كان يصدر أنين أو حركة فورية تقريبًا. الآن لم يكن هناك شيء، سوى صمت بدا مضخمًا بالتوتر المرتجف في الهواء.

فحت تاين:

– «اللعنة، إنها بلا حراك تمامًا.»

قالت سالاندر:

– «أنتِ محقة، لا تبدو بحالة جيدة.»

تمتمت تاين بتهديد وبدت مستعدة للهجوم. ثم اندفعت خارجة وهي تلوح بذراعيها. ظلت سالاندر هادئة وثابتة في مكانها، وعيناها على **فاريا**. كانت فاريا تجلس على السرير بقميص أزرق فضفاض، تطوق ركبتيها بذراعيها، وتنظر إلى سالاندر بذهول.

قالت سالاندر:

– «سأخرجكِ من هنا.»

***

كان **هولجر بالمجرين** في منزله بـ «ليليولمن» على سريره الطبي، يفكر في محادثته مع سالاندر. شعر بالأسف لأنه لا يزال عاجزًا عن إجابة سؤالها. تجاهلته مقدمة الرعاية، وكان يشعر بالبؤس والمرض لدرجة تمنعه من العثور على الوثائق بنفسه. كان الألم ينهش وركيه وساقيه، وكان عاجزًا تمامًا عن المشي، حتى بمساعدة المشاية. احتاج للمساعدة في كل شيء تقريبًا، وكان مقدمو الرعاية يأتون لمنزله. عاملته غالبيتهم كطفل في الخامسة، ولم يبدوا حبًا لعملهم، أو حتى للمسنين عمومًا. أحيانًا، ولكن

ليس كثيرًا — فلديه كبرياؤه — ندم على رفضه القاطع لعرض سالاندر بدفع تكاليف رعاية خاصة مؤهلة. قبل أيام فقط، سأل إحداهن، وتدعى **ماريتا**، وكانت شابة وصارمة وتبدو مشمئزة دائمًا حين تضطر لإخراجه من السرير، عما إذا كان لديها أطفال.

زجرته قائلة:

— «لا أريد الحديث عن حياتي الشخصية.»

إذن فقد اتُهم بالتطفل بينما كان يحاول فقط أن يكون مهذبًا!

الشيخوخة مهينة، وتعدٍ على كرامة المرء. هكذا رآها، وقبل لحظات فقط، حين احتاج لتغيير ملابسه، تذكر قصيدة **جونار إيكيلوف** «يجب أن يخجلوا».

لم يقرأها منذ شبابه. لكنه تذكرها جيدًا، ربما ليس كلمة بكلمة، لكن معظمها. كانت القصيدة عن رجل — يفترض أنه الأنا الآخر للشاعر — كتب ما أسماه مقدمة لموته. أراد أن يكون أثره الأخير قبضة مضمومة ترتفع عبر بركة من زنابق الماء، وكلمات تطفو إلى السطح.

كان بالمجرين يشعر ببؤس شديد لدرجة أن هذه القصيدة بدت وكأنها تقدم الأمل الوحيد المتبقي له: التحدي! ستزداد حالته سوءًا بلا شك، وسرعان ما سيستلقي في السرير كقطعة خضار، وربما يفقد عقله أيضًا. كل ما ينتظره هو الموت. لكن هذا لا يعني أنه يجب أن يتقبله — كانت تلك الرسالة والعزاء اللذين قدمتهما القصيدة. يمكنه أن يضم قبضته احتجاجًا. يمكنه أن يغرق للقاع، فخورًا ومتمردًا، ثائرًا ضد الألم، وسلس البول، والعجز عن الحركة، وكل ذلك الذل.

لم تكن حياته بؤسًا خالصًا. لا يزال لديه أصدقاء، وقبل كل شيء لديه سالاندر. و**لولو**، التي ستصل قريبًا لمساعدته في العثور على الوثائق. كانت لولو من الصومال. طويلة وجميلة، بشعر طويل مجدول. كان تعبيرها صادقًا لدرجة أعادت إليه قدرًا من احترامه لذاته. كانت لولو تتولى المناوبة

الليلية الأخيرة، تضع له لاصقات المورفين وقميص نومه وتجهزه للنوم. ورغم أنها كانت لا تزال تخطئ في السويدية، إلا أن أسئلتها كانت حقيقية. ولم تكن عبارات تافهة بصيغة الجمع مثل: «هل نشعر بتحسن قليل الآن؟» طلبت منه اقتراحات عما يجب أن تدرسه وتتعلمه، وعن قصص عما فعله بالمجرين نفسه في حياته، وعن أفكاره. رأته كإنسان، لا كجثة قديمة بلا تاريخ.

كانت لولو إحدى النقاط المضيئة في حياته هذه الأيام، والشخص الوحيد الذي أخبره عن سالاندر وزيارته لفلودبيرجا. كان كابوسًا. مجرد رؤية سور السجن العالي جعلته يرتجف. كيف يضعون سالاندر في مكان كهذا؟ لقد فعلت شيئًا رائعًا في النهاية؛ أنقذت حياة طفل. ومع ذلك تجد نفسها بين أسوأ المجرمات في البلاد. كان هذا خطأً فادحًا. وعندما رآها في غرفة الزوار، كان مضطربًا لدرجة أنه لم ينتقِ كلماته كعادته.

سألها عن وشم التنين. لطالما تساءل عنه، وبالفعل، كان ينتمي لجيل لا يفهم الوشم كشكل من أشكال الفن. لماذا تزين نفسك بشيء لا يزول أبدًا، بينما نحن نتغير ونتطور باستمرار؟

كانت إجابة سالاندر قصيرة ومقتضبة، ومع ذلك أكثر من كافية. شعر بالتأثر، واستمر في الثرثرة بتوتر وعشوائية. لابد أنه جعلها تفكر في طفولتها، وهو أمر أحمق، خاصة وأنه هو نفسه بالكاد يعرف عما يتحدث. ما خطبه؟ لم يكن الأمر مجرد تقدم في العمر وضعف في الحكم. قبل بضعة أسابيع تلقى زيارة غير متوقعة من امرأة تدعى **ماي بريت توريل**، سيدة مسنة تشبه الطيور، كانت سكرتيرة لـ **يوهانس كالدين**، رئيس عيادة «سانت ستيفان» النفسية في أوبسالا، وقت أن كانت سالاندر مريضة هناك. قرأت توريل مقالات صحفية عن سالاندر وقررت تصفح صناديق ملاحظات الحالة التي تولت مسؤوليتها عند وفاة كالدين. حرصت على الإشارة إلى أنها لم تخرق سرية الطبيب والمريض من قبل قط. لكن في هذه الحالة

كانت هناك ظروف خاصة، «كما تعلم. كان من المروع كيف عوملت تلك الفتاة، أليس كذلك؟» كانت توريل حريصة على تسليم الأوراق، لتظهر الحقيقة.

بمجرد أن شكر بالمجرين توريل، وودعها وقرأ الملاحظات، تملكه اليأس. كانت نفس القصة القديمة المحزنة: الطبيب النفسي **بيتر تيليبورين** قيد سالاندر في غرفة علاجه وعرضها لإيذاء نفسي خطير. لم يكن هناك جديد في الوثائق، بقدر ما استطاع أن يرى، لكنه قد يكون مخطئًا. لم يتطلب الأمر سوى بضع كلمات طائشة في السجن لاستثارة سالاندر. الآن عرفت أنها كانت جزءًا من دراسة برعاية حكومية. قالت إن أطفالاً آخرين كانوا متورطين، سواء في الجيل الذي سبقها أو لاحقًا. لكنها لم تتمكن من العثور على أسماء الأشخاص الذين يقفون وراء كل ذلك. يبدو أن جهودًا كبيرة قد بُذلت لإبقائهم بعيدًا عن الإنترنت وعن كل الأرشيفات.

قالت عبر الهاتف:

— «هل يمكنك إلقاء نظرة أخرى لترى إن كان بإمكانك العثور على أي شيء؟»

وبالتأكيد سيفعل، بمجرد وصول لولو لمساعدته.

***

سُمع صوت سعال وبصق قادم من الأرض، وقبل أن تتمكن فاريا من تمييز أي كلمات، عرفتها كلعنات وتهديدات. نظرت لأسفل نحو بينيتو. كانت المرأة ملقاة وذراعاها ممدودتان على اتساعهما. لا جزء من جسدها يتحرك، ولا حتى إصبع، لا شيء سوى رأسها الذي رفعته بضعة سنتيمترات عن الأرض، وعينيها اللتين حدقتا جانبيًا للأعلى نحو سالاندر.

— «خنجري مصوب نحوكِ!»

كان الصوت مكتومًا وأجش لدرجة أنه بالكاد بشري. في ذهن فاريا، تداخلت الكلمات مع الدم الذي سال من فم بينيتو.

– «الخنجر مصوب نحوكِ. أنتِ ميتة.»

لم يكن هذا أقل من حكم بالإعدام. للحظة بدت بينيتو وكأنها تستعيد بعض قوتها، لكن سالاندر لم تبدُ قلقة على الإطلاق. قالت وكأنها بالكاد كانت تستمع:

– «أنتِ من تبدو ميتة.»

ثم أرهفت سالاندر السمع للأصوات في الممر، وكأن بينيتو لم تعد عاملاً في المعادلة. سمعت فاريا خطوات ثقيلة وسريعة تقترب. كان شخص ما يندفع نحو زنزانتها وفي اللحظة التالية سُمعت أصوات وشتائم بالخارج، ثم: «ابتعدوا عن الطريق اللعين!» طار الباب مفتوحًا ووقف المأمور **أولسن** على العتبة. كان بقميصه الأزرق المعتاد، يلهث. من الواضح أنه كان يركض.

– «يا إلهي، ماذا بحق الجحيم حدث هنا؟»

نظر من بينيتو على الأرض إلى سالاندر، ثم إلى فاريا كازي على السرير.

كرر سؤاله:

– «ماذا بحق الجحيم حدث؟»

قالت سالاندر:

– «انظر هناك على الأرض.»

نظر أولسن لأسفل ولمح المطواة ملقاة في بركة دم بجوار يد بينيتو اليمنى مباشرة.

– «ما اللعنة...؟»

– «بالضبط. شخص ما مرر سكينًا عبر جهاز كشف المعادن الخاص بك. ما حدث هو أن طاقم سجن كبير فقد السيطرة وفشل في حماية سجينة مهددة.»

تمتم أولسن وهو يشير إلى فك بينيتو، وقد خرج عن طوره الآن:
– «لكن هذا... هذا...»

– «هذا ما كان يجب أن تفعله منذ زمن طويل يا ألفار.»

حدق أولسن في وجه بينيتو المهشم.

فحت بينيتو:

– «خنجري مصوب نحوك. ستموتين يا سالاندر، ستموتين.»

عندها شعر أولسن بذعر حقيقي يتملكه. ضغط زر الإنذار في حزامه وصرخ طالبًا الدعم، ثم التفت إلى سالاندر.

– «ستقتلكِ.»

قالت سالاندر:

– «تلك مشكلتي. هددني حمقى أسوأ منها.»

– «لا يوجد أحد أسوأ.»

سُمعت خطوات في الممر. هل كان أولئك الأوغاد قريبين طوال الوقت؟ لن يفاجئه ذلك على الإطلاق. شعر بغضب عارم يغلي بداخله، وفكر في فيلدا والتهديدات؛ في الواقع، الوحدة بأكملها كانت عارًا. نظر إلى سالاندر مرة أخرى وتذكر كلماتها: ما كان ينبغي عليه فعله منذ زمن بعيد. عرف أنه بحاجة لفعل شيء ما. كان عليه استعادة كرامته. لكن لم يكن هناك وقت. اقتحم زميلاه، **هاريت** و**فريد**، الزنزانة ووقفا كالمشلولين. هما أيضًا رأيا بينيتو ملقاة على الأرض وسمعا اللعنات، لكن الآن استحال فهم ما كانت تحاول قوله. شظايا كلمات، «خ» أو «ك»، في هذيان بينيتو الشرير.

صرخ فريد:

– «أوه، تباً! أوه، تباً!»

تقدم أولسن خطوة للأمام وتنحنح. عندها فقط نظر إليه فريد. كان الخوف في عينيه، والعرق يتلألأ على جبينه وخديه.

قال أولسن:

– «هاريت، اتصلي بالمسعف. بسرعة، بسرعة! وأنت يا فريد...»

لم يعرف ماذا يقول. أراد كسب الوقت، وفرض بعض السلطة، لكن بدا بوضوح أن الأمر لا يجدي نفعًا، لأن فريد قاطعه بنفس النبرة المضطربة:

– «يا لها من كارثة لعينة! ماذا حدث؟»

قال أولسن:

– «ساءت الأمور جدًا.»

– «هل ضربتَها؟»

لم يجب أولسن في البداية. لكنه تذكر الوصف الدقيق والمخيف للطريق إلى فصل فيلدا. تذكر أن بينيتو أخبرته بلون حذاء ابنته المطاطي.

قال:

– «أنا...»

تردد. ومع ذلك استشعر شيئًا مرعبًا وجذابًا في آن واحد بشأن كلمة «أنا». رمق سالاندر بنظرة. هزت رأسها، وكأنها تعرف بالضبط ما يدور في ذهنه. لكن لا... إما الآن أو أبدًا. بدا الأمر صوابًا.

– «لم يكن لدي خيار.»

قال فريد:

– «بحق المسيح، هذا يبدو مريعًا. بينيتو، بينيتو، هل أنتِ بخير؟» وكانت تلك القشة الأخيرة بعد شهور من غض الطرف.

صرخ أولسن في وجه فريد:

– «بدلاً من القلق على بينيتو، لمَ لا تعتني بفاريا؟ لقد تركنا الوحدة بأكملها تتحول إلى جحيم. انظر إلى المطواة على الأرض! أتراها؟ هرّبت بينيتو سلاح جريمة لعينًا، وكانت على وشك مهاجمة فاريا عندما قمتُ أنا بـ...»

كان يتلمس كلماته. وكأنه أدرك فجأة فداحة كذبته، وبشيء من اليأس نظر مرة أخرى إلى سالاندر، آملًا في الإنقاذ. لكنها لم تكن بصدد إعفائه.

قالت فاريا كازي من السرير:

— «كانت ستقتلني.» وأشارت إلى جرح صغير في عنقها، مما منح أولسن شجاعة متجددة.

زمجر في وجه فريد:

— «إذن ماذا كان يُفترض بي أن أفعل؟ أنتظر وأرى إن كانت الأمور ستنتهي على خير؟»

شعر بتحسن، رغم وعيه المتزايد بالمخاطرة التي يقدم عليها.

لكن فات أوان التراجع الآن. تجمعت سجينات أخريات في المدخل، والبعض تدافع للدخول إلى الزنزانة. كان الوضع سيخرج عن السيطرة وتعالت أصوات مضطربة في الممر. البعض كان يصفق أيضًا. بدأ شعور عظيم بالارتياح ينتشر. صرخت امرأة بفرح وتحولت الأصوات إلى طنين، جدار من الصوت يزداد قوة، شيء يشبه ما يعقب مباراة ملاكمة دموية أو مصارعة ثيران.

ومع ذلك، لم تكن كل الجلبة فرحًا. كانت هناك أصوات مهددة أيضًا، تهديدات لسالاندر لا له، وكأن شائعة عما حدث حقًا قد تسربت بالفعل. علم أنه يجب أن يتصرف بحزم. أعلن بصوت عالٍ أنه سيتم إبلاغ الشرطة فورًا. كان يعلم أن المزيد من الحراس في طريقهم من وحدات أخرى، كان هذا الإجراء المتبع عند انطلاق الإنذار، وتساءل ما إذا كان عليه حبس السجينات في زنزاناتهن أم انتظار التعزيزات. نظر إلى كازي وأخبر هاريت وفريد بضرورة فحصها من قبل المسعفين وطبيب نفسي أيضًا. ثم التفت إلى سالاندر وأمرها أن تتبعه.

خرجا إلى الممر، يشقان طريقهما بين حشد من السجينات والحراس، وللحظة ظن أن الموقف قد ينفجر. كان الناس يصرخون ويجذبونهما.

كانت الوحدة على شفا الشغب. وكأن كل التوتر والسخط الذي كان يغلي تحت السطح لفترة طويلة على وشك الانفجار. وبجهد جهيد فقط تمكن من مرافقة سالاندر إلى زنزانتها وإغلاق الباب خلفهما. بدأ شخص ما يقرع عليه. كان زملاؤه يصرخون لفرض النظام. كان قلبه يخفق بشدة، وفمه جافًا، ولم يستطع التفكير فيما يقول. لم تكن سالاندر تنظر إليه حتى. نظرت فقط إلى مكتبها ومررت أصابعها في شعرها.

قالت:

— «أحب تحمل مسؤولية أفعالي.»

— «كنت أحاول حمايتكِ.»

— «هراء. أردت أن تشعر بتحسن قليل تجاه نفسك. لكن لا بأس يا ألفار. يمكنك الذهاب الآن.»

أراد أن يقول شيئًا آخر. أراد أن يشرح نفسه، لكنه أدرك أن ذلك سيبدو سخيفًا فقط. استدار وسمعها تتمتم خلف ظهره:

— «ضربتها على القصبة الهوائية.»

فكر وهو يقفل الباب: *القصبة الهوائية*؟ ثم شق طريقه عبر الفوضى في الممر.

***

بينما كان بالمجرين ينتظر لولو، حاول تذكر ما قالته الوثائق بالفعل. هل يمكن أن يكون هناك شيء جديد ومهم مدفون فيها؟ وجد صعوبة في تصديق أنه سيكتشف أكثر مما عرفه مسبقًا: أنه كانت هناك خطط لعرض سالاندر للتبني عندما ساءت الأمور جدًا مع والدها، بما في ذلك اعتداءاته الجنسية على أجنيتا.

حسنًا، سيكتشف ذلك قريبًا بما يكفي. في الأيام الأربعة التي تعمل فيها، كانت لولو تصل دائمًا بانتظام في التاسعة مساءً. كان يتوق لرؤيتها. ستساعده في الدخول للسرير، وتضع لاصقة المورفين وتجعله مرتاحًا، ثم

تحضر الأوراق من الدرج السفلي في الخزانة بغرفة المعيشة حيث وضعتها آخر مرة، بعد زيارة ماي بريت توريل.

عاهد بالمجرين نفسه على تكريس أقصى انتباهه لها. قد يمنحه هذا متعة مساعدة سالاندر لمرة أخيرة. أنّ وشعر بألم حاد في وركيه. كان هذا أسوأ وقت في اليوم، فتمتم بصلاة صغيرة: «عزيزتي لولو الرائعة. أحتاجك. تعالي الآن.» وبالفعل استلقى هناك لخمس، وربما عشر دقائق، يطرق بيده السليمة على غطاء السرير، حين ترددت خطوات ظن أنه يعرفها في الردهة.

فُتح الباب. هل جاءت مبكرة بعشرين دقيقة؟ يا للروعة! لكن لم تكن هناك تحية مرحة من الباب الأمامي، لا «مساء الخير يا صديقي العجوز»، فقط خطوات تتسلل إلى الشقة وتتجه نحو غرفة نومه. أخافه هذا، وهو لا يخاف بسهولة. إحدى مزايا العمر أنه لم يعد لديه الكثير ليخسره. لكنه الآن قلق، ربما بسبب تلك الأوراق. أراد قراءتها كما ينبغي، لاستخدامها في مساعدة سالاندر. فجأة أصبح لديه شيء يعيش لأجله.

نادى:

– «مرحبًا. مرحبًا؟»

– «أوه —— هل أنت مستيقظ؟ ظننتك نائمًا.»

قال بارتياح ظاهر:

– «لكني لا أكون نائمًا أبدًا حين تصلين.»

قالت لولو وهي تعبر المدخل:

– «لا أظنك تدرك مدى الإرهاق والإنهاك الذي كنت عليه في الأيام الماضية. ظننت أن زيارة السجن تلك قد تقضي عليك.»

كانت تضع مساحيق تجميل وأحمر شفاه وترتدي ثوبًا أفريقيًا زاهي الألوان.

– «هل كان الوضع سيئًا لهذه الدرجة؟»

– «كان التحدث إليك شبه مستحيل.»

— «أنا آسف. سأحاول أن أكون أفضل.»

— «أنت رقم واحد عندي، تعرف ذلك. عيبك الوحيد أنك تكرر الأسف.»

— «آسف.»

— «أرأيت؟»

— «ما خطبك اليوم يا لولو؟ تبدين جميلة بشكل خاص.»

— «سأخرج مع شاب سويدي من "فيسترهانينج". هل تتخيل؟ إنه مهندس ويملك منزلاً وسيارة فولفو جديدة.»

— «مغرم بكِ بالطبع؟»

— «آمل ذلك.»

عدلت وضع ساقيه ووركيه، وتأكدت من استلقائه بشكل صحيح على الوسادة ورفعت مسند الظهر لوضع الجلوس. وبينما تحرك السرير بأزيز ناعم، استمرت في الثرثرة عن الرجل من فيسترهانينج الذي يدعى **روبرت**، أو ربما **رولف**. لم يكن بالمجرين يصغي، ووضعت لولو يدها على جبينه.

— «أنت تتصبب عرقًا باردًا يا سخيف. يجب أن أحممك.»

لا أحد يستطيع مناداته بالسخيف بكل ذلك الحنان مثل لولو. عادة ما كان يستمتع بهذه المزاح، لكنه اليوم كان نافد الصبر. نظر لأسفل إلى يده اليسرى الهامدة، التي بدت أكثر إثارة للشفقة من أي وقت مضى.

— «أنا آسف يا لولو. هل يمكنك فعل شيء لي أولاً؟»

— «دائمًا خدمتك.»

صحح لها:

— «دائمًا في خدمتك. هل تعرفين تلك الأوراق التي وضعتِها في الخزانة آخر مرة؟ هل يمكنك إحضارها؟ أحتاج لقراءتها مرة أخرى.»

— «لكنك قلت إن قراءتها كانت مريعة.»

— «كانت كذلك. لكن يجب أن ألقي نظرة أخرى.»

هرعت وعادت بعد دقيقة أو اثنتين برزمة أكبر مما تذكر أنه تصفحه في المقام الأول. ربما التقطت أكثر من ملف. بدأ يقلق. إما لن يكون هناك شيء ذو أهمية في الأوراق، أو سيكون هناك، وفي تلك الحالة من يستطيع التنبؤ بما ستفعله ليزبيث.

قالت لولو وهي تضع رزمة الأوراق على المنضدة بجوار علب دوائه وكتبه:

– «تبدو أكثر نشاطًا اليوم. لكنك لست بكامل عافيتك، أليس كذلك؟ هل تفكر في تلك المرأة سالاندر؟»

– «أخشى ذلك. كان من المروع رؤيتها في ذلك السجن. هل يمكنك إحضار فرشاة أسناني ووضع لاصقات المورفين؟ حركي ساقي قليلاً لليسار من فضلك. يبدو الأمر وكأن الجزء السفلي من جسدي بالكامل به...»

– «... سكاكين مغروزة فيه؟»

– «بالضبط، سكاكين. هل أقول ذلك طوال الوقت؟»

– «نعم، طوال الوقت.»

– «ترين، لقد أصابني الخرف. لكني سأقرأ هذه الأوراق، ويمكنك الانصراف لرؤية روجر الخاص بك.»

صححته:

– «رولف.»

– «صحيح، رولف. آمل أن يكون لطيفًا. اللطف هو أهم شيء.»

– «حقًا؟ هل اخترت عشيقاتك بناءً على لطفهن؟»

– «كان يجب عليّ فعل ذلك بالتأكيد.»

– «هذا ما يقوله كل الرجال، ثم يطاردون أول امرأة جميلة يرونها.»

– «ماذا؟ لا، لم أفعل ذلك قط.»

كان عقله يشرد. طلب من لولو وضع الملفات على السرير بجانبه، لكنه بالكاد تمكن من رفع أحدها حتى بذراعه السليمة. وبينما كانت لولو

تفك أزرار قميصه وتضع لاصقات المورفين، بدأ يقرأ. بين الحين والآخر، وبينما تواصل لولو عملها، كان يتوقف ليقول شيئًا لطيفًا ومشجعًا. تمنى لها وداعًا حارًا وحظًا سعيدًا مع رولف أو روجر.

تمامًا كما تذكر، كانت الأوراق تتكون في الغالب من ملاحظات الطبيب النفسي بيتر تيليبورين: بروتوكولات الأدوية، ملاحظات عن الحبوب التي رفضت المريضة تناولها، وحسابات لأنظمة العلاج التي واجهتها بصمت وعناد، قرارات باستخدام تدابير قسرية، إعادة تقييم، آراء ثانية، قرارات باستخدام تدابير قسرية أكثر، مؤشرات واضحة على السادية، وإن صِيغت بمصطلحات سريرية جافة —— كل الأشياء التي عذبت بالمجرين كثيرًا.

لكنه لم يستطع العثور على أي من المعلومات التي كانت تبحث عنها سالاندر رغم قراءته المتأنية. بدأ يراجع كل شيء مرة أخرى، وللأمانة سيستخدم عدسته المكبرة هذه المرة. درس كل صفحة عن كثب، وفي النهاية التقط شيئًا، وإن لم يكن كثيرًا: ملاحظتان سريتان صغيرتان دونهما تيليبورين بعد وقت قصير من دخول سالاندر العيادة في أوبسالا. لكنهما أعطتا بالمجرين بالضبط ما طُلب منه العثور عليه: أسماء.

نصت الملاحظة الأولى على:

«معروفة مسبقًا من قبل "سجل دراسات الوراثة والبيئة الاجتماعية" (R.G.S.E.). شاركت في المشروع ٩. (النتيجة: غير مرضية.)

تم إقرار الوضع في منزل تبني بواسطة أستاذ علم الاجتماع **مارتن شتاينبرج**. يستحيل التنفيذ. عرضة للهروب.

خيال خصب. حادث خطير مع "ج." في شقة بشارع لوندجاتان —— هربت في سن السادسة.»

هربت في سن السادسة؟ هل كان هذا هو الحادث الذي أشارت إليه سالاندر خلال زيارته للسجن؟ لابد أنه كذلك، مما قد يجعل «ج.» هي

المرأة ذات الوحمة على عنقها. لكن لم يكن هناك المزيد حول الأمر في الوثائق لذا لم يستطع التأكد. فكر بالمجرين مليًا. ثم نظر مرة أخرى إلى ملاحظة تيليبورين وابتسم قليلاً. «خيال خصب»، كتب الرجل. كان هذا التعليق الإيجابي الوحيد الذي أدلى به ذلك الوغد عن سالاندر. حتى الوغد يمكنه أحيانًا أن يفيد ... لكن هذه لم تكن مزحة. أكدت الملاحظة أن سالاندر كانت على وشك الإرسال بعيدًا وهي طفلة. تابع بالمجرين القراءة:

«الأم، أجنيتا سالاندر، تعاني تلفًا شديدًا في الدماغ جراء ضربة على الرأس. أُدخلت دار رعاية "أبيلفيكن". عاينتها سابقًا الأخصائية النفسية **هيلدا فون كانتربورج** ـــ التي يُعتقد أنها خرقت السرية وأفشت معلومات حول السجل. لا ينبغي منحها أي فرصة للاتصال بالمريضة. تدابير إضافية يخطط لها البروفيسور شتاينبرج و"ج."»

تمتم: *البروفيسور شتاينبرج*. مارتن شتاينبرج. بطريقة ما بدا الاسم مألوفًا. بصعوبة ـــ كما هو الحال مع كل شيء هذه الأيام ـــ بحث بالمجرين عن الرجل في جوجل عبر هاتفه، وعرفه فورًا. كيف فاته ذلك؟ ليس أنه ومارتن كانا مقربين. لكنهما التقيا قبل حوالي خمسة وعشرين عامًا. كان شتاينبرج شاهدًا خبيرًا في محاكمة دافع فيها بالمجرين عن شاب فقير اتهم بالاعتداء على والده.

تذكر سعادته بوجود مورد مثل شتاينبرج في صفه. خدم شتاينبرج في عدد من اللجان والتحقيقات المرموقة. كانت آراؤه تميل للقدم وحتى الجمود، لكنه كان شخصًا مفيدًا في القضية وتمت تبرئة موكله. تناولا مشروبًا معًا بعد المحاكمة، والتقيا عدة مرات منذ ذلك الحين. ربما يستطيع بالمجرين استخلاص شيء منه.

استلقى بالمجرين في السرير، وكومة الأوراق الكبيرة تستقر على صدره ومعدته. حاول التفكير بوضوح. هل سيكون من التهور محاولة الاتصال

بشتاينبرج؟ أمضى عشر أو خمس عشرة دقيقة يقلب الأمر في رأسه بينما كان المورفين يأخذ مفعوله وبدأ الألم في وركيه يشبه وخزات الإبر أكثر من السكاكين. في النهاية، تجاهل القلق. طلبت سالاندر مساعدته وكان مدينًا لها ببذل الجهد. لذا وضع استراتيجية وأجرى الاتصال. وبينما كان الهاتف يرن، ألقى نظرة على الساعة. كانت العاشرة وعشرين دقيقة مساءً. متأخر قليلاً، لكن ليس كثيرًا. سيكون حذرًا. لكن بمجرد أن أجاب شتاينبرج، كاد بالمجرين يفقد شجاعته واضطر لتمالك نفسه ليبدو مقنعًا.

قال:

— «آمل ألا أكون متطفلاً باتصالي في هذه الساعة. لكن لدي سؤال لك.»

لم يكن مارتن شتاينبرج غير ودود لكنه بدا قلقًا، ولم يبتهج حتى عندما هنأه بالمجرين على كل المناصب والمهام الكبيرة التي قرأ عنها عبر الإنترنت. استفسر البروفيسور بلياقة عن صحة بالمجرين.

قال بالمجرين وحاول أن يضحك:

— «ماذا عساي أقول، في عمري هذا؟ يجب أن أكون ممتنًا لأن جسدي يؤلمني ويذكرني بوجوده.»

ضحك شتاينبرج معه وتبادلا بضع كلمات عن الأيام الخوالي. ثم أخبره بالمجرين بسبب اتصاله. قال إن عميلاً اتصل به وسيكون ممتنًا لمعرفة القليل عن العمل الذي كان يقوم به شتاينبرج فيما يسمى بـ «السجل». شعر فورًا أن هذا خطأ. لم يفقد شتاينبرج هدوءه، لكنه بدا متوترًا بوضوح.

قال البروفيسور:

— «ليس لدي أدنى فكرة عما تتحدث عنه.»

— «أهذا صحيح؟ يا للغرابة. مكتوب هنا أنك اتخذت قرارات نيابة عن السلطة.»

— «مكتوب أين؟»

قال بالمجرين، أكثر غموضًا ودفاعية الآن:

— «في الأوراق التي لدي.»

قال شتاينبرج بنبرة حادة مفاجئة:

— «أحتاج لمعرفة أين بالضبط، لأن هذا يبدو خاطئًا تمامًا.»

— «حسنًا، أفترض أنه من الأفضل أن ألقي نظرة أخرى.»

— «نعم، يجب عليك ذلك حقًا.»

— «أو ربما اختلطت علي الأمور. في عمري هذا، كما تعلم...»

قال شتاينبرج محاولاً تصنع نبرة ودودة أو حتى عارضة:

— «آه، هذا يحدث.»

لكنه لم يستطع إخفاء حقيقة أنه مصدوم، وكان يعرف ذلك. أضاف تحذيرًا غير ضروري:

— «هناك أيضًا احتمال أن شيئًا في أوراقك غير دقيق. من العميل الذي اتصل بك؟»

تمتم بالمجرين بأن شتاينبرج سيفهم، أليس كذلك، كونه رجلاً طبيًا، أنه لا يستطيع الكشف عن اسم وأنهى المكالمة بأسرع ما يمكن. لكن حتى قبل أن يغلق الخط، أدرك أن هذه المكالمة ستكون لها عواقب. كيف كان بهذا الغباء؟ أراد المساعدة، لكنه زاد الأمور سوءًا بدلاً من ذلك. ومع مرور الساعات وهبوط الليل على ليليولمن، نما قلقه ومخاوفه وامتزجا بالألم في ظهره ووركيه. مرة تلو الأخرى لعن نفسه لغبائه وسوء تقديره.

كان حريًا بالمرء أن يشعر بالشفقة على هولجر بالمجرين العجوز المسكين.

-٧-

١٩ يونيو

استيقظ **بلومكفيست** مبكرًا صباح الأحد وتسلّل من السرير لكيلا يزعج **مالين**. ارتدى بنطال جينز وقميصًا قطنيًا رماديًا، وحضّر لنفسه كوب كابتشينو قويًا وشطيرة، بينما يلقي نظرة سريعة على جريدة الصباح.

ثم جلس أمام حاسوبه وتساءل من أين يبدأ. لقد نقّب في كل شيء تقريبًا على مرّ السنين: أرشيفات، مذكرات، قواعد بيانات، محاضر محاكم، ميكروفيلم، أكداس لا حصر لها من الورق، قوائم تركات، إقرارات ضريبية، بيانات مالية، وصايا، وإقرارات ضريبية عامة. تحدّى قرارات السرية، واستعان بمبادئ الوصول العام للسجلات الرسمية وحماية المبلّغين عن المخالفات، وعثر على أبواب خلفية وثغرات. انكبّ على صور قديمة، وفكّك خيوط شهادات متناقضة لشهود، وعثر على مواد في أقبية وغرف تخزين باردة، بل ونبش — حرفيًا — في صناديق القمامة. لكنه لم يحاول قط من قبل معرفة ما إذا كان شخص ما قد تم تبنّيه أو وُلد خارج إطار الزواج. لم يعتقد يومًا أن هذا شأنه، ولم يكن متأكدًا هذه المرة أيضًا. لكنه اتبع حدسه. نعت **إيفار أوجرين ليو** بـ «الغجري»، ولم تكن تلك مجرد إهانة عنصرية قديمة بغيضة. إذا كان ذلك الأحمق يشكك في «سويدية» ليو، فالأمر عصيّ على الفهم تمامًا. عائلة **مانهايمر** ذات نسب أنبل من عائلة أوجرين بأي معيار، بشجرة عائلة وأسلاف يمتدون للقرن السابع عشر. لكن كان لديه شعور بأن النظر في الماضي قد يكون مجديًا.

شرع بلومكفيست في بحث سرعان ما رسم ابتسامة على وجهه. أصبح علم الأنساب هواية شائعة. هناك أرشيفات لا تُحصى، وعدد هائل من سجلات الكنيسة والتعدادات وسجلات المهاجرين والوافدين تم مسحها ضوئيًا ورقمنتها. لم يكن هذا أقل من منجم ذهب. أي شخص لديه ما يكفي من المال والصبر يمكنه العودة بالزمن بقدر ما يشاء، متتبعًا ترحال أجداده عبر السهوب والقارات عبر آلاف السنين، وصولاً حتى لأمهاتنا الأوائل في أفريقيا.

لكن التبني الحديث كان مشكلة؛ فهناك فترة سرية تمتد لسبعين عامًا لهذه الحالات. يمكن إحالتها لمحكمة الاستئناف الإدارية، لكن ذلك ممكن فقط في حالات حساسة للغاية. الصحفيون المتطفلون الذين لا يعرفون عما يبحثون لن يكونوا مؤهلين على الأرجح. وفقًا للقواعد، كانت هذه نهاية الطريق، لكنه كان يعلم أكثر من أي شخص آخر أن هناك دائمًا وسيلة. كان عليه فقط اكتشاف كيفية القيام بذلك.

كانت الساعة السابعة والنصف صباحًا. لا تزال مالين نائمة، وبدا خليج «ريدارفجاردن» وكأنه يعد بيوم جميل. في غضون ساعات قليلة سيذهبان للاستماع لمانهايمر في متحف «فوتوجرافيسكا» بـ «ستادجاردسكاجن». لكن أولاً أراد بلومكفيست التحقق من ماضي مانهايمر. لم يساعد كونه يوم أحد، حيث مكاتب المساعدة والأنفس الصديقة الأخرى في عطلة. وعلاوة على ذلك، بعد محادثاته مع مالين، بدأ يشعر ببعض التعاطف مع الرجل. لكنه لم يكن ليستسلم. إذا كان قد فهم بشكل صحيح، سيتعين عليه أولاً طلب سجل ميلاد مانهايمر من أرشيف مدينة ستوكهولم. إذا مُنع من الوصول، سيؤكد ذلك شكوكه، لكنه لن يكون كافيًا. قد يكون سجل الميلاد مدموغًا بالسرية لأسباب شتى، ليس بالضرورة التبني. سيتعين على بلومكفيست حينها الحصول على الملفات الشخصية للوالدين وكذلك لمانهايمر ومقارنتها. الملفات الشخصية ــــ

التي تُحفظ سرية في حالات استثنائية فقط — ستحتوي على معلومات حول أماكن إقامتهم في مراحل مختلفة. إذا لم يكن ليو مانهايمر ووالداه مسجلين في نفس الأبرشية — يفترض أنها أبرشية «فاسترليد» في «نوكيبي» — وقت ميلاد ليو، فستكون تلك علامة واضحة: لا يمكن لـ **هيرمان وفيفيكا** أن يكونا والديه البيولوجيين.

لذا كتب بلومكفيست طلبًا عبر البريد الإلكتروني للحصول على سجل ميلاد مانهايمر من أرشيف مدينة ستوكهولم، بالإضافة لملفاته الشخصية وملفات والديه. ومع ذلك لم يرسله قط. كان اسم بلومكفيست كجرس إنذار. الناس دائمًا مهتمون بسبب رغبته في هذه المعلومة أو تلك. ستبدأ طاحونة الشائعات في الدوران — ميكائيل بلومكفيست يتطفل مجددًا — وستنتشر أخبار طلبه بالتأكيد، وهو ما سيأتي بنتائج عكسية إذا كانت هناك قصة حقيقية. قرر بدلاً من ذلك الاتصال بالأرشيف في اليوم التالي، الاثنين، مستخدمًا حقه في الوصول للوثائق العامة مع البقاء مجهول الهوية.

ثم خطر له أن **هولجر بالمجرين** قد يعرف الإجابة بالفعل. ضد كل الصعاب وربما بتحدٍ لتوصيات أطبائه، ذهب بالمجرين لرؤية **سالاندر** في «فلودبيرجا». سيكون من اللطيف التحدث إليه على أية حال، للاطمئنان عليه. التقط بلومكفيست هاتفه وتحقق من الوقت. هل الوقت مبكر جدًا؟ لا، لا، بالمجرين يستيقظ مع بزوغ الفجر ولا يميز أبدًا بين عطلات نهاية الأسبوع وأيام العمل. لكن بلومكفيست لم يستطع الاتصال، بدا أن هناك خطأً ما في هاتف العجوز المحمول. قال صوت آلي إن الرقم غير مستخدم حاليًا. جرب بلومكفيست هاتفه الأرضي. لا إجابة هناك أيضًا. كان على وشك المحاولة مرة أخرى حين سمع صوت أقدام حافية خلفه. التفت بابتسامة.

***

اكتشف بالمجرين أيضًا أن هاتفه المحمول لا يعمل. نموذجي، فكّر، لا شيء يعمل، وأقلهم هو نفسه. كان في حالة يرثى لها. ظل مستيقظًا منذ ساعات الصباح الأولى، يعاني ألمًا مروعًا. ماذا دهاه بحق الأرض؟

بات مقتنعًا الآن أن محادثة الأمس كانت خطأً كبيرًا. الجلوس في لجان وهيئات كبرى لم يمنع **شتاينبرج** من أن يكون محتالاً. كان كافيًا لإدانته توقيعه الوثيقة التي أرسلت سالاندر لمنزل تبني ضد رغبتها ورغبة والدتها.

يا رب السماء، كم كان أحمقًا! ماذا عليه أن يفعل؟ أولاً وقبل كل شيء، يجب أن يصل لسالاندر ويتحدث معها. لكن هاتفه لا يعمل. توقف بالمجرين عن استخدام خطه الأرضي لأن كل ما يتلقاه هذه الأيام هو عروض بيع ومكالمات من أشخاص لا يريد التعامل معهم. بجهد جهيد تقلب في سريره ورأى أن الهاتف لم يعد موصولاً حتى. مد يده متجاوزًا المرتبة، وصدره يتدلى فوق حاجز السرير، ونجح أخيرًا في إعادة القابس لمكانه. ثم استلقى لبرهة، يلهث، قبل أن يرفع السماعة القديمة من المنضدة الجانبية. كانت هناك حرارة. هذا تحسن بالفعل، لقد عاد للعمل. اتصل بدليل الهاتف وطلب تحويله لسجن فلودبيرجا. لم يتوقع أن يرد عليه شخص ودود بشكل خاص، لكنه مع ذلك صُدم بغطرسة ووقاحة الصوت في بدالة السجن.

قال بكل ما أوتي من سلطة:

— «اسمي هولجر بالمجرين. أنا محامٍ. أرجو تحويلي لمن هو مسؤول عن وحدة الحراسة المشددة. الأمر في غاية الأهمية.»

— «انتظر على الخط.»

— «لا وقت لذلك.»

لكنه تُرك منتظرًا رغم ذلك، وبعد تأخيرات لا تنتهي تم توصيله بحارسة ما في الوحدة، تدعى **هاريت ليندفورس**. كانت ليندفورس فظة لكنه

أخبرها بمدى إلحاح الأمر. كان بحاجة للتحدث لليزبيث سالاندر دون تأخير. جمدت إجابتها الدم في عروقه:

— «لا يمكنك. ليس في ظل الوضع الحالي.»

— «هل حدث شيء؟»

— «هل تعمل على قضيتها؟»

— «لا. أو بالأحرى نعم، أنا كذلك.»

— «أيهما؟»

— «لست متورطًا بشكل مباشر، لكن...»

قالت ليندفورس وأغلقت الخط:

— «إذن عليك الاتصال لاحقًا.»

استشاط بالمجرين غضبًا. ضرب السرير بيده السليمة. خشي أن الأسوأ قد حدث، وأن كل ذلك بسببه. ورغم محاولته التماسك، تسابق عقله في تكهنات جامحة. أراد النهوض والسيطرة على الموقف. لكن أصابعه كانت ملتوية ومتيبسة، وجسده معوجًا ونصف مشلول. لم يستطع حتى ركوب كرسيه المتحرك دون مساعدة. يا للذل. إذا كانت الليلة جلجلته، فهو يشعر الآن بأنه مسمر على صليبه، مرتبته البائسة. حتى **إيكيلوف** الطيب وقبضته المضمومة بين زنابق الماء لم يعودا قادرين على مواساته.

نظر إلى قاعدة الهاتف. كان الضوء يومض، لابد أن شخصًا حاول الاتصال بينما كان ينتظر بدالة فلودبيرجا، وبالفعل كان صوت ميكائيل بلومكفيست هو المسجل. أخبار جيدة — سيتمكن بلومكفيست من المساعدة، سيعرف ماذا يفعل بالمعلومات. طلب بالمجرين رقمه. في البداية لم يكن هناك رد، فاتصل مرة أخرى، وأخرى، حتى أجاب بلومكفيست. كان يتنفس بثقل وميز بالمجرين فورًا أنه نوع من ضيق التنفس أفضل من ذاك الذي يصيبه.

سأل:

– «هل الوقت غير مناسب؟»

أجاب بلومكفيست، ولا يزال يلهث:

– «على الإطلاق.»

– «هل لديك رفقة نسائية؟»

– «لا، لا.»

قال صوت امرأة في الخلفية:

– «بالتأكيد لديه.»

– «والآن لا تزعج السيدة يا ميكائيل.»

حتى في خضم أزمة، كان بالمجرين مهذبًا بدقة.

قال بلومكفيست:

– «نصيحة حكيمة.»

– «حسنًا، اعتنِ بها إذن. سأتصل بأختك بدلاً من ذلك.»

– «انتظر!» لابد أن بلومكفيست التقط نبرة القلق في صوته. «كنت أحاول الوصول إليك. لقد زرت ليزبيث، أليس كذلك؟»

قال بالمجرين بتردد:

– «نعم، وأنا قلق عليها.»

– «وأنا كذلك. ماذا سمعت؟»

– «لقد...» تذكر نصيحة بلومكفيست القديمة بعدم كشف معلومات حساسة عبر الهاتف.

– «نعم؟»

– «يبدو أنها تحاول البحث في أمور مرة أخرى.»

– «أي أمور؟»

– «من طفولتها. لكنني أشعر بالسوء يا ميكائيل، أظن أنني ورطت نفسي. أردت مساعدتها، حقًا أردت. لكن بدلاً من ذلك أفسدت كل شيء. إذا أتيت إلى هنا سأخبرك.»

– «بالطبع، أنا في طريقي.»

سُمع صوت المرأة يقول:

– «أوه لا، لست كذلك!»

فكر بالمجرين في المرأة، أياً كانت. وفكر في ماريتا التي ستدخل قريبًا لتبدأ العملية الشاقة والمهينة التي ستنتهي به جالسًا في كرسيه المتحرك، بملابس نظيفة ويشرب قهوته المائية التي تشبه الشاي. أهم شيء الآن هو الوصول لسالاندر. بطريقة ما يجب إيصال الرسالة لها بأن البروفيسور مارتن شتاينبرج هو على الأرجح الرجل المسؤول عن «سجل دراسات الوراثة والبيئة الاجتماعية».

قال:

– «ربما من الأفضل أن تأتي لاحقًا، هذا المساء بعد التاسعة. حينها يمكننا تناول مشروب أيضًا. أنا بحاجة ماسة لواحد.»

قال بلومكفيست:

– «حسنًا، عظيم، أراك هذا المساء.»

أنهى بالمجرين المكالمة والتقط الوثائق القديمة عن سالاندر من المنضدة الجانبية. ثم حاول الاتصال أولاً بـ **جيانيني**، ثم بـ **ريكارد فاغر**، مدير فلودبيرجا. لم يصل لأي منهما. بعد بضع ساعات أدرك أن خطه الأرضي لا يعمل الآن أيضًا، وأن ماريتا المتطفلة يبدو أنها لن تأتي.

***

كثيرًا ما فكر ليو مانهايمر في ظهيرة ذلك اليوم من شهر أكتوبر. كان في الحادية عشرة حينها. كان يوم سبت. والدته تتناول الغداء مع الأسقف الكاثوليكي ووالده مسافر في رحلة صيد أيائل بغابات «أوبلاند». المنزل

صامت وليو وحيد. حتى **فيندبلا**، مدبرة المنزل، لم تكن هناك لتراقبه، لذا تخلى عن كل الواجبات الإضافية التي كلفه بها معلموه الخصوصيون.

جلس أمام البيانو الكبير، ليس ليعزف أي سوناتات أو مقطوعات دراسية، بل ليؤلف.

كان قد بدأ لتوه في كتابة الموسيقى، وقوبلت مقطوعاته حتى الآن بحماس ضئيل. وصفتها والدته بأنها «قصاصات من الهراء الموسيقي، يا عزيزي». لكنه أحب التأليف. تاق إليه خلال ساعات الدروس والمذاكرة. في تلك الظهيرة كان يعمل على أغنية حزينة ولحنية سيستمر في عزفها طوال حياته، رغم تشابهها المقلق مع «بالاد لـ أديلين» ورغم إدراكه التام لما قالته والدته. لم يستغرب أن تقول شيئًا كهذا لابنها ذي الأحد عشر عامًا، كل ما رآه هو أن لديها وجهة نظر.

كانت مؤلفاته الأولى مفرطة الفخامة. لم يكن ناضجًا بعد، ولم يكتشف الجاز بعد، الذي سيجعل توافقياته أكثر خشونة وحدة. وفوق كل شيء، لم يكن قد تعلم بعد التعامل مع الصوت المضخم للحشرات، وحفيف الشجيرات، والخطوات، والمحركات البعيدة، والأصوات، والمراوح — كل تلك الأشياء التي لا يسمعها سواه.

ومع ذلك، كان سعيدًا عند البيانو الكبير ذلك اليوم، سعيدًا بقدر ما يمكن لصبي مثله أن يكون. ورغم أن شخصًا ما كان يراقبه دائمًا، كان طفلاً وحيدًا، ولم يحب سوى شخص واحد — طبيبه النفسي **كارل سيجر**. كان لليو جلسة معه كل ثلاثاء في الرابعة مساءً بعيادته في «بروما»، وكثيرًا ما هاتفه في الأمسيات دون علم والديه. كان سيجر يفهمه. خاض سيجر معارك ليو مع والديه نيابة عنه:

— «يجب السماح للصبي بالتنفس! عليكم تركه يكون طفلاً.»

لم يجدِ ذلك نفعًا بالطبع، لكن سيجر كان الشخص الوحيد الذي دافع عنه، سيجر وخطيبته، **إليانور**.

كان سيجر ووالد ليو كالليل والنهار. ومع ذلك كان هناك رابط بينهما لم يفهمه ليو. حتى إن سيجر وافق على الذهاب للصيد، رغم أنه لم يحب قتل الحيوانات. في عيني ليو، كان سيجر نوعًا مختلفًا من البشر عن والده وعن ألفرد أوجرين. لم يكن لاعبًا لألعاب القوة، ولم يضحك بصوت عالٍ ومتعالٍ حول مائدة العشاء. لم يكن مهتمًا بالفائزين في الحياة، وتحدث بدلاً من ذلك عن المنبوذين في العالم. قرأ سيجر الشعر، ويفضل الفرنسي منه. أحب **ستندال** و**كامو**، و**رومان جاري**، وعشق **إديث بياف** وعزف الناي، وارتدى ملابس بسيطة، وإن كانت بأسلوب بوهيمي متعمد. والأهم من ذلك كله، استمع لهموم ليو؛ هو فقط من قدّر حجم موهبة الصبي الحقيقية —— أو لعنته، حسب وجهة نظرك.

— «كن فخورًا بحساسيتك يا ليو. لديك الكثير من القوة بداخلك. ستتحسن الأمور، سترى.»

التمس ليو العزاء في كلمات سيجر، وكانت لقاءاتهما ذروة أسبوعه. كانت عيادة سيجر في منزله بشارع «جرونفيكسفاجن». كانت هناك صور فوتوغرافية بالأبيض والأسود على الجدران لباريس الخمسينيات المكسوة بالضباب، وكرسي جلدي ناعم وبالٍ جلس فيه ليو لساعة أو أحياناً ساعتين، يتحدث عن كل تلك الأشياء التي عجز والداه وأصدقاؤه عن فهمها. كان سيجر أفضل جزء في طفولته، رغم أن ليو كان يدرك حتى حينها أنه يجعله مثاليًا.

منذ ظهيرة ذلك اليوم من أكتوبر فصاعدًا، سيقضي ليو بقية حياته يمثّل سيجر في صورة مثالية، وسيعود مرارًا وتكرارًا لتلك الساعات الأخيرة بجوار البيانو.

كان ليو يطيل في كل نغمة، وكل تغيير في اللحن والتوافق. توقف فجأة حين سمع سيارة المرسيدس الخاصة بوالده تقترب من المرآب. لم يكن والده متوقعًا قبل اليوم التالي، لذا كانت حقيقة عودته المبكرة مقلقة بحد

ذاتها. لكن ذلك لم يكن كل شيء. كان هناك نوع غريب من السكون في هواء الممر، وترددٌ حين فتح باب السيارة، ثم —— كتناقض —— غضب حين أُغلق بعنف. كانت الخطوات الطاحنة للحصى ثقيلة وبطيئة، والتنفس سريعًا، وسُمعت تنهيدات من قاعة المدخل، ممتزجة بأصوات حقيبة تُوضع وأشياء تُرتب، بنادق صيد بلا شك.

صر السلم الخشبي المقوس المؤدي للطابق العلوي. استشعر ليو الظلام الوشيك حتى قبل ظهور هيئة والده في المدخل. هكذا سيتذكر الأمر. كان والده يرتدي سروال صيد أخضر وسترة سوداء مشمعة والعرق يلمع على صلعة رأسه. بدا قلقًا. عادة ما كان يتصرف بغطرسة حين يكون في مأزق. الآن بدا خائفًا، وخطا بضع خطوات غير متزنة للأمام. بقلة يقين، نهض ليو عن البيانو، وتلقى عناقًا أخرق.

— «أنا آسف يا بني. آسف جدًا.»

ورغم أن ليو لم يشك قط في صدق الكلمات، إلا أن رواية والده لما حدث وعجزه عن النظر في عيني ليو، وإن كان من الصعب تفسيرهما، أوحيا بأن هناك شيئًا آخر، شيئًا مروعًا وغير منطوق. لكن في تلك اللحظة لم يكن ذلك مهمًا.

كارل سيجر مات ولن تعود حياة ليو كما كانت أبدًا.

***

رغم الطقس الحار، حضر حشد كبير بشكل غير عادي لفعالية «رابطة المساهمين» في متحف فوتوجرافيسكا. كان ذلك متماشيًا مع روح العصر. أي شيء يتعلق بالأسهم والحصص يجذب الحشود، وفي هذه المناسبة قام المنظمون بتتبيل أحلام الثراء هذه بجرعة صغيرة من عدم اليقين. «مؤشر صاعد أم فقاعة تنفجر؟ ظهيرة حول موضوع الأسواق الجامحة» كان عنوان الندوة ودُعي إليها عدد كبير من الشخصيات المعروفة في الصناعة.

لم يكن ليو مانهايمر الحدث الرئيسي، لكنه كان المتحدث الأول ووصل بلومكفيست ومالين فرود بينما كان يهم بالصعود للمسرح. أسرعا عبر المدينة الحارة والساكنة وتمكنا من العثور على مقاعد في مؤخرة القاعة. كانت مالين متوترة بشأن رؤية مانهايمر مرة أخرى، بينما كان بلومكفيست ممتلئًا بالشكوك بعد محادثته مع بالمجرين. بالكاد استمع لـ **كارين لاستاندر**، الرئيسة التنفيذية الشابة لرابطة المساهمين، وهي تلقي كلماتها الافتتاحية على المنصة.

قالت:

– «أمامنا يوم مثير. سنستمع لمجموعة كاملة من التحليلات الخبيرة للسوق الحالي. لكن أولاً فكرنا في إلقاء نظرة على البورصة من وجهة نظر أكثر فلسفية. أرجو أن تحيوا بحرارة ليو مانهايمر، الحاصل على دكتوراه في الاقتصاد ورئيس الأبحاث في شركة ألفرد أوجرين للأوراق المالية.»

نهض رجل طويل ونحيل ذو شعر مجعد، يرتدي بدلة زرقاء فاتحة، من الصف الأمامي وصعد للمسرح. كانت خطوته ثابتة وخفيفة وبدا كما يتوقع المرء: ثريًا وواثقًا من نفسه. ولكن فجأة شق صوت صرير القاعة المكتظة حيث سُحب كرسي بخرق عبر الأرض، وعندها ترنح مانهايمر. امتقع وجهه، وبدا وكأنه قد ينهار. أمسكت مالين بيد بلومكفيست وهمست: «أوه لا.»

تمتمت لاستاندر:

– «ليو! هل أنت بخير؟»

– «الأمر على ما يرام.»

– «هل أنت متأكد؟»

أمسك مانهايمر بحافة الطاولة المستديرة أمامه وتلمس زجاجة ماء.

قال وهو يحاول الابتسام:

– «متوتر قليلاً فحسب.»

قالت لاستاندر، ويبدو أنها غير متأكدة إن كان عليها الاستمرار:

— «حسنًا، ترحيب حار بك.»

— «شكرًا لكِ، هذا لطف منكِ.»

— «عادةً يا ليو...»

— «... أكون أكثر ثباتًا على قدمي.»

سرت ضحكات متوترة في القاعة.

تهللت أسارير لاستاندر:

— «صحيح. صلب كالصخر. عادةً ما تولد تحليلات واقعية للاقتصاد لألفرد أوجرين، لكن مؤخرًا بدأت في وصف الأسواق — كيف تصف ذلك؟ — بشكل أكثر فلسفية. تسمي البورصة معبدًا للمؤمنين.»

قال وهو يشد كتفيه للخلف:

— «حسنًا، نعم. لست أول من يقول ذلك. من الواضح أن كلاً من الأسواق المالية والدين يعتمدان على الإيمان. إذا بدأنا في الشك، ينهاران.» وعاد بعض اللون لوجهه.

قالت لاستاندر:

— «لكن بالتأكيد جميعنا نشك، طوال الوقت. في الواقع هذا سبب وجودنا هنا اليوم — نسأل أنفسنا ما إذا كنا في فقاعة أم في المرحلة الأخيرة من اقتصاد مزدهر.»

أجاب مانهايمر:

— «الشك على نطاق صغير هو ما يجعل سوق الأسهم ممكنًا. كل يوم، يشك ملايين الناس هناك ويأملون ويحللون. هذا ما يحدد أسعار الأسهم. ما أتحدث عنه هو شك عميق ووجودي — فقدان الإيمان بالنمو والعوائد المستقبلية. لا شيء أخطر لسوق عالي القيمة. هذا المستوى من الخوف يمكن أن يسبب انهيارًا ويغرق العالم في كساد. قد نبدأ حتى في التشكيك بالفكرة برمتها، بالبناء الوهمي. سيبدو هذا كاستفزاز للبعض منكم، وأعتذر

عن ذلك. لكن السوق المالي ليس شيئًا موجودًا مثلي أو مثلك يا كارين، أو زجاجة الماء هذه على الطاولة. في اللحظة التي نتوقف فيها عن الإيمان به، يتوقف عن الوجود.»

— «أليست هذه مبالغة بعض الشيء؟»

— «لا، لا، فكري في الأمر فقط. ما هو السوق؟ إنه اتفاق. قررنا أن ندع مخاوفنا وأحلامنا وأفكارنا عن المستقبل تحدد سعر العملات والشركات والمواد الخام. الكثير مما يهم في حياتنا —— مثل تراثنا الثقافي ومؤسساتنا، على سبيل المثال —— مجرد إبداعات للخيال البشري.»

— «وأموالنا أيضًا، بالطبع.»

— «بالتأكيد، الآن أكثر من أي وقت مضى. نحن لا نغوص في أكوام الذهب كما كان يفعل "عم دهب" في القصص المصورة، ولا نحتفظ بالمال تحت مراتبنا. هذه الأيام مدخراتنا عبارة عن أرقام على شاشة حاسوب، تتغير باستمرار مع حركة السوق. ونحن نعتمد عليها كليًا. لكن تخيلي لو بدأنا نقلق أن تلك الأسعار لا تقفز صعودًا وهبوطًا مع الأسواق فحسب، بل يمكن ببساطة أن تُمحى، كأرقام على لوح أردوازي، ماذا يحدث حينها؟»

— «سيهتز مجتمعنا من أساساته.»

— «بالضبط، وهذا ما حدث إلى حد ما قبل بضعة أشهر.»

— «تعني هجوم القرصنة على فاينانس سكيورتي؟ المركز القديم للأوراق المالية؟»

— «صحيح. واجهنا وضعًا توقفت فيه استثماراتنا عن الوجود لفترة قصيرة. لم يمكن العثور عليها في أي مكان في الفضاء السيبراني وترنح السوق. انخفضت الكرونة بنسبة ٤٦ في المائة.»

— «ومع ذلك تفاعلت بورصة ستوكهولم بسرعة مذهلة وأغلقت كل منصات التداول.»

— «بالفعل، يجب أن نرفع القبعة للمسؤولين هناك يا كارين. لكن الانهيار كان محدودًا بحقيقة أنه لم يستطع أحد في السويد الاستمرار في التعامل. لم تعد هناك أي أصول. لكن صدقيني، بعض الناس ازدادوا ثراءً على حساب ذلك. إنه أمر يدير الرأس. لا يمكنك تخيل ما كسبوه، أولئك الذين خلقوا الانهيار ثم اتخذوا مراكز في السوق. ستحتاجين لسرقة عدد لا يحصى من البنوك لجمع هذا النوع من المال.»

قالت لاستاندر:

— «بالتأكيد. كُتب الكثير عن ذلك، ليس أقله في ميلينيوم بقلم ميكائيل بلومكفيست. في الواقع أستطيع رؤيته جالسًا هناك في الخلف. لكن في الحقيقة يا ليو، ما مدى خطورة الأمر، فعليًا؟»

— «في الواقع لم يكن هناك خطر كبير. تمتلك كل من فاينانس سكيورتي والبنوك السويدية أنظمة نسخ احتياطي واسعة النطاق. ومع ذلك، لفترة من الوقت بدأنا نشك في وجود رأس المال نفسه في عالم رقمي.»

— «رافقت هجمات القرصنة أيضًا حملة تضليل ضخمة على وسائل التواصل الاجتماعي.»

— «بشكل كبير. كان هناك انهيار جليدي من التغريدات المزيفة حول كيف أن أصولنا لا يمكن استعادتها أبدًا، لذا كان هجومًا على إيماننا بقدر ما كان على أموالنا —— إلى الحد الذي يمكنك فيه التمييز بين الاثنين.»

— «يبدو أن هناك دليلاً قاطعًا على أن كلاً من هجوم القرصنة وحملة التضليل المرافقة على وسائل التواصل الاجتماعي نشأتا في روسيا.»

— «يجب أن نكون حذرين بشأن اتهامات كهذه، لكنه لا يزال أمرًا يفتح الأعين. ربما هذه هي الطريقة التي ستبدأ بها حرب عدوانية في المستقبل بالضبط. قلة من الأشياء قد تخلق فوضى بقدر فقدان كامل للإيمان بأموالنا. عليكِ أن تضعي في اعتبارك أنه ليس من الضروري حتى أن نشك نحن. يكفي أن نظن أن الآخرين يشكون.»

– «هل يمكنك التوسع في ذلك يا ليو؟»

– «تخيلي حشداً كبيرًا. قد نعلم نحن أن الوضع تحت السيطرة ولم يحدث شيء خطير. لكن إذا بدأ الآخرون في الجري بذعر، علينا أن نجري نحن أيضًا. "كينز" الطيب، الاقتصادي الأسطوري، شبه سوق الأسهم يومًا بمسابقة جمال –– حيث نحن، لجنة التحكيم، لا نختار الشخص الذي نعتقد أنه الأجمل، بل الشخص الذي نعتقد أنه سيفوز.»

– «بمعنى؟»

– «أنه يتعين علينا نسيان تفضيلاتنا الخاصة والتفكير بدلاً من ذلك في أذواق وآراء الآخرين. في الواقع ليس هذا فحسب: يجب أن نفكر فيمن يعتقد الناس أن الآخرين يعتقدون أنه الأجمل. وهو أمر لا يختلف عما يحدث كل ثانية في الأسواق المالية. سوق الأسهم ليس مجرد نتيجة لتحليلات قيم الشركات والعالم من حولنا. العوامل النفسية تلعب دورًا مساويًا، آليات نفسية حقيقية، والتخمين بشأنها. التخمين بشأن تخمينات الآخرين. كل شيء ملتوٍ ومقلوب لأن الجميع يريد أن يكون متقدمًا بخطوة، ليكون قادرًا، إذا جاز التعبير، على البدء في الجري قبل أن يفعل أي شخص آخر، وهذا لا يختلف عن أيام كينز. في الواقع، التداول الآلي المتزايد يجعل الأسواق أكثر انعكاسية للذات. الخوارزميات تتصرف بناءً على أوامر بيع وشراء الناس، بحيث تتعزز الأنماط. هناك خطر كبير في هذا. حركة سريعة في السوق يمكن أن تتسارع بسرعة خارج السيطرة. في وضع كهذا يصبح من العقلاني التصرف بشكل غير عقلاني –– الاندفاع حتى لو كنت تعلم أنه جنون. لا فائدة من الوقوف هناك والصراخ "أيها الحمقى، لا يوجد خطر"، عندما يركض الجميع للنجاة بحياتهم.»

قالت لاستاندر:

– «لكن بالتأكيد إذا كان الذعر غير مبرر، فالسوق سيصحح نفسه، أليس كذلك؟»

— «قد يستغرق الأمر وقتًا، وحينها لا يهم كم أنت محق. يمكنك أن تكون محقًا طوال الطريق إلى محاكم الإفلاس، لنعيد صياغة كينز مرة أخرى. لكن هناك أمل، وذلك لأن السوق قادر على التفكير في نفسه. عندما يحلل خبير أرصاد جوية الطقس، لا يغير ذلك الطقس. لكن عندما ندرس الاقتصاد، تصبح تخميناتنا وتحليلاتنا جزءًا من الكائن الاقتصادي. ولهذا السبب السوق مثل أي عصابي يحترم نفسه — قادر على التطور وأن يصبح أكثر حكمة قليلاً.»

— «هذا يجعله مستحيل التنبؤ، أليس كذلك؟»

— «قليلاً مثلي على المسرح. لا نعرف أبدًا متى سيكون هناك ترنح.»

سُمع ضحك حقيقي الآن، وفيه نوع من الارتياح. ابتسم مانهايمر بحذر وخطا خطوة نحو حافة المسرح.

قال:

— «من هذه الناحية، سوق الأسهم مفارقة. كلنا نريد فهمه وكسب المال منه. لكن إذا فهمناه حقًا، فإن فهمنا ذاته سيحوله، وحينها سيصبح شيئًا آخر، فيروسًا متحورًا. الشيء الوحيد الذي يمكننا التنبؤ به بيقين هو أنه غير قابل للتنبؤ.»

قالت لاستاندر:

— «وتبايننا هو روحه ذاتها.»

— «تمامًا. تحتاجين لمشترين وبائعين، مؤمنين ومشككين، وهذا هو جمال الأمر. جوقة الأصوات المتنافرة غالبًا ما تجعله حكيمًا بشكل مذهل، أذكى من أي منا هنا ممن يحبون لعب دور الخبير من كراسيهم المريحة. إذا سأل الناس في جميع أنحاء العالم أنفسهم بشكل منفصل: "كيف يمكننا كسب أكبر قدر ممكن من المال؟" وعندما يكون هناك توازن مثالي بين التخمين والمعرفة، بين أمل المشتري وشك البائع، حينها يمكن أن تظهر

بصيرة شبه نبوية. المشكلة هي: متى يعرف السوق ماذا يفعل؟ ومتى يجن ويركض كحشد مجنون؟»

— «كيف يفترض بنا أن نعرف؟»

قال مانهايمر:

— «هذا هو المغزى. عندما أشعر بالثقة المفرطة، أحب القول إنني الآن أعرف ما يكفي عن الأسواق المالية لأدرك أنني لا أفهمها.»

***

همست مالين في أذن بلومكفيست:

— «إنه بالتأكيد ليس أحمق، أليس كذلك؟»

كان بلومكفيست على وشك الرد حين أزّ هاتفه في جيبه. كانت أخته، **أنيكا**. فكر في محادثته مع بالمجرين، وهمس باعتذار، وغادر القاعة غارقًا في التفكير دون أن يلاحظ أن مغادرته أثارت ومضة قلق على وجه مانهايمر. لكن مالين لم تغفل ذلك، ودرست مانهايمر بتركيز. راودتها رؤية أخرى له جالسًا في مكتبه، يكتب على تلك الورقة بلون الرمل. كان هناك شيء هام وغريب في المشهد. شعرت به بوضوح أكبر الآن، وقررت استيقاف مانهايمر بعد العرض لسؤاله عن الأمر.

وقف بلومكفيست على الرصيف البحري، ينظر عبر الماء نحو المدينة القديمة والقصر الملكي. كان البحر هادئًا وفي البعيد كانت سفينة سياحية تقترب لترسو. قرر استخدام هاتفه الأندرويد وتطبيق «سيجنال» المشفر لمعاودة الاتصال بجيانيني. أجابت بعد رنة واحدة، وبدا صوتها لاهثًا قليلاً، فسألها إن كان قد حدث شيء. قالت إنها في طريقها للمنزل من فلودبيرجا. تم استجواب سالاندر من قبل الشرطة.

— «هل هي متهمة بشيء؟»

— «ليس بعد، ومع أي حظ لن تكون كذلك. لكن الأمر خطير يا ميكائيل.»

– «حسنًا، هاتي ما عندك!»

– «على مهلك. تلك المرأة التي حدثتك عنها، بينيتو أندرسون، التي كانت تهدد وتستغل الموظفين والسجينات على حد سواء — شخصية سادية لا يمكن تصورها — حسنًا، نُقلت إلى مستشفى جامعة أوريبرو بإصابات بالغة في الفك والجمجمة بعد هجوم عنيف في وحدة الحراسة المشددة.»

– «وما علاقة ذلك بليزبيث؟»

– «دعني أضع الأمر هكذا: رئيس الوحدة، **ألفار أولسن**، يزعم أنه فعل ذلك. يقول إنه اضطر لضرب بينيتو لإفقادها الوعي. لأنها هاجمت شخصًا بمطواة.»

– «داخل السجن؟»

– «إنها فضيحة ضخمة بالطبع، وهناك تحقيق موازٍ جارٍ لمعرفة كيف تم تهريب السكين. لذا أقول إن الهجوم بحد ذاته لا ينبغي أن يكون مشكلة. اعتباره دفاعًا عن النفس لا ينبغي أن يكون صعبًا، خاصة وأن رواية أولسن مدعومة من قبل **فاريا كازي**، المرأة البنغالية التي أخبرتك عنها. فاريا مصرة على أن أولسن أنقذ حياتها.»

– «إذن ما المشكلة بالنسبة لليزبيث؟»

– «شهادتها الخاصة، كبداية.»

– «هل كانت شاهدة؟»

– «لنتعامل مع أمر واحد في كل مرة. هناك تناقضات بين شهادة فاريا وأولسن. يزعم أولسن أنه لكم بينيتو مرتين على القصبة الهوائية بينما تقول فاريا إنه ضربها بمرفقه، وسقطت بينيتو بعدها بشكل سيء على الأرضية الخرسانية. لكن قد لا تكون تلك مشكلة. كل المحققين الجنائيين المتمرسين يعلمون أن ذكريات الناس عن الحوادث الصادمة يمكن أن

تكون متناقضة بشكل مدهش. ما تظهره كاميرات المراقبة هو الأكثر إشكالية.»

— «وهو...؟»

— «الدراما كلها حدثت بعد السابعة والنصف مساءً بقليل. إنه أسوأ وقت في وحدة الحراسة المشددة. معظم العنف هناك يحدث قبيل إغلاق أبواب الزنازين، وكما يعلم أولسن جيدًا، لم يتعرض أحد لذلك أكثر من فاريا. كان مدركًا، لكنه لم يجرؤ على فعل شيء حيال ذلك. يقول ذلك بنفسه. إنه جيد من هذه الناحية، صريح جدًا —— اطلعت على نسخة من ملاحظات مقابلته. في السابعة واثنتين وثلاثين دقيقة الليلة الماضية، كان جالسًا في مكتبه، وأخيرًا تلقى المكالمة التي انتظرها طويلاً: علم أن بينيتو ستُنقل لسجن آخر. ومع ذلك لم يقل شيئًا، كما يبدو، وضع السماعة فحسب.»

— «لماذا؟»

— «لأنه في تلك اللحظة بالضبط أدرك أنها السابعة والنصف، كما يقول. قلق، وهرع لفتح البوابات الأمنية برمسه وركض عبر ممر وحدة الحراسة المشددة. الشيء الغريب هو... في تلك اللحظة اندفعت سجينة أخرى، تاين جرونلوند، خارجة من زنزانة فاريا. يلقب الناس في الوحدة جرونلوند بكلب بينيتو المدلل، لذا يطرح هذا السؤال: لماذا خرجت مسرعة؟ هل لأنها سمعت قدوم أولسن، أم لسبب مختلف تمامًا؟ يقول أولسن إنه لم يرها حتى. كان مشغولاً باختراق حشد السجينات المتجمعات خارج باب فاريا، وبمجرد دخوله الزنزانة اكتشف بينيتو والسكين في يدها. ضربها بأقصى ما يستطيع على القصبة الهوائية. لأسباب تتعلق بالخصوصية لا توجد كاميرات في الزنازين، لذا لا يمكننا التحقق من قصته. بالنسبة لي بدا كرجل مبدأ ونزاهة. لكن ليزبيث كانت موجودة بالفعل في الزنزانة في تلك المرحلة.»

– «وليزبيث ليست من النوع الذي يقف مكتوف الأيدي بينما يحدث انتهاك أمام عينيها.»

– «خاصة عندما تكون الضحية امرأة مثل فاريا. لكن هذا ليس كل شيء.»

– «حسنًا، تابعي.»

– «المزاج العام في الوحدة يا ميكائيل. كالعادة في السجن، لا أحد يريد التحدث. لكن حتى من مسافة بعيدة يمكنك معرفة أن الجو يغلي. عندما كنت أمر للتو عبر قاعة الطعام مع ليزبيث بدأت السجينات بقرع أكوابهن على الطاولات. يرونها كبطلة، لكن أيضًا... كشخص عليه حكم بالإعدام. سمعت عبارة "امرأة ميتة تمشي". ورغم أن ذلك يضيف لسمعتها، إلا أنه حرج، ليس فقط بسبب الرسالة البغيضة في الكلمات. هذا سيجعل الشرطة تفكر أيضًا: إذا كان أولسن هو من حطم فك بينيتو حقًا، كيف تكون ليزبيث هي المهددة؟»

قال بلومكفيست بتفكير:

– «فهمت.»

– «ليزبيث الآن في العزل وتُعامل بريبة شديدة. بالطبع، هناك نقاط كثيرة لصالحها. لا أحد يبدو مصدقًا أن شخصًا ضئيلاً كهذا يمكنه توجيه لكمة مدمرة كهذه. ولا أحد يستطيع فهم لماذا يتحمل أولسن اللوم — وتدعمه فاريا — إذا لم يكن هو من ضرب بينيتو. لكن يا ميكائيل، بالنسبة لامرأة ذكية كهذه، تتصرف ليزبيث بغباء مثير للأعصاب.»

– «ماذا تعنين؟»

– «لن تنطق بكلمة عما حدث. لديها شيئان فقط لقولهما، كما تقول.»

– «وما هما؟»

– «واحد، أن بينيتو نالت ما تستحقه. واثنان، أن بينيتو نالت ما تستحقه.»

ضحك بلومكفيست، ولم يعرف السبب. كان يعلم أن الوضع خطير. سأل:

– «إذن ما الذي تعتقدين أنه حدث حقًا؟»

قالت جيانيني:

– «ليس عملي أن أعتقد، بل أن أدافع عن موكلتي. لكن كفرضية بحتة: بينيتو هي بالضبط نوع الشخص الذي لا تطيقه ليزبيث.»

– «هل هناك أي شيء يمكنني فعله؟»

– «لهذا أتصل. يمكنك مساعدتي مع فاريا. سأمثلها أيضًا –– في القضايا التي أدت لسجنها، أعني –– بناءً على طلب ليزبيث. يبدو أن ليزبيث أجرت بعض البحث عن خلفيتها أثناء وجودها في السجن، وقد تشكل قصة مقنعة وكبيرة لك وللمجلة. قُتل حبيب فاريا، جمال شودري، بالسقوط أمام قطار أنفاق. هل يمكننا اللقاء هذا المساء؟»

– «من المفترض أن أرى هولجر بالمجرين في التاسعة.»

– «أبلغه تحياتي من فضلك. يبدو أنه كان يحاول الاتصال بي اليوم. بعد التفكير، لمَ لا نتناول العشاء معًا قبل ذلك؟ لنقل في السادسة في "باني فينو"؟»

قال بلومكفيست:

– «حسنًا، جيد.»

أنهى المكالمة ونظر نحو فندق «جراند» وحديقة «كونجستراجاردن»، متسائلاً إن كان عليه العودة للندوة. بدلاً من ذلك بحث عن بضعة أشياء على هاتفه ومرت قرابة العشرين دقيقة قبل أن يتجه عائدًا للداخل.

وبينما كان يسرع مارًا بالطاولة في المدخل وعرض الكتب عليها، حدث شيء غريب. اصطدم بمانهايمر مباشرة. أراد بلومكفيست مصافحته

وتهنئته على النقاش على المسرح. لكن مانهايمر بدا متوترًا وتعيسًا لدرجة أن بلومكفيست لم يقل شيئًا وراقبه وهو يختفي في ضوء الشمس.

وقف بلومكفيست هناك لدقيقة، يفكر. ثم دخل القاعة وبحث عن مالين. لم تعد في مقعدها. كاد يركل نفسه لاستغراقه وقتًا طويلاً. هل نفد صبرها وغادرت؟ مسح الغرفة بنظره. كان رجل أكبر سنًا يتحدث الآن على المنصة، يشير لمنحنيات وخطوط على شاشة بيضاء. تجاهله بلومكفيست. وأخيرًا لمح مالين تقف عند البار إلى اليمين. صُفت كؤوس النبيذ الأحمر والأبيض كمرطبات خلال الاستراحة. بدت مالين، والكأس في يدها، منكسرة الخاطر.

-٨-

١٩ يونيو

أسندت **فاريا كازي** ظهرها إلى جدار الزنزانة وأغمضت عينيها. ولأول مرة منذ زمن بعيد، تاقت لرؤية نفسها في المرآة. استشعرت بصيص أمل، وإن كان الخوف لا يزال يسري في جسدها. فكّرت في حقيقة أن مأمور السجن قد اعتذر لها، وفي محاميتها الجديدة **أنيكا جيانيني**، ورجال الشرطة الذين استجوبوها. وبالطبع، فكرت في **جمال**.

كان في جيب بنطالها حافظة من الجلد البني تحتوي على بطاقة العمل التي أعطاها إياها جمال بعد المناظرة في «المركز الثقافي». كُتب عليها: «جمال شودري، مدوّن، كاتب، دكتوراه في الأحياء (جامعة دكا)»، ثم عنوان بريده الإلكتروني ورقم هاتفه المحمول. وتحتها بخط مختلف عنوان موقع إلكتروني: «www.mukto-mona.com». كانت البطاقة مجعدة والحروف قد بدأت تتآكل. لابد أن جمال طبعها بنفسه. لم تسأله قط، ولمَ كانت لتفعل؟ لم يكن لديها سبيل لتعلم أن هذه البطاقة ستصبح أعز ممتلكاتها. في الليلة التي تلت لقاءهما الأول، تأملتها تحت غطائها وهي تسترجع حديثهما وتتذكر كل تجعيد وخط في وجهه. كان يجب عليها الاتصال به فورًا. كان يجب أن تتواصل معه في تلك الأمسية ذاتها. لكنها كانت شابة وبريئة، ولم ترغب في أن تبدو ملهوفة جدًا. وفوق كل شيء، كيف كان لها أن تعرف أن كل شيء سيؤخذ منها قريبًا: هاتفها المحمول، الحاسوب، وحتى حرية المشي في الحي بنقابها؟

والآن، وهي جالسة في زنزانتها، بينما يتسلل ضوء الفجر الخافت إلى حياتها، تذكرت مجددًا ذلك اليوم الصيفي حين اعترفت عمتها **فاطمة** بأنها كذبت من أجلها، لتجد فاريا نفسها سجينة في منزلها. حُبست وأُخبرت أنها ستُزوّج لابن عمها الثاني الذي لم تقابله قط، والذي يملك ثلاثة مصانع نسيج في دكا. ثلاثة! لقد فقدت عد المرات التي سمعت فيها هذا الرقم.

— «تخيلي فقط يا فاريا. ثلاثة مصانع!»

لم يكن ليشكل فارقًا لديها لو قالوا ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين. وجدت ابن عمها، واسمه **قمر فتالي**، منفرًا. بدا في الصور متغطرسًا ولئيمًا، ولم يكن مفاجئًا أنه سلفي ومعارض صريح للحركة العلمانية في بنجلاديش. ولم تدهش لمعرفة أن مسألة بقائها عذراء وامرأة سنية مسلمة صالحة حتى لحظة وصوله لإنقاذها من الغرب، كانت مسألة حياة أو موت بالنسبة لقمر.

في ذلك الوقت لم يعرف أحد في العائلة عن جمال، لكن كانت هناك عوامل أخرى تُمسك ضدها، ليس مجرد الشكوك حول ما كانت تفعله حقًا حين لم تكن عند فاطمة. كانت هناك أيضًا صور فيسبوك قديمة وبريئة، ونميمة يُفترض أنها تؤكد أنها «جعلت من نفسها عاهرة».

كان الباب الأمامي مغلقًا بقفل أمان من الداخل، وبما أن اثنين من إخوتها، **أحمد** و**بشير**، عاطلان عن العمل، كان هناك دائمًا شخص في المنزل لمراقبتها. لم يكن لديها الكثير لتفعله سوى التنظيف والطبخ وخدمة المنزل، أو الاستلقاء في غرفتها وقراءة كل ما تقع عليه يدها: القرآن، وشعر وروايات **طاغور**، وسير ذاتية لمحمد والخلفاء الأوائل. لكن أكثر ما أحبته كان أحلام اليقظة. مجرد التفكير في جمال كان يجعلها تحمر خجلاً. كانت تعلم أنها مثيرة للشفقة، لكن تلك كانت هدية عائلتها لها —— ولأن كل فرح قد سُلب منها، فإن مجرد ذكرى نزهة في شارع «دروتنينغجاتان» كانت قادرة على جعل العالم يهتز.

كانت تعيش في سجن حينها بالفعل، لكنها لم تسمح لنفسها أبدًا بالاستسلام لمشاعر الخضوع أو اليأس. بدلاً من ذلك استشاطت غضبًا، وتدريجيًا قل العزاء الذي تستمده من ذكرياتها عن جمال. مجرد التفكير في محادثة انطلقت فيها الكلمات بحرية جعل كل تبادل للحديث في المنزل يبدو مكبوتًا ومتيبسًا، ولم يكن حتى الله تعويضًا عن ذلك. لم يكن هناك شيء روحي أو كريم بشأن الله، ليس في عائلتها. لم يكن أكثر من مطرقة يُضرب بها الناس على رؤوسهم، أداة لضيق الأفق والقهر، تمامًا كما قال الإمام **فردوسي**. بدأت تعاني من ضيق في التنفس وخفقان، وفي النهاية لم تعد تطيق ذلك. كان عليها الهروب من هذه الحياة، مهما كلف الأمر.

كان شهر سبتمبر قد حل بالفعل. الطقس يزداد برودة، وعيناها اكتسبتا حدة جديدة، في ترقب دائم لطرق هروب محتملة. كان هذا كل ما تفكر فيه تقريبًا. في الليل كانت تحلم بالهروب، وفي الصباح تستيقظ وهي لا تزال تتخيله. كثيرًا ما كانت تختلس النظر إلى **خليل**، أخيها الأصغر. هو أيضًا تأثر: لم يعد مسموحًا له بمشاهدة مسلسلاته التلفزيونية الأمريكية أو الإنجليزية، أو حتى رؤية صديقه المقرب **بابك** لأنه شيعي. أحيانًا كان خليل ينظر إليها بألم شديد، وكأنه يفهم تمامًا ما تمر به. هل يمكنه مساعدتها؟

أصبحت مهووسة بالفكرة، وبالهواتف أيضًا. بدأت تتبع إخوتها الأكبر في الشقة، مبقية على مسافة. كانت عيناها مثبتتين على أيديهم وهم يعبثون بهواتفهم ويدخلون رموز الأمان. لكن الأهم من ذلك كله، لاحظت كيف ينسون هواتفهم أحيانًا على الطاولات وخزائن الأدراج، وفي أماكن أقل وضوحًا مثل فوق التلفزيون أو بجوار محمصة الخبز أو الغلاية الكهربائية في المطبخ. أحيانًا كان يحدث فاصل كوميدي عندما لا يجد الإخوة هواتفهم فيتجادلون ويتصلون ببعضهم البعض، ثم يشتمون أكثر عندما تكون الهواتف على الوضع الصامت ويضطرون لتعقب الأزيز المكتوم.

بدأت تدرك أن هذه المهازل تمثل فرصة كبيرة لها. كان عليها انتهاز الفرص حين تلوح، رغم معرفتها بحجم المخاطرة. لم تكن المسألة مسألة شرف العائلة فحسب. كانت تضع المستقبل المالي لوالدها وإخوتها على المحك أيضًا. تلك المصانع الثلاثة اللعينة ستكون هبة من السماء وتجعلهم جميعًا أثرياء. إذا أحبطت ذلك، ستكون العواقب وخيمة، ولم يفاجئها أن الخناق كان يضيق.

انتشر سم في أرجاء الشقة، ولم يعد الأمر مجرد بر ذاتي وجشع يلمع في عيون إخوتها الأكبر. بدؤوا يخافون منها. أحيانًا أجبروها على تناول المزيد من الطعام لأن قمر، كما قيل، يحب نساءه ممتلئات، ولن يكون مناسبًا أن تصبح نحيفة جدًا. لم يُسمح لها بأن تصبح غير طاهرة، وبالتأكيد ليس حرة. راقبوها كالصقور.

ربما كانت ستسلم بالأمر الواقع وتستسلم. لكن الأمور وصلت لذروتها ذات صباح في منتصف سبتمبر ذلك قبل عامين. كانت تتناول إفطارها وكان بشير، الأخ الأكبر، يعبث بهاتفه.

***

ارتشفت **مالين** بعضًا من نبيذها الأحمر في البار المؤقت بمتحف فوتوجرافيسكا. كان **بلومكفيست** قد تركها سعيدة ومبتهجة، لكنها الآن تبدو كزهرة ذابلة، وأصابعها مدفونة في شعرها الطويل.

قال بهدوء:

– «مرحبًا.» العرض كان لا يزال مستمرًا.

سألت:

– «من كان المتصل؟»

– «مجرد أختي.»

– «المحامية؟»

أومأ بلومكفيست برأسه. «هل حدث شيء؟»

– «لا، ليس حقًا. تبادلت بضع كلمات مع **ليو** فقط.»

– «لم يسر الأمر على ما يرام؟»

– «كان رائعًا.»

– «إذن لِمَ تبدين مكتئبة هكذا؟»

– «قلنا كل أنواع الأشياء اللطيفة. كم أبدو رائعة، وكم كان رائعًا على المسرح، وكم افتقدنا بعضنا البعض —— بلا، بلا، بلا. لكنني أدركت فورًا أن شيئًا ما مختلف.»

– «مختلف بأي طريقة؟»

ترددت مالين. نظرت يمينًا ويسارًا، وكأنها تتأكد من أن **مانهايمر** ليس على مسافة تسمح له بالسماع.

قالت:

– «بدا الأمر... فارغًا. وكأنها كلها كلمات جوفاء. بدا منزعجًا لرؤيتي هنا.»

قال بلومكفيست بنبرة لطيفة:

– «الأصدقاء يأتون ويذهبون.»

– «أعرف، ويمكنني العيش بدون ليو، بحق السماء. لكن مع ذلك، أزعجني الأمر. كنا في النهاية... لفترة ما كنا حقًا...»

اختار بلومكفيست كلماته بعناية:

– «كنتما مقربين.»

– «كنا كذلك. لكن الأمر ليس مجرد أننا ابتعدنا. بدا غريبًا بطريقة ما. على سبيل المثال، يقول إنه خطب **جوليا دامبرج**.»

– «من؟»

– «كانت تعمل محللة في ألفرد أوجرين. إنها جميلة، بل فاتنة، لكنها ليست الأذكى. لم يحبها ليو كثيرًا أبدًا. اعتاد القول إنها طفولية. لا أستطيع استيعاب خطبتهما المفاجئة.»

– «مأساوي.»

بصقت الكلمات:

– «توقف عن ذلك! لست غيورة، إذا كان هذا ما تظنه. أنا...»

– «نعم؟»

– «محتارة. مشوشة، لنكون صادقين. هناك شيء غريب يحدث.»

– «تعنين شيئًا أكثر من تخطيطه للزواج من المرأة الخطأ؟»

– «أنت لست سويًا في عقلك يا بلومكفيست. أنت تعرف ذلك، أليس كذلك؟»

– «أحاول فقط أن أفهم.»

قالت:

– «حسنًا، لا يمكنك أن تفهم.»

– «لمَ لا؟»

– «لأن...» ترددت، تبحث عن الكلمات. «... لأنني لم أصل إلى هناك بنفسي بعد. هناك شيء يجب أن أتحقق منه أولاً.»

– «أتمنى لو تتوقفين عن كونك غامضة هكذا!»

نظرت إليه مالين بفزع.

– «آسف.»

قالت:

– «أنا من يجب أن تعتذر. أنا أبالغ في الأمر قليلاً.»

بذل بلومكفيست جهدًا ليبدو متعاطفًا:

– «إذن، أخبريني، ماذا يحدث؟»

– «أعود بذاكرتي دائمًا لتلك المرة التي كان يجلس فيها بمكتبه، في منتصف الليل. هناك شيء لا يستقيم. بادئ ذي بدء، لابد أن ليو سمعني عندما عدت من المصعد، لأنه يعاني من احتداد السمع.»

– «من ماذا؟»

– «حساسية مفرطة للصوت. يسمع بشكل لا يصدق، أخف وقع أقدام، رفرفة فراشة. لا أستطيع تخيل كيف نسيت ذلك. لكن عندما صرّ ذلك الكرسي قبل أن يبدأ التحدث اليوم وكان له رد الفعل المضطرب ذاك، عاد إليّ الأمر كله. ما رأيك يا ميكائيل، هل نغادر؟ لا أطيق كل هذا الحديث عن البيع والشراء.» وأفرغت كأس نبيذها.

***

كانت فاريا كازي تنتظر استدعاءها للاستجواب مرة أخرى، لكنها لم تكن تخشاه بقدر ما ظنت. مرتين بالفعل لم تخبرهم فقط عن التنمر والإساءة في وحدة الحراسة المشددة، بل نجحت أيضًا في الكذب. لم يكن الأمر سهلاً. ضغطت الشرطة عليها بشأن **ليزبيث سالاندر**.

لماذا كانت سالاندر في زنزانتها؟ ما الدور الذي لعبته سالاندر في الدراما؟ أرادت فاريا أن تصرخ: سالاندر هي من أنقذتني وليس **ألفار أولسن!** لكنها حافظت على وعدها. اعتقدت أن ذلك سيكون الأفضل لسالاندر. متى كانت آخر مرة دافع فيها أحد عنها؟ لم تستطع التذكر.

مرة أخرى تذكرت الإفطار في المنزل بـ «سيكلا» حين كان شقيقها بشير يجلس بجوارها، ينقر على هاتفه ويشرب الشاي. كان يومًا جميلاً. الشمس تشرق في الخارج على عالم محرم عليها. الأيام التي اشتركت فيها العائلة في صحيفة صباحية ولت منذ زمن، ومنذ زمن أطول كان والدهم يستمع لبرنامج الصباح «P - ١» على الراديو. قطعت العائلة صلتها بالمجتمع.

رفع بشير نظره عن شايه.

– «تعرفين لماذا يأخذ قمر وقته، أليس كذلك؟»

نظرت نحو الشارع.

– «إنه يتساءل عما إذا كنتِ عاهرة. هل أنتِ عاهرة يا فاريا؟»

لم تجب. لم ترد أبدًا على أسئلة كهذه.

— «هذا الحقير المهرطق الصغير كان يبحث عنكِ.»

الآن لم تستطع تمالك نفسها:

— «من يكون؟»

قال بشير:

— «خائن ما من دكا.»

ربما كان يجب أن يغضبها ذلك. لم يكن جمال خائنًا. كان بطلاً، رجلاً خاطر بحياته من أجل بنجلاديش أفضل وأكثر ديمقراطية. لكنها لم تشعر سوى بالنشوة. لم يكن مستغربًا أنها فكرت في جمال ليلاً ونهارًا —— فهي محبوسة بلا شيء تفعله. لكنه كان حرًا ولا شك يذهب لندوات واستقبالات طوال الوقت. كان بإمكانه بسهولة مقابلة امرأة أخرى أكثر إثارة للاهتمام منها بكثير. والآن، ومع بصق بشير لإهاناته، علمت أن جمال يريد رؤيتها مرة أخرى، وفي عالمها المحصن كان هذا أعظم من أي شيء.

تمنت لو تستطيع الانفراد بفرحتها، لكنها لم تخفض دفاعاتها. مجرد تلميح باحمرار الوجه قد يكون قاتلاً. تلعثم أو نظرة متوترة قد تفضحها. لذا أبقت قناعها في مكانه:

— «خائن؟ من يهتم لأمر خائن؟»

نهضت عن الطاولة. لاحقًا فقط أدركت خطأها. في محاولتها التظاهر بعدم الاهتمام بالغت في تمثيل دورها. لكن في تلك اللحظة بدا الأمر كانتصار، وبمجرد أن تعافت من الصدمة أصبحت أكثر تركيزًا من أي وقت مضى.

كانت مهووسة بالحصول على هاتف. لابد أن تصميمها قد ظهر —— راقب بشير وأحمد كل تحركاتها، ولم تُترك أي هواتف أو مفاتيح في الأرجاء الآن. مرت الأيام وجاء أكتوبر. في مساء أحد أيام السبت امتلأ منزلهم بالزوار والضجيج والحركة. استغرقها الأمر بعض الوقت لفهم ما يحدث. لم يكلف أحد نفسه عناء إخبارها بأن العائلة تحتفل بخطوبتها.

لم يبدُ أحد سعيدًا بشكل خاص. لكن على الأقل زوجها المستقبلي لم يكن حاضرًا — كان قمر يواجه مشاكل في تأشيرته. بدا أن هناك آخرين مفقودين أيضًا، أشخاص سقطوا من الحظوة أو نأوا بأنفسهم عن معتقدات الإخوة. كل هذا أبرز عزلة العائلة المتزايدة. لكن فاريا كانت تركز بدلاً من ذلك على وجوه الضيوف. هل يمكن لأحد مساعدتها؟

كالعادة، الشخص الأرجح كان خليل. كان في السادسة عشرة من عمره الآن ويقضي معظم وقته جالسًا بلا عمل، ينظر إليها بتوتر. سابقًا، عندما عاشوا في فالهولمن وتشاركوا غرفة، كثيرًا ما استلقوا مستيقظين لوقت متأخر من الليل يتحدثون، بقدر ما كان الحديث معه ممكنًا. في تلك الأيام، بعد وفاة أمهم بقليل، لم يكن قد بدأ في الركض حول المدينة لساعات طويلة بعد. لكنه كان مختلفًا بالفعل. كان قليل الكلام وأكثر ما أحبه هو الخياطة والرسم. كثيرًا ما قال إنه يتوق للعودة للوطن — لبلد لا يملك أي ذكرى عنه.

فكرت في أن تطلب منه مساعدتها على الهرب فورًا، تحت غطاء الحفلة. لكن أعصابها خذلتها فذهبت إلى المرحاض. وبينما كانت جالسة هناك، معتادة الآن على البحث المستمر، لمحت هاتفًا عاليًا فوق خزانة المناشف الزرقاء الداكنة. في البداية لم تصدق حظها. كان هاتف أحمد — عرفت الصورة على شاشة القفل، أحمد يتباهى بابتسامة عريضة على وجهه، جالسًا على دراجة نارية لا تخصه حتى.

خفق قلبها وحاولت التذكر — كانت قد راقبته بعناية فائقة — كيف أدخل أحمد رمزه. كان يشبه حرف «L»، ربما واحد، سبعة، ثمانية، تسعة؟ خطأ. جربت تركيبة جديدة. لم تنجح أيضًا وفجأة شعرت بالخوف. ماذا لو أغلقته؟

سمعت خطوات وأصواتًا بالخارج. هل كانوا ينتظرونها؟ كان والدها وإخوتها يراقبونها طوال الحفلة، وكان يجب عليها حقًا الخروج الآن وترك

الهاتف حيث وجدته. لكنها جربت مرة أخيرة و— سرى الأمر فيها كصدمة — دخلت. مرعوبة، خطت داخل حوض الاستحمام، كان المكان الأبعد عن الباب. ثم طلبت رقم جمال، الذي باتت تعرفه كاسمها الآن.

كانت نغمة الاتصال كبوق ضباب في سديم، إشارات استغاثة في بحر مظلم، وفجأة كان هناك حفيف في السماعة. شخص ما يجيب. أغمضت عينيها وأرهفت السمع بقلق لأصوات من الردهة، مستعدة لإنهاء المكالمة في أي ثانية. لكنها سمعت صوته واسمه وهمست:

— «إنه أنا. فاريا كازي.»

— «أوه، فاريا!»

— «يجب أن أكون سريعة.»

— «أنا أسمعك.»

مجرد صوت صوته جعل غصة تقف في حلقها. فكرت في أن تطلب منه الاتصال بالشرطة، لكن لا، لم تجرؤ. قالت ببساطة:

— «أحتاج لرؤيتك.»

— «سيسعدني ذلك جدًا.»

كل ما أرادت فعله هو الصراخ: سعيد؟ أنا في الجنة!

قالت:

— «لكن لا أعرف متى أستطيع.»

— «أنا في المنزل دائمًا. أستأجر شقة صغيرة في شارع أوبلاندسجاتان. أقضي معظم وقتي في القراءة والكتابة. تعالي وقتما تستطيعين.» ثم أعطاها عنوانًا ورمزًا للباب.

مسحت الرقم من سجل مكالمات أحمد، وأعادت الهاتف فوق الخزانة، وخرجت مارة بكل الأقارب وأصدقاء العائلة وإلى غرفتها. كان هناك أناس واقفون هناك أيضًا. طلبت منهم المغادرة وفعلوا ذلك

بابتسامات محرجة. ثم استلقت تحت الأغطية وعقدت العزم على الهرب، مهما كان الثمن. هكذا بدأ الأمر، أسعد وأسوأ وقت في حياتها.

***

سارت مالين فرود وميكائيل بلومكفيست خلف الجمهور، مارين بطاولة العرض في المدخل، وخارجًا إلى ضوء الشمس. مروا بالسفن الراسية عند الرصيف ونظروا للأعلى نحو الصخرة الضخمة على الجانب الآخر من الطريق الممتد خلف المتحف ورصيف الميناء. لم يتحدثا لفترة طويلة. كان الجو حارًا جدًا. تخلص بلومكفيست من انزعاجه، لكن بدا مرة أخرى أن مالين تفكر في أمور أخرى.

— «مثير للاهتمام، ما قلته عن سمعه.»

— «نعم؟» بدت مشتتة.

قال بلومكفيست:

— «**سيجر**، الطبيب النفسي الذي أُطلق عليه النار في تلك الرحلة قبل سنوات طويلة، كتب أطروحته عن تأثير سمعنا على احترامنا لذاتنا.»

— «هل كان ذلك بسبب ليو، في رأيك؟»

— «لا فكرة لدي. لكنه لا يبدو كموضوع بحث عادي. كيف تجلت حساسية ليو المفرطة للصوت؟»

— «كنا نكون في اجتماع وأراه فجأة يعتدل ويميل برأسه دون سبب واضح. بعد قليل يدخل شخص ما الغرفة. كان دائمًا يلتقط ذلك قبلنا جميعًا. سألته مرة عن ذلك وتجاهل الأمر. لكن لاحقًا، في نهاية وقتي بالشركة، أخبرني أن سمعه كان عبئًا طوال حياته. قال إنه كان عديم الفائدة في المدرسة.»

— «ظننت أنه كان الأول على فصله.»

— «وأنا كذلك. لكن خلال سنواته الدراسية الأولى لم يستطع الجلوس ساكنًا. لو كان من عائلة عادية لربما نُقل لفصل ذوي الاحتياجات

الخاصة. لكنه كان مانهايمر وألقيت كل أنواع الموارد لحل المشكلة. اكتشفوا أن سمعه استثنائي ولهذا لم يطق التواجد في فصل دراسي، فأقل طنين أو حفيف كان يزعجه. تقرر أن يتلقى تعليمه بشكل خاص، ولابد أن ذلك ساعده ليتطور ليصبح الصبي ذو معدل الذكاء المرتفع الذي قرأت عنه.»

– «إذن لم يكن فخورًا بسمعه الجيد قط؟»

– «لا أعلم... ربما كان يخجل منه من ناحية، لكنه استخدمه لصالحه أيضًا.»

– «لابد أنه كان بارعًا في التنصت.»

– «هل كتب ذلك الطبيب النفسي أي شيء عن السمع الحساس بشكل استثنائي؟»

– «لم أحصل على أطروحته بعد. لكنه كتب في مكان ما أن ميزة تطورية خلال حقبة معينة يمكن أن تصبح عائقًا خلال أخرى. في غابة في العصر الحجري، الشخص ذو السمع الجيد سيكون الأكثر يقظة وبالتالي الأرجح للعثور على الطعام. في مدينة كبرى مليئة بالضجيج، نفس الشخص سيخاطر بالارتباك والحمل الزائد. متلقٍ أكثر منه مشاركًا.»

– «هل هذا ما كتبه: متلقٍ أكثر منه مشاركًا؟»

– «بقدر ما أتذكر.»

– «يا للحزن.»

– «لماذا تقولين ذلك؟»

– «هذا هو ليو باختصار. كان دائمًا المتفرج.»

– «باستثناء ذلك الأسبوع في ديسمبر.»

– «باستثناء ذلك. لكنك تظن أن هناك شيئًا مريبًا بشأن ذلك الإطلاق للنار في الغابة، أليس كذلك؟»

استشعر فضولًا جديدًا في صوتها واعتبره علامة جيدة. ربما ستخبره المزيد عما كان غريبًا جدًا تلك المرة التي رأت فيها مانهايمر في وقت متأخر من الليل في مكتبه.

قال:

– «بدأ الأمر يثير اهتمامي.»

***

لم ينسَ ليو مانهايمر كارل سيجر أبدًا. حتى كشخص بالغ، كان لا يزال يشعر بإحساس مفاجئ وحاد بالفقد في الرابعة من عصر كل ثلاثاء، الوقت الذي كان يذهب فيه دائمًا لعيادة سيجر، وأحيانًا كان يجري محادثات معه في رأسه، وكأنه يتحدث لصديق خيالي.

ومع ذلك، أصبح مانهايمر أفضل في التعامل مع العالم وأصواته، تمامًا كما تنبأ سيجر. غالبًا ما كان سمعه وأذنه الموسيقية المطلقة ميزة — بالتأكيد عندما يعزف الموسيقى. لفترة طويلة لم يفعل شيئًا يذكر سوى العزف على البيانو والحلم بأن يصبح عازف جاز. في أواخر مراهقته تلقى عرض تسجيل من «مترونوم». رفضه لأنه لم يعتقد أن المواد التي لديه قوية بما يكفي بعد.

عندما بدأ دراسته في كلية ستوكهولم للاقتصاد، اعتبرها مجرد فاصل. بمجرد أن يجمع بعض المقطوعات الأفضل، سيسجل ألبومه ويصبح **كيث جاريت** جديدًا. لكن الفاصل انتهى به ليكون حياته ولم يكن متأكدًا تمامًا كيف. هل كان خائفًا من الفشل ومن خذلان والديه؟ أم كانت نوبات الاكتئاب، التي جاءت بانتظام الفصول؟

ظل مانهايمر عازبًا، ولم يكن ذلك أسهل للفهم. كان الناس فضوليين بشأنه. انجذبت النساء إليه. لكنه لم ينجذب إليهن بسهولة — في صحبة الآخرين كان يتوق لسلام وهدوء المنزل. ومع ذلك، أحب **مادلين بارد** بصدق.

وكان ذلك غريبًا أيضًا، إذ بدا أنه ليس لديهما الكثير من القواسم المشتركة. لم يعتقد أنه وقع في حب مظهرها فحسب، ولا ثروتها بالتأكيد. كانت مختلفة — هكذا سيراها دائمًا — بعينيها الزرقاوين اللامعتين اللتين بدتا وكأنهما تخفيان سرًا، ومسحة الحنين التي كانت تومض أحيانًا عبر وجهها الجميل.

خُطبا، وعاشا لفترة معًا في شقته بشارع «فلوراجاتان». في ذلك الوقت، كان قد ورث لتوه أسهم والده في ألفرد أوجرين للأوراق المالية، ورآه والدا مادلين — اللذان يوليان اهتمامًا لأمور كهذه — صيدًا ممتازًا. لم تكن العلاقة خالية من التعقيدات. أرادت مادلين إقامة حفلات عشاء، واحدة تلو الأخرى. قاوم ليو قدر استطاعته وتشاجرا لساعات حول الأمر. أحيانًا كانت تحبس نفسها في غرفة النوم وتبكي. ورغم ذلك، كان يمكن أن يكون زواجًا جيدًا. كان مقتنعًا بذلك. هو ومادلين أحبا بعضهما البعض بنار وشغف.

ومع ذلك وقعت الكارثة، وربما لم يثبت ذلك إلا أنه كان يخدع نفسه طوال الوقت. حدث ذلك في أغسطس في حفلة لجراد البحر في منزل آل **مورنر** في الأرخبيل، في «فيرمدو». كان الجو متوترًا منذ البداية. شعر بالكآبة ووجد الضيوف صاخبين ومملين. انطوى على نفسه، مما دفع مادلين لفرط نشاط اجتماعي. قفزت بين الضيوف، تثرثر حول كيف أن كل شيء «رائع، مذهل حقًا، من المدهش كيف زينتم المكان بجمال، ويا له من عقار خرافي. أنا منبهرة جدًا. سننتقل إلى هنا في ثانية...» لكن لم يكن هناك شيء استثنائي في تلك الأمسية، مجرد جزء من التمثيلية التي هي الحياة.

عند منتصف الليل استسلم وذهب لغرفة هادئة مع كتاب، *البلوز حقًا* لـ **ميز ميزرو**. فوجئ قليلاً بوجوده على الأرفف، وعنى ذلك أن الحفلة انتهت بكونها ممتعة له في النهاية. حلم بطريقه إلى نوادي الجاز في نيو

أورليانز وشيكاغو في ثلاثينيات القرن الماضي، وبالكاد أعار انتباهًا للصراخ وأغاني شرب المسكرات القادمة من الغرفة المجاورة.

بعد الواحدة صباحًا بقليل دخل إيفار أوجرين الغرفة، ثملاً كعادته في الحفلات، مرتديًا قبعة سوداء سخيفة وبدلة بنية ضاقت على وسطه. وضع ليو يديه على أذنيه تحسبًا لصراخ إيفار أو إحداثه لضجة كريهة أخرى، كما يفعل كثيرًا.

قال إيفار:

— «سآخذ خطيبتك في قارب تجديف.»

احتج مانهايمر:

— «لابد أنك تمزح. أنت ثمل.»

لم يجدِ ذلك نفعًا، لكن إيفار ألبس مادلين سترة نجاة على الأقل، كتنازل. خرج مانهايمر للشرفة وحدق في السترة الحمراء وهي تتلاشى عبر الماء.

كان البحر هادئًا. ليلة صيفية صافية والنجوم في السماء. تحدث إيفار ومادلين بصوت خافت في القارب. ليس أن ذلك أحدث فرقًا، فمانهايمر كان يسمع كل كلمة على أية حال. كانت مجرد ثرثرة سخيفة. مادلين جديدة وأكثر سوقية مثل مظهرها، وذلك آلمه. ثم اختفى القارب أبعد ولم يعد حتى هو قادرًا على سماع ما يقولانه. غابا لبضع ساعات.

بحلول وقت عودتهما، كان كل الضيوف الآخرين قد رحلوا. بدأ الضوء يظهر وكان مانهايمر يقف على الشاطئ بغصة في حلقه. سمع القارب يُسحب للشاطئ ومادلين تأتي نحوه بخطى غير متزنة. في طريق العودة للمنزل في سيارة أجرة، بدا وكأن جدارًا يرتفع بينهما وعرف مانهايمر بالضبط ما قاله إيفار هناك في الماء. بعد تسعة أيام، حزمت مادلين حقائبها وتركته. في ٢١ نوفمبر من ذلك العام، وبينما الثلج يتساقط فوق ستوكهولم والظلام يخيم على البلاد، أعلنت خطوبتها لإيفار أوجرين.

أصيب مانهايمر بشيء وصفه طبيبه بشلل جزئي.

بمجرد تعافيه، عاد للمكتب وهنأ إيفار بعناق أخوي. حضر حفل الخطوبة والزفاف، وقال مرحبًا بود لمادلين كلما اصطدم بها. رسم وجهًا مبتهجًا كل يوم لعين وأعطى انطباعًا بوجود رابطة صداقة أبدية بينه وبين إيفار يمكنها تحمل أي محن. لكن في أعماقه كانت أفكاره مختلفة تمامًا. كان يخطط لانتقامه.

إيفار، من جانبه، علم أنه فاز بانتصار جزئي فقط. كان مانهايمر لا يزال تهديدًا ومنافسًا على المنصب الأعلى في ألفرد أوجرين. وضع خططًا لسحق مانهايمر مرة واحدة وإلى الأبد.

***

عند «هورنسجاتسبوكلن» توقفت مالين دون سبب واضح. كان الجو أحر من أن يسمح بالبقاء في ضوء الشمس، لكنهما وقفا هناك، مترددين، بينما يمر الناس بهما وسيارة تطلق بوقها في البعيد. لم تقل مالين المزيد عن لقائها بمانهايمر. نظرت لأسفل نحو «ماريا تورجيت».

قالت:

— «اسمع. يجب أن أذهب.»

أعطته قبلة شاردة، وهرعت نزولاً عبر الدرجات الحجرية إلى شارع «هورنسجاتان» وعبرت إلى ماريا تورجيت. وقف بلومكفيست في نفس المكان، مترددًا. ثم أخرج هاتفه واتصل بـ **إريكا بيرجر**، صديقته المقربة ورئيسة تحرير ميلينيوم.

أخبرها أنه لن يأتي للمكتب لبضعة أيام. كانت قد انتهت لتوها من عدد يوليو. قريبًا سيكون منتصف الصيف، ولأول مرة منذ سنوات تمكنوا من تحمل تكلفة موظفَين مؤقتَين للصيف، مما سيساعد في تقليل عبء العمل.

قالت بيرجر:

– «صوتك يبدو بائسًا. هل حدث شيء؟»

– «وقع اعتداء خطير في وحدة ليزبيث بفلودبيرجا.»

– «هذا سيء جدًا. من كانت الضحية؟»

– «إحدى أفراد العصابات. إنها مسألة قبيحة جدًا، وليزبيث شهدتها.»

– «عادة ما تعرف كيف تتصرف.»

– «لنأمل ذلك. لكن... هل يمكنك مساعدتي بشيء آخر؟ هل يمكنك طلب من شخص ما في المكتب، يفضل **صوفي**، الذهاب لأرشيف مدينة ستوكهولم غدًا والحصول على الملفات الشخصية لثلاثة أشخاص؟ إذا سأل أي أحد، يمكنها القول إننا مخولون بذلك بناءً على حقوق الوصول العام للسجلات الرسمية.»

أعطى بيرجر الأسماء وأرقام الهوية الوطنية، التي دونها على هاتفه.

تمتمت بيرجر:

– «مانهايمر العجوز. أليس ميتًا ومدفونًا؟»

– «منذ ست سنوات.»

– «التقيته مرتين عندما كنت صغيرة. كان والدي يعرفه بشكل عابر. هل لهذا علاقة بليزبيث؟»

– «محتمل.»

– «بأي طريقة؟»

– «بصدق لا أعرف. كيف كان الرجل العجوز؟»

– «من الصعب القول، نظرًا لعمري حينها، لكنه كان يتمتع بسمعة كونه شيطانًا عجوزًا بعض الشيء. ومع ذلك، أذكره لطيفًا جدًا. سألني عن نوع الموسيقى التي أحبها. كان بارعًا في التصفير. لماذا أنت مهتم به؟»

– «سأضطر للعودة إليكِ في هذا الشأن أيضًا.»

قالت بيرجر:

— «حسنًا، كما تشاء.» وبدأت تخبره شيئًا عن العدد القادم ومبيعات الإعلانات.

لم يكن يصغي حقًا. أنهى المكالمة فجأة وتابع صعودًا في شارع «بيلمانسجاتان». مر بـ «بيشوبس آرمز» وسار نزولاً في الشارع المرصوف بالحصى شديد الانحدار إلى بابه الأمامي وصعودًا لشقته في العلية. هناك جلس أمام حاسوبه واستأنف بحثه عبر الإنترنت بينما يحتسي زجاجتي بيرة.

كان تركيزه الرئيسي على حادثة إطلاق النار العرضي في أوستهمار، لكنه لم يعرف الكثير. علم من الخبرة أنه من الصعب دائمًا العثور على معلومات جديدة حول قضايا جنائية قديمة. لم تكن هناك أرشيفات رقمية يمكنه الوصول إليها —— كانت محمية لأسباب تتعلق بالسياسة العامة —— ووفقًا لسياسة حفظ السجلات في الأرشيف الوطني السويدي، يتم حذف ملفات التحقيقات الأولية للمحكمة بعد خمس سنوات. قرر الذهاب إلى محكمة مقاطعة أوبسالا في اليوم التالي والتنقيب في سجلاتهم. بعد ذلك، ربما يمر بمبنى الشرطة الرئيسي هناك، أو يجد مفتش مباحث متقاعدًا قد يتذكر القضية. سيتعين عليه الارتجال.

اتصل أيضًا بـ **إليانور هيورت**، المرأة التي كانت مخطوبة لكارل سيجر. أدرك فورًا أن هذا الموضوع مغلق بالنسبة لها. لم ترغب في الحديث عن سيجر. ظلت مهذبة ومتعاونة، لكنها قالت إنها لا تستطيع حمل نفسها على الخوض في الأمر أكثر: «آمل أن تتفهم.» ثم غيرت رأيها ووافقت على لقاء بلومكفيست بعد ظهيرة الغد، ليس بسبب سحره الصحفي القديم أو حتى فضولها عما يبحث عنه، بل بسبب مقامرته الجريئة بذكر اسم ليو مانهايمر.

صاحت:

– «ليو. يا إلهي! مر وقت طويل جدًا. كيف حاله؟»

قال بلومكفيست إنه لا يعرف.

– «هل كنتِ مقربة منه؟»

– «أوه نعم، كارل وأنا كنا مولعين جدًا بذلك الصبي.»

بعد إنهاء المكالمة رتب المطبخ وتساءل إن كان عليه الاتصال بمالين، لمحاولة استخلاص ما كانت تفكر فيه. بدلاً من ذلك، استحم وغير ملابسه. قبيل السادسة غادر شقته ومشى نزولاً إلى «زينكينسدام»، لمقابلة أخته في «باني فينو».

-٩-

١٩ يونيو

قالت إنها ستتولى الأمر. ولا داعي لقلق **مارتن**. كانت تلك محادثتهما الهاتفية الرابعة في ذلك اليوم، ولم تفصح عن نفاد صبرها هذه المرة أيضًا. ولكن بمجرد أن أغلقت الخط تمتمت: «يا له من جبان»، وشرعت تتفحص العدة التي جهزها لها **بنجامين**، صديقها ومساعدها المخلص.

كانت **راكيل جريتز** محللة نفسية وأستاذة مشاركة في الطب النفسي، اشتهرت بأمور عدة، لكن أهمها كان حسها بالنظام. كانت ذات كفاءة هائلة، ولم يتغير ذلك منذ تشخيص إصابتها بسرطان المعدة. والآن، بات عليها أن تأخذ النظافة السريرية على محمل الجد بالفعل، وأصبحت مهووسة بها بشكل إيجابي. كانت كل ذرة غبار تختفي وكأنما بالسحر، ولم تكن هناك طاولات أو أحواض تضاهي في نظافتها تلك التي تلامسها يداها. كانت في السبعين من عمرها، ومريضة، ومع ذلك كانت دائمة الحركة والنشاط.

مرت ساعات اليوم في زوبعة من النشاط المحموم. الساعة الآن السادسة والنصف مساءً والوقت متأخر جدًا، كان يجب أن تتحرك فورًا. لكن الأمر كان دائمًا هكذا. كان **مارتن شتاينبرج** جبانًا للغاية، وكانت سعيدة لأنها تجاهلت نصيحته. منذ الصباح الباكر بدأت العمل على اتصالاتها مع شركات الهاتف ومقدمي الرعاية المنزلية. ومع ذلك، كان من الممكن حدوث الكثير منذ ذلك الحين. ربما زار أحدهم ذلك الأحمق العجوز وأفشى له كل ما يعرفه أو يشك فيه. ورغم أن العملية محفوفة

بالمخاطر، إلا أنها كانت الخيار الوحيد. كان هناك الكثير ليخسروه. الكثير من الأمور سارت بشكل خاطئ في الوكالة التي كانت تديرها.

رشت يديها بمطهر كحولي ودخلت الحمام. ابتسمت للمرأة، ولو فقط لتثبت لنفسها أنها لا تزال قادرة على الظهور بمظهر سعيد. من وجهة نظر جريتز، كان لما حدث جانب إيجابي. لقد عاشت طويلاً في نفق من المرض والألم لدرجة أن ما عليها فعله الآن منح حياتها واقعية معززة، وإحساسًا متجددًا بالطقوس. لطالما استمتعت جريتز بالشعور بالدعوة، بالهدف الأسمى.

عاشت وحيدة في شقة مساحتها ١٠٨ أمتار مربعة في شارع «كارلبيرجسفاجن»، بحي «فاساستان» في ستوكهولم. كانت قد انتهت لتوها من دورة علاج كيميائي، وبشكل عام، لم تكن تشعر بسوء شديد. أصبح شعرها أخف وأرق، لكن معظمه كان لا يزال موجودًا. القبعة الباردة التي ارتدتها أثبتت فعاليتها. كانت لا تزال حسنة المظهر، طويلة، نحيلة ومستقيمة القامة، بملامح نظيفة وسلطة طبيعية لازمتها منذ تخرجها في الطب من معهد «كارولينسكا».

كانت لديها تلك النيران على عنقها، ورغم أن الوحمة سببت لها كل أنواع الصعوبات في شبابها، إلا أنها أصبحت تقدرها. حملتها بفخر، وحتى لو كانت ترتدي دائمًا قمصانًا بياقة عالية هذه الأيام، فليس خجلاً أو عارًا. كل ما في الأمر أن هذا الأسلوب ناسب شخصيتها المتحفظة تمامًا — وقور، وغير متكلف أبدًا. لا تزال جريتز ترتدي المعاطف والتنانير والبدلات التي فصلتها في شبابها، ولم تحتج لتعديلها قط. كان هناك شيء بارد وصارم يكتنفها، وربما لهذا السبب كان الجميع يبذلون جهدًا إضافيًا في وجودها. كانت متمكنة، وسريعة البديهة، وتعرف قيمة الولاء للأفكار والأشخاص على حد سواء. لم تفشِ أسرارًا مهنية قط، ولا حتى لزوجها الراحل **إريك**.

خرجت للشرفة ونظرت نحو ساحة «أودنبلان». كانت يدها اليمنى المستندة على الدرابزين ثابتة. عادت لداخل الشقة ورتبت المكان قليلاً. أخرجت حقيبة طبيب جلدية بنية من خزانة في الردهة وملأتها بالأغراض التي أحضرها بنجامين. ثم عادت للحمام، هذه المرة لوضع بعض مساحيق التجميل، واختارت شعرًا مستعارًا أسود رخيص المظهر. ابتسمت مرة أخرى. أو ربما كانت مجرد تشنج عضلي. فرغم خبرتها، شعرت فجأة بالتوتر.

***

كان **بلومكفيست** وأخته يجلسان على إحدى الطاولات الخارجية في مطعم «باني فينو» بشارع «برانكيركاجاتان». طلبا باستا بالكمأة ونبيذًا أحمر، وتحدثا عن الصيف والحرارة، وتبادلا خطط العطلات. أعطت **جيانيني** شقيقها بإيجاز المزيد من المعلومات عن الوضع في فلودبيرجا. وأخيرًا، انتقلت للسبب الحقيقي لرغبتها في رؤيته.

قالت:

— «أحيانًا يا ميكائيل، تكون الشرطة حمقاء لدرجة لا تصدق. ما مدى إلمامك بالوضع في بنجلاديش؟»

— «لا أقول "إلمام"، لكنني أعرف القليل عنه.»

— «حسنًا، ستدرك على الأقل أن الدين السائد هو الإسلام. ومع ذلك، وفقًا للدستور، هي دولة علمانية تضمن حرية الصحافة وحرية التعبير. نظريًا يبدو ذلك معقولاً تمامًا.»

— «لكنه لا يطبق فعليًا، هذا ما أعرفه.»

— «الحكومة تحت ضغط من الإسلاميين وسنت تشريعات تحظر أي تصريح "من شأنه" الإساءة للمشاعر الدينية. يمكنك مد كلمة "من شأنه" لتغطي أي شيء تقريبًا إذا حاولت بجد كافٍ. كما تم تفسير القوانين

بصرامة وحُكم على سلسلة من الكتاب بالسجن لمدد طويلة. لكن هذا ليس الأسوأ.»

— «الأسوأ بالتأكيد هو أن القانون شرّع الهجمات على هؤلاء الكتاب.»

— «لقد نفخ القانون في أشرعة الإسلاميين. بدأ الجهاديون والإرهابيون في تهديد ومضايقة وقتل المنشقين بشكل منهجي، وقليل جدًا من الجناة يُحاكمون. تضرر موقع "Mukto mona" بشكل خاص. هدفهم هو تعزيز حرية التعبير والتنوير ومجتمع علماني مفتوح. قُتل عدد لا بأس به من المدونين، حوالي ثلاثين أظن، وتم تهديد آخرين ووضع أسمائهم على قوائم الموت. كان **جمال شودري** واحدًا منهم. كان عالم أحياء شابًا يكتب أحيانًا عن نظرية التطور لموقع Mukto mona. حُكم على شودري رسميًا بالإعدام من قبل الحركة الإسلامية في البلاد وهرب إلى السويد بمساعدة نادي القلم السويدي. لفترة طويلة بدا وكأنه يستطيع التنفس بحرية مرة أخرى. كان مكتئبًا، لكنه تحسن ببطء، ثم ذهب ذات يوم لندوة حول القمع الديني للمرأة في المركز الثقافي.»

— «وهناك التقى بـ **فاريا كازي**.»

قالت جيانيني:

— «جيد، أرى أنك أجريت بحثك. كانت فاريا تجلس في مؤخرة القاعة وهي —— يمكن القول بأمان —— امرأة جميلة جدًا. لم يستطع جمال رفع عينيه عنها وبعد الندوة اقترب منها. كانت تلك بداية ليس لرومانسية فحسب، بل لمأساة أيضًا، نسخة حديثة من "روميو وجولييت".»

— «بأي معنى؟»

— «عائلتا فاريا وجمال على طرفي نقيض في الصراع. دعم جمال بنجلاديش حرة ومنفتحة، بينما اصطف والد فاريا وإخوتها مع إسلاميي البلاد، خاصة بمجرد أن وُعدت فاريا ضد رغبتها لـ **قمر فتالي**.»

— «ومن هذا؟»

— «سيد بدين في الخامسة والأربعين أو نحو ذلك يعيش في منزل كبير بدكا مع الكثير من الخدم. لا يملك عملاً صغيرًا في النسيج فحسب، بل يمول أيضًا عددًا من مدارس "القومي" في البلاد.»

— «القومي؟»

— «مدارس قرآنية تعمل خارج سيطرة الحكومة. هناك أدلة تشير إلى أن الجهاديين الشباب يتلقون تدريبهم الأيديولوجي في بعض منها. لدى قمر فتالي زوجة في مثل عمره بالفعل، لكنه في هذا الربيع فُتن بصور لفاريا وأرادها كزوجة ثانية. وكما يمكنك التخيل، لم يكن من السهل عليه الحصول على تأشيرة دخول لزيارة عروسه المنتظرة، فأصبح محبطًا بشكل متزايد.»

— «بالإضافة لظهور جمال في الصورة.»

— «بالفعل، ووجد قمر والإخوة كازي أنفسهم أمام سببين على الأقل لقتله.»

— «إذن جمال لم ينتحر، هل هذا ما تقولينه؟»

— «لا أقول شيئًا بعد يا ميكائيل. أنا أعطيك بعض الخلفية —— سردًا موجزًا لما تحدثت عنه أنا وليزبيث. أصبح جمال العدو، فردًا من عائلة مونتاجيو[٣]، إذا صح التعبير. كان جمال مسلمًا ممارسًا أيضًا، لكنه أكثر ليبرالية، ومثل والديه —— وكلاهما أستاذ جامعي —— آمن بأن حقوق الإنسان يجب أن تكون أساسية في أي مجتمع. كان ذلك كافيًا لجعله عدوًا لقمر وعائلة كازي. حبه لفاريا جعله تهديدًا خاصًا أيضًا، ليس فقط لشرف والدها وإخوتها بل لآفاقهم المالية أيضًا. كانت هناك دوافع واضحة

---

[٣] فردًا من عائلة مونتاجيو: نسبةً إلى إحدى العائلتين المتصارعتين في مسرحية شكسبير الشهيرة "روميو وجولييت."

للتخلص منه وأدرك جمال مبكرًا أن المخاطر عالية. لكنه لم يستطع تجنب المخاطرة. يكتب عن ذلك في مذكرات عُثر عليها بعد المأساة —— والتي ترجمتها الشرطة من البنغالية وأُشير إليها في التحقيق الأولي لوفاة جمال. هل يمكنني قراءة جزء لك؟»

— «تفضلي.»

شرب بلومكفيست نبيذ «كيانتي» الخاص به بينما أخرجت جيانيني تقرير الشرطة من حقيبتها وقلبت في رزمة الأوراق.

قالت:

— «هنا. استمع لهذا.»

«منذ أن اضطررت لمشاهدة أصدقائي يموتون وأجبرت على ترك وطني، بدا وكأن العالم تكفن بالرماد. لم أعد أرى أي لون. لم يكن هناك جدوى من العيش.»

قالت:

— «الجملة الأخيرة استخدمت لاحقًا لدعم حجة انتحاره في قطار الأنفاق. لكن هناك المزيد.»

«ما زلت أحاول إيجاد أشياء لأفعلها، وفي أحد أيام يونيو، ذهبت للاستماع لمناظرة في ستوكهولم حول القمع الديني. لم أتوقع الكثير. كل شيء ذو معنى من ماضيَّ بدا الآن غير ذي صلة، ولم أستطع فهم لماذا لا يزال الإمام على المسرح يؤمن بوجود الكثير للقتال من أجله. كنت قد استسلمت. سقطت في قبر. شعرت وكأنني قُتلت أنا أيضًا.»

قالت جيانيني باعتذار:

— «إنه درامي بعض الشيء.»

— «على الإطلاق. كان جمال شابًا، أليس كذلك؟ كلنا نكتب هكذا ونحن صغار. يذكرني بزميلنا المسكين **أندريه**. تابعي.»

«ظننت أنني ميت وضائع عن العالم. ولكن حينها رأيت شابة بفستان أسود في مؤخرة القاعة. كانت الدموع في عينيها وكانت جميلة لدرجة أن النظر إليها يؤلم. استيقظت الحياة في مجددًا. عادت كصدمة كهربائية وعرفت أنني يجب أن أتحدث إليها. بطريقة ما عرفت أننا ننتمي لبعضنا البعض وأنه أنا ولا أحد غيري من يستطيع مواساتها. مشيت وقلت شيئًا مبتذلاً. ظننت أنني أفسدت الأمر، لكنها ابتسمت. خرجنا للساحة —— وكأننا عرفنا دائمًا أننا سنخرج للساحة —— ثم مشينا في شارع طويل للمشاة مارين بالبرلمان.»

— «حسنًا، لن أطيل. لم يستطع جمال أبدًا حمل نفسه على مناقشة ما حدث لأصدقائه في Mukto mona مع أي شخص. لكن مع فاريا تدفقت القصة —— يخبرها بكل شيء، هذا واضح من المذكرات. بعد مشيهما لأقل من كيلومتر، تقول فاريا إن عليها المغادرة بسرعة، وتأخذ بطاقة عمله وتعد بالاتصال قريبًا. لكنها لا تفعل أبدًا. ينتظر جمال ويصاب باليأس. يجد رقم هاتف فاريا المحمول على الإنترنت ويترك رسالة. يترك أربعًا، خمسًا، ست رسائل. لا رد. ثم يتصل رجل بجمال ويزمجر في وجهه، يخبره ألا يتصل أبدًا مرة أخرى. "فاريا تحتقرك أيها القذر"، يقول الرجل، وهذا يحطم جمال. لكن بعد فترة يرتاب ويقوم ببعض التحريات. لا يدرك الصورة الكاملة: أن والدها وإخوتها أخذوا هاتف فاريا وحاسوبها وأنهم يفحصون بريدها ومكالماتها ويبقونها سجينة في الشقة. لكن سرعان ما يفهم أن هناك خطبًا كبيرًا ويذهب لرؤية الإمام **فردوسي**، الذي يقول إنه قلق أيضًا. يتصلان بالسلطات معًا، لكنهما لا يحصلان على أي مساعدة. لا يحدث شيء، ولا شيء واحد. يزور فردوسي العائلة بنفسه، لكن يُطرد. جمال مستعد لقلب العالم رأسًا على عقب. ولكن حينها...»

— «أكملي.»

— «تتصل فاريا بنفسها، من رقم آخر، وتريد رؤيته. في ذلك الوقت يستأجر جمال سرًا شقة في شارع "أوبلاندسجاتان"، بمساعدة دار نشر "نورستيدتس". ليس من الواضح ما يحدث بعد ذلك. كل ما نعرفه هو أن الأخ الأصغر في العائلة، **خليل**، يساعد فاريا على الهرب، وتذهب مباشرة لشارع أوبلاندسجاتان. لقاء جمال وفاريا يشبه مشهدًا سينمائيًا أو حلمًا. يمارسان الحب ويتحدثان، ليلاً ونهارًا. فاريا، التي لم تقل شيئًا آخر خلال تحقيقات الشرطة، أكدت ذلك. يقرران الاتصال بالشرطة ونادي القلم، للمساعدة في الاختباء. ولكن حينها... الأمر محزن جدًا. تريد فاريا توديع شقيقها الأصغر — وقد باتت تثق به. يتفقان على اللقاء في مقهى بساحة "نورا بانتورجيت". إنه يوم خريفي بارد. تخرج فاريا مرتدية سترة جمال الزرقاء بغطاء رأس تسحبه فوق رأسها. ولا تصل أبدًا.»

— «نُصب لها كمين، أليس كذلك؟»

— «كان كمينًا بالتأكيد — كان هناك شهود. لكن لا ليزبيث ولا أنا نعتقد أن خليل استدرجها لهناك. شكنا هو أن الإخوة الأكبر تبعوه. كانوا ينتظرون فاريا في سيارة هوندا سيفيك حمراء في شارع "بارنهوسجاتان"، وبسرعة البرق بمجرد رؤيتها تقترب، سحبوها للسيارة وأخذوها لمنزل العائلة في سيكلا. يبدو أن الإخوة فكروا في شحن فاريا لدكا. لكن كما هو متوقع رأوا الأمر محفوفًا بالمخاطر. كيف سيمنعونها من إحداث مشهد في مطار أرلاندا، أو على متن الطائرة؟ هل سيضطرون لتخديرها؟»

— «إذن جعلوها تكتب رسالة لجمال.»

— «بالضبط. لكن الرسالة لا تساوي الحبر الذي كُتبت به يا ميكائيل. الخط خط فاريا، هذا واضح. لكن من الجلي أن إخوتها أو والدها أملوا عليها النص — باستثناء التلميحات التي تمكنت فاريا من دسها. "قلت طوال الوقت إنني لم أحبك قط". كانت تلك بالتأكيد رسالة سرية. في

مذكراته، يصف جمال كيف أخبرا بعضهما مرارًا وتكرارًا، كل مساء وكل صباح، بمدى حبهما لبعضهما.»

– «لابد أن جمال أطلق الإنذار حين لم تعد من لقاء خليل.»

– «بالطبع فعل. زار شرطيان سيكلا لأداء الواجب، وعندما وقف الأب عند الباب وأكد لهما أن كل شيء على ما يرام، باستثناء أن فاريا مصابة بالأنفلونزا، غادرا. لكن لم يمكن إسكات جمال. اتصل بكل من خطر بباله ولابد أن العائلة أدركت أن الوقت ينفد. يوم الاثنين، ٢٣ أكتوبر، يكتب جمال في سرده للأحداث أنه استيقظ بشعور بالموت في جسده. ضخمت الشرطة هذا الأمر بعد انتهاء كل شيء، لكنني لا أفسر ذلك بأنه استسلم. هذه طريقة تعبير جمال. لقد تمزق، وبدأ ينزف حتى الموت. لا يستطيع النوم، ولا التفكير، وبالكاد يعمل كإنسان. "يترنح"، كما يكتب. يصرخ بـ "يأسه". قرأ المحققون في تلك الكلمات أكثر مما ينبغي. هذا رأيي. بين السطور يبدو كرجل يريد القتال واستعادة ما فقده. وفوق كل شيء هو قلق. "ماذا تفعل فاريا الآن؟" "هل يؤذونها؟" لا يشير لرسالة فاريا، رغم أنها مفتوحة على طاولة مطبخه. ربما يرى زيفها بوضوح. نعلم أنه يحاول مرة أخرى الاتصال بفردوسي، الذي كان في مؤتمر بلندن. يتصل بـ **فريدريك لودالين**، أستاذ مشارك في الأحياء بجامعة ستوكهولم أصبح صديقًا له. يلتقيان في السابعة مساءً في شارع "هورنسبوركسجاتان"، حيث يعيش لودالين مع زوجته وطفليه. يبقى جمال لفترة طويلة. ينام الأطفال. تنام زوجة لودالين. يتعاطف لودالين بشدة، لكن عليه الاستيقاظ مبكرًا في الصباح التالي، ومثل كثيرين يواجهون أزمة، يكرر جمال الأمور مرارًا وتكرارًا، وبحلول منتصف الليل، يطلب منه لودالين العودة للمنزل. يعده بالاتصال بالشرطة ومركز أزمات المرأة في الصباح. في طريقه لقطار الأنفاق، يتصل جمال بالكاتب **كلاس فروبيرج** الذي تعرف عليه عبر نادي القلم. لا رد، وينزل جمال لمحطة "هورنستول". الساعة الثانية عشرة وسبع

عشرة دقيقة من يوم الثلاثاء، ٢٤ أكتوبر. هبت عاصفة لتوها. والمطر يهطل.»

— «إذن لم يكن هناك الكثير من الناس.»

— «هناك امرأة واحدة على الرصيف، أمينة مكتبة. تلتقط كاميرا المراقبة جمال وهو يمر بها، ويبدو بائسًا تمامًا. وهذا مفهوم. لم ينم تقريبًا منذ اختفاء فاريا، ويشعر بأن الجميع تخلوا عنه. لكن مع ذلك يا ميكائيل... جمال لم يكن ليتخلى عن فاريا أبدًا وهي في أمس الحاجة إليه. كانت إحدى كاميرات المراقبة على الرصيف معطلة، وقد تكون تلك مصادفة مؤسفة. لكن لا يمكنني تصديق أنها مصادفة أن رجلاً شابًا يمشي نحو أمينة المكتبة ويتحدث إليها بالإنجليزية تمامًا بينما يدخل القطار المحطة ويسقط جمال على القضبان. المرأة لم ترَ ما حدث. ليس لديها فكرة عما إذا كان جمال قفز أم دُفع، ولم يكن من الممكن تحديد هوية الشاب الذي تحدث إليها.»

— «وماذا يقول سائق القطار؟»

— «اسمه **ستيفان روبرتسون** وبسببه أساسًا حُكم بأن الوفاة انتحار. يقول روبرتسون إنه متأكد أن جمال قفز. لكنه كان مصدومًا من الحادث وتخميني أنه سُئل بعض الأسئلة الموجهة.»

— «بأي طريقة؟»

— «الشخص الذي أجرى المقابلة لم يبدُ راغبًا في النظر في أي احتمال آخر. في روايته الأولى —— قبل أن يجمع عقله وصفًا أكثر شمولاً —— يقول روبرتسون إنه رأى تخبطًا وحشيًا، وكأن جمال كان لديه الكثير من الأذرع والأرجل. لا يشير لذلك مرة أخرى، والغريب أن ذاكرته تبدو وكأنها تتحسن مع مرور الوقت.»

— «ماذا عن الحارس عند بوابة التذاكر؟ لابد أنه رأى الجاني.»

– «كان الحارس يشاهد فيلمًا على جهاز الآيباد وقال إن عددًا من الناس مروا به. لكنه لم يلحظ أي شخص على وجه الخصوص. يعتقد أن معظمهم كانوا ركابًا نزلوا من القطار. ليس لديه ذكرى واضحة.»

– «ألا توجد كاميرات هناك بالأعلى؟»

– «توجد، ووجدت شيئًا. ليس مهمًا، لكن معظم من خرجوا من المحطة تم تحديد هويتهم، باستثناء رجل واحد يبدو شابًا ونحيلاً وطويلاً. يُبقي رأسه منخفضًا، لذا يستحيل رؤية وجهه. لكن هيئته توحي بأنه متوتر ولا يريد أن يُعرف. إنه لعار ألا تتم متابعته، خاصة وأن لديه طريقة مميزة ومتشنجة للغاية في الحركة.»

قال بلومكفيست:

– «أوافقك. سألقي نظرة فاحصة.»

قالت جيانيني:

– «ثم لدينا جريمة فاريا نفسها، التي أُدينت بها.» كانت على وشك المتابعة عندما وصل الطعام وفتر تركيزهما. ليس فقط بسبب النادل واهتمامه المفرط بالأطباق وجبن البارميزان المبشور، بل أيضًا لأن مجموعة من الشباب الصاخبين مروا في طريقهم نحو «إيترستا تفارجراند» و«سكينارفيكسبرجيت».

***

كان **بالمجرين** يفكر في الحرب بسوريا وكل أنواع المآسي الأخرى —— بما في ذلك الألم الذي يشبه السكاكين في وركيه —— وفي المكالمة الحمقاء التي أجراها مع مارتن شتاينبرج. كان عطشًا بشكل رهيب أيضًا. شرب القليل جدًا، ولم يأكل شيئًا كذلك. سيمضي وقت قبل أن تصل **لولو** وتجري له طقوسه المسائية، هذا إن جاءت لولو أصلاً.

بدا وكأن لا شيء يعمل. هواتفه بالتأكيد لم تكن تعمل، كلاهما، ولم تأتِ أي مساعدة، ولا حتى **ماريتا**. قضى اليوم كله مستلقيًا في السرير،

يزداد انزعاجًا. كان يجب عليه حقًا تشغيل إنذاره. كان يرتديه في حبل حول رقبته ورغم تردده في استخدامه، بدا الوقت مناسبًا الآن. كان عطشًا لدرجة أنه بالكاد يستطيع التفكير بوضوح. والجو حار أيضًا. لم يقم أحد بتهوية غرفته أو فتح نافذة طوال اليوم. لم يفعل أحد شيئًا. بشيء من اليأس أرهف السمع لأصوات في بئر السلّم. هل كان ذلك المصعد؟ يمكنك سماع المصعد طوال الوقت. الناس يجيئون ويذهبون. لكن لا أحد يتوقف عند بابه. شتم وتقلب في سريره وشعر بآلام حادة مروعة. بدلاً من الاتصال بالبروفيسور شتاينبرج —— الذي ربما يكون محتالاً —— كان يجب أن يتواصل مع الطبيبة النفسية المذكورة أيضًا في الملاحظات السرية، المدعوة **هيلدا فون كانتربورج**، التي قيل إنها خرقت واجب السرية بالتحدث لوالدة ليزبيث عن السجل. إذا كان لأحد أن يساعده، فبالتأكيد هي أولى من الشخص الذي أدار المشروع بأكمله. يا له من حمار كبير، وكم كان عطشًا بشكل فظيع! فكر في الصراخ بأعلى صوته باتجاه بئر السلّم. ربما يسمعه أحد الجيران. لكن، انتظر... يسمع الآن خطوات تتجه نحوه. انتشرت ابتسامة على وجهه. لابد أنها لولو، لولو الرائعة.

بينما فُتح الباب وأُغلق ومُسحت الأحذية على الدواسة، نادى بآخر ما تبقى لديه من قوة: «مرحبًا، مرحبًا، والآن أخبريني كل شيء عن هانينج. ما كان اسمه مرة أخرى؟» لم يتلقَ إجابة، والآن استطاع سماع أن الخطوات أخف من خطوات لولو، أكثر إيقاعية وأقسى بطريقة ما. تلفت باحثًا عن شيء يدافع به عن نفسه. ثم زفر. ظهرت امرأة طويلة ونحيلة بقميص أسود ذي ياقة عالية في المدخل وابتسمت له. كانت المرأة في الستين، وربما السبعين من عمرها، ولديها ملامح حادة. كان هناك دفء حذر في عينيها. كانت تحمل حقيبة طبيب بنية بدت وكأنها تنتمي لحقبة أخرى، وكانت تقف باستقامة. كان لديها وقار طبيعي. والابتسامة راقية.

قالت:

– «مساء الخير، سيد بالمجرين. لولو آسفة جدًا، لكن لا يمكنها المجيء اليوم.»

– «ليس بها مكروه، آمل ذلك.»

– «لا، لا، مجرد أمر شخصي، لا شيء خطير.» قالت المرأة، وشعر بالمجرين بوخزة خيبة أمل.

استشعر شيئًا آخر أيضًا، لكنه لم يستطع تحديده تمامًا. كان مشوشًا وعطشًا للغاية.

– «هل يمكنك إحضار كوب ماء لي من فضلك؟»

قالت المرأة وبدت تمامًا مثل أمه العجوز منذ سنوات طويلة:

– «يا إلهي، بالطبع.»

ارتدت زوجًا من القفازات اللاتكسية وذهبت، وعادت بكوبين. أعاداه إلى نوع من الاستقرار. شرب بيد مرتعشة وشعر أن العالم يستعيد ألوانه. ثم نظر للمرأة. بدت عيناها دافئتين وحنونتين، لكنه لم يحب القفازات اللاتكسية أو الشعر، الذي كان كثيفًا ولم يناسبها على الإطلاق. هل كانت ترتدي شعرًا مستعارًا؟

قالت:

– «الآن هذا أفضل، أليس كذلك؟»

– «أفضل بكثير. هل أنت بديلة من شركة الرعاية؟»

أجابت المرأة وفكت أزرار قميص نومه المبلل بالعرق بعد يوم طويل في السرير:

– «أساعد أحيانًا في حالات الطوارئ. عمري سبعون عامًا، وللأسف لا يحبون استدعائي كثيرًا.»

أخرجت لاصقة مورفين من الحقيبة الجلدية البنية، ورفعت سريره الطبي ومسحت بقعة في أعلى ظهره بقطنة. كانت حركاتها دقيقة، ولمستها

حذرة. كانت تعرف ما تفعله، لا شك في ذلك. كان في أيد أمينة. لم تكن هناك أي من خرقاء المساعدين الآخرين. لكن ذلك جعل بالمجرين يشعر بالضعف أيضًا —— احترافية المرأة كانت مبالغًا فيها تقريبًا.

قال:

— «ليس بتلك السرعة.»

— «سأكون حذرة. قرأت عن ألمك في الملاحظات. يبدو مزعجًا جدًا.»

— «إنه محتمل.»

كررت:

— «محتمل؟ هذا ليس جيدًا بما يكفي. الحياة يجب أن تكون أفضل من ذلك. سأعطيك جرعة أقوى قليلاً اليوم. أعتقد أنهم كانوا بخلاء معك بعض الشيء.»

بدأ:

— «لولو...»

قاطعته المرأة، وبيديها المتمرستين —— وبراعتها السهلة —— وضعت اللاصقة:

— «لولو رائعة. لكنها ليست من يقرر بشأن المورفين. هذا يتجاوز صلاحيتها.»

شعر وكأن المورفين بدأ مفعوله فورًا.

— «أنتِ طبيبة، أليس كذلك؟»

— «لا، لا، لم أصل لذلك الحد. لسنوات عديدة كنت ممرضة عيون في "صوفيا هيميت".»

— «حقًا؟» قال، وبدا له أنه يلمح شيئًا متوترًا بشأن المرأة، اختلاجًا حول فمها. لكن ربما كان لا شيء.

أو هكذا حاول إقناع نفسه. ومع ذلك، لم يستطع منع نفسه من فحص وجهها بدقة أكبر الآن. كان لديها رقي معين، أليس كذلك؟ لكن لم يكن هناك شيء راقٍ بشأن شعرها. أو حاجبيها لتلك المسألة —— كانا باللون والنمط الخطأ، وبدا وكأنهما أُلصقا على عجل. فكر بالمجرين كم كان يومه غريبًا وتذكر محادثة الأمس. نظر إلى قميص المرأة ذي الياقة العالية. ما الذي أزعجه بشأنه؟ لم يستطع التفكير بوضوح، الهواء كان خانقًا وحارًا. ودون وعي حقيقي منه، تحركت يده نحو إنذاره الشخصي.

سأل:

— «هل يمكنك فتح نافذة من فضلك؟»

لم تجب. مسدت عنقه بحركات ناعمة ومدروسة. ثم أزالت الحبل مع الإنذار من حول رقبته وبابتسامة قالت:

— «النوافذ يجب أن تبقى مغلقة.»

— «إيه؟»

كان ردها مزعجًا للغاية في صرامته لدرجة أنه بالكاد استوعبه. حدق فيها بدهشة وتساءل ماذا يفعل. خياراته محدودة. أخذت إنذاره. هو مستلقٍ وهي لديها حقيبتها الطبية وكل كفاءتها المهنية. وكان الأمر غريبًا، بدت المرأة مشوشة، وكأنها تدخل وتخرج من بؤرة التركيز. فجأة فهم: كل شيء في الغرفة أصبح ضبابيًا. كان ينجرف بعيدًا.

انزلق إلى اللاوعي، وقاومه بكل قوته. هز رأسه، ولوّح بيده السليمة، وشهق للهواء. كل ما فعلته المرأة هو الابتسام، وكأنها منتصرة، ووضعت لاصقة أخرى على ظهره. ثم ألبسته قميص نومه، وعدلت وسادته وخفضت سريره. ربتت عليه برفق بضع مرات، وكأنها تريد أن تكون لطيفة معه بشكل خاص في نوع من التعويض المنحرف.

قالت:

— «الآن ستموت يا هولجر بالمجرين. لقد حان الوقت، أليس كذلك؟»

***

ارتشفت جيانيني وبلومكفيست نبيذهما وصمتا لبرهة وهما ينظران نحو «سكينارفيكسبرجيت».

قالت جيانيني:

— «ربما كانت فاريا خائفة على حياتها أكثر من خوفها على جمال. لكن الأيام مرت ولم يحدث شيء. لا نعرف الكثير عما جرى في الشقة بسيكلا. قدم والدها وإخوتها رواية متسقة ومزخرفة لدرجة لا يمكن إلا أن تكون كاذبة. لكن يمكننا التأكد من أنهم شعروا بالضغط. كان هناك حديث في الحي وقدمت بلاغات للشرطة. ربما كانوا يواجهون وقتًا عصيبًا في إبقاء فاريا تحت السيطرة.»

تابعت جيانيني:

— «نعلم أمرين مؤكدين. نعلم أنه قبل السابعة مساءً بقليل في اليوم التالي لسقوط جمال أمام قطار الأنفاق، كان أحمد، الأخ الأكبر، واقفًا في غرفة المعيشة بجوار النوافذ الكبيرة في الطابق الرابع. تأتي فاريا إليه. يحدث تبادل قصير للحديث، وفقًا للأخ الأوسط، ثم، فجأة ودون سابق إنذار، تُجن. ترمي بنفسها على أحمد وتدفعه من النافذة. لماذا؟ لأنه أخبرها أن جمال مات؟»

— «هذا يبدو مرجحًا.»

— «أوافقك. لكن هل اكتشفت شيئًا آخر أيضًا — شيئًا دفعها لصب غضبها ويأسها تحديدًا على أخيها؟ وفوق كل شيء: لماذا لا تتحدث للشرطة؟ كان لديها كل شيء لتكسبه بإخبارهم بما حدث. ومع ذلك تلتزم الصمت طوال استجوابها وخلال المحاكمة.»

— «مثل ليزبيث.»

– «مثل ليزبيث قليلاً، لكن بشكل مختلف. تنسحب فاريا إلى حزنها الصامت. ترفض الالتفات للعالم من حولها وتجيب متهميها بصمت حجري.»

قال بلومكفيست:

– «أستطيع فهم لماذا لا تحب ليزبيث أن يعبث الناس مع تلك الفتاة.»

– «أوافقك، وذلك يقلقني.»

– «هل كان لدى ليزبيث وصول لحاسوب في فلودبيرجا؟»

– «لا، قطعًا لا. إنهم صارمون في ذلك. لا حواسيب، لا هواتف محمولة. كل الزوار يفتشون بدقة. لماذا تسأل؟»

– «لدي شعور بأن ليزبيث اكتشفت شيئًا إضافيًا عن طفولتها أثناء وجودها هناك. ربما سمعته من هولجر.»

– «سيتعين عليك سؤاله. ذكرني، متى ستقابله؟»

– «في التاسعة.»

– «لقد كان يحاول التواصل معي.»

– «لقد قلتِ ذلك.»

– «حاولت الاتصال به اليوم. لكن كان هناك خطب ما في هواتفه.»

– «هواتفه، بصيغة الجمع؟»

– «اتصلت بالمحمول والأرضي. لم يعمل أي منهما.»

سأل بلومكفيست:

– «في أي وقت اتصلتِ؟»

– «حوالي الواحدة.»

نهض بلومكفيست وقال بشرود:

– «هل ستدفعين الحساب يا أنيكا؟ أعتقد أنني يجب أن أذهب.»

اختفى نازلاً إلى محطة قطار أنفاق زينكينسدام.

***

عبر ما بدا كضباب يتكاثف، رأى بالمجرين كيف التقطت المرأة هاتفه المحمول والوثائق الخاصة بسالاندر من المنضدة الجانبية ووضعتها في حقيبتها الطبية. استطاع سماعها تعبث في أدراج مكتبه. لكنه لم يستطع الحركة.

كان يسقط عبر محيط أسود وللحظة ظن أنه قد يكون محظوظًا بما يكفي ليغرق للأبد في النسيان. بدلاً من ذلك هزته نوبة ذعر، وكأن الهواء حوله قد سمم. تقوس جسده، ولم يستطع التنفس. أغلق المحيط عليه مرة أخرى. انجرف نحو القاع وظن أن كل شيء انتهى. ومع ذلك أصبح واعيًا بشكل غامض بوجود ما. رجل، شخص مألوف، يشد قميص نومه وينتزع اللاصقات عن ظهره، وعندها نسي بالمجرين كل شيء آخر. ركز بأقصى ما يستطيع وقاوم بيأس، كما يفعل غواص أعماق يحاول الوصول للسطح قبل فوات الأوان. وبالنظر لكل السم في جسده وتنفسه الضعيف، كان ذلك إنجازًا مذهلاً.

فتح عينيه وتمكن من نطق خمس كلمات، كان من الأفضل أن تكون ستًا، لكنها كانت بداية رسالة مهمة.

– «تحدث إلى...»

صرخ الرجل:

– «من؟ من؟»

– «إلى هيلدا فون...»

***

ركض بلومكفيست صاعدًا الدرج ليجد الباب الأمامي مفتوحًا على مصراعيه. بمجرد أن وطأت قدمه الشقة وضربته رائحة الهواء الخانق والعفن، علم أن شيئًا سيئًا للغاية قد حدث. تجاهل فوضى الوثائق المبعثرة على أرضية الردهة واقتحم غرفة النوم.

كان بالمجرين ملقى على سريره في وضعية ملتوية. يده اليمنى قريبة من حلقه وأصابعه متشنجة ومتباعدة. وجهه شاحب، وفمه مثبت في تكشيرة يائسة وفاغرة. بدا الرجل العجوز وكأنه مات ميتة مروعة ووقف بلومكفيست هناك للحظة، مذهولاً وفي صدمة. ثم كان هناك شيء، ظن أنه يرى بريقًا عميقًا في العينين، مما دفعه للاتصال بالطوارئ. هز بالمجرين وفحص صدره وفمه. من الواضح أن العجوز يواجه صعوبة في التنفس، فأغلق أنفه بإحكام وتنفس بثقل وانتظام في مجاريه الهوائية. كانت شفاه بالمجرين زرقاء وباردة، ولفترة طويلة ظن بلومكفيست أنه لا يحقق شيئًا. ومع ذلك رفض الاستسلام. كان سيستمر حتى وصول الإسعاف لولا أن العجوز انتفض فجأة ولوح بإحدى يديه.

في البداية ظن بلومكفيست أنها تشنج، حركة غريزية مع عودة الحياة والقوة، وشعر ببصيص أمل. ثم تساءل، هل كانت اليد تحاول إخباره بشيء؟ كانت تشير نحو ظهر بالمجرين وانتزع بلومكفيست قميص نومه. اكتشف لاصقتين، مزقهما دون تردد. ماذا كُتب عليهما؟ ماذا بحق الجحيم كُتب؟ حاول التركيز.

المادة الفعالة: فينتانيل.

ما هذا؟ نظر إلى بالمجرين وتساءل للحظة من أين يبدأ. أخرج هاتفه وبحث في جوجل: فينتانيل، قال، مسكن أفيوني اصطناعي قوي يشبه المورفين لكنه أقوى بـ ٥٠ إلى ١٠٠ مرة... الآثار الجانبية العادية هي تثبيط التنفس، تشنج في عضلات القصبة الهوائية... النالوكسون ترياق.

— «تباً، تباً!»

اتصل بالطوارئ مرة أخرى، أعطى اسمه وقال إنه اتصل قبل لحظات. كاد يصرخ:

— «عليكم إحضار نالوكسون، أتسمعون؟ يجب أن يحصل على حقن نالوكسون. إنه في ضائقة تنفسية عميقة.»

أغلق الخط وكان على وشك الاستمرار في تنفسه الاصطناعي عندما حاول بالمجرين قول شيء.

أسكته بلومكفيست:

— «لاحقًا. وفر طاقتك.»

هز بالمجرين رأسه وهمس بصوت أجش. كان من المستحيل فهم ما يقول. كان نعيقًا منخفضًا، شبه معدوم الصوت، ومريعًا لسماعه. عض بلومكفيست شفته وكان على وشك البدء في نفخ المزيد من الهواء في العجوز عندما ظن أنه يميز شيئًا يقوله، كلمتين:

— «تحدث إلى...»

— «من؟ من؟»

ثم بآخر ما تبقى لديه من قوة، نخر بالمجرين شيئًا بدا مثل «هيلدا من...»

— «هيلدا من ماذا؟»

— «إلى هيلدا فون...»

لابد أنه شيء مهم، شيء حاسم.

— «فون من؟ فون إيسن؟ فون روزن؟»

رمقه بالمجرين بنظرة يائسة. ثم حدث شيء لعينيه. اتسعت الحدقتان. سقط فكه مفتوحًا. بدا أسوأ بشكل دراماتيكي، وفعل بلومكفيست كل ما في وسعه — تنفس اصطناعي، إنعاش قلبي رئوي، كل شيء — ولجزء من الثانية ظن أن الأمر ينجح مرة أخرى. رفع بالمجرين يده. كان هناك شيء مهيب في الحركة، الأصابع الملتوية مضمومة، قبضة معقودة مرفوعة كما لو في تحدٍ بضعة سنتيمترات فوق السرير. ثم سقطت اليد عائدة على الغطاء. انفتحت جفون بالمجرين على اتساعها. تشنج جسده، ثم انتهى كل شيء.

استطاع بلومكفيست المعرفة، عرف في قرارة قلبه. لكنه لم يتوقف. ضغط بقوة أكبر على صدر بالمجرين ونفخ الهواء بانتظام في قصبته

الهوائية. صفع خديه برفق وصرخ فيه ليعيش ويتنفس. في النهاية اضطر لقبول أن لا جدوى. لا نبض، لا تنفس، لا شيء. ضرب بقبضته على المنضدة الجانبية بقوة أسقطت علبة الدواء وتدحرجت الحبوب في كل مكان على الأرض. نظر نحو ليليولمن. كانت الساعة الثامنة وثلاثًا وأربعين دقيقة مساءً. في الخارج بالساحة كانت فتاتان مراهقتان تضحكان. كانت هناك رائحة طهي خفيفة في الهواء.

أغلق بلومكفيست عيني العجوز، وسوى الأغطية ونظر لوجهه. لم يكن هناك شيء إيجابي يمكن قوله عن أي من ملامحه. كانت ملتوية ومعوجة وذابلة. ومع ذلك كان هناك وقار عميق، هكذا بدا له. وكأن العالم أصبح فجأة أفقر قليلاً. شعر بلومكفيست بغصة في حلقه، وفكر في سالاندر وكيف ذهب بالمجرين طوال الطريق لزيارتها. فكر في كل شيء ولا شيء.

ثم وصل طاقم الإسعاف، رجلان في الثلاثينيات. قدم بلومكفيست سرداً وقائعيًا للأحداث قدر استطاعته. أخبرهم عن الفينتانيل. قال إن بالمجرين ربما تناول جرعة زائدة، وأنه قد تكون هناك ظروف مريبة ويجب استدعاء الشرطة. قوبل بلامبالاة مستسلمة جعلته يرغب في الصراخ. لكنه أبقى فمه مغلقًا واكتفى بإيماءة متيبسة حين وضع الرجلان ملاءة فوق بالمجرين وتركا الجثة ملقاة على السرير، لانتظار طبيب ليأتي ويصدر شهادة الوفاة. بقي بلومكفيست في الشقة. التقط الحبوب من الأرض وفتح النوافذ وباب الشرفة، وجلس في الكرسي الأسود بجوار السرير وحاول التفكير بوضوح. كان هناك الكثير من الضجيج في رأسه. ثم تذكر الوثائق التي كانت مبعثرة بفوضى على أرضية الردهة حين اندفع للشقة.

ذهب لالتقاطها وقراءتها وهو واقف عند الباب الأمامي. في البداية لم يفهم السياق، لكنه رصد اسمًا تعلق به فورًا. **بيتر تيليبورين**. كان تيليبورين الطبيب النفسي الذي لفق التقرير عن سالاندر بعد أن ألقت قنبلة حارقة على والدها وهي في الثانية عشرة. كان هو من زعم رغبته في علاج

وشفاء سالاندر، لإعادتها لحياة طبيعية، لكنه في الواقع عذبها بشكل منهجي يومًا بعد يوم، مقيداً إياها لسريرها ومعرضًا إياها لعذاب نفسي شديد. لماذا بحق الأرض كانت هناك أوراق عن ذلك الرجل ملقاة في ردهة هولجر بالمجرين؟

نظرة سريعة عبر الوثائق كانت كافية لتخبر بلومكفيست أنه لا جديد هناك. بدت كنسخ مصورة لنفس ملاحظات الحالة الجافة والمحزنة التي أدت لاحقًا لإدانة تيليبورين بإهمال جسيم في الواجب وتجريده من حقه في ممارسة الطب. لكن كان من الواضح أيضًا أن صفحات الوثائق، التي لم تكن مرقمة، لم تكن بتسلسل كامل. انتهت بعض الصفحات في منتصف جملة وبدأت أخرى في سياق مختلف. هل كانت الأوراق المفقودة في الشقة؟ أم أُخذت بعيدًا؟

فكر بلومكفيست في تفتيش الأدراج والخزائن. قرر عدم التدخل في تحقيق الشرطة الذي سيعقب ذلك بلا شك، وبدلاً من ذلك اتصل بكبير المفتشين **جان بوبلانسكي** ليخبره بما حدث. ثم اتصل بوحدة الحراسة المشددة في سجن فلودبيرجا. أجاب رجل، معرفًا نفسه بـ **فريد**. تحدث بتمطيط متغطرس وكاد بلومكفيست يفقد أعصابه، خاصة وهو ينظر للسرير ويرى حدود جسد بالمجرين تحت الملاءة البيضاء. لكنه استجمع كل سلطته وشرح أن هناك حالة وفاة في عائلة سالاندر، وأخيراً سُمح له بالتحدث معها.

كانت محادثة تمنى لو لم يضطر لإجرائها.

***

أغلقت سالاندر الخط واقتيدت بواسطة حارسين عبر الممر الطويل عائدة لزنزانتها. لم تلتقط العداء العميق في وجه الحارس، **فريد سترومر**. لم تستوعب أي شيء يجري حولها، ولم يفشِ وجهها شيئًا من عواطفها. تجاهلت السؤال: «هل مات أحد؟» لم ترفع نظرها حتى. مشت فقط

وسمعت خطواتها وأنفاسها ولا شيء آخر، ولم تكن لديها فكرة لماذا تبعها الحراس لزنزانتها. إلا أنهم أرادوا العبث معها. منذ طُرحت بينيتو أرضًا انتهزوا كل فرصة لتسميم حياتها. الآن بدا أنهم يريدون تفتيش زنزانتها مرة أخرى، ليس لأنهم اعتقدوا أنهم سيجدون شيئًا، بل لأنها ذريعة ممتازة لقلب المكان رأسًا على عقب ورمي مرتبتها على الأرض. ربما كانوا يأملون في انفجار منها، ليحظوا بشجار حقيقي. كادوا ينجحون. لكن سالاندر جزت على أسنانها ولم تنظر إليهم حتى وهم يغادرون.

بعد ذلك التقطت المرتبة، وجلست على طرف السرير وركزت على ما قاله بلومكفيست. فكرت في لاصقات المورفين التي انتزعها عن ظهر بالمجرين، والأوراق التي كانت ملقاة على أرضية الردهة. وكلمات «هيلدا فون...» ركزت عليها بشدة خاصة، لكنها لم تفهم معناها. نهضت وضربت بقبضتها على المكتب، ثم ركلت خزانة الملابس وحوض الغسيل.

لثانية دوارة، بدت وكأنها قادرة على القتل. لكنها تمالكت نفسها وحاولت التركيز على شيء واحد في كل مرة. أولاً تكتشف الحقيقة. ثم تنتقم.

-١٠-

٢٠ يونيو

كان لكبير المفتشين **جان بوبلانسكي** ميلٌ لإلقاء خطبٍ فلسفيةٍ مطولة، لكنه في هذه اللحظة لاذ بالصمت.

كانت الساعة تشير إلى الثالثة وعشرين دقيقة عصرًا، وفريقه يعمل بجدٍ طوال اليوم. الجو خانق وحار في غرفة الاجتماعات بالطابق الخامس من مقر الشرطة في شارع «بيرجسجاتان».

في مثل عمره، كان بوبلانسكي يخشى أمورًا كثيرة، لكن ربما كان أكثر ما يخشاه هو غياب الشك. كان رجلاً مؤمنًا لا يرتاح لليقين المفرط أو التفسيرات المبسطة أكثر من اللازم. دائمًا ما يطرح حججًا مضادة وفرضيات معاكسة. لا شيء مؤكد لدرجة تمنع تحديه مرة أخرى. ورغم أن هذا السلوك كان يبطئه، إلا أنه حماه أيضًا من ارتكاب أخطاء كثيرة. هدفه الآن هو إقناع زملائه بالعودة لرشدهم، لكنه لم يعرف من أين يبدأ.

كان بوبلانسكي محظوظًا من نواحٍ عدة. دخلت حياته امرأة جديدة، البروفيسورة **فرح شريف**، التي كانت —— كما يقول —— أجمل وأذكى مما يستحق. انتقل الزوجان مؤخرًا لشقة من ثلاث غرف قرب «نيتورجيت» واقتنيا كلب لابرادور. كثيرًا ما تناولا الطعام بالخارج وزاروا المعارض الفنية بانتظام. لكن العالم جن جنونه، في رأيه. الأكاذيب والغباء أصبحا أكثر انتشارًا من أي وقت مضى. الغوغائيون والمرضى النفسيون يهيمنون على المشهد السياسي، والتحيز والتعصب يسممان كل شيء، حتى إنهما يتسربان أحيانًا لنقاشات فريقه العاقل عادة.

أشيع أن **سونيا موديغ**، أقرب زملائه إليه، واقعة في الحب، وكانت تشع إشراقًا. لكن ذلك لم يزد **جيركر هولمبرج** و**كيرت سفينسون** إلا انزعاجًا، فكانا يقاطعانها ويجادلانها باستمرار. وحين انحازت **أماندا فلود**، أصغر أعضاء المجموعة، لصف موديغ — وكانت غالبًا ما تقدم أفكارًا ذكية — تفاقم الوضع. ربما شعر سفينسون وهولمبرج أن مكانتهما كأعضاء كبار مهددة. حاول بوبلانسكي منحهم ابتسامة مشجعة.

بدأ هولمبرج:

— «بشكل أساسي...»

— «بشكل أساسي بداية جيدة.» قال بوبلانسكي.

— «بشكل أساسي، لا أرى سببًا يدعو أي شخص لتكبد كل هذا العناء لقتل رجل في التسعين من عمره.»

صححه بوبلانسكي:

— «رجل في التاسعة والثمانين.»

— «صحيح. رجل في التاسعة والثمانين بالكاد يغادر شقته ويبدو أنه كان على شفا الموت على أي حال.»

— «ومع ذلك، هكذا يبدو الأمر، أليس كذلك؟ سونيا، هل يمكنك تلخيص ما لدينا حتى الآن من فضلك؟»

قالت موديغ، وهي تبتسم وتبدو متوهجة، حتى إن بوبلانسكي تمنى لو تخفف من ذلك قليلاً، ولو فقط للحفاظ على السلام:

— «هناك **لولو ماجورو**.»

سأل سفينسون:

— «ألم نتحدث عنها بما يكفي؟»

قال بوبلانسكي بحدة:

— «ليس بعد. الآن نحتاج لمراجعة كل شيء مرة أخرى، للحصول على نظرة شاملة.»

قالت موديغ:

— «ليست لولو فقط. إنها شركة "صوفيا كير" بأكملها، الشركة المسؤولة عن رعاية **بالمجرين**. صباح أمس، تلقى الموظفون هناك رسالة تفيد بأن بالمجرين أُدخل قسم الطوارئ في مستشفى "إرستا" بألم حاد في الورك. لم يفكر أحد في التشكيك بالأمر. الشخص الذي اتصل ادعى أنه طبيب كبير وأخصائي عظام، وقدمت نفسها باسم **منى لاندين**. اتضح أنه اسم مستعار لكنها بدت ذات مصداقية تامة وأعطيت معلومات عن أدوية بالمجرين وحالته العامة. بعد ذلك، أُلغيت كل الزيارات المنزلية لبالمجرين. أرادت لولو، التي كانت مقربة منه بشكل خاص، زيارته في المستشفى. حاولت الاتصال بالبدالة لمعرفة الجناح الذي يقيم فيه، لكن لأنه لم يكن هناك فعليًا، لم تصل لشيء. لكن في الظهيرة نفسها، اتصلت بها منى لاندين هذه، وقالت إن هولجر ليس في خطر لكنه لا يزال تحت تأثير التخدير بعد جراحة بسيطة ولا ينبغي إزعاجه. لاحقًا في المساء حاولت لولو الاتصال بهاتف بالمجرين المحمول فوجدت الخدمة معلقة. لم يستطع أحد في شركة اتصالاته "تيليا" تفسير كيف حدث ذلك. صباح ذلك اليوم فُصل هاتفه ببساطة، لكنهم لم يعرفوا من في النظام صرح بالعملية أو نفذها. يبدو أن شخصًا يمتلك المهارات الحاسوبية اللازمة والاتصالات الصحيحة أراد عزل بالمجرين.»

سأل هولمبرج:

— «لماذا كل هذا العناء؟»

قال بوبلانسكي:

— «هناك عامل يستحق وضعه في الاعتبار. تذكروا أن بالمجرين زار **سالاندر** في فلودبيرجا. وبما أننا نعلم بوجود تهديدات ضدها، فإن فرضية معقولة قد تكون أن بالمجرين انجذب لمشاكلها —— ربما لأنه اكتشف شيئًا، أو لأنه أراد المساعدة. أخبرتنا لولو ماجورو أنها استخرجت له كومة

أوراق يوم السبت، وقرأها بالمجرين بتركيز شديد. يبدو أن امرأة كانت لها صلة بسالاندر قد أعطته إياها قبل بضعة أسابيع.»

– «أي امرأة؟»

– «لا نعرف بعد، لم تلتقط لولو اسمها. وسالاندر لا تقول شيئًا، لكن لدينا خيط. كما تعلمون، وجد **بلومكفيست** بعض الأوراق ملقاة في الردهة، إما لأن بالمجرين أو مهاجمه أسقطها. يبدو أنها ملاحظات حالة من عيادة سانت ستيفان النفسية للأطفال، حيث أُدخلت سالاندر كفتاة صغيرة. اسم **بيتر تيليبورين** يظهر فيها.»

– «ذلك الثعبان.»

قالت موديغ:

– «بل ذلك الوغد الماكر.»

– «هل تم استجواب تيليبورين؟»

– «تحدثت إليه أماندا اليوم. يعيش مع زوجته وكلب راعٍ ألماني بأسلوب حياة باذخ في شارع "أميرالسجاتان". قال إنه آسف لسماع خبر بالمجرين لكن ليس لديه فكرة عما قد حدث. لا يعرف أي شخص يدعى **هيلدا فون** كذا، ولم يرغب في قول المزيد.»

قال بوبلانسكي:

– «سنضطر للعودة إليه على الأرجح. في غضون ذلك سنراجع بقية أوراق بالمجرين وممتلكاته. لكن تابعي بشأن لولو يا سونيا.»

قالت موديغ:

– «كانت تعتني بمساءات بالمجرين أربع أو خمس مرات في الأسبوع. في كل مرة كانت تضع لاصقة مسكنة للألم، تسمى "نورسبان"، والمادة الفعالة هي... ما اسمها مرة أخرى يا جيركر؟»

فكر بوبلانسكي: *حركة جيدة. أشركيهم. اجعليهم يشعرون أنهم يساهمون.*

قال هولمبرج:

— «بوبرينورفين. إنه أفيون مصنوع من الخشخاش، يستخدم كمسكن في رعاية المسنين. يوجد أيضًا في دواء يسمى "سوبوتكس"، يوصف لمدمني الهيروين.»

قالت موديغ:

— «صحيح. كان بالمجرين يتلقى عادة جرعة متواضعة. لكن ما انتزعه بلومكفيست عن ظهره أمس كان شيئًا مختلفًا تمامًا: لاصقتان مجهزتان من "فينتانيل أكتافيس". معًا تشكلان كمية قاتلة، أليس كذلك يا جيركر؟»

— «كافية لقتل حصان.»

— «من المذهل أن بالمجرين نجا طوال تلك المدة، وتمكن حتى من نطق بضع كلمات.»

قال بوبلانسكي:

— «كلمات مثيرة للاهتمام أيضًا.»

— «بالتأكيد. رغم أن أي شيء يقوله رجل مخدر بشدة في وضع كهذا يجب النظر إليه بحذر. كانت الكلمات: "هيلدا فون"، أو بالأحرى، "تحدث إلى هيلدا فون". وفقًا لبلومكفيست، بدا أن بالمجرين يريد إخباره بشيء مهم. يمكن للمرء التكهن ما إذا كان ذلك اسم الجاني. كما تعلمون، لدينا إفادة شاهد بأن امرأة نحيلة، سوداء الشعر، وعمرها غير محدد، ترتدي نظارة شمسية، شوهدت تسرع نزولاً على الدرج بحقيبة جلدية بنية مساء أمس. حاليًا من المستحيل الحكم على القيمة التي يجب أن نوليها لذلك. علاوة على ذلك، أشك أن بالمجرين كان سيقول "تحدث إلى" إذا كان يشير للشخص الذي أذاه لتوّه. يبدو أرجح أن "هيلدا فون" هذه شخص لديه معلومات مهمة. أو قد تكون شخصًا لا علاقة له بالأمر إطلاقًا، لكن اسمها طرأ في رأسه لحظة موته.»

— «قد يكون، لكن مع ذلك، ماذا لدينا عن الاسم الفعلي؟»

قالت موديغ:

– «في البداية بدا واعدًا. بادئة "فون" مرتبطة بالأرستقراطية في السويد، وهذا يعطينا دائرة محدودة جدًا. لكن هيلدا اسم شائع في ألمانيا أيضًا، وهناك يمكن أن تكون "فون" مجرد حرف جر يعني ببساطة "من". لذلك، إذا شملنا الأسماء الجرمانية، فنحن نتحدث عن مجموعة أكبر بكثير. أتفق أنا وجان على ضرورة التقدم قليلاً في التحقيق قبل الشروع في استجواب كل الهيلدات الأرستقراطيات من أعرق العائلات في السويد.»

سأل سفينسون:

– «وماذا حصلتم عليه من سالاندر؟»

– «ليس الكثير، للأسف.»

– «نموذجي تمامًا.»

قالت موديغ:

– «حسنًا، نعم، أفترض أن هذا عادل. لكننا لم نتحدث إليها بأنفسنا بعد، اعتمدنا على زملائنا في شرطة أوريبرو. إنها شاهدة لديهم في قضية مختلفة، اعتداء خطير على **بياتريس أندرسون** في فلودبيرجا.»

انفجر هولمبرج:

– «من بحق الجحيم كان شجاعًا بما يكفي لمهاجمة **بينيتو**؟»

– «رئيس وحدة الحراسة المشددة، **ألفار أولسن**. يقول إنه لم يكن لديه خيار. سأصل لذلك.»

قال هولمبرج:

– «آمل أن لديه حراسًا شخصيين.»

– «تم تعزيز الأمن في الوحدة وستنقل بينيتو لسجن آخر بمجرد أن تصبح لائقة للنقل. حاليًا، هي في مستشفى بأوريبرو.»

– «لن يكون ذلك كافيًا، أعدك بذلك. هل لديكما أدنى فكرة عن نوع الشخص الذي تكونه بينيتو؟ هل رأيتما حالة ضحاياها؟ ثقا بي، لن تستسلم حتى يُقطع حلق أولسن — ببطء.»

قالت موديغ بانزعاج طفيف:

– «نعلم نحن وإدارة السجن أن الوضع خطير. لكننا لا نرى خطرًا داهمًا في الوقت الراهن. هل يمكنني المتابعة؟ لم يحصل زملاؤنا في أوريبرو على الكثير من سالاندر، كما قلت. علينا أن نأمل أنك يا جان — فهي تثق بك — ستبلي بلاءً أفضل. جميعنا — هذا صحيح، أليس كذلك؟ — لدينا شعور بأن سالاندر شخصية محورية هنا. وفقًا لبلومكفيست، كان بالمجرين قلقًا عليها وأخبر بلومكفيست عبر الهاتف قبل يوم أو نحو ذلك أنه فعل شيئًا متهورًا أو غبيًا بسبب ذلك، وهذا مثير للاهتمام. ماذا كان يقصد؟ وما مدى التهور الذي يمكن أن يبلغه عاجز في التاسعة والثمانين؟»

قالت فلود:

– «أقترح أننا نتحدث عن مكالمة هاتفية، أو بحث مندفع على حاسوبه.»

– «أوافقك. لكننا لا نجد شيئًا مفيدًا. بالإضافة إلى أن هاتفه المحمول يبدو وكأنه تبخر في الهواء.»

– «هذا يبدو مريبًا.»

– «بالفعل. وهناك شيء آخر أعتقد أنه يجب علينا مناقشته. من الأفضل أن تتولى الأمر هنا يا جان.»

تململ بوبلانسكي وكأنه يفضل ألا يفعل. ثم سرد لهم قصة **فاريا كازي**، التي علم بها هو نفسه ذلك الصباح.

قال:

– «كما سمعتم، لم ترغب سالاندر في التحدث لشرطة أوريبرو عن لقائها ببالمجرين. ولم ترغب في قول الكثير عن الاعتداء على بينيتو أيضًا. لكن كان هناك شيء واحد أرادت مناقشته، وهو التحقيق في وفاة جمال شودري،

اللاجئ من بنجلاديش. تعتقد أنه عولج بشكل سيء للغاية، ويجب أن أقول إنني أتفق معها.»

— «ما الذي يجعلك تقول ذلك؟»

— «العجلة التي حُدد بها أنه انتحار. لو كانت مجرد حالة أخرى لمسكين قفز أمام قطار أنفاق، لربما فهمت. لكن هذه لم تكن حادثة عادية. كانت هناك فتوى بقتل شودري، ولا يمكن الاستخفاف بذلك. هناك مجموعة صغيرة في ستوكهولم أصبحت متطرفة بتأثير عناصر متشددة في بنجلاديش، وتبدو مستعدة للقتل لأتفه الأسباب. منذ وصول شودري للسويد، كان يجب أن نكون مرتابين حتى لو انزلق على قشرة موز. لكنه يقع في حب فاريا كازي — التي يريد إخوتها تزويجها لإسلامي غني في دكا. يمكنكم تخيل مدى غضبهم حين هربت فاريا، إلى أحضان شودري، من بين كل الناس. ليس شودري الرجل الذي دمر شرف العائلة فحسب. بل هو عدو ديني وسياسي أيضًا. ثم فجأة يذهب ويسقط أمام قطار، وماذا يفعل زملاؤنا؟ يسجلونه كانتحار، بنفس سهولة التحقيق في سرقة منزلية بـ "فالينغبي"، بينما في الواقع هناك قائمة طويلة من الظروف الغريبة المحيطة بالأحداث. وفوق ذلك، ماذا يحدث في اليوم التالي لوفاة شودري؟ تصاب فاريا كازي بنوبة غضب وتدفع شقيقها أحمد من نافذة في سيكلا. أجد صعوبة بالغة في تصديق أن ذلك لا علاقة له بالحادث في قطار الأنفاق.»

قال سفينسون:

— «حسنًا، فهمت ذلك، ولا يبدو جيدًا. لكن بأي طريقة يرتبط بوفاة بالمجرين؟»

— «ربما لا يرتبط، لكن مع ذلك — تنتهي فاريا كازي في وحدة الحراسة المشددة بفلودبيرجا مع سالاندر، ومثلها، هي هدف لتهديدات خطيرة. هناك مخاوف كبيرة من أن إخوتها سيريدون الانتقام، واليوم حصلنا على تأكيد من المخابرات السويدية بأنهم كانوا على اتصال بغير

بينيتو. يسمي الإخوة أنفسهم مؤمنين، لكن لديهم قواسم مشتركة مع بينيتو أكثر مما مع المسلمين عمومًا، وإذا كان الانتقام مبتغاهم، فبينيتو هي السلاح المثالي.»

قال هولمبرج:

– «أستطيع تخيل ذلك.»

– «يبدو أيضًا أن بينيتو اهتمت بكل من كازي وسالاندر.»

– «كيف نعرف ذلك؟»

– «من التحقيق الذي أجراه السجن حول كيفية إدخال بينيتو لمطواتها إلى الوحدة. فتشوا كل شيء، كل شيء على الإطلاق، بما في ذلك القمامة في قسم الزوار بالمبنى "H". عُثر على ورقة مجعدة في إحدى السلات هناك، بمعلومات مقلقة للغاية بخط يد بينيتو. ليس فقط عنوان المدرسة التي نُقلت إليها ابنة أولسن ذات التسع سنوات قبل بضعة أشهر، بل أيضًا تفاصيل عمة فاريا، فاطمة، الوحيدة في العائلة التي لا تزال مقربة منها. والأكثر جدارة بالملاحظة، تفاصيل عن أشخاص مقربين من سالاندر: ميكائيل بلومكفيست، محامٍ يدعى **جيريمي ماكميلان** في جبل طارق —— لا، لا زلت لا أعرف من هو —— وهولجر بالمجرين.»

قالت فلود:

– «أوه لا، حقًا؟»

– «للأسف. يبدو الأمر مخيفًا تقريبًا رؤية اسم بالمجرين هناك ومعرفة أنه كُتب قبل وفاته. ليس اسمه فحسب، بل عنوانه ورمز بابه ورقم هاتفه.»

قال هولمبرج:

– «ليس جيدًا.»

– «لا. ليس بالضرورة مرتبطًا بقتله، أو ما نعتقد أنه قتله. لكنه لافت للنظر، أليس كذلك؟»

***

كان بلومكفيست يسير في شارع «هانتفيركارجاتان» في «كونجشولمن» حين رن هاتفه. كانت **صوفي ميلكر** من المكتب. أرادت معرفة كيف حاله. أجاب: «بين بين»، وظن أن الأمر انتهى. كانت ميلكر الشخص الثامن الذي اتصل ذلك اليوم لتقديم التعازي. لا عيب في ذلك، لكنه فضل أن يُترك وشأنه. أراد التعامل مع الموقف كما يتعامل عادة مع الموت — بالعمل الشاق.

كان في أوبسالا ذلك الصباح وقرأ ملف التحقيق الخاص بمدير مالية «روسڤيك» المتورط في إطلاق النار العرضي على الطبيب النفسي **كارل سيجر**. الآن هو في طريقه لمقابلة **إليانور هيورت**، المرأة التي كانت مخطوبة لسيجر حينها.

قال:

— «شكرًا يا صوفي. نتحدث لاحقًا. أنا ذاهب لاجتماع الآن.»

— «حسنًا، يمكننا التعامل مع الأمر لاحقًا.»

— «التعامل مع ماذا؟»

— «طلبت مني **إريكا** التحقق من شيء لك.»

— «أوه نعم. هل وجدتِ شيئًا؟»

— «علي حسب.»

— «ماذا تعنين بـ "علي حسب"؟»

— «لا يوجد شيء غير لائق في الملفات الشخصية لـ **هيرمان** و**فيفيكا مانهايمر**.»

— «كنت سأتفاجأ لو وجد. أنا مهتم أكثر بملف ليو. قد يكون متبنى، أو ربما هناك شيء حساس أو غير عادي في خلفيته.»

— «في الواقع وثائقه تبدو مرتبة ومنظمة. تنص بوضوح على أنه ولد في أبرشية "فاسترليد"، حيث عاش والداه وقت ولادته. العمود ٢٠،

المعنون بـ "الآباء أو الأطفال بالتبني وما إلى ذلك"، فارغ. لا شيء محجوب أو معلن سريته. كل شيء يبدو طبيعيًا. كل أبرشية عاش فيها أثناء نشأته مدرجة بانتظام. لا شيء يبرز على الإطلاق.»

— «لكن ألم تقولي "علي حسب"؟»

— «دعني أصغها هكذا: فكرت أنه قد يكون ممتعًا إلقاء نظرة على ملفي الشخصي، بما أنني في أرشيف المدينة على أي حال، فطلبته ودفعت الثماني كرونات، وقررت عدم المطالبة بها من ميلينيوم.»

— «يا لكِ من كريمة.»

— «الشيء هو، أنا أكبر من ليو بثلاث سنوات فقط. لكن ملفي يبدو مختلفًا تمامًا.»

— «بأي طريقة؟»

— «ليس مرتبًا. قراءته جعلتني أشعر بأنني عجوز حقًا. هناك عمود، العمود ١٩، حيث سُجلت التواريخ والتفاصيل الأخرى كلما انتقلت ونُقلت لأبرشية أخرى. لا أعرف من يكتب تلك المدخلات، موظفون حكوميون أخمن. لكنها فوضى عارمة. أحيانًا الملاحظات مكتوبة باليد، وأحيانًا مطبوعة. بعض المعلومات مختومة، وحينها ليست دائمًا مستقيمة، وكأنهم واجهوا صعوبة في محاذاتها بشكل صحيح. لكن في ملف ليو كل شيء مثالي، كل شيء متسق، ومملوء بنفس نوع الآلة أو الحاسوب.»

— «وكأن شخصًا ما أعاد تشكيله؟»

— «حسنًا...» قالت صوفي. «لو سألني شخص آخر أو لو صادفت ملفه بالصدفة، لما خطرت الفكرة ببالي أبدًا. لكنك تجعلنا جميعًا مرتابين بعض الشيء، كما تعلم يا ميكائيل. معك، نشم رائحة خديعة. لذا نعم، مع وضع كل ذلك في الاعتبار، لا أستبعد أن الملف أعيدت كتابته بعد الواقعة. ما الأمر؟»

— «لا أعرف بعد. لم تقولي من أنتِ، أليس كذلك يا صوفي؟»

– «استفدت من حقي في البقاء مجهولة الهوية، كما اقترحت إريكا، ولحسن الحظ لست مشهورة مثلك.»

– «عظيم. اعتنِ بنفسك الآن، وشكرًا!»

أنهى المكالمة ونظر بكآبة عبر ساحة «كونجشولمس». كان يومًا رائعًا، مما زاد الأمور سوءًا. تابع نزولاً إلى العنوان الذي أُعطي له —— «نور مالارستراند ٣٢» —— حيث تعيش إليانور هيورت، خطيبة كارل سيجر السابقة، مع ابنتها ذات الخمسة عشر عامًا. هذه الأيام تعمل مديرة في صالات مزاد «بوكوفسكي»، تبلغ من العمر اثنين وخمسين عامًا، ومطلقة منذ ثلاث سنوات ونشطة في عدد من المنظمات غير الربحية. تدرب أيضًا فريق كرة السلة لابنتها. بوضوح امرأة نشيطة.

نظر بلومكفيست لأسفل نحو بحيرة «مالارين»، التي كانت ساكنة بلا ريح، وعبر إلى شقته على الجانب الآخر من الماء. كان الحر خانقًا وشعر باللزوجة والثقل وهو يدخل الرمز ويستقل المصعد للطابق العلوي. رن الجرس ولم يضطر للانتظار طويلاً.

بدت إليانور هيورت شابة بشكل مدهش. شعرها قصير، وعيناها بنيتان داكنتان جميلتان، وندبة صغيرة أسفل منبت الشعر. كانت ترتدي سترة سوداء وبنطالاً رماديًا، ومنزلها ممتلئ بالكتب واللوحات. بينما كانت تقدم الشاي والبسكويت لبلومكفيست بدت متوترة. قرقعت الأكواب والأطباق وهي تضعها على طاولة بين أريكة زرقاء فاتحة ومقعدين مطابقين. استقر بلومكفيست في أحدهما، تحت لوحة زيتية صارخة الألوان لمدينة البندقية.

قالت:

– «يجب أن أقول، أنا مندهشة لأنك تثير هذه القصة مرة أخرى بعد كل هذه السنوات.»

— «أتفهم تمامًا، وآسف إن كنت أنكأ جراحًا قديمة. لكني أود معرفة المزيد قليلاً عن كارل.»

— «لماذا هو موضع اهتمام فجأة؟»

تردد بلومكفيست وقرر أن يكون صادقًا:

— «أتمنى لو كنت أستطيع القول. ربما هناك في موته أكثر مما تراه العين. شيء ما لا يبدو صحيحًا تمامًا.»

— «ماذا تعني، بشكل أكثر تحديدًا؟»

— «لا يزال الأمر حدسًا في الغالب. ذهبت لأوبسالا وقرأت كل إفادات الشهود، ولا يوجد في الواقع شيء متناقض أو غريب بشأنها باستثناء، حسنًا، تحديدًا أنه لا يوجد شيء غريب بشأنها. إذا تعلمت شيئًا على مر السنين، فهو أن الحقيقة عادة ما تكون غير متوقعة قليلاً، أو حتى غير منطقية، بما أننا نحن البشر لسنا عقلانيين تمامًا. بينما الأكاذيب، كقاعدة، تميل لأن تكون متسقة وشاملة وغالبًا ما تبدو ككليشيه ــــ خاصة إذا لم يكن الكاذبون بارعين جدًا.»

— «إذن التحقيق في وفاة كارل كليشيه.» قالت. «هل هذا هو الأمر؟»

— «القصة كلها متماسكة بشكل جيد أكثر من اللازم.» قال بلومكفيست. «لا توجد تناقضات كافية، وقليل جدًا من التفاصيل التي تبرز حقًا.»

— «هل لديك أي شيء لتخبرني به لا أعرفه مسبقًا؟»

بدت نبرة إليانور هيورت ساخرة تقريبًا.

— «يمكنني إضافة أن الرجل الذي يُفترض أنه أطلق النار، **بير فالت**ــــ»

قاطعته هيورت وأكدت له أنها تكن كل الاحترام لمهنته وقوة ملاحظته. لكن فيما يتعلق بهذا التحقيق، لا يوجد شيء يمكنه تعليمها إياه.

قالت:

– «لقد قرأته مائة مرة. كل الأشياء التي تتحدث عنها شعرت بها كطعنات في الظهر. ألا تظن أنني صرخت وشتمت هيرمان وألفرد أوجرين ـــ "ماذا تخفون أيها الأوغاد؟!" بالطبع فعلت!»

– «وبمَ أجابوكِ؟»

– «بابتسامات متسامحة وكلمات رقيقة. "نتفهم أن الأمر ليس سهلاً. نحن آسفون للغاية..." لكن بعد فترة، حين لم أستسلم، هددوني. أخبروني أن ألزم حدودي. كانوا رجالاً أقوياء وتلميحاتي أكاذيب وافتراء، وهم يعرفون محامين جيدين وكل ذلك. كنت أضعف وأكثر حزنًا من أن أستمر في الجدال. كان كارل حياتي. كنت محطمة ولم أستطع الدراسة، أو العمل، أو التعامل مع أكثر الروتينات اليومية بساطة.»

– «أتفهم.»

– «لكن الشيء الغريب كان ـــ وهو أيضًا السبب في أنني أجلس هنا معك اليوم، رغم كل شيء ـــ من تظن أنه واساني أكثر من أي شخص آخر، أكثر من أبي وأمي وأخواتي وأصدقائي؟»

– «ليو؟»

– «بالضبط، ليو الصغير المحبوب. كان لا يواسى مثلي تمامًا. جلسنا في المنزل الذي تشاركته أنا وكارل في شارع جرونفيكسفاجن وبكينا وصببنا جام غضبنا على العالم وأولئك الأوغاد الملعونين في الغابة، وعندما صرخت وانتحبت "لم يتبقَّ مني سوى النصف الآن"، قال الشيء نفسه. كان مجرد طفل. لكننا اتحدنا في حزننا.»

– «لماذا كان كارل يعني له الكثير؟»

– «كانا يريان بعضهما كل أسبوع في عيادة كارل. لكن كان هناك أكثر من ذلك، بالطبع. نظر ليو لكارل ليس كمعالج فحسب، بل كصديق، ربما

الشخص الوحيد في العالم كله الذي فهمه، ومن جانبه أراد كارل...» تلاشى صوتها.

– «ماذا؟»

– «مساعدة ليو، وجعله يفهم أنه فتى موهوب بشكل هائل ولديه إمكانات استثنائية، ثم بالطبع... لن أتظاهر بأن هذا لم يكن عاملاً أيضًا: أصبح ليو مهمًا لأبحاث كارل، لأطروحته للدكتوراه.»

– «كان ليو يعاني من احتداد السمع.»

نظرت هيورت لبلومكفيست بدهشة وقالت:

– «نعم، كان ذلك جزءًا من الأمر. أراد كارل اكتشاف ما إذا كان ذلك يساهم في عزلة الصبي، وما إذا كان ليو يرى العالم بشكل مختلف عن بقيتنا. لكن لا تظن أن كارل كان ساخرًا. كانت هناك رابطة بينهما لم أفهمها حتى أنا.»

قرر بلومكفيست المخاطرة.

– «كان ليو متبنى، أليس كذلك؟»

أفرغت إليانور هيورت كوب الشاي ونظرت للشرفة على يسارها. قالت:

– «ربما.»

– «لماذا تقولين ذلك؟»

– «لأنه أحيانًا كان لدي انطباع بأن هناك شيئًا حساسًا بشأن خلفيته.»

قرر بلومكفيست المخاطرة مرة أخرى:

– «هل كان لليو أصول من الرحّل؟»

رفعت هيورت نظرها، وعيناها مثبتتان بتركيز.

– «مضحك أن تقول ذلك.»

– «لماذا؟»

– «لأنني أتذكر... دعا كارل ليو وأنا للغداء في دروتنينغهولم.»

– «ماذا حدث؟»

– «لا شيء يذكر، لكني أتذكره رغم ذلك. كنت أنا وكارل في حالة حب عميقة. لكن أحيانًا شعرت وكأنه يخفي أسرارًا عني — ليس فقط أسرارًا مهنية من عمله العلاجي — وربما كان ذلك أحد أسباب غيرتي الشديدة. كان ذلك الغداء إحدى تلك المناسبات.»

– «إحدى أي مناسبات؟»

– «كان ليو منزعجًا لأن شخصًا ما نعتَه بـ "الغجري"، وبدلاً من قول "أي نوع من الحمقى يدعوك بذلك؟" مباشرة، ألقى كارل محاضرة كمدرس وشرح أن "غجري" مصطلح عنصري ومن بقايا عصور مظلمة. أومأ ليو وكأنه سمع كل ذلك من قبل. رغم كونه طفلاً، كان يعرف بالفعل عن مجتمع الرحّل وقرابتهم بشعب الروما، وعن اضطهادهم — التعقيم القسري، وجراحات الفص الجبهي، وحتى التطهير العرقي في بعض الأبرشيات. بدا الأمر... بطريقة ما... مفاجئًا لصبي مثله.»

– «وماذا حدث؟»

– «لم يحدث شيء، ولا شيء لعين واحد. تجاهل كارل الأمر حين سألته لاحقًا. ربما كان سريًا بسبب علاقة المعالج والمريض، لكن بالنظر للسياق الأوسع شعرت أنه يخفي عني أمورًا. تلك الحادثة لا تزال توخزني كشوكة أحيانًا.»

– «هل كان أحد أولاد ألفرد أوجرين هو من نعت ليو بالغجري؟»

– «كان إيفار، الأصغر، الذي جاء متأخرًا. الوحيد الذي سار على خطى والده. هل تعرفه؟»

– «قليلاً. كان لئيمًا، أليس كذلك؟»

– «لئيمًا بجدية.»

– «ولمَ ذلك؟»

– «أفترض أن المرء يتساءل دائمًا. بالتأكيد كانت هناك منافسة منذ الأيام الأولى، ليس بين الأولاد فحسب بل بين آبائهم أيضًا. كوسيلة للتفوق على بعضهم البعض، وضع هيرمان وألفرد ابنيهما في مواجهة لمعرفة أيهما أذكى، أو أكثر جرأة. كان إيفار يأتي دائمًا أولاً كلما كانت القوة البدنية هي المعيار. وكان ليو الأفضل في كل ما يتعلق بالعقل، ولابد أن ذلك سبب الكثير من الحسد. عرف إيفار عن احتداد سمع ليو. لكن بدلاً من مراعاة ذلك، كان يوقظه خلال فصول الصيف في "فالستيربو" برفع صوت الستيريو لمستويات جنونية. مرة اشترى كيس بالونات نفخها ثم فرقعها واحدة تلو الأخرى خلف ظهر ليو حين كان لا يتوقع ذلك. عندما سمع كارل بالأمر، أخذ إيفار جانبًا وصفعه. جن جنون ألفرد أوجرين.»

– «إذن كان هناك بعض العدوان ضد كارل في الدائرة الأوسع حول العائلة؟»

– «بالتأكيد. لكن سأقول إن والدي ليو دافعا دائمًا عن كارل. عرفا مدى أهميته لابنهما. لهذا السبب في النهاية تصالحت — أو حاولت التصالح — مع فكرة أن إطلاق النار كان حادثًا. هيرمان مانهايمر لم يكن ليقتل أبدًا أفضل صديق لابنه.»

– «كيف اتصل كارل بالعائلة أول مرة؟»

– «من خلال جامعته. كان التوقيت مثاليًا. سابقًا، لم تفعل المدارس شيئًا على الإطلاق للأطفال الموهوبين بشكل استثنائي. تمييزهم كان يُرى على أنه يتعارض مع المثل السويدي للمساواة. كما افتقرت المدارس للقدرة على تحديدهم وفهمهم. العديد من التلاميذ الأذكياء كانوا يفتقرون للتحفيز لدرجة أنهم أصبحوا مشاغبين ووُضعوا في فصول تلبي الاحتياجات التعليمية الخاصة. يبدو أنه كان هناك عدد كبير بشكل غير متناسب من الأطفال الموهوبين في الرعاية النفسية. كره كارل ذلك، وحارب من أجل أولئك الفتيان والفتيات. قبل بضع سنوات فقط وُصف بالنخبوية. ثم بدأ

يُعين في لجان حكومية. تعرف على هيرمان مانهايمر من خلال مشرفته، **هيلدا فون كانتربورج**.»

انتفض بلومكفيست.

— «من هي هيلدا فون كانتربورج؟»

قالت هيورت:

— «كانت أستاذة مشاركة في كلية علم النفس ومشرفة أكاديمية لاثنين أو ثلاثة من طلاب الدكتوراه. كانت شابة، لا تكبر كارل بكثير، وكان متوقعًا لها مستقبل باهر. لهذا السبب من المأساوي جدًا أنها...»

— «هل هي ميتة؟»

— «ليس حسب علمي. لكن انتهى بها الأمر بسمعة سيئة. سمعت أنها أصبحت مدمنة كحول.»

— «لماذا السمعة السيئة؟»

للحظة، بدت هيورت غير مركزة. ثم نظرت مباشرة في عيني بلومكفيست.

— «كان ذلك بعد وفاة كارل، لذا ليس لدي معرفة داخلية. لكن شعوري هو أنه كان ظلمًا كبيرًا.»

— «بأي طريقة؟»

— «أنا متأكدة أن هيلدا لم تكن أسوأ من أي أكاديمي ذكر لديه بعض التبجح. التقيتها بضع مرات مع كارل، وكانت ذات كاريزما لا تصدق، تجذبك عيناها ببساطة. يبدو أنها كانت تخوض كل أنواع العلاقات، بما في ذلك مع اثنين أو ثلاثة من طلابها. لم يكن ذلك جيدًا، لكنهم كانوا جميعًا بالغين وكانت محبوبة وذكية ولم يمانع أحد كثيرًا، ليس في البداية. كانت هيلدا نهمة فقط. نهمة للحياة، لصداقات جديدة — وللرجال. لم تكن خبيثة ولا شريرة، كانت ببساطة فوضوية.»

— «إذن ماذا حدث؟»

— «لست متأكدة تمامًا. كل ما أعرفه هو أن إدارة الجامعة أحضرت طالبين زعما —— أو بالأحرى ألمحا، بشكل غامض نوعًا ما —— أن هيلدا باعت نفسها لهما. بدا الأمر رخيصًا جدًا —— وكأنهم لم يستطيعوا التفكير في شيء أفضل من جعلها عاهرة. ماذا تفعل؟»

دون أن يدرك، نهض بلومكفيست وكان يبحث في هاتفه.

— «لدي هيلدا فون كانتربورج تعيش في شارع "روتجر فوكسجاتان"، هل تظنين أنها هي؟»

— «لا يمكن أن يكون هناك الكثيرات بهذا الاسم. لماذا أنت مهتم بها فجأة؟»

قال بلومكفيست وتلاشى صوته:

— «لأن... الأمر معقد. لكنكِ كنتِ مفيدة للغاية.»

— «هل يعني هذا أنك ذاهب الآن؟»

— «نعم، فجأة أنا في عجلة من أمري. لدي شعور بأن...»

لم يكمل تلك الجملة أيضًا. ثم اتصلت مالين، وبدت مضطربة بقدره على الأقل. قال إنه سيعاود الاتصال بها. صافح إليانور هيورت، وشكرها وركض نزولاً على الدرج. في الشارع اتصل بهيلدا فون كانتربورج.

***

ديسمبر، قبل عام ونصف

ما الذي يمكن غفرانه، وما الذي لا يمكن؟ كثيرًا ما ناقش ليو مانهايمر وكارل سيجر هذا الأمر. كانت أسئلة مهمة لكليهما، لكن بطرق مختلفة. في الغالب كان موقفهما كريمًا: يمكن غفران معظم الأشياء، حتى تنمر إيفار. في الوقت الحالي تصالح ليو معه. لم يكن إيفار يعرف أفضل من ذلك، كان خبيثًا بنفس الطريقة التي يكون بها الآخرون خجولين أو غير

موسيقيين. كان فهمه لمشاعر الآخرين ضئيلاً كفهم شخص ذي أذن صماء للنغمات والألحان. تساهل ليو معه، وأحيانًا كان يُكافأ بتربيتة ودية على الكتف، أو نظرة تواطؤ. كثيرًا ما طلب إيفار نصيحته، ربما لمصلحة ذاتية، لكن مع ذلك... أحيانًا كان يمتدحه بمديح ملغوم: «لست غبيًا جدًا في النهاية يا ليو!»

دمر زواج إيفار من مادلين بارد كل ذلك. قذف بليو في كراهية لم يستطع أي قدر من العلاج شفاءها أو كبحها. ولم يقاومها أيضًا. رحب بها كحمى، كعاصفة. كانت الأسوأ في الليل أو في ساعات الفجر الأولى. حينها كان عطش الانتقام يدق في صدغيه وقلبه. تخيل عمليات إطلاق نار وحوادث أخرى، ذلاً اجتماعيًا، أمراضًا، طفحًا جلديًا بشعًا. حتى إنه ثقب صورًا واستخدم قوة التفكير لمحاولة جعل إيفار يسقط من شرفات وتراسات. تأرجح على حافة الجنون. لكن لم ينتج عن ذلك شيء، سوى أن إيفار أصبح يقظًا وقلقًا وربما بدأ يخطط لشيء بنفسه. مر الوقت وكان الوضع يتحسن أحيانًا، ويسوء أحيانًا أخرى.

كان الثلج يتساقط والبرد استثنائيًا. كانت والدته على فراش الموت. جلس معها ثلاث أو أربع مرات أسبوعيًا وحاول أن يكون ابنًا صالحًا ومواسيًا. لكن الأمر لم يكن سهلاً. لم يجعلها مرضها ألين. قشر المورفين طبقة أخرى من ضبط النفس، وفي مناسبتين منفصلتين وصفته بالضعيف: قالت:

— «كنت دائمًا خيبة أمل يا ليو.»

لم يجبها عندما كانت والدته هكذا، لكنه حلم بمغادرة البلاد للأبد. لم يكن يرى الكثير من الناس باستثناء مالين فرود، التي تتم إجراءات طلاقها وعلى وشك ترك الشركة. لم يصدق ليو قط أنها تحبه، لكن كان من اللطيف مجرد التواجد معها. ساعدا بعضهما خلال وقت عصيب وضحكا معًا، حتى وإن لم يختفِ الغضب والتخيلات حتى حينها. في أوقات معينة

أصبح ليو خائفًا بصدق من إيفار. تخيل أنه مراقب، ويُتجسس عليه. لم يعد لديه أي أوهام. كان إيفار قادرًا على أي شيء تقريبًا.

شعر ليو أنه هو أيضًا قادر على أي شيء تقريبًا. ربما سيرمي بنفسه على إيفار يومًا ما ويصيبه إصابة بالغة. إما ذلك أو أنه سيقع في كمين. حاول تجاهل الأمر كله كبارانويا وحماقة، لكن الشعور لم يذهب. ظل يسمع خطوات خلفه، ويشعر بعيون على ظهره. تخيل شخصيات تشبه الظل في الأزقة وعلى نواصي الشوارع، وعدة مرات في حديقة «هومليجاردن» وجد نفسه يلتفت فجأة لينظر، لكنه لم يرَ شيئًا غير عادي قط.

في يوم الجمعة، ١٥ ديسمبر، كان الثلج يهطل بغزارة غير مسبوقة. كانت زينة عيد الميلاد تتلألأ في الشوارع وذهب للمنزل مبكرًا. غير ملابسه لجينز وسترة صوفية ووضع كأس نبيذ أحمر على البيانو الكبير. كان من نوع «بوسندورفر إمبريال» بسبعة وتسعين مفتاحًا. قام بتركيبه بنفسه كل اثنين. كرسي البيانو كان من الجلد الأسود ماركة «جانسن»، جلس وعزف مقطوعة جديدة بدأها بمقام دوري مسطح، وفي نهاية كل عبارة هبط على النغمة السابعة، منتجًا صوتًا مشؤومًا وحزينًا في آن واحد. عزف لفترة طويلة ولم يسمع شيئًا آخر، ولا حتى الخطوات في بئر السلّم. كان غارقًا في التركيز. لكنه التقط شيئًا غريبًا لدرجة أنه ظن لفترة أنه من نسج خياله المحموم، نتيجة لسمعه المفرط الحساسية. ومع ذلك بدا حقًا وكأن شخصًا يرافقه على جيتار. توقف عن العزف وذهب للباب الأمامي. فكر في النداء عبر فتحة الرسائل. بدلاً من ذلك فتح القفل والباب، وعندها كان الأمر وكأنه قطع صلته بالواقع.

-١١-

٢٠ يونيو

في وحدة الحراسة المشددة، كانت السجينات قد أنهين عشائهن وغادرن قاعة الطعام. بعضهن توجّهن للتريض. اثنتان أو ثلاث كنّ يدخنّ ويثرثرن في ساحة التريض. أخريات كنّ مسمّرات أمام فيلم —— «أوشنز إيليفن». والبقية كنّ يجُلن صعودًا وهبوطًا في الممر وغرف الاستراحة، أو يتحدثن بأصوات خافتة في زنازين بعضهن البعض والأبواب مفتوحة على مصراعيها. كان يمكن أن يكون يومًا عاديًا كأي يوم. لكن شيئًا لن يعود كما كان أبدًا.

لم يكن عدد الحراس أكبر من المعتاد فحسب، بل فُرض حظر على الزيارات والمكالمات الهاتفية، وكان الجو أشد حرارة واختناقًا من ذي قبل. أجرى **ريكارد فاغر**، مدير السجن، جولة تفقدية، فزاد توتر الحراس، المتأثرين أصلاً بجو السجينات.

كان الهواء يرتجف بإحساس بالتحرر. مشى الناس وابتسموا بحس جديد بالحرية. أصبحت الجلبة العامة الآن أخف وأكثر حيوية، ولم تعد مشحونة بالخوف والقلق. من ناحية أخرى، كان هناك عدم يقين، ودليل على فراغ في السلطة. بدا الأمر وكأن طاغية قد سقط. قلة قليلة —— وكانت **تاين جرونلوند** واحدة منهن —— بدت خائفة من التعرض لهجوم من الخلف. في كل مكان، كان الناس يناقشون ما حدث وما سيحدث بعد ذلك.

وحتى لو كان معظمه أساطير وإشاعات، إلا أن السجينات كنّ يمتلكن معلومات أكثر من الحراس. الكل كان يعرف أن **سالاندر** هي من حطمت

فك **بينيتو**، والكل كان يعرف أن حياتها في خطر شديد. سرت شائعات بأن أقارب لسالاندر قد قُتلوا بالفعل وأن الانتقام سيكون رهيبًا، خاصة وأن بينيتو قيل إنها شُوهت مدى الحياة. كان من المعروف أن هناك ثمنًا لرأس **فاريا كازي**، وهمس بأن المكافأة مقدمة من إسلاميين أثرياء، بل ومشايخ.

كنّ يعلمن جميعًا أن بينيتو ستُنقل لسجن جديد مباشرة من المستشفى، بمجرد أن تسمح حالتها بذلك، وأن تغييرات كبيرة في الطريق. مجرد وجود مدير السجن في المكان أوحى بذلك. كان فاغر الشخص الأكثر كرهًا في المكان — إذا استثنيت النساء في المبنى «ج» اللواتي قتلن أطفالهن. لكن لمرة واحدة، نظرت إليه السجينات ليس بعداء فحسب، بل ببعض الأمل أيضًا. من يدري، ربما تخف الأمور الآن بعد رحيل بينيتو؟

نظر فاغر لساعته ولوّح بيده متجاهلاً إحدى السجينات التي جاءت تشكو الحر. كان فاغر في التاسعة والأربعين من عمره، وسيمًا، لكن بتعبير صارم وفارغ. كان يرتدي بدلة رمادية، وربطة عنق حمراء، وحذاء «ألدن» مصقولاً. ورغم أن إدارة السجون كانت تميل لارتداء ملابس بسيطة لتجنب الاستفزاز، إلا أنه فعل العكس تمامًا لتعزيز سلطته. اليوم ندم على ذلك. سال العرق على جبينه وشعر بعدم الارتياح في سترته الضيقة. التصقت ساقا بنطاله بفخذيه. تلقى مكالمة عبر الاتصال الداخلي.

بعدها، أومأ بشفتين مضمومتين وذهب لرئيسة الحرس بالنيابة **ليندفورس** وهمس شيئًا في أذنها. ثم مضى في اتجاه الزنزانة رقم سبعة، حيث كانت سالاندر في العزل الانفرادي منذ مساء الأمس.

كانت سالاندر على مكتبها تجري بعض الحسابات على جانب معين مما يسمى «حلقات ويلسون»، التي أصبحت مركزية بشكل متزايد في جهودها لصياغة نظرية الجاذبية الكمومية الحلقية، حين دخل فاغر وليندوفورس زنزانتها. لكنها لم ترَ سببًا لرفع نظرها أو مقاطعة عملها. لم تلاحظ أن مدير السجن نكز ليندفورس، دافعًا إياها لإعلان وصوله.

قالت ليندفورس بصوت صارم ونظرة اشمئزاز:

— «مدير السجن هنا للتحدث معكِ.»

عندها فقط التفتت سالاندر. لاحظت أن فاغر ينفض شيئًا عن أكمام سترته، وكأنه يخشى أنه التقط بعض القذارة في الزنزانة بالفعل.

تحركت شفتاه بشكل شبه غير محسوس وضيق عينيه. بدا وكأنه يحاول قمع تكشيرة. من الواضح أنه لم يحبها، وهذا ناسبها تمامًا. هي أيضًا لم تكترث له. لقد قرأت الكثير من رسائله الإلكترونية.

قال:

— «لدي أخبار جيدة.»

لم تقل سالاندر شيئًا.

كرر:

— «أخبار جيدة.»

ظلت صامتة، وبدا أن ذلك يزعج فاغر.

قال:

— «هل أنتِ صماء أم ماذا؟»

— «لا.»

نظرت لأسفل نحو الأرض.

قال:

— «آه، حسنًا، هذا جيد. اسمعي، بقي لكِ تسعة أيام. لكننا سنطلق سراحكِ صباح الغد. سيستجوبكِ قريبًا كبير المفتشين **جان بوبلانسكي** من شرطة ستوكهولم، ونود منكِ أن تكوني متعاونة.»

— «لم تعودوا تريدونني هنا؟»

— «الأمر لا علاقة له بما نريده أو لا نريده، لدينا تعليماتنا، كما أكد الموظفون...»

بدا فاغر يجد صعوبة في إخراج الكلمات.

– «... أنكِ تصرفتِ بشكل جيد، وهذا يكفي للإفراج المبكر.»

قالت:

– «لم أتصرف بشكل جيد.»

– «ألم تفعلي؟ لقد تلقيت تقارير...»

– «تجميل فارغ للواقع، أنا متأكدة. مثل تقاريرك الخاصة.»

– «ماذا تعرفين عن تقاريري؟»

كانت سالاندر لا تزال تنظر للأرض وكانت إجابتها واقعية، وكأنها تقرؤها بصوت عالٍ:

– «أعرف أنها سيئة الكتابة ومطولة. غالبًا ما تستخدم حروف الجر الخاطئة وأسلوبك متكلف. لكن الأهم من ذلك أنها متملقة وجاهلة، وأحيانًا غير صادقة. تحجب معلومات تلقيتها بوضوح. أقنعت مجلس مصلحة السجون بأن وحدة الحراسة المشددة مكان رائع، وهذا أمر خطير يا ريكارد. إنه أحد العوامل التي جعلت وقت فاريا كازي هنا جحيمًا. كاد يكلفها حياتها، وهذا يجعلني غاضبة جدًا.»

فغر فاغر فاه وارتعشت شفتاه. نضب الدم من وجهه. لكنه تمكن من النحنحة وقال بشكل غير مترابط:

– «ماذا تقولين يا فتاة؟ ماذا تعنين؟ هل رأيتِ بعض الوثائق الرسمية إذن؟»

– «قد يكون بعضها رسميًا، نعم.»

بدا فاغر بالكاد واعيًا بما يقول:

– «أنتِ تكذبين!»

– «أنا لا أكذب. لقد قرأتها وليس من شأنك كيف.»

اهتز جسده كله.

– «أنتِ...»

– «ماذا؟»

بدا فاغر غير قادر على إيجاد شيء مناسب.

صرخ بدلاً من ذلك:

– «فقط تذكري أن قرار إطلاق سراحكِ يمكن إلغاؤه في أي وقت.»

– «إذن هيا، ألغه. هناك شيء واحد فقط يهمني.»

ظهر العرق على شفة فاغر العليا.

قال بحذر:

– «وماذا عسى أن يكون ذلك؟»

– «أن تحصل فاريا كازي على الدعم والمساعدة وتُحفظ في أمان مطلق حتى يتمكن محاميها، **أنيكا جيانيني**، من إخراجها من هنا. بعد ذلك ستحتاج لحماية الشهود.»

زمجر فاغر:

– «لستِ في وضع يسمح لكِ بطلب أي شيء!»

قالت:

– «هنا أنت مخطئ. أنت، من ناحية أخرى، لا ينبغي أن تكون في أي منصب على الإطلاق. أنت كاذب ومنافق، وسمحت لعضو عصابة بالسيطرة على أهم وحدة في سجنك.»

تلعثم:

– «لا أظن أنكِ تعرفين عما تتحدثين.»

– «لا يهمني ما تظنه. لدي الدليل. كل ما أحتاج معرفته هو ماذا ستفعل بشأن فاريا كازي.»

كانت نظرته غير مستقرة.

قال:

– «لا تقلقي، سنهتم بها.»

بدا محرجًا مما يقول، وأضاف بنبرة مشؤومة:

– «تعرفين أن فاريا كازي ليست الشخص الوحيد الذي يتلقى تهديدات خطيرة.»

قالت:

– «اخرج.»

– «أنا أحذركِ. لن أتسامح...»

– «اخرج!»

ارتعشت يد فاغر اليمنى. ارتعشت شفتاه، ولثانية أو اثنتين وقف كالمشلول. من الواضح أنه أراد قول المزيد، لكنه استدار وأمر ليندفورس بالإغلاق. ثم صفق الباب بعنف ودوت خطواته الثقيلة في الممر.

سمعتها فاريا كازي وفكرت في سالاندر. في مخيلتها، ظلت ترى سالاندر تهاجم وبينيتو تنهار على الأرضية الخرسانية. بالكاد استطاعت التركيز على أي شيء آخر. المشهد يُعاد مرارًا وتكرارًا في أفكارها. أحيانًا كان يثير تداعيات، لأحداث أدت إلى جلوسها الآن في السجن.

تذكرت كيف كانت مستلقية في غرفتها بسيكلا بعد أيام قليلة من المحادثة الهاتفية المسروقة مع جمال، تقرأ قصائد لـ **طاغور**. أطل **بشير** حوالي الثالثة عصرًا ذلك اليوم وزمجر بأن الفتيات لا ينبغي أن يقرأن لأن ذلك لا يحولهن إلا لعاهرات ومهرطقات، ثم صفعها. لكن لمرة واحدة لم تشعر بالغضب ولا بالذل. في الواقع استمدت قوة من تلك الضربة. نهضت وذرعت الشقة، نادرًا ما ترفع عينيها عن شقيقها الأصغر **خليل**.

في تلك الظهيرة غيرت خططها كل دقيقة. فكرت في أن تطلب من خليل السماح لها بالخروج من الشقة حين لا ينظر أحد. ستجعله يتصل بالخدمات الاجتماعية، الشرطة، مدرستها القديمة. أو يمكنه الاتصال بصحفي أو بالإمام **فردوسي**، أو عمتها **فاطمة**. ستخبره أنه إذا لم يساعدها، ستقطع شرايينها.

لكنها لم تقل أيًا من تلك الأشياء. قبيل الخامسة مساءً نظرت في خزانتها. لم يكن هناك الكثير سوى الحجاب والملابس المنزلية. الفساتين والتنانير قُطعت أو أُلقيت منذ زمن بعيد. لكن لا يزال لديها بنطال جينز وبلوزة سوداء. ارتدتهما مع حذاء رياضي وذهبت للمطبخ، حيث كان بشير يجلس مع **أحمد**. حدقا فيها بريبة قبل أن يشيحا بوجهيهما. أرادت أن تصرخ وتحطم كل كأس وصحن هناك. لكنها وقفت ساكنة واستمعت لخطوات تتجه نحو الباب الأمامي. خطوات خليل. ثم تصرفت بسرعة البرق، وكأنها لا تصدق تمامًا ما تفعله، وسحبت سكين مطبخ من درج، وأخفته تحت بلوزتها قبل أن تهرع خارجة من المطبخ.

كان خليل يقف عند الباب الأمامي ببدلته الرياضية الزرقاء، يبدو بائسًا وضائعًا. لابد أنه سمع خطواتها، لأنه عبث بتوتر بالمفتاح في قفل الأمان. كانت فاريا تلهث. قالت:

— «يجب أن تخرجني يا خليل. لا أستطيع العيش هكذا. أفضل أن أقتل نفسي.»

التفت خليل وأعطاها نظرة من التعاسة لدرجة أنها تراجعت. وفي اللحظة نفسها، سمعت بشير وأحمد يدفعان كرسييهما في المطبخ. سحبت سكينها وقالت بهدوء:

— «تظاهر أنني هددتك يا خليل، افعل ما تريد. فقط أخرجني!»

— «سيقتلونني.» قال، وعندها ظنت أن كل شيء انتهى.

لن ينجح الأمر. كان ذلك ثمنًا باهظًا جدًا. اقترب بشير وأحمد، واستطاعت أيضًا سماع أصوات تصعد السلم. كان هذا هو. كانت متأكدة أنها فشلت. ومع ذلك... ووجهه لا يزال صورة للحزن، فتح خليل الباب، فأسقطت السكين على الأرض وركضت. تفادت والدها **ورازان** في الممر وهرعت نزولاً على الدرج ولفترة لم تسمع شيئًا، سوى أنفاسها وخطواتها. ثم دوت أصوات من الأعلى. أقدام ثقيلة غاضبة دقت خلفها والآن تذكرت

كيف كان الشعور بالهروب فعليًا. كان شعورًا غريبًا جدًا. لم تكن بالخارج لشهور. بالكاد تحركت ومن الواضح أنها لم تكن في أي لياقة. لكن بدا وكأنها تُحمل على رياح الخريف والبرد المنعش.

ركضت كما لم تركض من قبل، هنا وهناك بين المنازل، على طول الواجهة المائية في «هاماربيامن» ثم صعودًا مرة أخرى على طول الشوارع فوق الجسر إلى «رينغفاغن». هناك قفزت على حافلة أخذتها إلى «فاساستان»، حيث واصلت الركض، ومرة أو مرتين فقدت توازنها وسقطت. كانت كوعاها تنزفان بحلول الوقت الذي دخلت فيه المدخل في شارع «أوبلاندسجاتان» وهرعت صعودًا ثلاثة طوابق.

رنت الجرس ووقفت هناك، وتذكرت سماع خطوات بالداخل. صلت وأملت وأغمضت عينيها. ثم فُتح الباب وشعرت بالرعب. كان جمال شودري يرتدي روب استحمام رغم أنه منتصف النهار، وكان غير حليق وشعره أشعث وبدا مرتبكًا، بل وخائفًا. لثانية ظنت أنها أخطأت. لكن جمال كان مصدومًا فقط. بالكاد استوعب الأمر.

— «الحمد لله!» قال.

مرتجفة في كل جسدها، سقطت بين ذراعيه ولم تفلته. قادها لداخل الشقة وأغلق الباب. كان لديه قفل أمان ثقيل أيضًا، لكنه هنا جعلها تشعر بالأمان. لفترة طويلة لم ينطقا بكلمة. استلقيا متشابكين على السرير الضيق ومضت الساعات، ثم بدآ يتحدثان ويتقبلان ويبكيان، وفي النهاية مارسا الحب. ببطء، خف الضغط في صدرها، وانحسر الخوف. أصبحت هي وشودري واحدًا بطريقة لم تختبرها مع أي شخص.

لكن ما لم تكن تعرفه —— وما لم تكن لترغب في معرفته —— هو أن شيئًا ما يتغير في الشقة بسيكلا. اكتسبت العائلة عدوًا جديدًا، وكان ذلك العدو هو أخوها خليل.

***

لم يستطع بلومكفيست فهم ما تخبره به مالين. كان مركزًا لدرجة أنه بالكاد يستمع، في محاولة للوصول إلى **هيلدا فون كانتربورج**. كان في سيارة أجرة يعبر جسر «فاستربرون» في طريقه لشارع «روتجر فوكسجاتان» في «سكانستول». كان الناس يتشمسون في الحديقة بالأسفل. وقوارب بخارية تجوب خليج «ريدارفجاردن».

قالت:

– «اسمع الآن يا **ميكي**. ركز من فضلك. أنت من جرني لكل هذه الفوضى.»

– «أعرف، أنا آسف. يجب أن أتماسك. لنبدأ من البداية. الأمر يتعلق بليو جالسًا يكتب شيئًا في مكتبه، صحيح؟»

– «بالضبط، كان هناك شيء غريب في الأمر.»

– «ظننتِ أنه يكتب وصية.»

– «لم يكن ما يكتبه. بل كيف.»

– «ماذا تعنين؟»

– «كان يكتب بيده اليسرى يا ميكائيل. ليو كان دائمًا أعسر —— فجأة تذكرت ذلك بوضوح شديد. كان يكتب دائمًا بيده اليسرى. يلتقط التفاح، البرتقال، أي شيء على الإطلاق، بيده اليسرى. لكنه الآن أيمن.»

– «يبدو غريبًا بعض الشيء.»

– «إنه صحيح رغم ذلك. لابد أنه كان موجودًا بالفعل في عقلي الباطن، منذ أن رأيت ليو على التلفزيون منذ فترة. كان يقدم عرضًا تقديميًا ويمسك بجهاز التحكم بيده اليمنى.»

– «آسف يا مالين، لكن هذا لا يكفي لإقناعي.»

– «لم أنتهِ بعد. لم أولِ أهمية كبيرة لذلك أيضًا. لم أكن قد استوعبت الأمر حقًا. لكن كان هناك شيء يزعجني ولذا راقبت ليو بعناية فائقة في

فوتوجرافيسكا. كنا مقربين جدًا قرب نهاية وقتي في ألفرد أوجرين، لذا كنت على دراية تامة بإيماءاته.»

— «حسنًا.»

— «الحركات كانت نفسها تمامًا عندما ألقى حديثه في فوتوجرافيسكا، فقط بالاتجاه المعاكس. مثل كل الأيمنين، التقط زجاجة الماء بيده اليمنى، ونقلها ليساره وفك الغطاء بيمينه، ثم أمسك الكأس بيمينه أيضًا. عندها أدركت. بعد ذلك، ذهبت للتحدث معه.»

— «محادثة غير ناجحة.»

— «استطعت معرفة أنه يريد فقط التخلص مني، ثم عند البار كان يمسك كأس نبيذه بيده اليمنى. في الواقع أصابتني قشعريرة.»

— «هل يمكن أن يكون شيئًا عصبيًا؟»

— «هذا ما قاله هو بنفسه تقريبًا.»

— «ماذا؟ واجهتِه بالأمر؟»

— «ليس أنا، لكن بعد ذلك رفضت تصديق عيني. شاهدت كل مقاطع التلفزيون لليو التي وجدتها على الإنترنت. حتى إنني اتصلت وتحدثت لزملائي القدامى، لكن لم يلاحظ أي منهم شيئًا. لا أحد يبدو أنه يلاحظ أي شيء أبدًا. ثم تحدثت إلى **نينا ويست**. إنها تاجرة فوركس وذكية جدًا، ولاحظت التغيير. يمكنك تخيل مدى ارتياحي لسماع ذلك. هي من سألته عن الأمر.»

— «وماذا قال؟»

— «شعر بالحرج وبدأ يتمتم. قال إنه يستخدم كلتا يديه، وأنه قرر تغيير اليدين بعد وفاة والدته، كجزء من تحرره. وأنه يبحث عن طريقة جديدة للعيش.»

— «أليس هذا تفسيرًا جيدًا بما يكفي؟»

– «يعاني من احتداد السمع ويستخدم كلتا يديه؟ هذا يبدو كثيرًا بعض الشيء بالنسبة لي.»

نظر بلومكفيست نحو «زينكينسدام».

– «ربما، لكنه ليس مستحيلاً. لكن...» فكر لبرهة أطول. «أنتِ محقة في قول أن شيئًا لا يبدو صحيحًا في هذه القصة. لنجتمع مرة أخرى قريبًا.»

– «بالتأكيد.»

أنهيا المكالمة وتابع طريقه في اتجاه «سكانستول» وهيلدا فون كانتربورج.

***

على مر السنين، نما لدى بوبلانسكي إعجاب معين بسالاندر، لكنه لم يشعر بالراحة في وجودها. كان يعلم أنها تكره السلطة، ورغم تعاطفه، نظرًا لخلفيتها، كره التعميمات.

قال:

– «في النهاية سيتعين عليكِ البدء في الوثوق بالناس يا ليزبيث، حتى الشرطة. وإلا ستواجهين وقتًا عصيبًا.»

قالت بجفاف:

– «سأبذل قصارى جهدي.»

كان يجلس مقابلها في قسم الزوار بالمبنى «H»، يتململ. بدت شابة بشكل غريب، فكر.

– «دعيني أبدأ بتقديم أعمق تعازيّ في وفاة هولجر بالمجرين. لابد أنها كانت صدمة كبيرة. أتذكر عندما فقدت زوجتي...»

قالت:

– «تجاوز الأمر.»

– «حسنًا، لندخل في صلب الموضوع. هل لديكِ أي فكرة لماذا قد يرغب أي شخص في قتل بالمجرين؟»

رفعت سالاندر يدها لكتفها، فوق الصدر مباشرة، حيث كانت لديها جرح رصاصة قديم. بدأت تتحدث ببرود غريب جعل بوبلانسكي يشعر بعدم ارتياح شديد، لكن ما قالته كان له ميزة كونه موجزًا ودقيقًا —— حلم المحقق، بطريقة ما.

— «قبل بضعة أسابيع، تلقى هولجر زيارة من امرأة مسنة تدعى **ماي بريت توريل**، سكرتيرة سابقة للبروفيسور **يوهانس كالدين** الذي كان رئيسًا لعيادة سانت ستيفان النفسية للأطفال في أوبسالا.»

— «حيث كنتِ مريضة؟»

— «قرأت عني في الصحف، وتركت له مجموعة من الوثائق. في البداية لم يعتقد هولجر أنها تحتوي على أي شيء جديد، لكن في النهاية، اتضح أن لها آثارًا خطيرة. كانت هناك خطط لتبنّيي عندما كنت صغيرة وكنت دائمًا أعتقد أنها محاولة مضللة للمساعدة في التعامل مع المشاكل المرتبطة بأبي الوغد. لكن هذه الوثائق تثبت أنها كانت في الواقع جزءًا من تجربة علمية أنشأتها هيئة تسمى "سجل دراسات الوراثة والبيئة الاجتماعية". وجودها سر، وأزعجني أنني لم أستطع العثور على أسماء الأشخاص المسؤولين عنها. لذا اتصلت بهولجر وطلبت منه إلقاء نظرة فاحصة على تلك الوثائق. ليس لدي فكرة عما وجده. كل ما أعرفه هو أن ميكائيل بلومكفيست اتصل ليخبرني أن هولجر مات، وأنه ربما قُتل. لذا نصيحتي هي أن تتصل بماي بريت توريل. تعيش في "أسبودن". قد يكون لديها نسخ من الوثائق أو قد تكون محفوظة في مكان ما. قد يكون من الجيد أيضًا التحقق من أنها بخير من وقت لآخر.»

قال:

— «شكرًا. هذا مفيد. ماذا كانت تفعل هذه الهيئة بالضبط؟»

— «الاسم يجب أن يعطيك فكرة.»

— «الأسماء قد تكون مضللة.»

– «هناك وغد يدعى **تيليبورين**.»

– «لقد استجوبناه بالفعل.»

– «افعلوها مرة أخرى.»

– «عن ماذا يجب أن نبحث؟»

– «يمكنكم محاولة استجواب رؤساء مركز الوراثة في أوبسالا. لكني أشك أنكم ستصلون لشيء.»

– «هل يمكنكِ أن تكوني أكثر تحديدًا يا ليزبيث. ما الأمر؟»

– «عن العلم — أو بالأحرى العلم الزائف — وعن بعض الحمقى الذين تخيلوا أنهم يستطيعون دراسة تأثير البيئة الاجتماعية والوراثة بإرسال الأطفال للتبني.»

– «لا يبدو جيدًا.»

– «أعطيك درجة كاملة على البصيرة.»

– «أي أدلة أخرى؟»

– «لا.»

لم يصدقها بوبلانسكي.

– «أنا متأكد أنكِ تعرفين أن آخر كلمات هولجر كانت "تحدث إلى هيلدا فون...". هل يقرع ذلك أي جرس؟»

بالتأكيد فعل. لقد قرع جرسًا عندما اتصل بلومكفيست في اليوم السابق أيضًا. لكنها في الوقت الحالي احتفظت بذلك لنفسها. لديها أسبابها. كما أنها لم تذكر شيئًا عن ليو مانهايمر أو المرأة ذات الوحمة. أعطت إجابات مقتضبة فقط لبقية أسئلة بوبلانسكي. ثم ودعته واقتيدت عائدة لزنزانتها. في التاسعة صباح اليوم التالي ستغادر فلودبيرجا. افترضت أن فاغر حريص على التخلص منها.

-١٢-

٢٠ يونيو

كانت **راكيل جريتز**، كعادتها، غير راضية عن عمل عمال النظافة. كان يجب عليها إعطاء تعليمات أكثر حزمًا. والآن عليها أن تمسح وتجفف بنفسها، وتسقي نباتاتها المنزلية، وترتب الكتب، والكؤوس، والأكواب. لا يهم أنها تشعر بالغثيان وأن شعرها يتساقط خصلات. جزّت على أسنانها. كان لديها الكثير لتفعله.

قرأت مرة أخرى الوثائق التي أخذتها من **هولجر بالمجرين**. لم يكن من الصعب معرفة الإشارات التي دفعت لاتصاله الهاتفي. الملاحظات بحد ذاتها لم تكن مشكلة كبيرة، خاصة وأن **تيليبورين** كان لطيفًا بما يكفي للإشارة إليها بحرفها الأول فقط. لم يكن هناك وصف مفصل للبحث الفعلي الجاري، ولم يُذكر أي أطفال آخرين. على أي حال، ليس هذا ما جعلها تشعر بعدم ارتياح شديد. ما أزعجها هو حقيقة أن بالمجرين كان يقرأها الآن، بعد كل هذه السنوات.

ربما كانت مصادفة. **مارتن شتاينبرج** اعتقد ذلك. ربما كان بالمجرين يملك الأوراق منذ زمن وقرر على نحو مفاجئ تصفحها، مما جعله يفكر في المعلومات دون إيلاء أهمية كبيرة لها. لو كان الأمر كذلك، لكانت أفعالها الأخيرة خطأً كارثيًا. لكن جريتز لم تؤمن بالمصادفة، ليس الآن وقد تأرجح الكثير على حافة الكارثة. بالإضافة إلى ذلك، كانت تعلم أن بالمجرين قد زار مؤخرًا **سالاندر** في سجن النساء بفلودبيرجا. لن تستهين جريتز بسالاندر مرة أخرى، خاصة مع وجود اسم **هيلدا فون كانتربورج** في

الوثائق. كانت هيلدا الصلة الوحيدة التي استطاعت جريتز التفكير فيها والتي قد تقود سالاندر إليها. كانت متأكدة تمامًا أن هيلدا لم تكن غير متحفظة مرة أخرى، ليس منذ صداقتها المؤسفة مع **أجنيتا سالاندر**. لكن لا يمكن للمرء أن يكون متأكدًا من أي شيء ومن الممكن وجود نسخ من الوثائق في مكان ما، ولهذا كان من الأهمية بمكان أن تكتشف جريتز كيف حصل بالمجرين عليها. هل كان ذلك في سياق تحقيق تيليبورين، أم حصل عليها لاحقًا — وإذا كان الأمر كذلك، فممن؟ كانت جريتز مقتنعة بأنهم أزالوا كل المواد الحساسة من سانت ستيفان، لكن ربما... كانت غارقة في التفكير عندما خطرت لها فكرة: **يوهانس كالدين**، رئيس العيادة. لطالما كان شوكة في خاصرتهم. هل يمكن أنه سلم الأوراق قبل وفاته؟ أو فعل ذلك شخص مقرب منه — مثل...؟

شتمت جريتز نفسها. «بالطبع، تلك المرأة اللعينة.»

دخلت المطبخ وابتلعت حبتي مسكن مع كوب من عصير الليمون. ثم اتصلت بشتاينبرج — ذلك الجبان يستطيع النهوض عن مؤخرته وجعل نفسه مفيدًا — وأمرته بالاتصال بـ **ماي بريت توريت**، كما كانت جريتز تحب أن تناديها.

قالت:

– «فورًا. الآن!»

ثم أعدت لنفسها سلطة جرجير بالجوز والطماطم ونظفت الحمام. كانت الساعة الخامسة والنصف مساءً. شعرت بالحر، رغم أن باب الشرفة مفتوح. تاقت لأن تتمكن من خلع قميصها ذي الياقة العالية وارتداء قميص من الكتان، لكنها قاومت الإغراء وفكرت مرة أخرى في هيلدا. لم تكن تكن للمرأة سوى الاحتقار. كانت هيلدا مدمنة وعاهرة. ومع ذلك، كان هناك وقت حسدتها فيه جريتز. تدفق الرجال حولها، والنساء والأطفال

أيضًا، لتلك المسألة. كان لديها عقل منفتح وكريم في الأيام الخوالي، عندما كان لديهم جميعًا آمال عريضة.

لم يكن مشروعهم هو الوحيد من نوعه. كان مصدر إلهامهم في نيويورك، رغم أنها وشتاينبرج دفعا بمشروعهما أبعد. ورغم أنهما تفاجآ أو خاب أملهما أحيانًا بنتائجهما، إلا أنها لم تعتقد قط أن التكاليف الأوسع، ككل، كانت باهظة جدًا. صحيح أن بعض الأطفال كانوا أسوأ حالًا من غيرهم. لكن ذلك كان يانصيب الحياة.

كان المشروع ٩ جديرًا ومهمًا بشكل أساسي —— هكذا رأته. سيُظهر للعالم كيف ينتج أفرادًا أقوى وأكثر توازنًا، ولهذا كانت مأساة أن اثنين من موضوعاتهم عرضا كل شيء للخطر وأجبراها على اتخاذ تدابير متطرفة كهذه. لم تكن منزعجة بشكل خاص من تجاوزاتها —— وأحيانًا فاجأها ذلك. لم تكن تفتقر للمعرفة بالنفس وعرفت أنها لا تميل كثيرًا للندم. لكنها قلقت بشأن العواقب.

سُمع صراخ وضحك بعيد في شارع كارلبيرجسفاجن. كانت شقتها تفوح برائحة المنظفات والكحول الطبي. نظرت لساعتها مرة أخرى، ونهضت عن مكتبها وأخرجت حقيبة طبيب أخرى —— هذه كانت سوداء وأكثر حداثة —— وشعرًا مستعارًا جديدًا وسريًا، ونظارات شمسية جديدة، وبضع حقن وأمبولات وزجاجة صغيرة تحتوي على سائل أزرق فاتح. ثم استعادت عصا مشي بمقبض فضي من الخزانة وقبعة رمادية من الرف في الردهة، ونزلت لانتظار بنجامين ليقلها ويأخذها إلى سكانستول.

***

صبت هيلدا فون كانتربورج لنفسها كأسًا من النبيذ الأبيض وشربته ببطء. كانت مدمنة كحول بلا شك، حتى لو لم تكن تشرب بالقدر الذي يعتقده الكثيرون. لكنها كانت تشرب كثيرًا، تمامًا كما كانت تفرط في رذائلها الأخرى. وعلى عكس ما يعتقده الناس، لم تكن هيلدا سيدة نبيلة

عظيمة سقطت في أوقات عصيبة. ولم تكن شخصًا يتجول ويسكر فحسب. كانت لا تزال تنشر مقالات في علم النفس تحت اسم مستعار **ليونارد بارك**.

والدها، **ويلمر كارلسون**، كان مقاولاً ومحتالاً حتى أدانته محكمة مقاطعة سوندسفال بالاحتيال الجسيم. لاحقًا، صادف اسم **يوهان فريدريك كانتربرج**، ملازم شاب في فرقة الفرسان الملكية للحرس الشخصي توفي في مبارزة عام ١٧٨٧، آخر سلالته. بفضل بعض المفاوضات وخدعة أو اثنتين، ورغم القواعد الصارمة لبيت النبلاء السويدي، تمكن ويلمر كارلسون من تغيير اسمه — ليس إلى كانتربرج بل إلى كانتربورج — وبمبادرة منه أضاف «فون»، التي وجدت طريقها في النهاية للسجلات الرسمية.

وجدت هيلدا الاسم ثقيلاً ومتصنعًا، خاصة بعد أن هجر والدها العائلة وانتقل لشقة كئيبة من غرفتين في وسط تيمرو. بدا اسم فون كانتربورج غريبًا في تلك الأوساط كما كانت هي نفسها ستشعر في بيت النبلاء. ربما تشكل جزء من شخصيتها تحديًا للاسم. خلال سنوات مراهقتها جربت المخدرات وتسكعت مع شباب «تيدي بويز» في وسط المدينة.

لكنها أبلت بلاءً حسنًا في المدرسة وذهبت لدراسة علم النفس في جامعة ستوكهولم. أمضت الكثير من سنواتها الأولى هناك في الاحتفال، لكن الأساتذة بدأوا يلاحظونها. كانت جذابة وذكية ومفكرة مبتكرة. كان لديها أيضًا معايير أخلاقية عالية، وإن لم تكن بالطريقة المتوقعة من الفتيات في تلك الأيام. لم تكن متزمتة، ولا تلك الفتاة الهادئة والجميلة. كرهت الظلم ولم تخذل أحدًا قط.

بعد دفاعها عن أطروحتها مباشرة، صادف أن رأت أستاذ علم الاجتماع مارتن شتاينبرج في مطعم بشارع «رورستراندسجاتان» في فاساستان. كل طلاب الدكتوراه كانوا يعرفون شتاينبرج. كان طويلاً ووسيمًا

بشارب مهندم، ويشبه **ديفيد نيفن** قليلاً. كان متزوجًا من امرأة ممتلئة تدعى **جيرترود** كان يُظن أحيانًا أنها والدته. كانت أكبر منه بأربعة عشر عامًا وعادية جدًا بجانب زوجها ذي الكاريزما.

قيل إن شتاينبرج يرى نساء أخريات، وأنه لاعب قوة حقيقي بنفوذ يفوق ما قد توحي به سيرته الذاتية المثيرة للإعجاب. كان رئيسًا لقسم العمل الاجتماعي بجامعة ستوكهولم وترأس عددًا من التحقيقات الحكومية. وجدته هيلدا دوغمائيًا ومحدود الأفق، لكنها كانت مفتونة به، وليس فقط بمظهره وهالته. رأته كلغز يجب حله.

أثار فضولها عندما رأته في ذلك المطعم مع امرأة لم تكن بالتأكيد زوجته. كان شعرها أشقر رمادي قصير، وعيناها جميلتين وحازمتين، وحضورها ملكيًا. لم تستطع هيلدا التأكد من أن هذا كان موعدًا غراميًا، لكن من الواضح أن شتاينبرج ارتبك حين لمحها. لم يكن هناك في الواقع شيء غير عادي في المشهد. ومع ذلك بدا وكأنها لمحت لمحة من الحياة السرية التي تخيلت دائمًا أن شتاينبرج يعيشها، وسرعان ما تسللت خارجة مرة أخرى.

خلال الأيام والأسابيع التالية، نظر إليها شتاينبرج بفضول، وفي إحدى الأمسيات دعاها للتمشية معه على طول المسارات الحرجية حول الجامعة. كانت السماء مظلمة ذلك اليوم. لفترة طويلة بقي شتاينبرج صامتًا، رغم أنه بدا على وشك مشاركتها شيئًا مهمًا. ثم كسر الصمت بسؤال كان مبتذلاً لدرجة أدهشتها:

– «هل تساءلتِ يومًا يا هيلدا، لماذا أنتِ كما أنتِ؟»

أجابت بأدب:

– «نعم يا مارتن، فعلت.»

– «إنه أحد الأسئلة الكبرى، ليس لماضينا فحسب بل لمستقبلنا أيضًا.»

هكذا انجذبت للمشروع ٩. لفترة طويلة بدا غير ضار: تم اختبار وتقييم عدد من الأطفال من خلفيات اجتماعية مختلفة، كانوا قد وُضعوا في منازل تبني وهم صغار. بعضهم كان موهوبًا، والبعض الآخر لا. لكن لم تُنشر أي من النتائج. على السطح لم يكن هناك شيء استغلالي على الإطلاق. بل على العكس. في الواقع عومل الأطفال بعناية ومراعاة، وفي بعض المجالات كان الفريق يبدأ خطوط بحث جديدة إن لم تكن رائدة.

ومع ذلك، لو نظرت للوراء، كان يجب عليها طرح المزيد من الأسئلة: كيف تم اختيار الأطفال ولماذا وُضع الكثيرون في ظروف اجتماعية مختلفة إلى هذا الحد؟ تدريجيًا فهمت الصورة الأوسع، لكن بحلول ذلك الوقت كان الباب قد أغلق. وعلى أي حال، كانت لا تزال تعتقد أن المشروع يمكن الدفاع عنه، ككل ولكل حالة فردية.

ثم جاء خريف آخر، وأخبار بأن **كارل سيجر** قُتل عن طريق الخطأ أثناء صيد الأيائل. أخافها ذلك حقًا. قررت الخروج. لاحظ شتاينبرج وجريتز ذلك فورًا. منحاها فرصة التأثير بشكل إيجابي على المشروع، وأبقاها ذلك مشتركة لفترة أطول قليلاً. كانت مهمتها إنقاذ فتاة معينة كانت تعيش كابوسًا مطلقًا مع شقيقتها التوأم في شارع «لوندجاتان» بستوكهولم. لم تساعد السلطات، لذا كان على هيلدا إيجاد حل، وعائلة حاضنة.

لم يكن شيء بسيطًا كما قيل لها. وجدت نفسها تقترب من الأم والفتاة. دافعت عنهما وكلفها ذلك حياتها المهنية؛ كاد يكلفها حياتها. ندمت أحيانًا، لكنها كانت فخورة في كثير من الأحيان، وأصبحت تراه أفضل ما فعلته خلال فترة وجودها في السجل.

الآن، ومع اقتراب المساء، شربت هيلدا نبيذ «شاردونيه» ونظرت من النافذة. كان الناس يتنزهون ويبدون سعداء. هل شعرت بالرغبة في النزول والجلوس مع كتاب في مقهى خارجي؟ ما كادت الفكرة تخطر ببالها حتى

لمحت شخصية تخرج من سيارة رينو سوداء على بعد مسافة قصيرة في الشارع. كانت راكيل جريتز.

لم يكن هناك شيء غريب في ذلك بحد ذاته. كانت جريتز تمر بين الحين والآخر وتغمرها بسيل من الثرثرة الودية والإطراء. لكن الأمور لم تبدُ على ما يرام مؤخرًا. بدت جريتز متوترة على الهاتف وبدأت في إطلاق التهديدات مرة أخرى، تمامًا كما كانت تفعل في السابق.

كانت تقف الآن على الرصيف بالخارج، متنكرة لكن لا يمكن الخطأ في التعرف عليها، وكانت برفقة **بنجامين**. كان **بنجامين فورس** هو خادم جريتز المطيع. لم يكن يدير مهامها فحسب، بل كان يُستدعى أيضًا عند الحاجة للإكراه. أو القوة الغاشمة. خافت هيلدا مما رأته واتخذت قرارًا سريعًا وحاسمًا.

ارتدت معطفها بسرعة وأمسكت بمحفظتها وهاتفها المحمول الذي كان صامتًا على مكتبها. ثم غادرت الشقة وأغلقت الباب. ليس بالسرعة الكافية. سُمعت خطوات في قاعة المدخل بالأسفل. تملكها الذعر وهرعت نزولاً على الدرج، مدركة أنها قد تسقط مباشرة في قبضتهم. لحسن حظها كانوا ينتظرون المصعد. وصلت هيلدا للفناء الخلفي، طريق هروبها الوحيد الذي يتجنب مدخل الشارع. كان بإمكانها تسلق جدار أصفر في الطرف البعيد إذا حركت طاولة الحديقة أقرب قليلاً. صرت الطاولة وهي تدفعها عبر البلاط. تسلقت فوق الجدار كطفل أخرق وسقطت في الفناء المجاور، ثم شقت طريقها إلى شارع «بوهوسجاتان». هناك اتجهت نحو «إريكسدالسبادت» والواجهة المائية. مشت بسرعة، رغم أن قدمها اليسرى كانت تنبض من السقوط ولم تكن صاحية تمامًا.

بالقرب من الصالة الرياضية الخارجية بجوار «أورستافيكن» وصلت لهاتفها. كانت هناك عدة مكالمات فائتة، وعندما استمعت للرسائل أدركت أن هناك خطبًا كبيرًا. الصحفي **ميكائيل بلومكفيست** كان يحاول الوصول

إليها، ورغم اعتذاره الشديد، بدا صوته مضطربًا. في رسالته الثانية أضاف أنه الآن بعد وفاة هولجر بالمجرين، كان «حريصًا بشكل خاص على التحدث».

تمتمت لنفسها: *هولجر بالمجرين*. هولجر بالمجرين. لماذا يبدو هذا الاسم مألوفًا؟ بحثت في هاتفها وظهر فورًا. كان بالمجرين وصي سالاندر. بالطبع. من الواضح أن قصة ما على وشك الانفجار وهذا ليس جيدًا. إذا كانت وسائل الإعلام تطارد المعلومات، فقد تكون هي الحلقة الضعيفة.

بينما كانت تسرع في مشيها نظرت نحو الماء والأشجار، وكل الناس الذين يتنزهون على العشب. بعد الصالة الرياضية الخارجية مباشرة، بجوار المساحة المفتوحة على الواجهة المائية حيث ترسو القوارب الصغيرة، رأت ثلاثة فتيان مراهقين متجهّمين متمددين على بطانية، يشربون البيرة. توقفت ونظرت لهاتفها مرة أخرى. لم تكن هيلدا خبيرة في التكنولوجيا، لكنها كانت تعلم أنه يمكن استخدامه لتعقبها. لذا أجرت مكالمة أخيرة سريعة لأختها، ندمت عليها فورًا — كل محادثاتها الهاتفية تركت طعمًا مرًا من الذنب والاتهام. ثم مشت نحو المراهقين واختارت واحدًا بشعر طويل أشعث وسترة جينز مهترئة. مدت هاتفها.

قالت:

– «تفضل. إنه آيفون، جديد تمامًا. إنه لك. فقط غير بطاقة SIM أو أيًا كان.»

– «ماذا؟ لماذا تعطينني هذا؟»

– «لأنك تبدو شابًا لطيفًا. حظًا سعيدًا، لا تشترِ أي مخدرات.» قالت ثم هرعت بعيدًا في شمس المساء.

بعد ثلاثين دقيقة كانت تقف عند صراف آلي في هورنستول، مبللة من الحرارة، وسحبت ثلاثة آلاف كرونة نقدًا قبل التوجه لمحطة ستوكهولم

المركزية. ستذهب إلى «نيشوبينغ»، إلى فندق صغير ومنعزل اختبأت فيه قبل سنوات عندما اتهمها كل زملائها في الجامعة بأنها عاهرة.

***

مر بلومكفيست بامرأة مسنة في المدخل. كانت ترتدي قبعة وتحمل عصا مشي، وتبعها رجل قوي البنية في مثل عمره، لابد أنه بطول مترين بعينين صغيرتين ووجه مستدير. لكنه لم يولِهما الكثير من الاهتمام. شعر بالارتياح فقط لتمكنه من دخول المبنى، وركض صاعدًا الدرج إلى شقة هيلدا فون كانتربورج. بدا أنه لا يوجد أحد في المنزل.

غادر وسار نحو فندق «كلاريون» في سكانستول، وهناك حاول الاتصال بها مرة أخرى. هذه المرة أجاب صوت متغطرس. ابن، ربما؟

– «أهلاً!»

– «مرحبًا! هل هيلدا هناك؟»

– «لا يوجد أي هيلدات لعينات هنا. هذا هاتفي الآن.»

– «ماذا تعني؟»

– «امرأة مجنونة ثملة أعطته لي.»

– «متى؟»

– «للتو.»

– «كيف بدت؟»

– «متوترة ومجنونة.»

– «أين أنت؟»

قال الصبي وأغلق الخط:

– «ليس من شأنك اللعين.»

شتم بلومكفيست. ولعدم وجود شيء أفضل لفعله، دخل بار فندق كلاريون وطلب كأس «غينيس».

جلس في كرسي بذراعين بجوار النوافذ المطلة على شارع «رينغفاغن». كان بحاجة للتفكير. رجل أصلع في مكتب الاستقبال خلفه كان في جدال حاد حول فاتورته. جلست شابتان ليس بعيدًا عن طاولة نافذته وتتهامسان.

تسابقت الأفكار في رأسه. ذكرت سالاندر قوائم أسماء و**ليو مانهايمر**. بالنظر لوفاة بالمجرين والوثائق التي عُثر عليها في ردهته، ربما من الآمن افتراض أن ما يدور حوله هذا الأمر كله حدث منذ زمن بعيد.

«تحدث إلى هيلدا فون...»

هل يمكن أنه عنى شخصًا آخر غير هيلدا فون كانتربورج؟ ممكن لكن غير مرجح. بالإضافة إلى سلوك هيلدا الغريب الآن، بإعطائها هاتفها لصبي مراهق. وصل كأس بلومكفيست. نظر نحو الشابتين الجالستين في البار اللتين بدا الآن أنهما تتهامسان عنه. أخرج هاتفه وبحث عن هيلدا فون كانتربورج. لم يتوقع أن يجد ما يبحث عنه بهذه السرعة على جوجل، أو أن يكون أي شيء متاحًا على الشبكة. لكن قد يتمكن من القراءة بين السطور. يمكن العثور على خيوط أحيانًا في إجابات أسئلة المقابلات البسيطة أو المراوغة، أو في اختيار شخص ما لمواضيعه أو اهتماماته.

لم يجد شيئًا. كانت هيلدا مؤلفة غزيرة الإنتاج للمقالات العلمية حتى فقدت منصبها في جامعة ستوكهولم. ثم كان الصمت. لم يجد بلومكفيست أي أثر لخيوط ليتبعها، وفي المواد القديمة، لا شيء سري أو مريب عن بعد، أو له علاقة بأطفال متبنين، أو مثلا عن فتيان يعانون من احتداد السمع انتقلوا من كونهم عسرًا لكونهم أيمنين. استجمعت مقالاتها حججًا واضحة وسليمة ضد الأجندة العنصرية الخفية، التي كانت لا تزال واضحة في ذلك الوقت في الأبحاث حول أهمية الطبيعة على التربية. لكن هذا كل شيء.

طلب كأس غينيس آخر. ربما هناك شخص يمكنه الاتصال به. بحث في المقالات عن أسماء المؤلفين المشاركين والزملاء، ثم بحث عن «فون

كانتربورج» في الدليل. وجد شخصًا واحدًا آخر حيًا في البلاد بهذا الاسم: امرأة، أصغر بست سنوات، باسم **شارلوت**. كانت تعيش على بعد بضعة شوارع في شارع «رينستيرناس جاتا» ومسجلة كمصففة شعر، بصالون في شارع «جوتجاتان». نظر بلومكفيست لصور هيلدا وشارلوت فون كانتربورج ورأى الشبه. ربما كانتا أختين. ودون تفكير كثير، طلب رقم شارلوت.

قال الصوت:

— «لوتا.»

— «مرحبًا، اسمي ميكائيل بلومكفيست وأنا صحفي في مجلة ميلينيوم.» وشعر فورًا أن ذلك أقلقها.

اعتاد ذلك وكثيرًا ما ندم عليه، ومازح بأنه يجب أن يكتب مقالات أكثر إيجابية حتى لا يقلق الناس عندما يتصل. لكن هذه المرة بدا أن هناك المزيد في الأمر.

— «آسف جدًا لإزعاجك. أحتاج للوصول لهيلدا فون كانتربورج.»

— «ماذا حدث لها؟»

ليس «هل حدث لها شيء؟» بل «ماذا حدث...»

— «متى آخر مرة سمعتِ منها؟»

— «قبل ساعة فقط.»

— «وأين كانت في ذلك الوقت؟»

— «هل يمكنني أن أسأل لماذا تتصل؟ أعني... حسنًا، ليس الأمر وكأن الصحفيين يبحثون عنها طوال الوقت هذه الأيام.»

أخذت نفسًا عميقًا.

قال بلومكفيست:

— «لا أقصد إقلاقك.»

— «بدت متوترة وخائفة. ماذا يحدث؟»

– «بصدق لا أعرف. لكن رجل عجوز رائع يدعى هولجر بالمجرين قُتل. كنت هناك بينما كان يصارع من أجل حياته، وآخر شيء قاله هو أنني يجب أن أتحدث لهيلدا. أعتقد أن لديها بعض المعلومات المهمة.»

– «عن ماذا؟»

– «هذا ما أحاول اكتشافه. أريد مساعدتها. أريد أن نساعد بعضنا البعض.»

– «كيف يمكنني أن أعرف ما إذا كان عليّ تصديق ذلك؟»

أجاب بلومكفيست بصدق مفاجئ:

– «في وظيفتي، ليس من السهل الوعد بأي شيء. الحقيقة — إذا تمكنت من العثور عليها — قد ينتهي بها الأمر بإيذاء حتى أولئك الذين لا أتمنى لهم أي ضرر. لكن معظمنا يميل للشعور بالتحسن بمجرد أن نفتح قلوبنا عما يزعجنا.»

قالت لوتا:

– «إنها تشعر بالسوء الشديد.»

– «أتفهم.»

– «إنها تشعر بالسوء الشديد منذ عشرين عامًا في الواقع. لكن هذه المرة يبدو الأمر أسوأ من أي وقت مضى.»

– «لماذا ذلك، في رأيك؟»

– «أنا... ليس لدي فكرة.»

سمع التردد في صوتها وهاجم كالكوبرا.

– «هل يمكنني المرور للحظة؟ أرى أنكِ تعيشين في مكان قريب.»

بدا أن ذلك جعل المرأة أكثر توترًا، لكنه كان شبه متأكد أنها ستقول نعم. لذا فاجأه عندما أجابت بـ «لا!» حادة وقاطعة. «لا أريد التورط.»

– «التورط في ماذا؟»

– «حسنًا...»

استطاع بلومكفيست سماع أنفاسها الثقيلة على الطرف الآخر من الخط. فهم أن هذه إحدى تلك اللحظات التي تتعلق فيها الأمور في الميزان. لقد اختبرها مرات عديدة كصحفي. عندما يصل الناس لنقطة النقاش حول التحدث أم لا، يميلون للتجمد في التركيز وهم يحاولون وزن العواقب. كان يعلم أن هذا ينتهي غالبًا بالتحدث. لكن لا توجد ضمانات، لذا حاول ألا يبدو ملهوفًا جدًا.

— «هل هناك شيء تريدين قوله؟»

قالت لوتا:

— «عندما تكتب هيلدا، تستخدم أحيانًا الاسم المستعار ليونارد بارك.»

— «أوه، واو، هل هذه هي؟»

— «إذن سمعت عن ليونارد بارك؟»

— «قد أكون مجرد صحفي عجوز، لكني أحاول البقاء على اطلاع معقول بالصفحات الثقافية. أحب كتاباته —— أو بالأحرى كتاباتها. لكن لماذا هذا مهم؟»

— «باسم ليونارد بارك كتبت مقال رأي لصحيفة "سفينسكا داجبلادت" تحت عنوان "وُلدوا معًا —— رُبوا منفصلين". كان هذا قبل حوالي ثلاث سنوات.»

— «حسنًا.»

— «كان عن تحقيق علمي أجراه بعض الأشخاص في جامعة مينيسوتا. لا شيء غير عادي. لكنه كان مهمًا لها، كان ذلك واضحًا من طريقة حديثها عنه.»

— «صحيح. ماذا تحاولين قوله؟»

— «لا شيء حقًا. باستثناء أنها كانت منزعجة بوضوح منه.»

— «هل يمكنك أن تكوني أكثر تحديدًا قليلاً؟»

– «لا أعرف شيئًا أكثر في الواقع. لم أكلف نفسي عناء البحث في الأمر، وهيلدا لم تقل كلمة عنه، مهما ضغطت عليها. لكن يمكنك استخلاص نفس الاستنتاجات من المقال كما فعلت أنا.»

– «شكرًا. سأتابع الأمر.»

– «عدني ألا تكتب شيئًا سيئًا جدًا عنها.»

– «أعتقد أن هناك محتالين أكبر من هيلدا في هذه القصة.»

ودعا بعضهما البعض ودفع بلومكفيست ثمن مشروباته قبل مغادرة الفندق. عبر إلى شارع «جوتجاتان» ثم تابع صعودًا نحو «ميدبورجاربلاتسن» وشارع «سانت بولسجاتان». لوح متجاهلاً معارف وغرباء أرادوا التحدث إليه؛ آخر شيء شعر بالرغبة فيه هو الاختلاط الاجتماعي. أراد فقط قراءة المقال، لكنه انتظر حتى وصل للمنزل قبل البحث عنه على حاسوبه.

قرأه ثلاث مرات، وبعد ذلك قرأ عددًا من المقالات الأخرى حول نفس الموضوع وأجرى مكالمتين. استمر حتى الثانية عشرة والنصف صباحًا. ثم صب لنفسه كأس بارولو وخمن أنه ربما بدأ يفهم قليلاً مما حدث، حتى لو لم يكتشف بعد الدور الذي لعبته سالاندر في القصة.

يجب أن أتحدث إليها، فكر، مهما قالت إدارة السجن.

II

نغمات مقلقة

٢١ يونيو

يتكون كورد السادسة الصغرى من نغمة أساسية، وثالثة، وخامسة، وسادسة من سلم المينور اللحني.

في موسيقى الجاز والبوب الأمريكية، يُعد كورد السابعة الصغرى هو الكورد الصغير الأكثر شيوعًا، ويعتبر أنيقًا وجميلًا.

أما كورد السادسة الصغرى فنادرًا ما يُستخدم، وقد تعتبر نغمته حادة ومشؤومة.

-١٣-

٢١ يونيو

غادرت **سالاندر** وحدة الحراسة المشددة للمرة الأخيرة. وقفت الآن في غرفة الحراسة بسجن «فلودبيرجا»، يفحصها من رأسها حتى أخمص قدميها شاب قصير الشعر، ببشرة حمراء غاضبة، وعينين صغيرتين متعجرفتين.

قال:

– «اتصل شخص يدعى **ميكائيل بلومكفيست** يبحث عنكِ.»

تجاهلت سالاندر هذه المعلومة، ولم ترفع نظرها حتى. كانت الساعة تشير إلى التاسعة والنصف صباحًا، وكل ما أرادته هو الخروج من هناك. أزعجتها الأوراق التي لا يزال يتعين عليها التعامل معها، وخربشت بخط غير مقروء على استمارات استلام حاسوبها المحمول وهاتفها. لم يحتج **أولسن** لكثير من الإقناع ليتأكد من شحنهما بالكامل. بعد ذلك، سمحوا لها بالرحيل.

مرت عبر البوابات، وسارت بطول الجدار وعلى طول خط السكة الحديدية، وجلست عند الطريق الرئيسي على مقعد ذي طلاء أحمر متقشر لتنتظر حافلة رقم ١١٣ المتجهة إلى «أوريبرو». كان صباحًا حارًا، والهواء ساكنًا. حامت الذبابات حولها. ورغم أنها أدارت وجهها نحو الشمس وبدت وكأنها تستمتع بالطقس، إلا أنها لم تشعر بفرح خاص بخروجها من السجن.

لكنها كانت سعيدة باستعادة حاسوبها. وهي جالسة على المقعد، وبنطالها الجينز الأسود يلتصق بساقيها، فتحته وسجلت الدخول. تحققت من أن **جيانيني** قد أرسلت لها، كما وعدت، ملف التحقيق الشرطي في وفاة **جمال شودري**. كان هناك في صندوق الوارد. ستتمكن سالاندر من التعامل معه في رحلة العودة.

كان لدى جيانيني نظرية، شك يستند جزئيًا إلى الحقيقة الغريبة المتمثلة في رفض **فاريا** قول كلمة واحدة أثناء استجواب الشرطة، وجزئيًا إلى مقطع فيديو قصير من كاميرا مراقبة في محطة قطار الأنفاق بـ «هورنستول». يبدو أن جيانيني قد ناقشت الأمر مع إمام في «بوتكيركا» يدعى **حسن فردوسي**، واعتقد أنه قد تكون على الطريق الصحيح. الفكرة الآن هي أن سالاندر، بمهاراتها، يجب أن تلقي نظرة أيضًا، فشرعت في تحديده في الملف الذي أرسلته جيانيني. قبل فحص المقطع، نظرت للطريق والحقول المصفرة وفكرت في **هولجر بالمجرين**. قضت معظم الليل تفكر فيه.

«تحدث إلى **هيلدا فون**...»

كانت **هيلدا فون كانتربورج** هي «هيلدا فون» الوحيدة التي عرفتها سالاندر، هيلدا العجوز العزيزة بإيماءاتها الواسعة، التي كثيرًا ما جلست في مطبخهم بالمنزل في شارع «لوندجاتان» عندما كانت سالاندر طفلة، والتي كانت إحدى صديقات والدتها القلائل حين كان كل شيء حولها ينهار. كانت هيلدا صخرة، على الأقل هكذا اعتقدت سالاندر. ولهذا السبب بحثت عنها سالاندر ذات يوم، قبل حوالي عشر سنوات الآن. قضيا أمسية كاملة معًا يشربان نبيذًا ورديًا رخيصًا، لأن سالاندر أرادت معرفة المزيد عن والدتها. أخبرتها هيلدا الكثير، وأخبرتها سالاندر بشيء أو اثنين أيضًا؛ شاركت هيلدا أسرارًا احتفظت بها حتى عن بالمجرين. كانت أمسية طويلة

ورفعا كؤوسهما لـ **أجنيتا**، ولكل النساء اللواتي دمرت حياتهن على أيدي الأوغاد والأنذال.

لكن هيلدا لم تنبس ببنت شفة عن «السجل». هل احتفظت بأهم شيء لنفسها؟ رفضت سالاندر تصديق ذلك في البداية. كانت بارعة عادة في كشف ما قد يكون مخفيًا تحت السطح. لكن ربما خدعتها واجهة هيلدا المتضررة بأكملها. عادت بذاكرتها للملفات التي نزلتها على حاسوب أولسن وتذكرت حرفين أولين في تلك الوثائق: H.K. هل يُعقل أنهما يشيران إلى هيلدا فون كانتربورج؟ أجرت سالاندر بحثًا واكتشفت أن هيلدا كانت طبيبة نفسية أكثر نفوذًا مما أدركت حينها. ومضت فيها ومضة غضب. لكنها قررت إرجاء الحكم في الوقت الحالي.

كانت الحافلة رقم ١١٣ المتجهة لأوريبرو تقترب في سحابة من الغبار والحصى المتطاير. دفعت للسائق وجلست في الخلف، حيث ألقت نظرة فاحصة على مقطع كاميرا المراقبة الذي يظهر بوابة التذاكر في محطة هورنستول بعد منتصف الليل بقليل في ٢٤ أكتوبر قبل عامين تقريبًا. تدريجيًا ركزت على تفصيل واحد، عدم انتظام في حركة يد المشتبه به. هل يمكن أن يكون ذلك ذا صلة؟ لم تكن متأكدة.

كانت تعلم أن تقنية التعرف على الحركة لا تزال في مهدها. لم تشك في أن كل إيماءة بشرية تحمل بصمة رياضية. لكن لا يزال من الصعب قراءتها. كل حركة صغيرة تتكون من آلاف القطع من المعلومات وليست حاسمة تمامًا في حد ذاتها. في كل مرة نحك رؤوسنا يكون هناك فرق. إيماءاتنا دائمًا متشابهة، لكنها ليست متطابقة تمامًا. يحتاج المرء لأجهزة استشعار، ومعالجات إشارة، وجيروسكوبات، ومقاييس تسارع، وخوارزميات لرسم الحركة، وتحليلات فورييه، ومقاييس تردد ومسافة ليتمكن من وصف ومقارنة الحركات بدقة. كانت هناك بعض البرامج

المتاحة للتنزيل من الإنترنت. لكن ذلك لم يكن خيارًا، سيستغرق وقتًا طويلاً. كان لديها فكرة أخرى.

فكرت في أصدقائها في «جمهورية الهاكرز» والشبكة العصبية العميقة التي عمل عليها **بلايج** و**ترينيتي** لفترة طويلة. هل يمكن تحسينها واستخدامها؟ لم يكن الأمر مستبعدًا. سيتطلب منها إيجاد فهرس أكثر شمولاً لحركات اليد لتدرسه الخوارزميات وتتعلم منه، لكنه لن يكون مستحيلاً. عملت بجد في القطار من أوريبرو عائدة إلى ستوكهولم وفي النهاية خطرت لها فكرة جامحة. لن تعجب مصلحة السجون كثيرًا، خاصة في أول يوم حريتها. لكن ذلك لم يكن مهمًا. نزلت من القطار في المحطة المركزية وأخذت سيارة أجرة لمنزلها في شارع «فيسكارجاتان»، حيث واصلت العمل.

***

وضع **دان برودي** جيتاره — من نوع «راميريز» اشتراه حديثًا — على طاولة القهوة ودخل المطبخ ليعد لنفسه إسبريسو مزدوجًا، شربه بسرعة حتى أحرق لسانه. كانت الساعة التاسعة وعشر دقائق صباحًا. لم يلحظ مرور الوقت. غرق في مقطوعة «ذكريات من الحمراء» وتأخر الآن عن العمل. ليس أن ذلك يهم أحدًا كثيرًا، لكنه لم يرد أن يعطي انطباعًا بأنه لا يأخذ عمله على محمل الجد. لذا دخل غرفة نومه واختار قميصًا أبيض، وبدلة داكنة، وحذاء «تشيرشز» أسود. ثم أسرع نزولاً للشارع ليكتشف أن الجو حار بشكل خانق بالفعل. الصيف، ويا لأسفه، في أوجه.

بدت بدلته غير مناسبة لهذا الوقت من العام — صارمة وغير لائقة في ضوء الشمس — وبعد بضعة أمتار فقط أصبح ظهره وإبطاه رطبين من العرق. زاد ذلك من إحساسه بالغربة. نظر للبستانيين الذين يعملون في حديقة «هومليجاردن» — آلمه ضجيج جزازات العشب. واصل بسرعة عالية نحو «ستوريبلان»، ورغم أنه لا يزال يشعر بعدم الارتياح، لاحظ

ببعض الرضا أن رجالًا آخرين يرتدون البدل لديهم أيضًا وجوه متعرقة وبائسة. جاء الحر فجأة، بعد فترة طويلة من المطر. كانت هناك سيارة إسعاف تقف أبعد قليلاً في شارع «بيرجر يارلسجاتان»، وفكر في والدته.

ماتت أثناء الولادة. والده كان موسيقيًا رحالاً لم يولِهِ أي اهتمام قط ومات شابًا، من تليف الكبد، بعد سنوات عديدة من الإفراط في الشرب. دان — الذي ولد باسم **دانيال برولين** — نشأ في دار أيتام بـ «جافل» ولاحقًا، من سن السادسة، كواحد من أربعة أطفال بالتبني في مزرعة شمال «هوديكسفال». اضطر للعمل بجد شديد هناك مع الحيوانات والمحاصيل، وتنظيف الإسطبلات وذبح وتقطيع الخنازير. لم يخفِ المزارع، والده بالتبني **ستين**، حقيقة أنه تبنى أطفاله — وكلهم فتيان — لأنه احتاج لأيدٍ عاملة إضافية. عندما جاء الأولاد للعيش معه، كان ستين متزوجًا من امرأة حمراء الشعر وممتلئة تدعى **كريستينا**. لكنها سرعان ما رحلت ولم يُسمع عنها منذ ذلك الحين. قيل إنها ذهبت للنرويج، والناس الذين التقوا ستين لم يفاجأوا بأنها سئمت منه. كان طويلاً ومهيبًا وليس قبيحًا بأي حال، بلحية مهندمة بدأت تشيب، لكن كان هناك شيء قاتم في فمه وجبينه يخيف الناس. نادرًا ما ابتسم. لم يحب الاختلاط أو الأحاديث القصيرة، وكره التظاهر والتهذيب.

كان يقول دائمًا: «لا تفكروا بأمور تفوق مستواكم. لا تظنوا أنكم شيء مميز.» عندما أعلن الأولاد بحماسهم أنهم يريدون أن يصبحوا لاعبي كرة قدم محترفين عندما يكبرون، أو محامين أو مليونيرات، كان يرد دائمًا بحدة: «على المرء أن يعرف مكانه!» كان بخيلاً في الثناء والتشجيع، وبالتأكيد عندما يتعلق الأمر بالمال. كان يقطر مشروباته الروحية الخاصة، ويأكل لحوم حيوانات أطلق عليها النار أو ذبحها بنفسه، وكانت المزرعة مكتفية ذاتيًا تقريبًا. لم يُشترَ شيء قط إلا إذا كان مخفضًا بشدة أو في تصفية. حصل على أثاثه من سوق السلع المستعملة أو أُهدي له من

الجيران والأقارب. كان منزله مطليًا باللون الأصفر الصارخ، ولم يعرف أحد السبب حتى اتضح أن ستين حصل على الطلاء مجانًا، من مخزون فائض.

لم يكن لدى ستين أي تقدير للجمال ولم يقرأ كتبًا أو صحفًا أبدًا. لم يزعج ذلك دانيال حيث كانت هناك مكتبة في المدرسة. لكنه انزعج من حقيقة أن ستين كره كل أنواع الموسيقى إلا إذا كانت مرحة وسويدية. كل ما ورثه دانيال عن والده البيولوجي كان لقبه وجيتارًا ذا أوتار نايلون من نوع «ليفين»، كان مهجورًا في علية المزرعة حتى التقطه دانيال ذات يوم، وأحبه. لم يكن الأمر أن الآلة بدت وكأنها تنتظره فحسب. شعر بأنه ولد ليعزفها.

سرعان ما تعلم الأكوردات والتوافقيات الأساسية وأدرك أنه يستطيع تقليد الألحان من الراديو بعد سماعها مرة واحدة فقط. لفترة طويلة، عزف الذخيرة المعتادة لفتى من جيله: «تاش» لـ «ZZ-Top»، وأغنية «ستيل لوفينغ يو» لـ «سكوربيونز»، و«ماني فور ناثينغ» لـ «داير ستريتس» والعديد من كلاسيكيات الروك الأخرى. لكن حدث شيء ما.

في يوم خريفي بارد، تسلل من حظيرة الأبقار. كان في الرابعة عشرة من عمره وكانت المدرسة كابوسًا. كان سريع التعلم، لكنه وجد صعوبة في الاستماع للمعلمين. أزعجه الضجيج حوله وتاق للعودة لهدوء وسكينة المزرعة، رغم كرهه للعمل والأيام الطويلة. هرب كلما استطاع، ليجد وقتًا لنفسه.

في هذا اليوم بالذات، بعد الخامسة والنصف مساءً بقليل، دخل المطبخ وشغل الراديو، الذي كان يعزف شيئًا مبتذلاً ومملاً. عبث بالمؤشر وضبطه على قناة «P - ٢». لم يعرف الكثير عن المحطة، ظن أنها في الغالب تعرض الأغاني القديمة، وما سمعه أكد تحيزه فقط. كان عزفًا منفردًا للكلارينيت والصوت أزعج أعصابه، كأزيز نحلة أو إنذار ينطلق.

لكنه استمر في الاستماع، ثم دخل صوت جيتار، جيتار متردد ومداعب. ارتجف. كان هناك شعور جديد في الغرفة، إحساس بالتقديس والتركيز، وشعر بنفسه يعود للحياة. لم يسمع شيئًا آخر، لا الأولاد الآخرين يشتمون ويتجادلون، ولا الطيور أو الجرارات أو السيارات البعيدة، ولا حتى صوت خطوات تقترب. وقف هناك فقط، محاطًا بفرح غير متوقع، وحاول فهم ما الذي جعل هذه النغمات مختلفة عن كل ما سمعه من قبل. لماذا أثرت فيه إلى هذا الحد؟ ثم فجأة شعر بألم حاد في فروة رأسه ورقبته.

— «أيها القذر الكسول، أتظن أنني لا أرى كيف تتسلل دائمًا؟»

كان ستين يشد شعر دانيال، يصرخ ويشتم. لكن دانيال بالكاد لاحظ. كان يركز فقط على شيء واحد: الاستماع لنهاية اللحن. بدت الموسيقى وكأنها تريه شيئًا مجهولاً، شيئًا أغنى وأعظم من الحياة التي عاشها حتى الآن. ورغم أنه لم يتمكن من سماع من كان يعزف، إلا أنه ألقى نظرة على ساعة المطبخ القديمة فوق الموقد بينما جره ستين خارج الغرفة. عرف أن الوقت المحدد مهم.

في اليوم التالي استخدم أحد هواتف المدرسة للاتصال بإذاعة السويد. لم يفعل شيئًا كهذا من قبل قط. لم يمتلك هذا النوع من الحيلة والثقة بالنفس. لم يرفع يده في الفصل قط حتى عندما كان يعرف الإجابة، ولطالما شعر بالدونية تجاه أهل المدينة، خاصة إذا كانوا يعملون في مهنة براقة مثل الإذاعة أو التلفزيون. لكنه أجرى المكالمة على أي حال وتم تحويله إلى **شيل براندر**، من قسم برامج الجاز. بصوت كاد يخذله، سأل أي لحن كان يُعزف بعد الخامسة والنصف مساءً بقليل في اليوم السابق. وللأمانة، دندن جزءًا من اللحن. تعرف عليه شيل براندر فورًا.

— «رائع! أعجبك؟ لديك ذوق جيد يا شاب. كان ذلك لحن "نواج" لـ **جانغو راينهارت**.»

لم ينادِ أحد دانيال بـ «يا شاب» من قبل. سأل عن كيفية تهجئة اسم الأغنية وأضاف، بتوتر أكبر:

– «ومن هو **جانغو راينهارت** هذا؟»

– «أحد أفضل عازفي الجيتار في العالم، أقول. ومع ذلك عزف مقطوعاته المنفردة بإصبعين فقط.»

لم يتذكر دانيال لاحقًا ما أخبره به شيل براندر وما اكتشفه بنفسه لاحقًا. لكنه تعلم تدريجيًا أن هناك قصة وراء الرجل، وهذا جعل ما سمعه أثمن. نشأ جانغو في فقر بـ «ليبرشي» في بلجيكا، وأحيانًا يسرق الدجاج ليعيش. بدأ العزف على الجيتار والكمان في سن مبكرة واعتُبر واعدًا جدًا. لكن عندما كان في الثامنة عشرة، أسقط شمعة في قافلته، فأشعلت الزهور الورقية التي باعتها زوجته لكسب لقمة العيش، وانتشر الحريق. عانى جانغو من حروق خطيرة، ولفترة طويلة كان يُعتقد أنه لن يعزف مرة أخرى، خاصة عندما اتضح أنه فقد استخدام إصبعين من يده اليسرى. ومع ذلك، بمساعدة تقنية جديدة تمكن من الاستمرار في تطوير عزفه، وسرعان ما أصبح مشهورًا عالميًا وشخصية محبوبة جدا.

لكن أولاً وقبل كل شيء، كان جانغو من الرحّل — أو الروما، كما يقول الناس الآن. كان دانيال أيضًا من الروما. تعلم هذا بالطريقة الصعبة — من خلال ألم الإقصاء، ونعته بـ «الغجري» وأسوأ من ذلك. لم يخطر بباله قط أن هذا أي شيء سوى عار عميق. والآن سمح له جانغو بالنظر لأصوله بفخر جديد. إذا استطاع جانغو أن يصبح الأفضل في العالم بيد متضررة بشدة، يمكن لدانيال أيضًا أن يصبح شيئًا مميزًا.

استعار بعض المال من فتاة في فصله، واشترى ألبومًا تجميعيًا لألحان راينهارت وعلم نفسه كل الكلاسيكيات — «ماينور سوينغ»، «دافني»، «بيلفيل»، «جانغولوجي» وغيرها الكثير — وفي وقت قصير غير طريقة عزفه على الجيتار. تخلى عن سلالم البلوز وبدلاً من ذلك عزف أرابيسك

السادسة الصغرى ومقطوعات منفردة بسلالم سابعة كبرى وصغرى مخفضة، ومع كل يوم نما شغفه. تدرب حتى أصبحت لديه مسامير جلدية على أطراف أصابعه. لم يخفت حماسه أبدًا — ولا حتى عندما ينام. كان يعزف في أحلامه. لم يفكر في شيء آخر، وكلما سنحت له الفرصة كان يتجه للغابة، ويجلس على صخرة أو جذع شجرة ويرتجل لساعات طويلة. استوعب بشهية مهارات وتأثيرات جديدة، ليس من جانغو فحسب بل من **جون سكوفيلد**، و**بات ميثيني** و**مايك ستيرن**، كل عظماء جيتار الجاز الحديث.

في الوقت نفسه، تدهورت علاقته بستين. كان والده بالتبني يزمجر غالبًا: «تظن أنك مميز، أليس كذلك؟ أنت مجرد قذر صغير.» مضيفًا أن دانيال يمشي دائمًا وأنفه في الهواء. لم يستطع دانيال فهم ذلك، هو الذي شعر دائمًا بالدونية والنقص. بذل قصارى جهده لإرضائه، رغم أنه لا يريد، ولا يستطيع، التوقف عن العزف. وسرعان ما بدأ ستين يضربه على أذنيه ويلكمه، وأحيانًا انضم إليه إخوته بالتبني. ضربوه في معدته وذراعيه، وعاقبوه بضوضاء عالية، معدن يحتك بمعدن أو أغطية قدور تُصدم ببعضها. أصبح دانيال يكره العمل في الحقول، خاصة في الصيف حين لا مفر من نشر السماد، والحرث، والتمشيط، والبذر.

خلال أشهر الصيف كان الأولاد يعملون من الصباح حتى وقت متأخر من الليل. حاول دانيال جاهدًا أن يكون محبوبًا ومقبولاً مرة أخرى، وأحيانًا نجح. في الأمسيات كان سعيدًا بعزف طلبات لإخوته، وأحيانًا كان يفوز بالتصفيق وبعض التقدير. ومع ذلك، كان يعلم أنه عبء وجعل نفسه نادر الظهور كلما استطاع.

في ظهيرة أحد الأيام، وبينما كانت الشمس تضرب على عنقه، سمع طائر شحرور يغني في البعيد. كان في السادسة عشرة ويحلم بالفعل بعيد ميلاده الثامن عشر، عندما يبلغ سن الرشد ويستطيع ترك هذا المكان

بعيدًا. كان يخطط للتقديم في الكلية الملكية للموسيقى بستوكهولم، أو الحصول على وظيفة كموسيقي جاز، واضعًا جهدًا وطموحًا كبيرين في عمله حتى يحصل يومًا ما على عقد تسجيل.

دارت الأحلام في رأسه ليلاً ونهارًا. في بعض الأحيان، كما حدث الآن، أطعمه الطبيعة صوتًا طوره ليصبح لحنًا قصيرًا.

صفر للطائر الشحرور، تنويعًا على أغنيته أصبح لحنًا. تحركت أصابعه كما لو على جيتار خيالي، وارتجف. لاحقًا، كشخص بالغ، كان سيتذكر تلك اللحظات التي اعتقد فيها أن شيئًا ما سيضيع بشكل لا رجعة فيه إذا لم يجلس فورًا للتأليف، ولا شيء في العالم سيمنعه من التسلل للحصول على جيتاره. لا يزال دانيال يتذكر الإثارة المحرمة في صدره وهو يهرع نزولاً للماء في «بلاك أستيارنن» حافي القدمين، والأفرول يرفرف والجيتار في يده، ويستقر على الرصيف المتهالك ليعزف اللحن الذي كان يصفره ويعطيه مرافقة.

كان وقتًا رائعًا، هكذا كان سيتذكره.

لكنه لم يدم طويلاً. لابد أن أحد الأولاد الآخرين رآه يذهب وأوشى به. سرعان ما ظهر ستين عاري الصدر وفي شورت، وغاضبًا، ودانيال، الذي لم يعرف ما إذا كان عليه الاعتذار أو الاختفاء ببساطة، تردد ثانية أطول من اللازم. تمكن ستين من الإمساك بالجيتار وانتزعه بعنف لدرجة أنه سقط للخلف.

لم تكن سقطة سيئة، بدت سخيفة فقط. لكن شيئًا ما في ستين انكسر. نهض، ووجهه محتقن، وحطم الجيتار على الرصيف. بعد ذلك بدا مصدومًا —— وكأنه لا يفهم تمامًا ما فعله. لكن ذلك لم يحدث فرقًا.

شعر دانيال وكأن عضوًا حيويًا قد انتزع من جسده. صرخ «أحمق» و«وغد»، كلمات لم ينطق بها قط من قبل أمام ستين. ركض عبر الحقول،

واقتحم المنزل، وحشر أسطواناته وبعض الملابس في حقيبة ظهر، وغادر المزرعة للأبد.

اتجه للطريق السريع «E-٤» ومشى لساعات، حتى أقلته شاحنة مفصلية حتى جافل. ثم واصل جنوبًا، نائمًا في الغابة، وسارقًا التفاح والخوخ وآكلاً التوت الذي وجده على طول الطريق. أعطته سيدة عجوز أوصلته لـ «سودرتاليا» شطيرة لحم خنزير. اشترى له شاب أخذه لـ «يونشوبينغ» غداءً، وفي وقت متأخر من مساء ٢٢ يوليو وصل إلى «غوتنبرغ». في غضون أيام قليلة حصل على عمل منخفض الأجر نقدًا في الميناء. بعد ستة أسابيع، يعيش على لا شيء تقريبًا وقد نام أحيانًا في بئر سلم، اشترى لنفسه جيتارًا جديدًا، ليس من نوع «سلمر ماكافيري» — جيتار جانغو الذي حلم بامتلاكه — بل «إيبانيز» مستعمل.

قرر أن يشق طريقه إلى نيويورك. لكن الأمر لم يكن سهلاً كما يقول الناس. لم يكن لديه جواز سفر ولا تأشيرة ولم يعد بإمكانك كسب تذكرة سفر على متن سفينة، ولا حتى كعامل نظافة. في إحدى الأمسيات الباكرة، عندما أنهى عمله في الميناء، كانت امرأة تنتظره عند الرصيف. كان اسمها **آن كاترين ليدهولم**. كانت بدينة وترتدي ملابس وردية، ولديها عينان طيبتان. أخبرته أنها أخصائية اجتماعية، وأن شخصًا ما اتصل بها بشأنه. عندها اكتشف أن الناس يبحثون عنه، وأنه أُبلغ عن فقدانه، وتبعها بتردد إلى وكالة الرعاية الاجتماعية في «يارنتورجيت».

أوضحت آن كاترين أنها تحدثت مع ستين عبر الهاتف وكان لديها انطباع إيجابي عنه، مما جعل دانيال أكثر ريبة.

قالت:

— «إنه يفتقدك.»

— «هراء.» قال، وأخبرها أنه لا يستطيع العودة. سيُضرب، ستكون حياته جحيمًا. استمعت آن كاترين لقصته وبعد ذلك أعطته بضعة خيارات،

لم يبدُ أي منها مناسبًا. قال إنه يستطيع تدبر أمره بنفسه، لا داعي للقلق. أجابت آن كاترين بأنه لا يزال قاصرًا وأنه بحاجة للدعم والإرشاد.

عندها تذكر «أهل ستوكهولم»، كما كان يفكر فيهم: أطباء نفسيون وأطباء زاروه كل عام من طفولته. قاسوه ووزنوه، وأجروا مقابلات معه ودونوا ملاحظات. وجعلوه يخضع لاختبارات، كل أنواع الاختبارات. لم يحبهم كثيرًا أبدًا وأحيانًا كان يبكي بعد ذلك. شعر بالوحدة والانكشاف للفحص، وفكر في والدته والحياة التي لم يعشها معها قط. من ناحية أخرى، لم يكرههم أيضًا. كانوا يمنحونه ابتسامات مشجعة ومديحًا، وقالوا كم هو فتى جيد وذكي. لم تكن هناك كلمة واحدة غير لطيفة. ولم يرَ الزيارات كشيء غير عادي. ظن أنه من الطبيعي تمامًا أن ترغب السلطات في رؤية كيف تسير أموره مع عائلته الحاضنة، وحقيقة أن الناس كانوا يكتبون عنه في السجلات والبروتوكولات الطبية لم تزعجه. بالنسبة له، كان ذلك علامة على أنه يعني شيئًا. واعتمادًا على من يزوره، كان يرى الزيارات أحيانًا كراحة مرحب بها من العمل في المزرعة، خاصة في الآونة الأخيرة عندما أظهر أهل ستوكهولم اهتمامًا بموسيقاه وصوروه وهو يعزف الجيتار. بضع مرات، بدا عليهم الإعجاب وتهمسوا لبعضهم البعض، ومضى يحلم كيف قد تنتشر تلك الأفلام وتقع في أيدي وكلاء أو منتجي تسجيلات.

لم يعطِ الأطباء النفسيون والأطباء سوى أسمائهم الأولى، ولم يعرف شيئًا عنهم — باستثناء امرأة صافحته ذات يوم وقدمت نفسها باسمها الكامل، ربما عن طريق الخطأ. لكن ذلك لم يكن السبب الوحيد لتذكره إياها. فُتن بقوامها وشعرها الطويل الأشقر المائل للحمرة، والكعب العالي الذي كان غير مناسب تمامًا للطرق الترابية حول المزرعة. ابتسمت له المرأة، وكأنها تحبه بصدق. كان اسمها هيلدا فون كانتربورج وكانت

ترتدي بلوزات وفساتين منخفضة الصدر، ولديها شفتان حمراوان ممتلئتان حلم بتقبيلهما.

هذه هي المرأة التي فكر فيها عندما سأل إن كان بإمكانه إجراء مكالمة من مكاتب الرعاية الاجتماعية. أُعطي دليلاً هاتفيًا لمنطقة ستوكهولم وقلبه بتوتر. للحظة كان مقتنعًا بأن هيلدا فون كانتربورج كان اسمًا مستعارًا، وكانت تلك المرة الأولى التي تخطر بباله فكرة أن أهل ستوكهولم قد لا يكونون مسؤولين نظاميين في نظام الرعاية الاجتماعية. لكنه وجد اسمها وطلب الرقم. لم يكن هناك رد، فترك رسالة.

عندما عاد في اليوم التالي، بعد أن أمضى الليلة في مأوى مدينة غوتنبرغ، كانت قد أعادت الاتصال به وتركت رقمًا آخر. هذه المرة أجابت وبدت سعيدة لسماع صوته. أدرك على الفور أنها تعلم أنه هرب. أخبرته أنها «آسفة جدًا» وقالت إنه «موهوب بشكل استثنائي». شعر بوحدة لا تطاق وكبت رغبة في البكاء.

— «حسنًا، ساعديني إذن.»

— «عزيزي دانيال، سأفعل أي شيء تقريبًا. لكن من المفترض أن ندرس، لا أن نتدخل.»

كان دانيال سيعود لتلك اللحظة مرارًا وتكرارًا على مر السنين؛ كانت أحد العوامل التي جعلته يتخذ هوية جديدة ويحميها بكل قوته. لكن في تلك اللحظة، وهو يمسك بالسماعة، شعر بالبؤس وتفوه: «ماذا، عن ماذا تتحدثين؟» أصبحت هيلدا متوترة، استطاع معرفة ذلك. سرعان ما بدأت تتحدث عن أشياء أخرى، كيف يحتاج لإنهاء المدرسة قبل اتخاذ أي قرارات متهورة. قال إن كل ما يريده هو العزف على الجيتار. أخبرته هيلدا أنه يستطيع دراسة الموسيقى. أجاب بأنه يريد الإبحار وشق طريقه لنيويورك للعزف في نوادي الجاز هناك. نصحته بشدة ضد ذلك: «ليس في عمرك، وليس مع كل ما لديك.»

تحدثا طويلاً لدرجة أن آن كاترين والأخصائيين الاجتماعيين الآخرين بدأوا يفقدون صبرهم، ووعد بالتفكير في الخيارات التي قدمتها له. قال إنه يأمل أن يراها. قالت إنها تود ذلك، لكن ذلك لم يحدث. لم يرها مرة أخرى.

بدا وكأن الناس يظهرون من العدم لمساعدته في الحصول على جواز سفر، وتأشيرة، ووظيفة كعامل مطبخ ونادل على متن سفينة شحن لخطوط «والينيوس». لم يفهم أبدًا كيف حدث كل ذلك. ستأخذه سفينة الشحن، ليس لنيويورك، بل لبوسطن. وجد قصاصة ورق مدبسة في عقد عمله بالكلمات التالية بقلم حبر أزرق: «كلية بيركلي للموسيقى، بوسطن، ماساتشوستس. حظًا سعيدًا! H.»

لم تعد حياته كما كانت أبدًا. أصبح مواطنًا أمريكيًا وغير اسمه إلى دان برودي، والسنوات التي تلت كانت مليئة بتجارب رائعة ومثيرة. ومع ذلك، في أعماقه، شعر بخيبة أمل ووحدة. كاد يحقق نجاحًا باهرًا في بداية حياته المهنية. ذات يوم، وهو يعزف في نادي «رايلز» للجاز في شارع هامبشاير ببوسطن، عزف مقطوعة منفردة كانت بروح جانغو وفي الوقت نفسه شيء آخر، شيء جديد، وسرت همهمة في الجمهور. بدأ الناس يتحدثون عنه وتعرف على مديري وكشافة شركات التسجيلات. لكن في النهاية شعروا بأنه يفتقر لشيء ما، الشجاعة ربما —— والثقة بالنفس. فشلت الصفقات في اللحظة الأخيرة، وطغى عليه آخرون أقل موهبة ومع ذلك أكثر جرأة بطريقة ما. كان عليه أن يرضى بحياة في الظل؛ سيكون الشخص الذي يجلس خلف النجم. سيظل دائمًا يفتقد الحماسة التي شعر بها وهو يعزف على الرصيف في بلاك أستيارنن.

***

تعقبت سالاندر العديد من مجموعات بيانات حركة اليد الأكبر —— المستخدمة في الأبحاث الطبية وتطوير الروبوتات —— وأدخلتها في

الشبكات العصبية[٤] العميقة لجمهورية الهاكرز. عملت بجد لدرجة أنها نسيت أن تأكل وتشرب، رغم الحر. أخيرًا رفعت نظرها عن الحاسوب وصبت لنفسها كأسًا، ليس من الماء، بل من ويسكي «تولامور ديو».

تاقت للكحول. تاقت للجنس، وضوء الشمس، والطعام السريع، ورائحة البحر، وصخب الحانات. وتاقت للشعور بالحرية. لكنها في الوقت الحالي اكتفت بالويسكي الأيرلندي. قد لا يكون سيئًا أن ينتهي بها المطاف تفوح برائحة متشرد ثمل، فكرت. لا أحد يتوقع الكثير من مدمن خمر. نظرت عبر «ريدارفجاردن» وأغمضت عينيها لبضع لحظات. مدت ظهرها وتركت الخوارزميات في الشبكة العصبية تقوم بعملها بينما ذهبت للمطبخ وسخنت بيتزا في الميكروويف. ثم اتصلت بـ أنيكا جيانيني.

لم تسر أنيكا بما كانت تخطط له. نصحتها بشدة ضد ذلك، لكن عندما لم تجد أذانًا صاغية أخبرت سالاندر أن أقصى ما يمكنها فعله هو تصوير المشتبه به، لا أكثر. أوصت بأن تتصل سالاندر بحسن فردوسي، الإمام. سيساعدها في «الجوانب الإنسانية الأكثر». تجاهلت سالاندر هذه النصيحة، لكن ذلك لم يهم حيث اتصلت أنيكا لاحقًا بالإمام بنفسها، وأرسلته إلى فالهولمن.

أكلت سالاندر بيتزا وشربت ويسكي، ثم اخترقت حاسوب بلومكفيست لتكتب في الملف الذي أسماه «أشياء ليزبيث»:

«<عدت للبيت. خرجت اليوم.
هيلدا هي هيلدا فون كانتربورج. ابحث عنها.
تحقق أيضًا من دانيال برولين. إنه عازف جيتار،
موهوب جدًا. أنا مشغولة بأمور أخرى. سأتصل
لاحقًا.>»

---

[٤] الشبكات العصبية العميقة: أنظمة حوسبة تتعلّم أنماطًا معقّدة بطريقة تُحاكي – ولو بشكلٍ مبسّط – طريقة عمل الخلايا العصبية في الدماغ البشري.

***

رأى بلومكفيست رسالة سالاندر وشكر الله على إطلاق سراحها. حاول الاتصال بها. وعندما لم يكن هناك رد شتم. إذن هي أيضًا تعرف عن هيلدا فون كانتربورج. ماذا يمكن أن يعني ذلك؟ هل تعرفها شخصيًا، أم حصلت على المعلومات بوسائل أخرى؟ لم تكن لديه فكرة. لكنه لم يحتج لتشجيع من سالاندر لملاحقة فون كانتربورج. كان قد عزم على ذلك بالفعل.

من ناحية أخرى، لم يتمكن من اكتشاف من أين أتى دانيال برولين هذا. وجد العديد من الأشخاص المختلفين باسم دانيال برولين على الشبكة، لكن لم يكن أي منهم عازف جيتار، أو أي نوع من الموسيقيين على الإطلاق. ربما لم يكن يحاول بجد كما يجب. لقد انغمس كثيرًا في تتبع خيوط أخرى.

بدأ الأمر في المساء السابق، بالمقال الذي أخبرته به أخت هيلدا. عندما قرأه لأول مرة، بدا عاديًا، عامًا جدًا ليحتوي على أي شيء كاشف، ناهيك عن شيء مثير للجدل. كتبت هيلدا — تحت الاسم المستعار ليونارد بارك — كيف أن النقاش الكلاسيكي حول الطبيعة مقابل التربية أصبح مسيسًا منذ زمن بعيد. يود اليسار أن نصدق أن آفاقنا في الحياة تتحدد بشكل أساسي بالعوامل الاجتماعية، بينما يجادل اليمين بتأثير الوراثة.

لاحظت هيلدا أن العلم يضل طريقه دائمًا عندما يسترشد بالأيديولوجيا أو التفكير الرغبوي. كانت هناك نبرة قلق في فقرتها التمهيدية، وكأنها على وشك اقتراح شيء صادم. لكن المقال كان متوازنًا: أكد أننا نتأثر بالوراثة والبيئة الاجتماعية بنفس الدرجة، وهو ما توقعه بلومكفيست تقريبًا.

لكن شيئًا واحدًا فاجأه. العوامل البيئية التي قيل إنها الأكثر تأثيرًا في تشكيلنا لم تكن تلك التي توقعها. أشار المقال إلى أن الأمهات والآباء

غالبًا ما يكونون مقتنعين بأن لهم تأثيرًا حاسمًا على تطور أطفالهم، لكنهم «يُفرطون في تقدير أنفسهم».

جادلت هيلدا بأن مصيرنا يتحدد على الأرجح بما أسمته «بيئتنا الفريدة» — تلك التي لا نشاركها مع أي شخص، ولا حتى إخوتنا. إنها البيئة التي نبحث عنها ونخلقها لأنفسنا، على سبيل المثال عندما نجد شيئًا يسعدنا ويسحرنا، ويدفعنا في اتجاه معين. يشبه إلى حد ما رد فعل بلومكفيست كصبي صغير، ربما، عندما شاهد فيلم «كل رجال الرئيس» وشعر برغبة قوية في أن يصبح صحفيًا.

كتبت هيلدا أن الوراثة والبيئة تتفاعلان باستمرار. نبحث عن الأحداث والأنشطة التي تحفز جيناتنا وتجعلها تزدهر، ونتجنب الأشياء التي تخيفنا أو تجعلنا غير مرتاحين. استندت في استنتاجاتها على سلسلة من الدراسات، من بينها «دراسة مينيسوتا للتوائم الذين رُبوا منفصلين»، وتحقيقات من سجل التوائم السويدي في معهد كارولينسكا.

التوائم المتطابقون، أو ما يسمى بالتوائم أحاديي الزيجوت، بمجموعاتهم الجينية التي لا يمكن تمييزها أساسًا، هم موضوعات مثالية. آلاف التوائم، متطابقين وغير متطابقين، يكبرون منفصلين عن بعضهم البعض، إما لأن أحدهما أو كليهما قد تم تبنيه، أو، بشكل أندر، نتيجة لخطأ مؤسف في جناح الولادة. العديد من هذه الحالات مفجعة، لكنها توفر للعلماء حالات اختبار حاسمة. تصل الدراسات لنفس النتيجة تقريبًا: العوامل الوراثية بالاقتران مع بيئتنا الفريدة هي العوامل الأساسية في تشكيل شخصيتنا.

لم يجد بلومكفيست صعوبة في طرح فرضيات تتحدى نتائج هيلدا، واستطاع أيضًا تحديد مشاكل في كيفية تفسير المواد البحثية. ومع ذلك وجد أن المقال مثير للاهتمام. تعلم عن حالات استثنائية لتوائم متطابقين نشأوا في عائلات مختلفة والتقوا كبالغين فقط، لكنهم كانوا متشابهين

بشكل لافت، ليس في المظهر فحسب بل في السلوك أيضًا. كان هناك ما يسمى بـ «توائم جيم» من أوهايو بالولايات المتحدة الأمريكية: لم يكونا على علم بوجود بعضهما البعض، ومع ذلك أصبح كلاهما مدخنين شرهين لسجائر «سالم»، وقضموا أظافرهم، وعانوا من صداع شديد، وكان لديهما طاولات نجارة في مرآبهم، وسموا كلابهما «توي»، وتزوجا مرتين من نساء بنفس الاسم، وأنجبا أبناءً سموهم «جيمس آلان» و«جيمس ألان»، والله أعلم ماذا أيضًا.

استطاع بلومكفيست فهم سبب حماس الصحافة الصفراء، لكنه هو نفسه لم ينبهر كثيرًا. كان يعلم مدى سهولة الهوس بالتشابهات والمصادفات — كيف أن المثير دائمًا ما يلتصق بالذهن ويبرز على حساب العادي، الذي — ربما تحديدًا لأنه عادي جدًا — يخبرنا بشيء أكثر أهمية عن العالم الحقيقي.

لكن بلومكفيست رأى أن كل هذه الدراسات على التوائم أدت لتحول نموذجي لعلم الأوبئة. بدأ مجتمع البحث يؤمن أكثر بقوة الجينات علينا، وبتفاعلها المعقد مع العوامل البيئية. سابقًا، خاصة في الستينيات والسبعينيات، أُولي وزن أكبر لتأثير الاعتبارات الاجتماعية. كانت هناك فكرة سائدة بأن النمو في بيئة معينة أو التربية بطريقة معينة سينتج حتمًا نوعًا معينًا من الأفراد. حلم العديد من العلماء بالقدرة على إثبات ذلك، ربما لتحديد كيفية إنتاج أشخاص أفضل وأكثر سعادة. كان أحد أسباب بدء العديد من المشاريع البحثية مع التوائم في ذلك الوقت، بعضها وصفته هيلدا بعبارات مراوغة بأنه «مُغرض وراديكالي».

هناك فجأة اعتدل بلومكفيست في جلسته وواصل بحثه بطاقة متجددة. لم يكن لديه فكرة عما إذا كان على الطريق الصحيح، ومع ذلك استمر في التنقيب، بما في ذلك البحث عن مجموعات من كلمات «مُغرض وراديكالي» في سياق أبحاث التوائم. هكذا صادف اسم **روجر ستافورد**.

كان ستافورد محللاً نفسيًا وطبيبًا نفسيًا أمريكيًا كان أستاذًا في جامعة ييل. عمل عن كثب مع ابنة فرويد، **آنا**، وقيل إنه يتمتع بكاريزما وسحر. كانت هناك صور له مع **جين فوندا**، و**هنري كيسنجر**، و**جيرالد فورد**، وبدا هو نفسه كنجم سينمائي بعض الشيء.

لكن شهرته الرئيسية كانت أقل إطراءً. «مُغرض وراديكالي» كان هو المغزى بالضبط. في سبتمبر ١٩٨٩، كشفت صحيفة «واشنطن بوست» أنه في أواخر الستينيات، أقام ستافورد علاقات وثيقة مع مديرات خمس وكالات تبني في نيويورك وبوسطن. اثنتان من النساء كانت لهما علاقة غرامية معه، وربما كانت هناك وعود بالزواج. ليس أنه كان يعتمد على ذلك. كان لستافورد سلطة في ذلك الوقت. في أحد كتبه، *الطفل الأناني*، زعم أن التوائم المتطابقين يزدهرون بشكل أفضل ويصبحون أكثر استقلالية إذا نشأوا منفصلين. تم دحض هذا الاستنتاج لاحقًا، لكن بحلول ذلك الوقت كان قد ترسخ بين المعالجين على الساحل الشرقي.

تم الاتفاق على أن تتصل هؤلاء النساء بستافورد بمجرد إحالة توائم إليهن للتبني. ثم وُضع الأطفال بالتشاور معه. شارك في الأمر ما مجموعه ستة وأربعون طفلاً، ثمانية وعشرون متطابقين وثمانية عشر غير متطابقين. لم تُبلغ أي من العائلات بأن ابنهم أو ابنتهم بالتبني توأم، أو حتى أن لديهم شقيقًا. من ناحية أخرى، طُلب من الآباء بالتبني السماح لستافورد وفريقه بفحص الأطفال مرة في السنة وإخضاعهم لسلسلة من اختبارات الشخصية.

سرعان ما لاحظت إحدى المديرات — امرأة تدعى **ريتا برنارد** — أن ستافورد أصر على وضع التوائم مع مجموعات من الآباء مختلفين تمامًا عن بعضهم البعض من حيث المكانة، والتعليم، والانتماء الديني، والمزاج، والشخصية، والعرق، وطرق تربية الأطفال. بدلاً من وضع مصالح التوائم أولاً، بدا ستافورد عازمًا على متابعة بحث في الوراثة والبيئة، كما قالت.

لم ينكر ستافورد أنه منخرط في عمل علمي. رآها فرصة ممتازة لتحسين فهمنا لكيفية تشكلنا كأفراد. قال إن بحثه سيصبح «موردًا علميًا لا يقدر بثمن». نفى بشدة أنه لم يكن يعطي الأولوية لمصالح الطفل، لكن «لأسباب تتعلق بالنزاهة» رفض نشر مادته. تبرع بها لمركز دراسات الطفل في ييل، بشرط أن يكون للباحثين والجمهور الوصول إليها فقط في عام ٢٠٧٨، عندما يكون كل المعنيين قد ماتوا منذ زمن بعيد. لم يرد، كما قال، استغلال مصير هؤلاء التوائم.

بدا ذلك نبيلاً، لكن كان هناك نقاد زعموا أنه أعلن سرية المواد لأنها لم ترقَ لتوقعاته. اتفق معظمهم على أن التجربة غير أخلاقية بعمق، وأن ستافورد حرم الأشقاء من متعة النمو معًا. حتى إن زميلاً له طبيبًا نفسيًا من هارفارد شبه أنشطته بتجارب **جوزيف منجل** على التوائم في أوشفيتز. رد ستافورد، بعنف وفخر، باثنين أو ثلاثة محامين، وانتهى النقاش بعد وقت قصير. عندما توفي ستافورد في عام ٢٠٠١، دُفن ببعض الأبهة والفخامة وبحضور عدد من المشاهير. نُشرت بعض النعيّات الرفيعة في الصحافة المتخصصة والصحف. لم تشوه التجربة ذاكرته إلى حد كبير، ربما لأن الأطفال الذين فُصلوا بوحشية عن بعضهم البعض جاءوا جميعًا من الطبقات الدنيا في المجتمع.

لم يكن ذلك شيئًا غير عادي في تلك الأيام، كما كان بلومكفيست يعرف جيدًا. يمكن للمرء أن يرتكب انتهاكات بحق الأقليات العرقية وغيرها باسم العلم ولصالح المجتمع ويفلت من العقاب. لهذا السبب، لم يكن بلومكفيست مستعدًا لتجاهل تجربة ستافورد كحادثة معزولة وبحث أعمق في التاريخ. لاحظ أن ستافورد زار السويد في السبعينيات والثمانينيات. كانت هناك صور له مع **لارس مالم**، و**بيرجيتا إيدبيرج**، و**ليزيلوت سيدر**، و**مارتن شتاينبرج**، كبار المحللين النفسيين وعلماء الاجتماع في ذلك الوقت.

في ذلك الوقت، لم يكن معروفًا شيئًا عن تجارب ستافورد مع التوائم، وربما كانت لديه أسباب أخرى لزيارة السويد. لكن بلومكفيست استمر في التنقيب، مفكرًا في سالاندر طوال الوقت. هي أيضًا كانت توأمًا، توأمًا غير متطابق لأخت كابوسية تدعى **كاميلا**. كان يعلم أن السلطات حاولت فحصها وهي صغيرة وكرهت ذلك. فكر أيضًا في ليو مانهايمر ودرجة ذكائه المرتفعة، وفي إشارة إليانور هيورت إلى أنه ربما وُلد في مجتمع الرحّل. ما قالته مالين عن أن ليو لم يعد أعسرًا بدأ يبدو معقولاً بالفعل.

بحث عن الظواهر الطبية التي قد تفسر التغيير، واستغرق في مقال في مجلة «نيتشر» يشرح كيف تنقسم بويضة مخصبة واحدة في الرحم وتؤدي لتوائم متطابقين. ثم نهض عن مكتبه ووقف بلا حراك لدقيقة أو اثنتين، يتمتم لنفسه. اتصل بـ **لوتا فون كانتربورج** مرة أخرى وأخبرها بما يشك فيه. في الواقع، خاطر وقدم نظريته الجديدة الجامحة كحقيقة.

قالت:

— «هذا يبدو جنونًا تمامًا.»

— «أعرف. لكن هل ستخبرين هيلدا، إذا اتصلت؟ أخبريها أن الوضع حرج.»

— «سأفعل.»

ذهب بلومكفيست للسرير وهاتفه بجانبه على المنضدة. لكن لم يتصل أحد. ومع ذلك بالكاد نام، والآن، بعد يوم، عاد لحاسوبه. كان يبحث في الأشخاص الذين التقاهم ستافورد في رحلاته للسويد، ولدهشته صادف اسم هولجر بالمجرين. كان بالمجرين وأستاذ علم الاجتماع مارتن شتاينبرج يعملان معًا في قضية جنائية قبل أكثر من عقدين. بالكاد اعتقد بلومكفيست أن هذا مهم — ستوكهولم مكان صغير في النهاية. الناس دائمًا يلتقون ببعضهم البعض.

ومع ذلك، دون رقم هاتف شتاينبرج وعنوانه في «ليدينجو»، وتابع البحث في خلفيته. لكن تركيزه كان يتشتت. كان في حيرة من أمره: هل يرسل رسالة مشفرة لسالاندر ويخبرها بما وجده؟ هل يواجه مانهايمر، ليرى إن كان على الطريق الصحيح؟ تناول إسبريسو آخر وفجأة افتقد مالين. في وقت قصير جدًا وجدت طريقها مرة أخرى لحياته، كقوة من الطبيعة.

دخل الحمام ووقف على الميزان. زاد وزنه، كان بحاجة لفعل شيء حيال ذلك. ويجب أن يقص شعره. كان منتفشًا في كل الاتجاهات وحاول تسويته. لكنه قال بصوت عالٍ «إلى الجحيم» وعاد لمكتبه للاتصال، وإرسال بريد إلكتروني، ورسالة نصية لسالاندر. في النهاية كتب في ملفهما المشترك على حاسوبه:

«<تواصلي معي! أعتقد أنني وجدت شيئًا.>»

شيء في رسالته لم يبدُ صحيحًا تمامًا: كلمة «أعتقد». لم تكن سالاندر تحب أنصاف الحلول. صححها: «<لقد وجدت شيئًا>»، وأمل أن يكون ذلك صحيحًا. ثم ذهب لخزانته، وارتدى قميصًا قطنيًا مكويًا حديثًا وخرج، نزولاً في شارع «بيلمانسجاتان» إلى محطة قطار الأنفاق في «ماريا تورجيت».

على الرصيف أخرج ملاحظاته من الليلة السابقة وراجعها مرة أخرى. نظر لعلامات استفهامه وتكهناته. هل كان يجن؟ نظر للشاشة الرقمية فوقه ورأى أن قطارًا على وشك الوصول. في تلك اللحظة رن هاتفه. كانت لوتا فون كانتربورج وكانت تلهث:

— «لقد اتصلت.»

— «هيلدا؟»

— «أخبرتني أن ما قلته عن ليو مانهايمر بدا جنونًا. وأنه لا يمكن أن يكون صحيحًا.»

– «أفهم.»

– «لكنها تريد مقابلتك.» قالت. «تود أن تخبرك بما تعرفه. حاليًا هي...»

– «لا تخبريني عبر الهاتف.»

اقترح بلومكفيست أن يلتقيا فورًا في مقهى «كافيبار» في شارع «سانت بولسجاتان»، وأسرع عائدًا صعودًا على درجات المحطة.

-١٤-

١٢ يونيو

كان **بوبلانسكي** في شقة بـ «أسبودن»، محاطًا بأثاثٍ قديم الطراز، يتحدث إلى **ماي بريت توريل**، المرأة التي زارت **بالمجرين** قبل بضعة أسابيع، حسب قول **سالاندر**. ربما كانت نوايا السيدة العجوز هي الأفضل، فكر بوبلانسكي، لكن كان هناك شيء غريب بشأنها. لم تكن تعبث بتوتر فقط بالمعجنات الدنماركية على طاولة القهوة، بل بدت أيضًا منسية ومنفصلة بشكل مدهش بالنسبة لشخص قضى سنوات عديدة يعمل كسكرتيرة طبية.

قالت:

— «لست متأكدة تمامًا مما أعطيته. سمعت الكثير عن الفتاة، واعتقدت أن الوقت قد حان ليحصل على القصة الكاملة —— عن الطريقة المروعة التي عوملت بها.»

— «إذن أعطيتِ بالمجرين الأوراق الأصلية؟»

— «أفترض أنني فعلت. عيادة البروفيسور أُغلقت منذ زمن ولا فكرة لدي عما حل بكل السجلات الطبية. لكن كانت لدي بعض الأوراق التي أعطاني إياها البروفيسور **كالدين** بشكل غير رسمي.»

— «سرًا، تقصدين؟»

— «يمكنك قول ذلك.»

— «وثائق مهمة إذن؟»

— «أفترض ذلك.»

– «ألم تحتفظي بنسخ، أو تمسحيها ضوئيًا في حاسوب؟»

– «قد تظن ذلك، لكنني...»

لم يقل بوبلانسكي شيئًا. بدا وكأنها اللحظة المناسبة للحفاظ على الصمت. لكن توريل لم تكمل جملتها وواصلت العبث بمعجناتها بتوتر أكبر.

قال بوبلانسكي:

– «أليس من قبيل الصدفة أنكِ...»

– «ماذا؟»

– «... تلقيتِ زيارة من شخص ما، أو مكالمة هاتفية حول هذه الأوراق؟ هل هذا ربما ما يجعلكِ قلقة بعض الشيء الآن؟»

قالت توريل بسرعة زائدة وتوتر زائد:

– «قطعًا لا.»

نهض بوبلانسكي. حان الوقت الآن. نظر إليها بابتسامته الأكثر حزنًا، التي كان يعلم جيدًا أنها يمكن أن تترك انطباعًا عميقًا على الأشخاص الذين يصارعون ضميرهم.

– «في هذه الحالة سأدعكِ بسلام.»

– «أوه، حقًا؟»

– «فقط من باب الاحتياط، سأطلب سيارة أجرة وأخذكِ لمقهى لطيف في المدينة. هذا الأمر مهم وخطير لدرجة أعتقد أنكِ بحاجة لبعض الوقت للتفكير، ألا توافقين يا سيدة توريل؟»

ثم ناولها بطاقة عمله وخرج لسيارته.

***

ديسمبر، قبل عام ونصف

في ذلك اليوم بالذات، كان **دان برودي** يعزف مع خماسي **كلاوس جانز** في نادي «إي- ترين» للجاز ببرلين. مرت سنوات. كان في الخامسة

والثلاثين من عمره، وقص شعره الطويل ولم يعد يرتدي قرطًا. بدأ في ارتداء بدلات رمادية. كان يمكن الخلط بينه وبين موظف مكتب، وأحب ذلك. كانت نوعًا من أزمة منتصف العمر المبكرة، افترض.

سئم من التجوال، لكن لم يكن لديه خيار. لم يتمكن من ادخار أي مدخرات ولم يملك شيئًا ذا قيمة، لا شقة، لا سيارة، لا شيء. أي احتمال لتحقيق نجاح باهر — أن يصبح غنيًا ومشهورًا — تلاشى منذ زمن. لم يكن النجم أبدًا، حتى لو كان دائمًا الموسيقي الأكثر موهبة على المسرح. ودائمًا كان لديه عمل، وإن كان بأجر أقل وأقل. أصبح كسب العيش كموسيقي جاز أصعب من أي وقت مضى، وربما لم يعد يعزف بنفس الشغف الذي كان عليه من قبل.

لم يعد يعمل على موسيقاه كثيرًا. كان يدبر أمره جيدًا بدونها. خلال فترات التوقف أثناء السفر، بدلاً من التدرب لساعات كل يوم كما اعتاد، أصبح يقرأ الآن. التهم الكتب ولم يميل للاختلاط الاجتماعي. لم يطق الثرثرة الفارغة أو الصخب والضجيج في الحانات والنوادي، وشعر بتحسن كبير عندما قلل من الشرب. بشكل عام، كان ينظف حياته، وبشكل متزايد تاق لحياة طبيعية: زوجة ومنزل، وظيفة ثابتة، قدر من الأمان.

على مر السنين جرب كل أنواع المخدرات تقريبًا، وكان لديه الكثير من العلاقات الغرامية والعلاقات العابرة. لكن بدا دائمًا أن هناك شيئًا مفقودًا. كانت الموسيقى عزاءه، لكن عندما لم تعد تنعش روحه، بدأ يتساءل عما إذا كان قد سلك الطريق الخطأ في الحياة. ربما كان يجب أن يصبح معلمًا. مر مؤخرًا بتجربة ساحقة في كليته الموسيقية القديمة ببوسطن.

طُلب منه قيادة ورشة عمل حول **جانغو راينهارت**، وأخافه الاحتمال حتى الموت. كان متأكدًا أن التحدث في الأماكن العامة يفوق قدرته، وأن افتقاره للحضور المسرحي كان أحد أسباب عدم رغبة شركات التسجيلات

في الاستثمار فيه. لكنه وافق على القيام بذلك على أي حال وشرع في التحضير حتى أدق التفاصيل. قال لنفسه إنه يحتاج فقط للالتزام بنصه، الكثير من الموسيقى والقليل من الكلام. لكن عندما وقف هناك أمام مائتي طالب، ضعفت ركبتاه. كان يرتجف في كل جسده، عاجزًا عن نطق كلمة واحدة، وفقط بعد ما بدا وكأنه دهر تمكن من القول:

– «وهناك كنت، أظن أنني سأكون الرجل الرائع الذي يعود لمدرسته الأم —— بدلاً من ذلك أقف هنا كأحمق كامل!»

لم تكن مزحة حتى، بل أشبه بالحقيقة اليائسة. لكن الطلاب ضحكوا، فأخبرهم عن جانغو و**ستيفان جرابيلي** وخماسي نادي الجاز الفرنسي. تحدث عن حياة النادي وتقلباتهم، وعن قلة المصادر المكتوبة. عزف «ماينور سوينغ» و«نواج» وتنويعات على مقطوعات منفردة وألحان قصيرة، وأصبح أكثر جرأة وجرأة. خطرت له كل أنواع الأفكار، بعضها هزلي، وبعضها جاد. وجد نفسه يقول إن جانغو كان محكومًا عليه بالخراب. خلال سنوات هتلر كان معرضًا لخطر الترحيل لمعسكر موت لكونه من الروما، لكن أنقذه نازي من بين كل الناس، ضابط في سلاح الجو أحب موسيقاه. توفي في النهاية بفرنسا في ١٦ مايو ١٩٥٣، بعد نزيف في المخ أثناء سيره من محطة القطار في «آفون» لمنزله. قال دان: «لقد كان رجلاً عظيمًا. غير حياتي.»

صمت. كان في طي النسيان.

لكن بعد ثوان، كان هناك تصفيق مدوٍ. وقف الطلاب وهتفوا، وذهب دان للمنزل مندهشًا وسعيدًا.

حمل الذكرى معه وأحيانًا، حتى الآن في جولة بألمانيا، كان يدلي ببعض التعليقات بين المقطوعات، أو يروي حكاية تجعل الجمهور يضحك، رغم أنه لم يكن هو محور الاهتمام. غالبًا ما منحه ذلك متعة أكبر من مقطوعاته المنفردة، ربما لأنه كان شيئًا جديدًا.

عندما لم يسمع من المدرسة مرة أخرى، شعر بخيبة أمل. تخيل كيف أن المعلمين والأساتذة سيتحدثون عنه، قائلين: «الآن هناك شخص يمكنه حقًا إشعال حماس طلابنا.» لكن لم تأتِ دعوات أخرى وكان فخورًا جدًا — وخجولًا جدًا — ليتصل ويقول كم سيكون سعيدًا بالعودة. فشل في إدراك أن هذه إحدى مشاكله: أنه يفتقر للمبادرة في بلد كانت هي المحرك والجوهر للمجتمع. كان صمت المدرسة مؤلمًا، وبعد ذلك أصبح منطويًا وعزف بحماس ضئيل.

كانت الساعة التاسعة وعشرين دقيقة مساء الجمعة، ٨ ديسمبر، وكان البار ممتلئًا. كان الجمهور أفضل لباسًا وأكثر رقيًا من المعتاد، وربما أقل تفاعلاً. ربما رجال مال، فكر. التقى بأنواع وول ستريت الذين عاملوه كخادم. بدا أن هناك الكثير من الثراء في الغرفة وهذا أثبط عزيمته. بالتأكيد، كانت هناك أوقات كان فيها بحال جيد. بعد السنوات العجاف القليلة الأولى في أمريكا، لم يجُع قط. لكن حتى عندما كان لديه مال، كان ينساب ببساطة من بين أصابعه.

قرر تجاهل الجمهور والتركيز على الموسيقى، رغم أن المجموعة الأولى بدت روتينية. ثم جاءت «ستيلا باي ستارلايت»، لحن عزفه ألف مرة وعرف أنه يمكنه التألق فيه. أخذ العزف المنفرد قبل الأخير، قبل كلاوس جانز نفسه، وأغمض عينيه.

كانت المقطوعة في مقام سي بيمول، لكن بدلاً من اتباع التقدم الثنائي ـ الخماسي ـ الواحد، عزف بالكامل تقريبًا خارج المقام. بمعاييره الخاصة لم يكن العزف المنفرد الأكثر إبهارًا. لكنه لم يكن سيئًا، وسمع شخصًا يصفق تلقائيًا عندما بدأ العزف. عندما نظر للأعلى ليظهر تقديره، التقت عيناه بعيني شابة في فستان أحمر أنيق، ترتدي قلادة خضراء متلألئة. كانت شقراء ونحيلة، وكان هناك شيء ثعلبي في ملامحها الجميلة. ربما

كانت من أهل المال، فكر، لكن لم يكن هناك شيء فاتر أو غير مهتم بها. في الواقع كانت مأخوذة، وتحدق فيه باهتمام.

لم يستطع تذكر أي امرأة نظرت إليه هكذا من قبل، لا غريبة، وبالتأكيد لا جميلة من الطبقة العليا. لكن الأكثر استثنائية كان الإحساس بالألفة. وكأن المرأة تشاهد صديقًا عزيزًا. بدت مذهولة ومسحورة، وقرب نهاية عزفه المنفرد حركت شفتيها بشيء مفعم بالحماس، وكأنها تعرفه. ارتسمت على وجهها ابتسامات وهزت رأسها. كانت هناك دموع في عينيها حتى.

بعد المجموعة اقتربت من المسرح، أكثر تحفظًا الآن. ربما جُرحت مشاعرها لعدم تقديره حماسها. عبثت بتوتر بقلادتها وهي تنظر ليديه وجيتاره. أعطت انطباعًا بأنها حائرة، وشعر بعاطفة مفاجئة تجاهها، غريزة وقائية. نزل عن المسرح وابتسم لها. وضعت يدًا على كتفه وقالت له بالسويدية:

— «كنت مذهلاً. كنت أعرف أنك تعزف البيانو، لكن هذا... هذا كان سحريًا. كان جيدًا بجنون يا **ليو**.»

— «اسمي ليس ليو.»

***

كانت سالاندر تعلم أنها وشقيقتها ظهرتا في قائمة يحتفظ بها «سجل دراسات الوراثة والبيئة الاجتماعية». كان وجود المنظمة معروفًا لقلة فقط، لكنها كانت جزءًا من المعهد الحكومي لعلم الوراثة البشرية في أوبسالا، والذي كان يُعرف حتى عام ١٩٥٨ باسم المعهد الحكومي لعلم الأحياء العرقي.

كان هناك ستة عشر شخصًا آخر على القائمة، غالبيتهم أكبر من ليزبيث و**كاميلا**. كان لديهم الأحرف M.z.A. أو D.z.A. بجوار أسمائهم. فهمت سالاندر أن M.z. تعني «أحادي الزيجوت»، بعبارة أخرى توائم

متطابقين؛ وD.z. تعني توائم غير متطابقين؛ والحرف A يشير إلى «منفصلين»، أي «رُبوا منفصلين».

سرعان ما استنتجت أنهم توائم نشأوا منفصلين وفقًا لخطة مدروسة بعناية. هي وكاميلا، على عكس الآخرين، كانتا مصنفتين «D.z. —— فشل A.». كل التوائم الآخرين فُصلوا في سن مبكرة. سُجلت نتائج سلسلة من اختبارات الذكاء والشخصية تحت أسمائهم.

برز اسمان: **ليو مانهايمر** و**دانيال برولين**. وُصفا بأنهما توأمان متطابقان استثنائيان. كانت نتائج اختباراتهما متسقة، وفي عدد من النقاط كانت متميزة. قيل إنهما ولدا في مجتمع الرحّل. قالت ملاحظة، تحمل الحرفين الأولين M.S.:

«أذكياء للغاية وموسيقيون للغاية. إلى حد ما أطفال معجزات. لكن يفتقرون للمبادرة. يميلون للشك والاكتئاب، وربما أيضًا الذهان. عانى كلاهما من احتداد السمع، وهلوسات سمعية. منعزلون، لكن بموقف متناقض تجاه عزلتهم. ربما منجذبون إليها. كلاهما يتحدث عن إحساس قوي بـ "فقدان شيء ما" و"وحدة شديدة". كلاهما يظهر التعاطف، ولا يظهر أي منهما علامات عدوانية —— باستثناء نوبات غضب عرضية تثيرها الضوضاء العالية. درجات ملحوظة، حتى للإبداع. مهارات لفظية ممتازة، ومع ذلك تقدير ذاتي منخفض، أعلي قليلاً من L.، لأسباب واضحة، لكن ليس بالقدر المتوقع. ربما بسبب علاقة صعبة مع الأم، التي لم ترتبط كما كنا نأمل.»

جعلتها تلك الجملة الأخيرة تشعر بالغثيان. لم تنبهر بتقييمات شخصياتهم الأخرى أيضًا، خاصة الهراء المكتوب عنها وعن كاميلا. كانت كاميلا «جميلة جدًا، وإن كانت باردة ونرجسية بعض الشيء». بعض الشيء؟ تذكرت كيف حدقت كاميلا في الأطباء النفسيين بعينيها الشبيهتين بعيني الغزال. من الواضح أن ذلك أدار رؤوسهم. ومع ذلك... كانت هناك

بعض التفاصيل في المواد قد تكون مفيدة وقد توفر لها خيطًا. من بين أمور أخرى، كان هناك سطر عن «ظروف مؤسفة» تطلبت من السلطات «إبلاغ والدي ليو بسرية تامة». لم يُشر إلى المعلومات التي نقلوها. لكنها قد تكون عن المشروع نفسه. سيكون ذلك مثيرًا للاهتمام.

حصلت سالاندر على الوثائق باختراق نظام الحاسوب للمعهد الحكومي لعلم الوراثة البشرية وإنشاء جسر بين الشبكة والشبكة الداخلية لسجل دراسات الوراثة والبيئة الاجتماعية. كان تمرينًا متقدمًا، استغرق ساعات من العمل. كانت تعلم جيدًا أنه لا يوجد الكثيرون غيرها ممن كان بإمكانهم تحقيق هذا النوع من الاختراق، خاصة مع قلة وقت التحضير.

أملت أن تضرب منجم ذهب. لكن الأطراف المعنية لابد أنها كانت حذرة للغاية. لم تجد اسمًا واحدًا للمسؤولين، فقط أحرف أولى، بما في ذلك H.K. وM.S. قررت أن ملفات دانيال وليو هي أفضل أمل لها. كانت غير مكتملة ـــ معظم المواد كانت مفقودة أو أُرشفت بطريقة مختلفة ـــ لكنها كانت حريصة على دراسة ما تبقى.

وضع شخص ما علامة استفهام بجوار اسم مانهايمر ثم قام بعمل سيء في محوها.

بدا أن دانيال برولين قد هاجر، بطموح أن يصبح عازف جيتار. أخذ دورة لمدة عام في كلية بيركلي للموسيقى ببوسطن، ممولة بمنحة دراسية، ومنذ ذلك الحين فُقد كل اتصال به. ربما غير اسمه.

درس مانهايمر في كلية ستوكهولم للاقتصاد. كانت هناك ملاحظة لاحقة عنه: «مرير جدًا بعد الانفصال عن امرأة من طبقته الاجتماعية. أحلام عنف أولى. خطر؟ هجوم متجدد لاحتداد السمع؟»

ثم كان هناك قرار ـــ مرة أخرى يحمل الحرفين M.S. ـــ بدا حديثًا، يعلن أن السجل سيُغلق رسميًا. «إنهاء المشروع ٩. مانهايمر مصدر قلق.»

بما أن سالاندر كانت في السجن، غير قادرة على البحث عن مانهايمر أو من حوله، طلبت من بلومكفيست إلقاء نظرة فاحصة. كان يائسًا مؤخرًا، يتدخل في شؤونها كشخصية أبوية. أحيانًا كل ما أرادته هو تمزيق ملابسه وسحبه لمرتبة سجنها، فقط لإسكاته. لكن كصحفي كان لا يكل وأحيانًا — اعترفت على مضض — كان يلاحظ أشياء فاتتها هي نفسها. ولهذا السبب تعمدت عدم إخباره بكل شيء؛ سيرى بلومكفيست بوضوح أكبر إذا تركته يحقق دون أن يكون عقله قد تشكل بالفعل. ستتصل به قريبًا وتسيطر على الوضع برمته.

كانت تجلس على مقعد في شارع «فلوتفاجن» في فالهولمن، وحاسوبها متصل بهاتفها، ونظرت للأعلى نحو الأبراج السكنية الرمادية المخضرة التي يتغير لونها في ضوء الشمس. كانت ترتدي سترة جلدية وبنطال جينز أسود، ليست الملابس المناسبة ليوم رطب.

غالبًا ما وُصف فالهولمن بأنه حي فقير. السيارات تحترق في الليل. عصابات من الشباب تجول وتسطو على الناس. قيل إن مغتصبًا طليق، وكثيرًا ما ثرثرت الصحافة عن مجتمع لا يجرؤ أحد فيه على التحدث للشرطة. لكن في الوقت الحالي بدا المكان شاعريًا. جلست مجموعة صغيرة من النساء المحجبات بسلة نزهة على العشب أمام الأبراج السكنية. لعب صبيان صغيران كرة القدم. وقف رجلان عند المدخل الأمامي على اليسار، يرشان الماء بخرطوم ويضحكان كالأطفال.

مسحت سالاندر قطرة عرق من جبينها وواصلت العمل مع شبكتها العصبية العميقة. كان الأمر صعبًا، تمامًا كما توقعت. مقطع الفيديو من بوابة التذاكر في محطة قطار أنفاق هورنستول كان قصيرًا ومشوشًا جدًا، والجسد كان محجوبًا بركاب آخرين صاعدين من الرصيف. والوجه لم يكن مرئيًا في أي وقت. هو — كان من الواضح أنه شاب — كان يرتدي

قبعة بيسبول ونظارات شمسية. رأسه منحني للأمام. لم تستطع سالاندر حتى قياس عرض كتفيه.

كل ما كان لديها هو الحركة المتباعدة المميزة لأصابعه وإيماءة متشنجة وغير متناسقة بيده اليمنى. لم يكن لديها طريقة لمعرفة مدى تميزها. قد تكون رد فعل عصبي، شذوذًا في نمط حركته المعتاد. لكن كان هناك عدم انتظام تشنجي لافت للنظر يتم تحليله الآن في عقد شبكتها ومقارنته بمقطع حملته لشاب يركض مارًا بها في مسار تدريب قبل أربعين دقيقة.

كانت هناك ارتباطات بين أنماط الحركة، وكان ذلك مشجعًا. لكنه لم يكن كافيًا. احتاجت لالتقاط العداء في وضع أكثر قابلية للمقارنة بذاك في محطة قطار الأنفاق. بين الحين والآخر، لذلك، كانت تنظر للأعلى نحو العشب والممر المعبد الذي اختفى الشاب على طوله. لم يكن هناك أثر له في الوقت الحالي، لذا تصفحت بريدها الإلكتروني ورسائلها.

كتب بلومكفيست ليقول إنه وجد شيئًا. أغراها الاتصال به، لكن سيكون من الكارثي فقدان تركيزها الآن. احتاجت لأن تكون مستعدة. أحيانًا كانت تلقي نظرة نحو الممر. بعد خمس عشرة دقيقة، عاود الشاب الظهور في البعيد. كان طويلاً، ولديه مشية عداء محترف، وكان أيضًا نحيلاً للغاية. لكن ذلك لم يكن مهمًا لها. كل ما اهتمت به هو ذراعه اليمنى —— الحركة المتشنجة غير المنتظمة في الدفع للأعلى والحركة المتباعدة للأصابع. صورته بهاتفها وحصلت على ردود فعل فورية. كان الارتباط أقل وضوحًا، ربما لأن العداء بدأ يشعر بالإرهاق، أو لأنه لم يكن كافيًا في المقام الأول.

قد تكون محاولة بعيدة المدى، لكنها لا تزال افتراضًا معقولاً. الرجل في مقطع الفيديو كان أحد القلائل الذين لم يتمكنوا من تحديد هويتهم بعد وفاة جمال شودري. كانت هناك أوجه تشابه واضحة مع الشاب الذي

يقترب الآن. إذا تأكدت شكوكها، سيفسر هذا أيضًا صمت فاريا أثناء الاستجواب.

احتاجت سالاندر للمزيد من مواد الفيديو. حشرت حاسوبها في حقيبتها، ونهضت عن المقعد ونادت. أبطأ العداء خطواته وضيّق عينيه في ضوء الشمس. سحبت قارورة ويسكي من جيب داخلي لسترتها، وأخذت جرعة وترنحت جانبيًا. بدا الشاب غير مبالٍ، لكنه توقف ووقف هناك يلهث.

قالت سالاندر، وكلامها متداخل:

— «يا إلهي، أنت تركض بسرعة.»

لم يجب. بدا وكأنه يريد التخلص منها والدخول للمدخل، لكنها لن تستسلم بسهولة.

قالت وهي تقوم بحركة بيدها:

— «هل يمكنك فعل هذا؟»

— «لماذا؟»

لم يكن لديها إجابة جيدة لذلك، فخطت نحوه:

— «لأنني أريدك أن تفعل؟»

— «هل أنتِ غبية أم ماذا؟»

لم تقل شيئًا. حدقت فيه بعينين مظلمتين. بدا أن ذلك أخافه، فقررت استغلال ميزتها. ترنحت نحوه بمشية مهددة وزمجرت: «ماذا كان ذلك؟»

ثم حرك الرجل يده كما أرادت، إما لأنه خائف أو لأنه ظن أنها أسرع طريقة للتخلص من الموقف. ركض لمبناه دون أن يلاحظ أنها صورته بهاتفها.

وقفت هناك ونظرت لحاسوبها، وشاهدت كيف تم تنشيط العقد في شبكتها. أصبح كل شيء واضحًا. لقد أصابت هدفًا، ارتباطًا في عدم تناسق الأصابع. لا شيء يصمد في المحكمة، لكنه كافٍ لإقناعها بأنها على حق.

مشت نحو المدخل الأمامي للمبنى. لم تكن تعرف كيف ستتمكن من الدخول، لكن اتضح أنه سهل. انهار الباب بدفعة قوية من كتفها ووجدت نفسها في بئر سلم رث بدا فيه كل شيء إما مكسورًا أو متهالكًا. فاحت رائحة البول ودخان السجائر وكان المصعد معطلاً. كانت الجدران رمادية ومغطاة بالكتابات، مرئية بفضل ضوء الشمس الخافت الذي يضيء الطابق الأرضي. لكن لم تكن هناك نوافذ في بئر السلّم وأضواء قليلة تعمل. كان الجو خانقًا وقريبًا والدرج مغطى بالقمامة.

صعدت سالاندر الدرج ببطء، مركزة باهتمام على الحاسوب المحمول المتوازن على ذراعها اليسرى. توقفت في الطابق الثالث وأرسلت تحليل حركة اليد لبوبلانسكي وخطيبته فرح شريف، التي كانت أستاذة في علوم الحاسوب، وكذلك لجيانيني. في الطابق الرابع وضعت الحاسوب في حقيبتها ونظرت للوحات الأسماء. أقصى اليسار كان K. Kazi —— خليل كازي. اعتدلت وأخذت نفسًا عميقًا. لم يكن خليل شيئًا يثير القلق، لكن جيانيني سمعت أن إخوته الأكبر يزورونه بانتظام. طرقت سالاندر الباب وسمعت خطوات. فُتح الباب وحدق فيها خليل، ولم يعد خائفًا على ما يبدو.

— «مرحبًا.»

— «وماذا الآن؟»

— «أريد أن أريك شيئًا. فيلمًا.»

— «أي نوع من الأفلام؟»

— «سترى.» أفسح لها المجال للدخول. بدا الأمر سهلاً جدًا، وسرعان ما أدركت السبب.

لم يكن خليل وحيدًا. حدق فيها **بشير كازي** —— عرفته من أبحاثها —— بازدراء. سيكون هذا مزعجًا بقدر ما خشيت.

***

ديسمبر، قبل عام ونصف

كان دان برودي حائرًا. رفضت المرأة ببساطة تصديق أنه ليس ذلك الرجل ليو. عبثت بقلادتها ولعبت بشعرها، وقالت إنها ستتفهم إذا أراد الحفاظ على سرية هويته. ذكرته بأنها قالت دائمًا إنه يستحق الأفضل.

— «لا يبدو أنك تفهم كم أنت مدهش يا ليو. لم تفهم قط. لا أحد في ألفرد أوجرين يفهم. وبالتأكيد لا **مادلين**.»

— «مادلين؟»

— «مادلين حمقاء تمامًا. أن تختار **إيفار** عليك. هذا غباء شديد. إيفار وغد بدين وخاسر.»

ظن أنها تتحدث بطريقة طفولية. لكن ربما كان غير مطلع على السويدية الحديثة. كانت متوترة أيضًا. حولهم كان هناك جلبة، أناس يتدافعون لشراء المشروبات في البار. جاء كلاوس وأعضاء الفرقة الآخرون ليسألوا إن كان دان يريد الانضمام إليهم لتناول العشاء. هز رأسه ونظر للمرأة مرة أخرى. كانت تقف قريبة منه بشكل غريب. كان صدرها يرتفع ويهبط، وشم رائحة عطرها. كانت جميلة جدًا. كان كالحلم. حلم جميل، فكر، رغم أنه لم يكن متأكدًا تمامًا. كان حائرًا.

في مؤخرة النادي انكسر كأس. بدأ رجل يصرخ، وجعل ذلك دان يتكشر.

قالت المرأة:

— «أنا آسفة. ربما أنت وإيفار لا تزالان صديقين.»

— «لا أعرف أي إيفار.» قال بحدة.

نظرت إليه المرأة بيأس شديد لدرجة أنه ندم. شعر بأنه سيقول أي شيء تريده — أنه يُدعى ليو ويعرف مادلين، وأن إيفار وغد. لم يرد أن يخيب أملها. أرادها أن تكون سعيدة ومتحمسة كما كانت أثناء عزفه المنفرد.

– «أنا آسف.»

– «لا بأس.»

مسد شعرها. كان خجولاً ومتحفظًا بطبيعته، لكنه الليلة أراد التظاهر، ولو لفترة قصيرة. لذا جارى الأمر. كان ليو. أو بالأحرى، لم يعد ينكر ذلك. حزم جيتاره في علبته واقترح أن يذهبا لتناول مشروب في مكان أهدأ.

مشيا في شارع «بيستالوتزي». كان عليه أن يكون حذرًا فيما يقول، كل كلمة فخ محتمل. أحيانًا ظن أنها كشفته. وفي أحيان أخرى، ظن أنها تجاريه أيضًا. ألم تكن تنظر بنقد لبدلته وحذائه؟ ملابسه، التي بدت أنيقة حتى وقت قريب، بدت الآن رخيصة وغير مناسبة. هل كانت تتلاعب به؟ ومع ذلك عرفت أنه سويدي. هذه الأيام بالكاد يعرف أحد عن أصوله.

دخلا بارًا صغيرًا في الشارع وطلبا مارغريتا. تركها تتحدث وأعطاه ذلك بعض الخيوط. لا يزال لا يعرف اسمها، ولم يجرؤ على السؤال. لكنها كانت تدير على ما يبدو —— أو تساعد في إدارة —— صندوق أدوية في «دويتشه بنك».

– «هل يمكنك تخيل ما هي هذه الترقية، بعد كل الوظائف الرديئة التي أعطاني إياها إيفار؟»

دون ملاحظة عن إيفار، إيفار الذي قد يكون اسمه أوجرين، كما في ألفرد أوجرين للأوراق المالية، حيث كانت المرأة تعمل حتى وقت قريب، وحيث كان هناك أيضًا شخص يدعى مالين فرود اعتبرتها منافسة.

قالت:

– «سمعت أنك ومالين كنتما تتقابلان قليلاً؟»

أجاب:

– «ليس حقًا. في الواقع ليس على الإطلاق.»

أعطى إجابات مراوغة لكل سؤال تقريبًا، رغم أنه كان صريحًا تمامًا حول كيفية عزفه مع كلاوس جانز. عبر علاقات، قال. أوصى به **تيل برونر** و**شيت هارولد**.

— «عزفت معهما في نيويورك. خاطر كلاوس بي.»

الحقيقة كانت، لم تكن مجازفة لأي فرقة جاز أن توظفه. كان يعرف ذلك على الأقل عن مواهبه.

— «لكن الجيتار يا ليو؟ أنت مذهل. لابد أنك كنت تعزف لسنوات. متى بدأت؟»

— «في مراهقتي.»

— «ظننت أن البيانو الكبير والكمان فقط كانا جيدين بما يكفي لـ **فيفيكا**.»

— «عزفت سرًا.»

— «لابد أن البيانو كان مفيدًا، رغم ذلك. تعرفت على التوافقيات عندما عزفت منفردًا، ليس أنني خبيرة. لكني أتذكر سماعك في منزل **توماس** و**إيرين**. كان نفس الشعور. نفس الأجواء.»

نفس الشعور على البيانو؟ ماذا بحق الأرض كانت تعني؟ أراد أن يسأل، ليحصل على المزيد من الخيوط. لكنه لم يجرؤ. ظل صامتًا في الغالب أو اكتفى بالابتسام والإيماء. أحيانًا كان يدلي بملاحظة غير ضارة، أو يخبرها بشيء قرأه في مكان ما. مثل —— لم يكن لديه فكرة كيف طرأ هذا —— أن قرش جرينلاند يمكن أن يعيش حتى سن أربعمائة عام، لأنه يوجد في حركة بطيئة.

قالت:

— «هذا كئيب.»

— «وطوييييل.» قال بتمطيط مطول، وجعلها ذلك تضحك. لم يتطلب الأمر الكثير لإضحاكها، وأصبح أكثر ثقة وثقة. حتى إنه تجرأ على الإجابة

على سؤال حول أين يعتقد أن السوق يتجه، «الآن بعد أن أصبحت التقييمات ممتلئة جدًا وأسعار الفائدة منخفضة».

— «لأعلى. أو لأسفل.»

وجدت ذلك مضحكًا أيضًا، وشعر أنه يكتشف شيئًا جديدًا: أنه يستمتع بلعب دور، وأن ذلك يضيف شيئًا لشخصيته ويساعده على دخول عالم كان مغلقًا أمامه حتى الآن، عالم من المال والفرص. ربما كانت المشروبات. ربما كانت الطريقة التي تنظر بها إليه. تحدث وتحدث وكان راضيًا عما خرج منه.

أكثر من أي شيء، كان سعيدًا برؤيته معها. أحب رقيها، الذي كان مستحيل الوصف وكان أكثر بكثير من مجرد ملابس ومجوهرات وأحذية. ظهر في تعابير وإيماءات صغيرة: لثغتها الطفيفة، سهولتها في التحدث مع النادل. بدا أن وقارها يمنحه مكانة. نظر لفخذيها وساقيها وصدرها وعرف أنه يريدها. قبلها في منتصف جملة. كان أكثر جرأة مما كان يمكن أن يكونه كدان برودي. خارج البار ضغط فخذه ضدها.

في فندقها —— أدلون كمبينسكي بجوار بوابة براندنبورغ —— أخذها بقوة وثقة. لم يعد حبيبًا مثبطًا. قالت أشياء رائعة عنه بعد ذلك، وقال هو أشياء رائعة عنها أيضًا. شعر بالسعادة —— سعيدًا كمحتال نجح في خدعة، لكنه سعيد رغم ذلك. ربما أيضًا واقعًا في الحب قليلاً، ليس معها فحسب بل مع ذاته الجديدة أيضًا. لم يستطع النوم. أراد البحث في جوجل عن الأسماء التي أعطته إياها، ليحاول الفهم. لكنه قاوم الإغراء، أراد أن يختبر ذلك بنفسه. فكر في التسلل عند الفجر، لكنها بدت جميلة جدًا في نومها، نقية وواضحة، وكأنها كائن أسمى حتى في أحلامها. كان لديها علامة حمراء على كتفها. أحب كل شائبة صغيرة.

قبيل السادسة صباحًا، لف ذراعيه حولها، وهمس بشكر في أذنها، وقال إنه يجب أن يذهب. لاجتماع. تمتمت بأنها تتفهم وأعطته بطاقة

عملها. كان اسمها **جوليا دامبرج**. وعد بالاتصال «قريبًا، قريبًا جدًا». ارتدى ملابسه، وأخذ جيتاره وغادر الفندق.

بدأ البحث عن ألفرد أوجرين للأوراق المالية على هاتفه أثناء رحلة التاكسي عائدًا لفندقه. كان الرئيس التنفيذي للشركة بالفعل إيفار أوجرين. بدا حقًا كوغد. وغد متغطرس بذقون مزدوجة وعينين صغيرتين دامعتين. لكن ذلك كان غير مهم. أسفل صورته مباشرة كانت صورة ليو مانهايمر، رئيس الأبحاث والشريك...

لم يستطع تصديق ذلك. كان جنونًا. كانت صورته. الرجل في الصورة كان يشبهه لدرجة أدارت رأسه. فك حزام الأمان ومال للأمام ليلتقط لمحة من وجهه في مرآة الرؤية الخلفية.

زاد ذلك الطين بلة؛ فقد ابتسم تمامًا مثل رئيس أبحاث شركة **ألفرد أوجرين**. تعرف على الثنيات حول الفم والأخاديد في الجبين، والأنف أيضًا، والشعر المجعد، كل شيء، حتى الوقفة، رغم أن الرجل في الصورة كان أكثر أناقة. والبدلة كانت بالتأكيد من طراز مختلف.

في غرفته بالفندق، واصل **دان** البحث في جوجل. فقد إحساسه بالوقت وشتم وهز رأسه. كان خارجًا عن طوره. كانا متشابهين بشكل مدمر، فقط السياق كان مختلفًا. انتمى **ليو مانهايمر** لعالم آخر، لطبقة أخرى. كان يبعد سنوات ضوئية عن دان، ومع ذلك لم يكن كذلك. كان الأمر عصيًا على الفهم. والأكثر تحطيمًا كان الموسيقى. وجد دان تسجيلاً قديمًا من قاعة ستوكهولم للحفلات الموسيقية. كان ليو في العشرين ربما، أو الحادية والعشرين، وبدا متوترًا ووقورًا. كانت القاعة ممتلئة، وكان عرضًا شبه رسمي كان ليو فيه فنانًا ضيفًا.

في تلك الأيام لم يكن أحد ليخطئ بينهما. كان دان بوهيميًا طويل الشعر يرتدي الجينز والكنزات، بينما كان ليو بالفعل الشاب الأنيق في

صورة ألفرد أوجرين، أصغر قليلاً، بنفس تصفيفة الشعر وبدلة مفصلة مشابهة. فقط ربطة العنق كانت مفقودة. لكن كل ذلك لم يكن مهمًا.

عندما رأى دان الفيديو، فاضت عيناه بالدموع. بكى ليس فقط لأنه أدرك أن له توأمًا متطابقًا، بل على حياته الوحيدة بأسرها: على طفولته في المزرعة، وعلى ضربات **ستين** ومطالبه الجائرة، وعلى العمل في الحقول، وعلى الجيتار المحطم فوق الرصيف، وعلى هروبه ورحلته إلى بوسطن وأشهر البؤس الأولى. بكى على ما لم يعرفه قط وعلى كل ما اضطر للاستغناء عنه. لكن أكثر ما بكى عليه كان ما يسمعه. في النهاية أخرج جيتاره وعزف معه — بعد خمسة عشر عامًا وعالمًا بعيدًا.

لم تكن المقطوعة الحزينة فحسب — التي يبدو أن ليو ألفها بنفسه — بل أيضًا الأساس اللحني والتوافقي. عزف ليو بنفس الأرابيسك ثلاثي النغمات الذي عزفه دان في ذلك الوقت. تمامًا مثل دان، استخدم أكوردات مخفضة بدون الخامسة المسطحة، أو السابعة الصغرى بدون التاسعة المسطحة كما فعل معظم الآخرين، وكثيرًا ما هبط على النغمة السابعة في سلم المينور الدوري.

آمن دان بأنه فريد عندما صادف **جانغو** ووجد طريقه الخاص، بعيدًا جدًا عن كل الروك والبوب والهيب هوب التي انغمست فيها أجياله. لكن الآن كان هناك شاب في ستوكهولم، شخص يشبهه تمامًا، وجد نفس التوافقيات والسلالم في عالم مختلف تمامًا. كان من المستحيل فهمه، وكان هناك الكثير يطفو على السطح — شوق وأمل، وربما حب أيضًا، لكن فوق كل شيء، دهشة محضة. كان لديه أخ.

وذلك الأخ نشأ مع عائلة ثرية في ستوكهولم. لم يكن الأمر استثنائيًا فحسب، بل كان ظالمًا بعمق أيضًا. كما تذكر لاحقًا، بدأ الغضب والثورة مبكرًا، كقوة تدق في خضم كل شيء آخر. في ذلك الوقت، لم يكن دان

ليعرف كيف حدث هذا. لكنه فكر في «أهل ستوكهولم» باختباراتهم، وأسئلتهم وأفلامهم. هل كانوا يعلمون؟

بالطبع كانوا يعلمون. حطم كأسًا على الحائط. ثم بحث عن رقم **هيلدا فون كانتربورج**. كان منتصف الصباح فقط، لكن هيلدا لم تبدُ صاحية وذلك أزعجه.

قال:

— «إنه **دانيال برولين**. هل تذكرينني؟»

تلعثمت:

— «ماذا قلت اسمك؟»

— «دانيال برولين.»

استطاع سماع أنفاس متقطعة على الطرف الآخر من الخط، وأيضًا، لم يكن متأكدًا، ظن أنه استشعر خوفًا.

قالت:

— «عزيزي دانيال. بالطبع. كيف حالك؟ كنا قلقين جدًا عندما لم نسمع منك.»

— «هل كنتِ تعلمين أن لي توأمًا متطابقًا؟ هل كنتِ؟»

تهدج صوته. ساد الصمت على الخط. ثم صبت شيئًا في كأس. أدرك أنها لابد كانت تعلم — وأن هذا هو السبب الكامل وراء الزيارات للمزرعة وكلماتها الغريبة: «من المفترض أن ندرس، لا أن نتدخل.»

— «لماذا لم تقولي شيئًا؟»

ظلت صامتة، فكرر سؤاله، بعدوانية أكبر هذه المرة.

تمكنت من الهمس:

— «لم يُسمح لي. لقد وقعت اتفاقيات سرية.»

— «إذن بعض قصاصات الورق كانت أهم من حياتي؟»

– «كان خطأً يا دانيال. خطأً فادحًا! لم أعد جزءًا من الهيئة. طردوني. لم يعجبهم اعتراضي.»

– «إذن كانت هيئة لعينة.»

كان عقله يدور. لم يكن لديه فكرة عما يقول. تذكر سؤالها فقط.

– «هل وجدتما أنتِ وليو بعضكما البعض؟»

عندها فقده تمامًا. مر وقت قبل أن يدرك السبب. كانت النبرة الطبيعية التي أشارت بها إليه وإلى ليو، وكأنها فكرة قديمة ومألوفة بالنسبة لها. بالنسبة له كانت مزلزلة.

– «هل يعلم بهذا؟»

– «ليو؟»

– «نعم، ليو!»

– «لا أظن ذلك يا دانيال. لا أستطيع قول المزيد. حقًا لا أستطيع. لقد قلت الكثير بالفعل.»

– «الكثير؟ اتصلت بكِ في خضم أزمة، عندما لم أملك شيئًا، وماذا قلتِ حينها؟ ولا كلمة. تركتني أنشأ دون معرفة أهم شيء في حياتي. لقد سلبتني...»

كافح للبحث عن كلمات، لكنه لم يجد شيئًا يفي بمشاعره.

تلعثمت:

– «أنا آسفة يا دانيال، أنا آسفة.»

صرخ بوابل من الشتائم في وجهها، ثم أغلق الخط. طلب بعض البيرة. حمولة كاملة من البيرة. كان عليه السيطرة على أعصابه، لأنه بالفعل حينها كان واضحًا له أنه يجب أن يتصل بليو. لكن كيف؟ هل يكتب، يتصل؟ يظهر ببساطة؟ كان ليو مانهايمر مختلفًا، غنيًا، وربما أسعد وأكثر رقيًا، وربما —— ألمحت هيلدا للاحتمال —— كان ليو يعرف عنه بالفعل واختار عدم الاتصال. ربما كان يخجل من أخيه التوأم الفقير والمضطهد.

عاد دان لصفحة ألفرد أوجرين الرئيسية ونظر مرة أخرى لصورة ليو. هل خانت تلك العيون لمحة من انعدام الأمان؟ كان ذلك دفعة صغيرة. ربما لم يكن ليو متعجرفًا جدًا، في النهاية. تذكر كم كان سهلاً التحدث إلى **جوليا** في الليلة السابقة، وانغمس في أحلام وآمال غير معقولة. شعر بغضبه يتلاشى والدموع تتجمع مرة أخرى.

ماذا عليه أن يفعل؟ بحث عن نفسه في جوجل، باحثًا عن تسجيلات لعروضه الخاصة. صادف شيئًا من ستة أشهر مضت، عندما كان قد قص شعره للتو وكان جالسًا في نادٍ للجاز في سان فرانسيسكو، يعزف مقطوعة منفردة من أغنية سيناترا «كل الأشياء التي أنت عليها» ويستخدم نفس نوع الأساس اللحني الذي استخدمه ليو في قاعة ستوكهولم للحفلات الموسيقية. أعد التسجيل كمرفق وكتب بريدًا إلكترونيًا طويلاً:

عزيزي ليو، عزيزي أخي التوأم،

اسمي دان برودي وأنا عازف جيتار جاز. كنت غافلاً تمامًا عن وجودك حتى هذا الصباح، وأشعر بعاطفة واهتزاز لدرجة أنني بالكاد أستطيع الكتابة.

لا أريد إزعاجك أو التسبب لك بأي إزعاج. لا أطلب شيئًا، ولا حتى ردًا. أريد فقط أن أقول: معرفة وجودك، ومعرفة أنك تعزف نفس نوع الموسيقى التي أعزفها، ستبقى أعظم شيء حدث لي على الإطلاق.

ليس لدي فكرة عما إذا كنت مهتمًا بحياتي، بالطريقة التي أحترق بها رغبة في سماع حياتك. لكنني أريد أن أخبرك على أي حال. هل قابلت والدنا قط؟ كان نكرة وسكيرًا، لكنه كان موهوبًا موسيقيًا بشكل استثنائي. ماتت والدتنا وهي تلدنا، لم أعرف الكثير عن ذلك...

كتب دان اثنتين وعشرين صفحة. لكنه لم يرسلها قط. لم يملك الجرأة. بدلاً من ذلك اتصل بـ **كلاوس جانز** وأخبره بوجود حالة وفاة في العائلة. ثم حجز رحلة طيران لستوكهولم صباح اليوم التالي.

كانت المرة الأولى منذ ثمانية عشر عامًا التي يطأ فيها السويد. كانت تهب رياح باردة وقارسة. وكان الثلج يتساقط. كالعادة في ذلك الوقت من ديسمبر، كانت احتفالات جائزة نوبل جارية. في الشوارع، أُضيئت أضواء عيد الميلاد، ونظر حوله بدهشة. كانت ستوكهولم المدينة العظيمة في ذكريات طفولته البعيدة. كان متوترًا ومحمومًا، لكنه كان أيضًا متلهفًا كصبي صغير.

ومع ذلك، سيستغرق الأمر خمسة أيام أخرى قبل أن يستجمع الشجاعة لاتخاذ إجراء. حتى ذلك الحين، عاش كظل ليو مانهايمر الخفي، مطارده.

-١٥-

٢١ يونيو

كانت لحية **بشير كازي** طويلة وغير مرتبة. كان يرتدي بنطالًا كاكيًا وسترة متعددة الجيوب. ذراعاه سميكتان ومفتولتان. من الناحية الجسدية البحتة، كان مهيبًا، لكنه كان مستلقيًا على الأريكة الجلدية يشاهد التلفاز، وبعد أن قيّم **سالاندر** بنظرة متعالية، تجاهلها. مع بعض الحظ، قد يكون تحت تأثير المخدر. تظاهرت بالترنح جانبًا، واستقرت، وأخذت جرعة من قارورتها. ابتسم بشير بسخرية وقال لـ **خليل**: «من هذه العاهرة التي جررتها للمنزل؟»

— «لم أرها من قبل قط. كانت تقف في الخارج فحسب، وقالت شيئًا عن فيلم يجب أن نراه. أخرجها من هنا!»

كان خليل خائفًا منها، كان ذلك واضحًا، لكنه كان أكثر خوفًا من أخيه. لابد أن يخدم ذلك غرضها. وضعت حقيبتها التي تحتوي على الحاسوب المحمول على خزانة ذات أدراج بجوار الباب.

قال بشير:

— «ومن أنتِ أيتها الفتاة الصغيرة؟»

— «لا أحد مميز.»

لم يثر ذلك رد فعل كبير، لكن بشير على الأقل نهض وتثاءب، يفترض لإظهار مدى ملله من الفتيات الوقحات.

قال لخليل:

– «لماذا عدت للعيش في هذا الجزء من المدينة؟ لا يوجد هنا سوى العاهرات والمجانين.»

نظرت سالاندر حولها. كانت شقة من غرفة واحدة بمطبخ صغير، مفروشة بشكل ضئيل. باستثناء الأريكة، كان هناك سرير علوي وطاولة منخفضة. تناثرت الملابس في كل مكان. واستند مضرب هوكي على الحائط بجوار الخزانة.

– «هذا تعميم شامل جدًا.»

– «ماذا؟»

– «هذا تعميم واسع نوعًا ما يا بشير، ألا تظن؟»

– «كيف تعرفين اسمي؟»

– «لقد خرجت للتو من السجن. **بينيتو**، صديقتك، ترسل تحياتها.»

كانت رمية في الظلام. أو لا. كانت شبه متأكدة أنهما على اتصال ببعضهما، ورأت شرارة معرفة في عيني بشير الدامعتين.

– «ماذا لديها لتقوله؟»

– «إنه في الواقع مقطع فيديو. هل تريد أن ترى؟»

– «علي حسب.»

– «أعتقد أنه سيعجبك.» أخرجت هاتفها وعبثت به وكأنها تحاول تشغيله، لكنها في الواقع أدخلت بعض الأوامر واتصلت بالبنية التحتية التي تديرها «جمهورية الهاكرز». خطت خطوة للأمام ونظرت في عيني بشير.

– «بينيتو تحب أن تقدم خدمات لأصدقائها، كما تعلم. لكن هناك بعض الأمور التي تحتاج للنقاش.»

– «مثل ماذا؟»

– «إنه سجن، وهذا بحد ذاته يمثل مشكلة. أوه، بالمناسبة، كان من الذكاء جدًا منك إدخال سكين للوحدة الأمنية. تهانينا.»

– «ادخلي في صلب الموضوع.»

– «صلب الموضوع هو **فاريا**.»

– «ماذا عنها؟»

– «كيف استطعتم معاملتها بهذا السوء؟ لقد تصرفتم كالخنازير.»

بدا بشير مذهولاً.

– «ماذا بحق الجحيم تقولين؟»

– «خنازير. أوغاد. أنذال. هناك طرق مختلفة كثيرة للتعبير عن ذلك، وكلها أقل من الواقع في هذه الظروف. ألا تظنون أنه يجب معاقبتكم؟»

توقعت سالاندر رد فعل، لكنها استخفت بمدى عنفه، انفجار الغضب المفاجئ بعد الارتباك الأولي. دون إنذار لثانية واحدة لكمها بشير بقوة، مباشرة على الذقن. بالكاد تمكنت من الحفاظ على توازنها، بينما ركزت بقيتها على إبقاء هاتفها ثابتًا أسفل فخذها الأيمن، والشاشة موجهة نحو وجهه.

– «تبدو منزعجًا.»

– «بالتأكيد أنا كذلك، واللعنة!»

سدد بشير لكمة أخرى وهذه المرة أيضًا ترنحت، لكنها لم تبذل أي جهد للدفاع عن نفسها، لم ترفع يدها حتى. كان بشير يحدق فيها، مزيج من الغضب والدهشة في عينيه. ذاقت سالاندر طعم الدم. خاطرت.

– «هل كان قتل **جمال** فكرة جيدة حقًا؟»

ضربها بشير مرة أخرى وهذه المرة كان من الصعب البقاء واقفة. شعرت بالدوار وهزت رأسها، آملة أن يوضح ذلك رؤيتها، ثم لمحت عيني خليل المذعورتين. هل سيهاجمها هو أيضًا؟ لم تكن متأكدة، كان من الصعب قراءته. لكن الأرجح أنه سيبقى بعيدًا عن الأمر. كان هناك شيء مثير للشفقة في هيئته الهزيلة.

- «لم تكن فكرة جيدة في النهاية؟» قالت، ونظرت لبشير باستفزاز قدر استطاعتها.

فقد السيطرة، تمامًا كما أملت.

- «ليس لديكِ فكرة كم كانت فكرة رائعة، أيتها العاهرة.»

- «حقًا؟»

صرخ بشير:

- «لقد جعل من فاريا عاهرة. عاهرة! لقد أهاننا جميعًا.»

ضربة أخرى على الرأس وتلمست سالاندر للحفاظ على قبضتها على هاتفها.

تلعثمت:

- «إذن فاريا يجب أن تموت أيضًا، أليس كذلك؟»

- «كجرذ، كخنزير صغير. لن نتوقف حتى تحترق في الجحيم.»

- «حسنًا، الآن الأمور تصبح أوضح. هل تريد رؤية فيلمي؟»

- «لماذا بحق الجحيم قد أرغب في ذلك؟»

- «أنت لا تريد أن تخيب أمل بينيتو. تلك ليست فكرة جيدة. بالتأكيد تعلم ذلك الآن.»

كان بشير مترددًا، استطاعت أن تعرف من عينيه وذراعه المرتعشة. لكن ذلك غير القليل. كان خارجًا عن طوره من الغضب، ولم تستطع سالاندر تحمل المزيد من اللكمات. قاست المسافة بسرعة بعينيها، وأجرت حسابًا، ومررت بسلسلة من العواقب. هل تضربه على رأسه؟ تركله في فخذه؟ ترد الضربة؟ قررت الصمود لفترة أطول قليلاً، لتبدو محطمة، مهزومة. لم تضطر للمحاولة جاهدة. جاءت اللكمة التالية من الجانب وكانت أثقل من الأخريات. انشقت شفتها العليا ودوى رأسها. ترنحت، وكادت تركع.

زمجر:

— «أريه لي الآن.»

لحست شفتيها، وسعلت، وبصقت دمًا وانهارت على الأريكة الجلدية.

— «إنه على هاتفي.»

— « أريه لي.» جلس بشير بجانبها. اقترب خليل أيضًا، شيء جيد، فكرت. بتعمد، ودون أن تكون سريعة جدًا، أدخلت الأوامر وسرعان ما ظهرت الشفرة على الشاشة. أصبح الأخوان متوترين بشكل واضح.

قال بشير:

— «ماذا بحق الجحيم يحدث؟ هل هو معطل؟ هل هذا نوع من الهواتف الخردة؟»

— «أوه لا. هذا طبيعي. يتم تحميل الفيلم في شبكة بوت نت، وانظر الآن، الآن أسمي الملف وأستخدم القيادة والتحكم لتوزيعه.»

— «ماذا بحق الجحيم تعنين؟»

شمت رائحة عرق نتنة.

— «دعني أشرح. شبكة البوت نت هي شبكة من الحواسيب المخترقة التي أُصيبت بفيروس —— حصان طروادة. إنه غير قانوني قليلاً، لكنه مريح. قبل أن أقول المزيد، يجب أن نشاهد الفيلم. لم أره بنفسي حتى، إنه غير معدل تمامًا. انتظر... ها هو.»

ظهر وجه بشير على الشاشة. بدا مرتبكًا، كطفل لا يفهم سؤالاً صعبًا.

— «ما هذا بحق الجحيم؟»

— «أنت. غير حليق، وخارج نطاق التركيز قليلاً. من الصعب التصوير من الورك. لكنه يتحسن. أكثر حيوية. انظر، هنا تسدد لكمة حقيقية، والآن، استمع فقط: يبدو أنك تعترف بقتل جمال شودري.»

— «اللعنة؟ ما هذا؟»

في الفيلم كان بشير يصرخ حول كيف ستموت فاريا كجرذ، وكيف ستحترق في الجحيم. ثم اهتز، كان هناك المزيد من الكلمات واللكمات التي كان من الصعب رؤيتها. تسلسل مشوش للجدران والسقف.

صاح، وهو يضرب بقبضته على الطاولة المنخفضة أمامهم:

— «ماذا بحق الجحيم فعلتِ؟»

— «اهدأ فقط، خذ الأمور ببساطة. لا داعي للذعر.»

— «ماذا تعنين؟ أجبيني يا عاهرة!» تصدع صوت بشير.

— «الغالبية العظمى من سكان العالم لم تتلقَ الفيلم بعد. أقول إن ما لا يزيد عن مائة مليون شخص قد استلموه، وأراهن أن معظمهم سيعتقدون أنه بريد عشوائي وسيحذفونه فورًا. لكن كان لدي وقت لتسميته، أسميته "بشير كازي". ربما سيرغب أصدقاؤك في إلقاء نظرة، والشرطة بالطبع، والمخابرات، وأصدقاء أصدقائك، وهكذا. قد ينتشر كالفيروس، لا تعرف أبدًا. الشبكة مكان مجنون. لم أفهمها حقًا.»

بدا بشير مجنونًا. هز رأسه هنا وهناك.

— «أرى أن هذا صعب عليك. الدعاية ليست سهلة التعامل معها أبدًا. أتذكر المرة الأولى التي انتشر فيها اسمي في كل الصحف. لم أتجاوز الأمر بعد، لأكون صادقة. لكن الخبر الجيد هو، أن هناك مخرجًا.»

— «كيف...؟»

— «سأخبرك. يجب عليّ فقط...»

بسرعة البرق، مستغلة ارتباكه ويأسه، أمسكت برأسه وضربته مرتين على سطح الطاولة أمامهم. ثم نهضت.

— «يمكنك الركض يا بشير. يمكنك الركض بسرعة حتى لا يلحق بك عارك.»

حدق فيها بشير، متسمرًا في مكانه. ارتجفت ذراعه اليمنى. وضع يديه على جبهته.

تابعت:

– «قد ينجح الأمر. ليس لفترة طويلة، لكن لفترة قصيرة. إذا ركضت وركضت، مثل أخيك، ربما ليس بنفس السرعة ـــ أنت تترهل، أليس كذلك؟ ـــ أنا متأكدة أنك ستتمكن من الترنح، بطريقة أو بأخرى.»

– «سأقتلكِ.»

قفز واندفع وكأنه سيهجم عليها، ثم تردد ونظر بتوتر للباب الأمامي والنوافذ.

– «ماذا تنتظر. عليك الانطلاق.»

فح:

– «سأجدكِ.»

– «إذن سأراك مرة أخرى.» قالت بنبرة باردة ورتيبة. التفتت وخطت خطوة نحو خزانة الأدراج، معطية إياه كل فرصة لمهاجمتها من الخلف. لكنه كان مذهولاً وعاجزًا كما توقعت.

في تلك اللحظة رن هاتفه المحمول.

– «ربما هو شخص رأى الفيلم. لكن كل شيء على ما يرام، أليس كذلك؟ فقط لا تجب، وأبقِ رأسك منخفضًا عندما تكون بالخارج.»

شتم بشير وهاجمها، لكن سالاندر أمسكت بمضرب الهوكي من الحائط وضربته بأقصى ما تستطيع في الحلق، والوجه، والمعدة.

– «هذا من فاريا.»

انحنى بشير وتلقى ضربة أخرى، لكنه تمكن من الاعتدال. بخطوات غير ثابتة تعثر عبر الباب، ونزولاً في بئر السلّم المظلم، وخارجًا إلى شمس الظهيرة.

وقفت سالاندر تحمل مضرب الهوكي. كان خليل كازي خلفها بجوار الأريكة، وعيناه تتنقلان ذهابًا وإيابًا، وفمه مفتوح. مراهق لا يزال، بجسد نحيل وضئيل، بدا مرعوبًا. بالكاد كان يشكل تهديدًا لأي شخص، لكنه قد

يفر ويبدأ في الانهيار. ذكرت جيانيني خطر الانتحار. أبقت سالاندر عينها على الباب وألقت نظرة على ساعتها.

كانت الرابعة وعشرين دقيقة بعد الظهر. تحققت من بريدها الإلكتروني. لم يجب بوبلانسكي ولا فرح شريف. كتبت جيانيني: «<ممتاز، يبدو واعدًا. عودي للمنزل فورًا!>»

نظرت لخليل، الذي كان يتنفس بثقل. بدا وكأنه يريد قول شيء ما.

— «إنها أنتِ، أليس كذلك؟»

— «من؟»

— «المرأة في الصحف.»

أومأت برأسها. «أنا وأنت لدينا فيلم آخر لنشاهده. هذا أقل إثارة، إنه في الغالب حركات يد.»

أسندت مضرب الهوكي على الحائط، وأخذت الحقيبة مع حاسوبها من خزانة الأدراج وأشارت لخليل بالجلوس على الأريكة. كان شاحبًا وبدا وكأن ساقيه قد تخونه. لكنه فعل ما قيل له.

أعطته شرحًا موجزًا وواقعيًا عن التعرف على الحركة والشبكات العصبية العميقة. أخبرته أنها صورت ركضه في وقت سابق، وعن كاميرا المراقبة في قطار الأنفاق. تمتم بشيء غير مسموع وعرفت فورًا بالطريقة التي تصلب بها جسده أنه فهم. جلست بجانبه وفتحت الملفات على حاسوبها. بينما كانا يشاهدان حاولت الشرح، لكن لم يبدُ أنه يستوعب أي شيء. لفترة طويلة حدق بذهول في الشاشة، ثم رن هاتفه المحمول. نظر إليها.

— «هيا، أجب.»

التقط خليل الهاتف وكان واضحًا من الرسمية في صوته أنه يتحدث لشخص يكن له أقصى درجات الاحترام. إمامه كان في الحي — لابد أن ذلك من فعل أنيكا جيانيني — وكان يسأل إن كان بإمكانه الانضمام

إليهما. أومأت سالاندر، قد تكون فكرة جيدة. الاعترافات من اختصاص الإمام على أي حال.

بعد قليل طُرق الباب. دخل رجل طويل وأنيق الشقة. كان في الخمسينيات من عمره وله لحية طويلة وعمامة حمراء. أومأ لسالاندر ثم التفت لخليل بابتسامة حزينة.

— «مرحبًا يا بني. يمكننا أنا وأنت التحدث بسلام الآن.»

كان صوته مثقلاً بالحزن وللحظة ساد الصمت. شعرت سالاندر بعدم الارتياح، وفجأة لم تكن متأكدة مما يجب أن تفعله.

— «لا أعتقد أنه آمن هنا. أقترح أن تغادرا، اذهبا للمسجد.»

أخذت حاسوبها وحقيبتها وتركتهما دون وداع، واختفت في بئر السلّم المظلم.

***

ديسمبر، قبل عام ونصف

جلس دان برودي على مقعد في «نورمالمستورج». كان أول يوم له في ستوكهولم. السماء صافية، والهواء بارد، وكان يرتدي معطفًا أسود رثًا بياقة من الفرو الصناعي الأبيض، ونظارات شمسية، وقبعة صوفية رمادية مسحوبة على جبهته. على حجره كان كتاب عن انهيار «ليمان براذرز». أراد أن يتعلم عن عالم أخيه.

سجل دخوله في نزل الشباب «af Chapman» في «شيبسهولمن»، سفينة قديمة محولة تكلف الكبائن فيها ٦٩٠ كرونة لليلة. كان هذا في حدود إمكانياته. بدا أن بعض الناس في الحي تعرفوا عليه، وهذا آلمه — وكأنه لم يعد نفسه بل نسخة أفقر من شخص آخر. بعد أن كان الموسيقي الحضري مؤخرًا، عاد الآن مرة أخرى ليكون فتى المزرعة من مقاطعة «هلسنغلاند» الذي ظن دائمًا أنه ليس جيداً بما يكفي لسكان ستوكهولم. في

شارع «بيرجر يارلسجاتان» تسلل لمتجر ملابس حيث اشترى النظارات الشمسية والقبعة الصوفية وحاول الاختباء خلفها.

لم يتوقف أبدًا عن التفكير في الاتصال بأخيه. هل يرسل بريدًا إلكترونيًا بعد كل شيء، يرسل رابط فيديو أو يتصل ببساطة؟ لم يملك الشجاعة. أولاً أراد مراقبة ليو من مسافة، ولهذا كان جالسًا خارج ألفرد أوجرين للأوراق المالية في نورمالمستورج، ينتظر.

خرج إيفار أوجرين بخطى حازمة ومتعجلة، وأقلته سيارة بي إم دبليو سوداء بنوافذ معتمة وانطلق كرجل دولة. لكن لا أثر لليو. كان هناك في الأعلى في المبنى ذي الطوب الأحمر. اتصل دان وسأل عنه بالإنجليزية، وأُخبر أنه في اجتماع. سيكون حراً قريبًا، قالوا. في كل مرة يُفتح باب المدخل كان دان يعتدل في جلسته، لكنه لا يزال ينتظر. حل الظلام منذ فترة طويلة على ستوكهولم. كانت تهب رياح جليدية من حافة الماء وأصبح الجو أبرد من أن يجلس ويقرأ.

نهض ومشى ذهابًا وإيابًا عبر الساحة، يفرك أطراف أصابعه من خلال قفازاته الجلدية. لا أثر بعد. كانت حركة المرور في ساعة الذروة تخف، ونظر نحو المطعم في الساحة بنوافذه الزجاجية الكبيرة. كان الضيوف بالداخل يبتسمون ويتحدثون، وشعر بالإقصاء. بدت الحياة دائمًا وكأنها تحدث في مكان آخر، حفلة لم يُدعَ إليها. خطر له أنه غريب دائم.

ثم ظهر ليو. لن ينسى دان ذلك أبدًا. بدا الزمن وكأنه توقف وضاق مجال رؤيته، ومات كل صوت. لكن التجربة لم تكن فرحة محضة، ليس هناك في البرد ووهج الضوء من المطعم. رؤية توأمه لم تزد إلا من حدة ألمه. كان ليو يشبهه بشكل مفجع. كان له نفس المشية، نفس الابتسامة، نفس حركات اليد ونفس الخطوط على خديه وحول عينيه. كل شيء كان نفسه، ومع ذلك: كان الأمر وكأن دان يرى نفسه في مرآة مذهبة. الرجل هناك كان هو، لكنه لم يكن هو.

كان ليو مانهايمر الرجل الذي كان يمكن أن يكونه دان، وكلما نظر، لاحظ المزيد من الاختلافات. ليس فقط المعطف والبدلة والحذاء الباهظ الثمن. كان الخفة في خطوته والنظرة المشرقة في عينيه. بدا ليو يشع نوعًا من الثقة بالنفس لم يمتلكه دان أبدًا، وعندما فكر في هذا وجد صعوبة في التنفس.

خفق قلبه وهو ينظر للمرأة التي تسير بجانب ليو وذراعها حول خصره. كان لديها مظهر ذكي وراقي وبدت متعلقة جدًا بليو. كانا يضحكان، وأدرك دان أنها لابد أن تكون مالين فرود، المرأة التي تحدثت عنها جوليا ببعض الغيرة. لم يجرؤ على الاقتراب منهما. بدلاً من ذلك راقبهما وهما يسيران نحو «بيبليوتيكسجاتان». تبعهما دون أن يعرف السبب حقًا، ماشيًا ببطء ومحافظًا على مسافته.

ليس أنهما كانا ليلاحظاه. كانا منغمسين في بعضهما البعض. اختفيا في اتجاه هومليجاردن، وضحكاتهما تطفو في الهواء. شعر بالثقل، وكأن سهولتهما الخالية من الهموم تجر جسده للأرض. انتزع نفسه ومشى عائدًا لنزل الشباب، وحيدًا، دون أن يفكر للحظة أن المظاهر قد تكون خادعة، وأن الآخرين قد يعتبرون دان هو من حظي بكل الحظ.

غالبًا ما تبدو الحياة في أفضل حالاتها من مسافة بعيدة. لم يكن قد فهم ذلك بعد.

***

كان بلومكفيست في طريقه لنيشوبينغ. حمل حقيبة كتف بها دفتر ملاحظات ومسجل، بالإضافة لثلاث زجاجات من النبيذ الوردي. اقترحتها لوتا فون كانتربورج. كانت أختها هيلدا تقيم في فندق «فورسين» قرب النهر تحت اسم **فريدريكا نورد**. كانت مستعدة للتحدث، على ما يبدو، طالما تم تلبية شروط معينة. إحدى هذه الشروط كانت زجاجات النبيذ الوردي.

أخرى كانت السرية التامة. كانت هيلدا متأكدة أن شخصًا ما يلاحقها، وما قاله بلومكفيست لم يزد قلقها إلا سوءًا. وفقًا للوتا، أخرجتها المعلومات عن مسارها. وعليه، لم يخبر بلومكفيست أي شخص إلى أين هو ذاهب، ولا حتى إريكا.

الآن كان جالسًا في مقهى بجوار نقطة اللقاء الرئيسية في محطة ستوكهولم المركزية، ينتظر مالين. احتاج للتحدث معها ــــ يجب ألا يترك حجرًا على حجر، أراد اختبار نظرياته ليرى إن كانت تصمد. وصلت مالين متأخرة عشر دقائق. بدت رائعة في جينز وبلوزة زرقاء، رغم أنها، مثل نصف ستوكهولم، كانت مرتبكة وتتعرق.

ــ «آسفة حقًا. كان عليّ توصيل لينوس لوالدتي.»

ــ «كان بإمكانكِ إحضاره. لدي بضعة أسئلة فقط.»

ــ «أعرف. لكني في طريقي لمكان ما.»

أعطاها قبلة سريعة ودخل مباشرة في صلب الموضوع.

ــ «عندما قابلتِ ليو في متحف فوتوجرافيسكا، هل لاحظتِ أي اختلافات بخلاف حقيقة أنه بدا أيمن؟»

ــ «مثل ماذا؟»

ألقى بلومكفيست نظرة على ساعة المحطة.

ــ «حسنًا، وحمة على سبيل المثال، على جانب بدلاً من الآخر. أو خصلة شعر تشير في اتجاه جديد. شعره مجعد جدًا، أليس كذلك؟»

ــ «أنت تخيفني يا ميكائيل. ماذا تعني؟»

ــ «أنا أعمل على قصة عن توائم متطابقين فُصلوا عند الولادة. لا أستطيع قول المزيد في الوقت الحالي. أرجوكِ لا تخبري أحدًا، حسنًا؟»

فجأة بدت مالين مرعوبة وأمسكت بذراعه.

ــ «إذن أنت تقول...»

– «أنا لا أقول شيئًا، ليس بعد. لكنني أتساءل...» توقف قليلا ثم أكمل:

– «التوائم المتطابقون لديهم جينات متطابقة، تقريبًا. بعض التغيرات الجينية، طفرات صغيرة، تحدث فينا جميعًا.»

– «ماذا تحاول أن تقول؟»

– «أنا أعطيكِ بعض الحقائق البسيطة —— وإلا فإن الأمر برمته غير مفهوم. يتكون التوائم المتطابقون من بويضة واحدة تنقسم بسرعة نسبيًا في الرحم. السؤال هنا هو مدى سرعة حدوث هذا الانقسام. إذا كان أكثر من أربعة أيام بعد الإخصاب، يتشارك التوأمان مشيمة واحدة، وهذا يزيد الخطر على الأجنة. وإذا حدث الانقسام في وقت لاحق، بين سبعة واثني عشر يومًا، على سبيل المثال، يمكن أن يصبح الأطفال توائم متطابقين. في الواقع، ٢٠ في المائة من جميع التوائم المتطابقين هم توائم متطابقون عكسيون.»

– «بمعنى ماذا؟»

– «أنهم متطابقون، باستثناء أنهم صورة مرآة لبعضهم البعض. يصبح أحدهما أعسر، والآخر أيمن. في حالات نادرة يمكن أن تكون قلوبهم على جوانب متقابلة من أجسادهم.»

– «إذن أنت تقول إن...» تلعثمت في الكلمات ووضع بلومكفيست يده على خدها ليطمئنها.

– «الفكرة برمتها قد تكون بعيدة عن الواقع. وحتى لو لم تكن كذلك، حتى لو كان الشخص الذي قابلتِه في فوتوجرافيسكا هو حقًا توأم ليو المتطابق، فإن ذلك لا يعني بالضرورة ارتكاب جريمة. ليس انتحال شخصية مثل في *السيد ريبلي الموهوب*. ربما تبادلا الأدوار فقط، كانا يمرحان قليلاً، يجربان شيئًا جديدًا. هل يمكنكِ المشي معي نحو القطار؟ سينفد وقتي.»

جلست مالين وكأنها تحولت لحجر. ثم نهضا واستقلا السلم المتحرك للمستوى الأدنى ومرا بالمتاجر إلى الرصيف ١١. أخبرها أنه ذاهب إلى «لينشوبينغ» في مهمة. أراد ترك أقل عدد ممكن من الخيوط.

– «كنت أقرأ عن توائم متطابقين التقوا كبالغين فقط ولم يكونوا على علم بوجود بعضهم البعض حتى ذلك الحين. يصفون دائمًا هذا اللقاء الأول بأنه رائع يا مالين. يبدو أنها التجربة الأكثر إثارة على الإطلاق. تخيلي: تظنين أنكِ فريدة من نوعكِ —— ثم يظهر آخر. يقولون إن التوائم المتطابقين الذين يلتقون في وقت متأخر من حياتهم لا يكتفون من بعضهم البعض. يراجعون كل شيء: مواهب، عيوب، عادات، إيماءات، ذكريات —— كل شيء. يصبحون كاملين، ينمون. يصبحون أسعد من أي وقت مضى. بعض هذه القصص أثرت في حقًا يا مالين. أنتِ بنفسكِ قلتِ إن ليو كان مبتهجًا لفترة.»

– «هذا صحيح —— لكن بعد ذلك بفترة قصيرة لم يعد كذلك.»

– «صحيح.»

– «غادر البلاد وفقدنا الاتصال.»

قال بلومكفيست:

– «بالضبط. فكرت في ذلك أيضًا. هل هناك أي شيء —— سواء في مظهره أو في مكان آخر —— يمكن أن يساعدني على فهم ما يحدث؟»

وصلا للرصيف. القطار كان هناك بالفعل.

– «لا أعرف.»

– «فكري!»

– «حسنًا، ربما شيء واحد. هل تذكر أنني أخبرتك أنه خطب جوليا دامبرج؟»

– «أزعجكِ ذلك، أليس كذلك؟»

– «ليس حقًا.»

لم يصدقها تمامًا.

– «أكثر ما فاجأني. كانت جوليا تعمل لدينا. ثم انتقلت لفرانكفورت ولم نسمع منها لبضع سنوات. لكن قرب نهاية وقتي في الشركة اتصلت وأرادت التحدث لليو. لست متأكدة أنه عاود الاتصال بها، في الواقع. قالت جوليا شيئًا غريبًا.»

– «ماذا؟»

– «سألتني إن كنت أعرف أن ليو يعزف الجيتار أفضل من البيانو. كان فنانًا، كمل قالت. لم أسمع ليو يذكره قط، فسألته.»

– «ماذا قال؟»

– «لا شيء. احمر وجهه وضحك فقط. كان ذلك خلال الوقت الذي كان فيه سعيدًا بشكل جنوني.»

لم يعد بلومكفيست ينتبه. ضربت كلمتا «جيتار» و«فنان» على وتر مقلق. كان غارقًا في التفكير وهو يودع مالين ويصعد للقطار.

***

ديسمبر، قبل عام ونصف

لبضعة أيام، ابتعد دان. كان وقتًا مقلقًا. إما قرأ في كابينته على سفينة النزل أو قام بنزهات متوترة في شيبسهولمن وديورجاردن. أحيانًا كان يركض. في الأمسيات، في بار السفينة، شرب أكثر مما يفعل عادة. عندما لم يستطع النوم في الليل كتب عن حياته في دفاتر ملاحظات حمراء مجلدة بالجلد. يوم الأربعاء، ١٣ ديسمبر، عاد لنورمالمستورج، لكنه لم يستطع حمل نفسه على الاقتراب من ليو حينها أيضًا.

ثم، يوم الجمعة، ١٥ ديسمبر، أخذ معه جيتاره وجلس على المقعد بجوار المطعم في وسط الساحة. كان الثلج يتساقط مرة أخرى، وانخفضت درجة الحرارة ولم يعد معطفه كافيًا لإبقائه دافئًا، لكنه لم يستطع تحمل تكلفة شيء أدفأ. كان ماله ينفد، ولم يستطع تحمل فكرة العزف

لمجموعات جاز عشوائية فقط لكسب لقمة العيش. لم يستطع التفكير إلا في ليو. لا شيء آخر كان مهمًا.

في ذلك اليوم، خرج ليو من المكتب مبكرًا. مرتديًا معطف كشمير أزرق داكن ووشاحًا أبيض، انطلق بخطى سريعة. تبعه دان، أقرب هذه المرة، وهو ما كان خطأً. خارج سينما «بارك» التفت ليو فجأة ونظر حوله، وكأنه شعر بوجود شخص يتعقبه. لكنه لم يرَ دان. كان الشارع ممتلئًا بالناس ودان، مرتديًا قبعته الصوفية ونظاراته الشمسية، التفت ونظر في اتجاه ستوريبلان. واصل ليو المشي وعبر «كارلافاجن».

توقف دان خارج السفارة الماليزية في شارع فلوراجاتان وراقب ليو وهو يدخل مبنى شقته. أُغلق الباب خلفه بقوة، ووقف دان في البرد وانتظر، تمامًا كما انتظر من قبل. كان يعلم أن الأمر سيستغرق بعض الوقت. أُضيئت الأنوار في الشقة العلوية بعد بضع دقائق. أشرقت كالهالة لعالم أجمل.

سُمعت نغمات عرضية من بيانو كبير، وعندما تعرف دان على التوافقيات فاضت عيناه بالدموع. لكنه كان يتجمد أيضًا، وشتم بصوت خافت. دوّت صفارات الإنذار في البعيد. كانت تهب رياح مريرة.

بينما اقترب من المبنى وخلع نظاراته الشمسية، سمع خطوات خلفه. مرت سيدة مسنة بقبعة سوداء ومعطف أخضر فاتح مع كلب «باغ» على مقود. ابتسمت.

— «ألا تشعر بالرغبة في العودة للمنزل اليوم يا ليو؟»

لثانية، لا أكثر، نظر إليها بذعر. ثم ابتسم، وكأنه وجد سؤالها مناسبًا في هذا الظرف.

— «أحيانًا لا تعرف ما تريده.»

— «كم هذا صحيح. لكن هيا ادخل الآن. الجو أبرد من أن تقف في الخارج تتفلسف.»

أدخلت رمز الباب ودخلا معًا ووقفا ينتظران المصعد. ابتسمت له مرة أخرى وقالت: «ما هذا المعطف القديم الذي ترتديه؟»

شعر بوخزة عصبية.

– «هذا الشيء القديم؟»

ضحكت المرأة.

– «"هذا الشيء القديم؟" هذا ما أقوله عندما أرتدي أفضل فستان حفلات لدي، بحثًا عن الإطراء.»

حاول أن يضحك على ذلك أيضًا، لكنه من الواضح أنه لم يكن مقنعًا وعضت المرأة شفتها وبدت جادة. كان متأكدًا أنها كشفت خداعه؛ ليس ملابسه فقط بل طريقته الخرقاء في التعبير لابد أنها خانت افتقاره للأناقة.

– «أنا آسفة يا ليو. أعرف أنه لابد أن يكون صعبًا عليك الآن. كيف حال **فيفيكا**؟»

استطاع أن يعرف من نبرتها أن «بخير» لن تكون إجابة مناسبة.

– «بين بين.»

– «لنأمل ألا تضطر للمعاناة طويلاً.»

– «لنأمل.» قال، وأدرك أنه لن يتمكن من التعامل مع رحلة في المصعد معها. «أتعلمين ماذا؟ أحتاج لبعض التمرين. سأصعد الدرج.»

– «هراء يا ليو. أنت نحيل كالغزال. عانق فيفيكا من أجلي. أخبرها أنني أفكر فيها.»

– «بالتأكيد سأفعل.» قال دان، واندفع صاعدًا الدرج مع جيتاره.

بينما اقترب من شقة ليو أبطأ. إذا كان سمع ليو جيدًا بنصف جودة سمعه، فعليه أن يكون هادئًا كالفأر. مشى على أطراف أصابعه في الأمتار القليلة الأخيرة. كانت الشقة الوحيدة في الطابق العلوي، وهو ما كان جيدًا —— كانت منعزلة. وبأقل قدر ممكن من الضوضاء، جلس على الأرض وظهره مسنود على الحائط. ماذا عليه أن يفعل الآن؟ خفق قلبه. جف فمه.

فاحت من الردهة رائحة التلميع ومنتجات التنظيف. ثبتت عيناه على السقف، المرسوم كسماء زرقاء. من يفكر في رسم لوحة جدارية على سقف بئر سلم؟ من الأسفل جاء صوت خطوات، وجر أقدام، وأجهزة تلفزيون، وكرسي يُحرك، وباب يُفتح. نغمة على البيانو من داخل الشقة. كانت نغمة "لا".

كانت هناك بعض النغمات الباصية المترددة، وكأن ليو لم يقرر تمامًا العزف. ثم بدأ. كان يرتجل —— أو ربما لا. كانت حلقة مظلمة ومقلقة، ودائمًا ما ينتهي ليو على النغمة السابعة في المقام الصغير، تمامًا كما فعل في التسجيل بقاعة ستوكهولم للحفلات الموسيقية. كان هناك شيء طقوسي ووسواسي تقريبًا في الأمر، لكنه متطور وناضج أيضًا. بطريقة ما تمكن من استحضار شعور بشيء مكسور ومفقود، على الأقل هكذا بدا لدان. ارتجف.

لم يستطع تفسير الأمر تمامًا، وفجأة ضربه. فاضت عيناه بالدموع وارتجف، ليس بسبب الموسيقى فحسب. كانت القرابة في التوافقيات، حقيقة أن ليو عندما يعزف ينقل ألمًا شديدًا، وكأنه هو، الذي ليس حتى موسيقيًا محترفًا، أفضل من دان في التعبير عن حزنهما.

حزنهما؟

كانت فكرة غريبة، ومع ذلك بدت صحيحة في تلك اللحظة. قبل لحظة، بدا ليو كغريب، كشخص مختلف جدًا، وأكثر حظًا. الآن تعرف دان على نفسه في توأمه. نهض بشكل غير ثابت. كان ينوي رن الجرس، لكنه بدلاً من ذلك أخرج جيتاره من علبته، وقام بتركيبه بسرعة وانضم للعزف. لم يكن من الصعب إيجاد الأكوردات ومتابعة النغمات في الحلقة. طريقة ليو في التوقف على الإيقاع في التزامن وتغيير العبارات الثلاثية لثامنات مستقيمة كانت مشابهة لطريقته. شعر... بالانتماء. كانت تلك الطريقة الوحيدة التي يمكنه تفسيرها. وكأنه عزف مع ليو مرات عديدة من قبل.

عزف لعدة دقائق، متوقعًا أن يلاحظ ليو المرافقة. لكن ربما لم يكن سمع ليو جيدًا كسمع دان. ربما كان منغمسًا تمامًا في عزفه. لم يستطع دان القول.

ثم صمت ليو في منتصف اللحن، على نغمة "فا شارب". لكن لم تكن هناك خطوات، لا حركة. لابد أن ليو جلس ساكنًا تمامًا، وصمت دان أيضًا، وانتظر. ماذا يحدث؟ استطاع سماع أنفاس عالية من عمق الشقة وعزف الحلقة مرة أخرى، أسرع قليلاً الآن وبزخرفة خاصة به، تنويع جديد. عند ذلك، حك كرسي البيانو الأرض وسمع خطوات تقترب من الباب. وقف بجيتاره وشعر كمتسول، موسيقي شارع ضل طريقه لغرفة جلوس أنيقة ويأمل أن يُقبل. لكنه كان يحترق أيضًا بالأمل والشوق. أغمض عينيه وسمع سلسلة الأمان تُفك بما بدا وكأنه أصابع متلعثمة.

فُتح الباب ونظر إليه ليو. كان مذهولاً. سقط فكه مفتوحًا. بدا مصدومًا، مرعوبًا.

— «من أنت؟»

كانت تلك كلماته الأولى، وكيف كان لدان أن يجيبه؟ ماذا يجب أن يقول؟

— «اسمي...»

صمت.

— «... دان برودي. أنا عازف جيتار جاز. لابد أنني أخوك التوأم.»

لم يقل ليو شيئًا. بدا على وشك السقوط على ركبتيه. كان وجهه أبيض.

— «أنا...»

كان هذا كل ما تمكن من قوله، ولم يستطع دان التحدث أيضًا. خفق قلبه ولم تخرج الكلمات. حاول هو أيضًا التحدث:

— «أنا...»

– «ماذا؟»

كان هناك يأس في صوت ليو كاد دان لا يتحمله. قاوم دافعًا للالتفاف والهرب، وبدلاً من ذلك قال:

– «عندما سمعتك تعزف البيانو... كنت أفكر أنني طوال حياتي شعرت بأنني نصف إنسان. وكأنني افتقدت شيئًا. والآن أخيرًا...»

لم يكمل. لم يعرف إن كانت الكلمات صحيحة، أو نصف صحيحة حتى — أو ما إذا كان يثرثر بعبارات محفوظة دون تفكير.

– «لا أستطيع استيعاب هذا. منذ متى وأنت تعلم؟»

كانت يداه ترتجفان الآن.

– «منذ بضعة أيام فقط.»

– «لا أستطيع استيعاب هذا.»

– «أعرف، إنه غير واقعي.»

مد ليو يده. بدا الأمر رسميًا بشكل غريب في الظروف.

– «لطالما...» عض شفته. لم تتوقف يداه عن الارتجاف.

– «لطالما شعرت بالشيء نفسه. هل ستدخل؟»

أومأ دان ودخل شقة كانت أفخم من أي شيء رآه من قبل.

III

التوأم المتلاشي

٢١ – ٣٠ يونيو

قد تبدأ واحدة من كل ثماني حالات حمل كحملٍ بتوأم، رغم أن أحد الجنينين لا ينمو أحيانًا ويُعاد امتصاصه في كيس الحمل. يُعرف هذا بـ«متلازمة التوأم المتلاشي» (Vanishing Twin Syndrome).

يفقد بعض التوائم شقيقًا بعد الولادة بسبب التبني، أو، في حالات أندر، بسبب خطأ في جناح الولادة. يلتقي البعض للمرة الأولى كبالغين فقط؛ والبعض الآخر لا يلتقي أبدًا. التقى التوأمان المتطابقان **جاك يوفي** و**أوسكار ستور** للمرة الأولى في محطة قطار بألمانيا الغربية عام ١٩٥٤. كان جاك يوفي قد عاش في «كيبوتس» وكان جنديًا في الجيش الإسرائيلي. وكان أوسكار ستور ناشطًا في «شبيبة هتلر».

يشعر الكثير من الناس أنهم يفتقدون شخصًا ما.

-١٦-

٢١ يونيو

سار **بلومكفيست** على طول النهر في «نيشوبينغ» إلى فندق «فورسين». كان مبنى خشبيًا بنيًا بسيطًا بسقف من القرميد الأحمر، أشبه بنزل منه بفندق. لكنه كان في موقع جميل، بجوار الماء مباشرة. كانت الساعة تشير إلى الثامنة والنصف مساءً حين وصل. في المدخل كانت هناك طاحونة مياه مصغرة وصور لصيادين يرتدون أحذية مطاطية طويلة.

جلست شابة شقراء خلف مكتب الاستقبال، ربما موظفة صيفية مؤقتة. لم يكن عمرها يتجاوز السابعة عشرة. كانت ترتدي بنطال جينز وقميصًا أحمر ومنشغلة بهاتفها. قلق بلومكفيست من أنها قد تتعرف عليه وتنشر شيئًا على وسائل التواصل الاجتماعي، لكنه اطمأن لتعبيرها غير المبالي. صعد طابقين وطرق على الباب الرمادي للغرفة رقم ٢١٤. سمع صوتًا مبحوحًا من الداخل.

— «من هناك؟»

قال اسمه، وفتحت **هيلدا فون كانتربورج** الباب. للحظة، انقطع نفسه. بدت في حالة هيجان. شعرها أشعث، وعيناها زائغتان بعصبية، كعيني حيوان مذعور. بشرتها مغطاة بالبقع الصبغية. كانت ممتلئة الصدر، عريضة الكتفين والوركين — وبدا فستانها الأزرق الفاتح بالكاد يتسع لها.

قال:

— «لطف منكِ أن تقابليني.»

— «لطف؟ إنه أمر مرعب. ما قلته لـ **لوتا** بدا جنونيًا.»

لم يطلب منها أن تكون أكثر تحديدًا. أراد أولاً تهدئتها، والسماح لها بالسيطرة على أنفاسها. أخرج زجاجات النبيذ الوردي من حقيبته ووضعها على الطاولة المستديرة المصنوعة من خشب البلوط بجوار النافذة المفتوحة.

– «أخشى أنها ليست باردة جدًا الآن.»

– «لقد نجوت من ما هو أسوأ.»

ذهبت للحمام وعادت بكأسين من زجاج «دوراليكس».

– «هل ستبقى صاحيًا وعاقلاً أم ستنضم إليّ؟»

– «كل ما يجعلكِ تشعرين بالراحة.»

– «كل السكارى يريدون رفقة، لذا عليك أن تشرب. اعتبرها استراتيجية مهنية.»

ملأت كأس بلومكفيست حتى حافته وابتلع هو جرعة كبيرة، ليظهر أنه يعني ما يقول. نظر للخارج نحو النهر وضوء النهار المتغير بمهارة في سماء المساء.

– «دعيني أؤكد لكِ فقط...»

قالت:

– «لا تحاول أن تؤكد لي أي شيء. لا يمكنك. لا أحتاج لأي هراء وعظي حول حماية المصادر. أنا أخبرك بما أخبرك به لأنني لا أريد أن أبقى صامتة بعد الآن.»

جرعت كأسها ونظرت في عينيه. كان فيها شيء جذاب وسهل المعشر.

– «حسنًا، أتفهم. سامحيني لإقلاقك. هل نبدأ؟»

أومأت برأسها. أخرج مسجل الصوت وشغله.

قالت:

– «أفترض أنك سمعت عن المعهد الحكومي لعلم الأحياء العرقي.»

قال:

– «يا إلهي نعم. يا لها من مؤسسة مروعة.»

– «بالفعل، لكن لا تتحمس كثيرًا يا نجم المراسلين، هذا ليس مثيرًا بنصف ما يبدو عليه. أُغلق المعهد عام ١٩٥٨، كما قد تعلم، وستجد صعوبة في العثور على أي شخص في كل السويد هذه الأيام يهتم بعلم الأحياء العرقي. أقول هذا فقط لأن هناك صلة. عندما بدأت عملي في "السجل"، لم يكن لدي فكرة، ظننت أنني سأعمل فقط مع الأطفال الموهوبين. كما اتضح...» شربت المزيد من النبيذ. «... لا أعرف من أين أبدأ.»

قال بلومكفيست:

– «خذي وقتك. سنجد مدخلاً.»

أفرغت كأسها وأشعلت سيجارة «جولواز»، ناظرة إليها بابتسامة ساخرة.

– «التدخين ممنوع هنا. في الواقع، يمكن أن تبدأ القصة من هناك، من التدخين —— والشك في أنه قد يكون ضارًا. في الخمسينيات، زعم بعض الباحثين أن التدخين يمكن أن يسبب سرطان الرئة. تخيل ذلك!»

– «لا يصدق!»

– «أعرف، أليس كذلك؟ كما تعلم، قوبلت النظرية بمقاومة هائلة. أحد خطوط التفكير قال: ربما يصاب الكثير من المدخنين بسرطان الرئة، لكن ليس بالضرورة بسبب التبغ. قد يكون بنفس السهولة لأنهم يأكلون الكثير من الخضروات. لا يمكن إثبات شيء. "الأطباء يدخنون سجائر "Camel" أكثر من أي سيجارة أخرى[٥]" كان شعارًا معروفًا في ذلك الوقت. استُخدم **همفري بوجارت** و**لورين باكال** كأمثلة على مدى رقي التدخين.

---

[٥] كان هذا الشعار إعلانًا قديمًا لشركة سجائر *Camel.* المغزى كان محاولة إقناع الناس بأن الأطباء – باعتبارهم أهل معرفة بالصحة – يفضلون سجائر كامِل، وبالتالي إيحاء بأن هذا النوع "أقل ضررًا" أو "أكثر أمانًا".

ومع ذلك، بقي الشك، ولم يكن أمرًا هينًا. اكتشفت وزارة الصحة البريطانية أن الوفيات بسبب سرطان الرئة زادت بمعامل خمسة عشر في عقدين، وقررت مجموعة من الأطباء في معهد "كارولينسكا" هنا اختبار النظرية باستخدام التوائم. التوائم هم موضوعات بحث مثالية، وتم إنشاء سجل لأكثر من أحد عشر ألفًا منهم على مدى عامين. سُئلوا عن عاداتهم في التدخين والشرب وساهمت إجاباتهم مساهمة مهمة في الاكتشاف المحزن بأن السجائر والكحول ليست رائعة جدًا لك في النهاية.»

أطلقت ضحكة حزينة، وأخذت نفسًا عميقًا من سيجارتها وصبت لنفسها كأسًا آخر من النبيذ الوردي.

— «لم يتوقف الأمر عند هذا الحد. نما السجل وأُضيف توائم جدد، بما في ذلك كثيرون لم ينشأوا معًا. في السويد في الثلاثينيات، فُصل عدة مئات من التوائم عند الولادة، معظمهم لأسباب تتعلق بالفقر. لم يلتقِ الكثير منهم حتى أصبحوا بالغين. وفر هذا ثروة من المواد العلمية القيمة استخدمها الباحثون ليس فقط للتحقيق في أمراض جديدة وأسبابها، بل أيضًا لمعالجة السؤال الكلاسيكي: كيف تشكل الوراثة والبيئة الفرد؟»

قال بلومكفيست:

— «لقد قرأت عن ذلك، وأعرف عن "سجل التوائم السويدي". لكن بالتأكيد العمل المنجز نزيه؟»

— «بالتأكيد، إنه بحث قيم ومهم. كل ما أحاول فعله هو إعطاؤك بعض الخلفية. بينما كان سجل التوائم يتشكل، غير معهد علم الأحياء العرقي اسمه إلى "معهد علم الوراثة البشرية" ودُمج في جامعة أوبسالا. لم يكن مجرد تغيير في المصطلحات. بدأ هؤلاء السادة تدريجيًا في تكريس أنفسهم لشيء يشبه العمل العلمي على الأقل بشكل غامض. تم التخلي أخيرًا عن العمل القديم المتمثل في قياس الرؤوس والنظريات الهراء حول نقاء العرق السويدي ـ الجرماني.»

– «لكن لا يزال لديهم كل سجلات الروما والأقليات الأخرى؟»

– «نعم، وأيضًا شيء أكثر أهمية، وأسوأ بكثير.»

رفع بلومكفيست حاجبيه.

– «نظرتهم للإنسانية. ربما لم يعودوا يعتقدون أن عرقًا أفضل من آخر. ربما لم يكن هناك شيء اسمه "أعراق مختلفة". لكن مع ذلك، يمكن القول إن بعض السويديين الأصيلين كانوا أكثر اجتهادًا وعملاً من غيرهم من مواطنيهم. لماذا كان ذلك؟ لأنهم تلقوا تربية سويدية جيدة وصلبة، ربما؟ ربما يمكننا إيجاد طريقة لخلق سويدي حقيقي، نزيه وصادق —— شخص لا يدخن "جولواز" ويسكر بالنبيذ الوردي الفاتر.»

– «لا يبدو جيدًا.»

– «لا. تغيرت الأوقات، لكن الناس في أحد طرفي النقيض يمكنهم بسهولة البدء في التوجه نحو طرف آخر، ألا تظن؟ سرعان ما بدأت هذه المجموعة في أوبسالا تؤمن بفرويد وماركس بنفس الطريقة التي آمنوا بها يومًا بعلم الأحياء العرقي. كانت منظمتهم تسمى "معهد علم الوراثة البشرية" لذا لم يتجاهلوا أهمية الوراثة. بعيدًا عن ذلك. لكنهم اعتقدوا أن العوامل الاجتماعية والمادية لعبت الدور الأكبر بكثير. لا خطأ في ذلك، خاصة في هذه الأيام حيث يمكن أن تكون الحواجز الطبقية جدرانًا منيعة. لكن هذه المجموعة —— التي كان قائدها أستاذ علم الاجتماع **مارتن شتاينبرج** —— رأت أننا حتمًا مشروطون بظروفنا. نوع معين من الأمهات وأنواع معينة من العوامل الاجتماعية والثقافية ستنتج بشكل أو بآخر تلقائيًا نوعًا معينًا من الأشخاص. ليس الأمر كذلك، ولا قريبًا منه. الإنسان أكثر تعقيدًا من ذلك بكثير. لكن أصدقاءنا أرادوا التجربة، أرادوا تحديد أي نوع من التربية والخلفية سيخلق سويديًا صلبًا. كان لديهم اتصالات وثيقة بسجل التوائم وواكبوا الأبحاث هناك، ثم صادفوا **روجر ستافورد**، محلل نفسي أمريكي.»

– «قرأت عنه.»

– «لكنك لم تقابله، أليس كذلك؟ إنه يتمتع بكاريزما لا تصدق. كان يضيء أي تجمع أنيق، وقبل كل شيء ترك انطباعًا عميقًا على امرأة واحدة في هذه المجموعة على وجه الخصوص. اسمها **راكيل جريتز**. إنها طبيبة نفسية ومحللة نفسية، وهي... أوه، يمكنني قول الكثير عن جريتز. لم تقع في حب ستافورد فحسب، بل أصبحت مهووسة بعمله. أرادت دفعه أبعد. في مرحلة ما —— لا أعرف متى بالضبط —— قررت هي والمجموعة أنهما سيفصلان التوائم عمدًا، توائم متطابقين وغير متطابقين، ويضعانهم مع عائلات في ظروف متعارضة تمامًا. ولأن الهدف كان نخبويًا —— إنتاج سويديين راقين ومتميزين —— كانت المجموعة دقيقة جدًا في اختيار موضوعات أبحاثها. لم يتركوا حجرًا على حجر. من بين أمور أخرى، بحثوا في السجلات القديمة للروما وغيرهم من الرحل، والسامي وما إلى ذلك، باحثين عن أشخاص أفلتوا حتى من مجموعة مرشحي علماء الأحياء العرقي للتعقيم القسري. كانوا يبحثون عن آباء توائم موهوبين للغاية. لنكون ساخرين، ما أرادوه كان مادة بحث من الدرجة الأولى.»

شردت أفكار بلومكفيست عائدة لعازف الجيتار الماهر الذي ذكرته سالاندر في رسالتها.

– «وأحد هذين الزوجين من التوائم كان **ليو مانهايمر** و**دانيال برولين**؟»

صمتت هيلدا ونظرت من النافذة.

– «نعم، ولهذا نحن هنا اليوم، أليس كذلك؟ ما قلته لـ **لوتا** —— أن ليو لم يعد ليو؟ —— بدا جنونيًا. لأكون صادقة لا أصدق ذلك. أنا فقط لا أصدق. **أندرس** ودانيال برولين، كما كانا يُدعيان حينها، انتميا لمجتمع الرحل وكانا من عائلة موسيقية للغاية. والدتهما **روزانا** كانت مغنية رائعة. هناك تسجيل قديم لها تغني أغنية بيلي هوليداي "فاكهة غريبة"، يمزق

قلبك. لكنها ماتت بعد أيام من ولادة التوأمين، بحمى النفاس. لم تذهب للمدرسة الثانوية قط، لكنهم نبشوا في تقاريرها من سنواتها الأخيرة في المدرسة الابتدائية. الأولى على الفصل في كل مادة. والد الأولاد كان اسمه **كينيث** وكان يعاني من الهوس الاكتئابي لكنه عبقري مطلق على الجيتار. لم يكن رجلاً شريرًا أو قاسي القلب، مجرد غير مستقر عقليًا، ولم يستطع التعامل مع التوأمين. وُضعا في دار أيتام بـ "جافل"، وهناك وجدتهما جريتز وفصلتهما على الفور تقريبًا. أفضل ألا أعرف كيف تصرفت هي ومارتن شتاينبرج لإيجاد عائلات لكل هؤلاء التوائم. لكن عندما تعلق الأمر بدانيال وأندرس، أو ليو كما أُعيد تسميته، كان الأمر فظيعًا بشكل خاص.»

— «بأي طريقة؟»

— «كان الأمر ظالمًا جدًا. بقي دانيال في دار الأيتام لبضع سنوات ثم انتهى به المطاف مع مزارع لئيم وضيق الأفق خارج "هوديكسفال" كان مهتمًا فقط بأيدٍ عاملة إضافية في مزرعته. في البداية كانت هناك زوجة لكنها سرعان ما اختفت، وما جاء بعد ذلك يمكن وصفه بلا شك بأنه عمالة أطفال. عمل دانيال وإخوته بالتبني حتى تكسرت أظافرهم من الصباح الباكر حتى وقت متأخر من الليل. غالبًا لم يُسمح لهم بالذهاب للمدرسة. ليو، من ناحية أخرى... تم تبني ليو من قبل عائلة ثرية ومؤثرة في "نوكيبي".»

— «بواسطة **هيرمان** و**فيفيكا مانهايمر**.»

— «بالضبط. كان من الأهمية بمكان للمشروع ألا يعرف الآباء المتبنون أي شيء عن أصول الأطفال، وقبل كل شيء حقيقة أنهم توائم. لكن هيرمان كان شخصية هامة، وصعب المراس، وتمكن من إرهاق مارتن شتاينبرج. انهار شتاينبرج، تكسر. كان ذلك سيئًا بما فيه الكفاية. لكن الأمر ازداد سوءًا. بدأ هيرمان يتردد. لطالما كره "الغجر" و"الناس

المنحرفين"، كما كان يسميهم، ودون علم جريتز أو شتاينبرج، طلب نصيحة شريكه في العمل **ألفرد أوجرين**.»

قال بلومكفيست:

- «أفهم. وفي الوقت المناسب اكتشف ابنه **إيفار** الأمر أيضًا.»

- «نعم، لكن ذلك كان لاحقًا. بحلول ذلك الوقت كان إيفار يحسد ليو منذ فترة طويلة؛ اعتبر الناس ليو واعدًا وأكثر وذكاءً بكثير. كان إيفار سيفعل كل ما بوسعه للحصول على اليد العليا، لوضع ليو في ورطة. كان حقل ألغام بين العائلتين، ولذا استُدعي زميلي **كارل سيجر** للمساعدة.»

- «لكن إذا كان هيرمان مانهايمر وغدًا متحيزًا قديمًا، لماذا وافق على أخذ الصبي في المقام الأول؟»

- «ربما كان هيرمان رجعيًا عاديًا، وليس شخصًا قاسي القلب بشكل أساسي، رغم ما حدث لكارل. لكن ألفرد أوجرين... كان خنزيرًا وعنصريًا حقيقيًا ونصح بشدة ضد الفكرة. ربما لم يكن ليحدث شيء لولا وجود تقارير تفيد بأن الصبي لديه مهارات حركية متطورة للغاية وجميع أنواع القدرات المتقدمة الأخرى، وهذا رجح الكفة. ووقعت فيفيكا في حبه.»

- «إذن أخذوه للعائلة لأنه كان مبكر النضج؟»

- «على الأرجح. كان عمره سبعة أشهر فقط لكن كانت هناك توقعات عالية منه منذ سن مبكرة.»

- «ملفه الشخصي يقول إنه الابن البيولوجي لآل مانهايمر. كيف دبروا ذلك، بالنظر إلى أن الطفل تم تبنيه في وقت متأخر؟»

- «أصدقاؤهم وجيرانهم المقربون عرفوا الحقيقة، لكنها أصبحت مسألة شرف. عرفوا جميعًا كم آلم فيفيكا أنها لم تتمكن من إنجاب أطفال.»

- «هل عرف ليو أنه متبنى؟»

– «اكتشف في سن السابعة أو الثامنة، عندما بدأ أولاد أوجرين في مضايقته. شعرت فيفيكا بأنها مضطرة لإخباره. لكنها طلبت منه الحفاظ على الأمر سرًا —— من أجل شرف العائلة.»

– «أتفهم.»

– «لم يكن وقتًا سهلاً للعائلة.»

– «عانى ليو من احتداد السمع.»

– «عانى من ذلك، ومما نسميه اليوم حساسية مفرطة. كان العالم قاسيًا جدًا عليه، وانطوى وأصبح طفلاً وحيدًا جدًا. أحيانًا أعتقد أن كارل سيجر كان صديقه الحقيقي الوحيد. في البداية، لم نكن أنا وكارل وجميع الأطباء النفسيين الأصغر سنًا في الصورة الكاملة. اعتقدنا أننا نحقق في مجموعة من الأطفال الموهوبين. لم نكن نعرف حتى أننا نعمل مع توائم. تم تقسيمنا بحيث لم نلتقِ إلا بشقيق واحد. لكن مع مرور الوقت فهمنا وتقبلنا الأمر ببطء —— أكثر أو أقل. كان كارل هو من واجه أكبر صعوبة في التصالح مع الفصل المتعمد للتوائم، ربما لأنه كان قريبًا جدًا من ليو. لم يكن لدى الأطفال الآخرين شعور بأنهم فُصلوا عن شخص ما. لكن ليو كان مختلفًا. لم يكن يعرف أنه توأم متطابق، فقط أنه متبنى. لابد أنه كان لديه حدس، رغم ذلك، لأنه غالبًا ما قال إنه يشعر وكأنه يفتقد نصف نفسه. وجد كارل ذلك صعب التحمل بشكل متزايد. كان يسألني دائمًا عن دانيال: "هل يشعر بنفس الطريقة؟" "إنه وحيد"، قلت، وذكرت أن دانيال أظهر أحيانًا علامات اكتئاب. "يجب أن نخبرهما"، أصر كارل. أخبرته أننا لا نستطيع، سيجعل ذلك كلنا تعساء. لكن كارل استمر، وفي النهاية ارتكب أكبر خطأ في حياته. ذهب لراكيل، وأنت تعلم...»

فتحت هيلدا الزجاجة الثانية، رغم أن الأولى لم تكن فارغة.

– «راكيل قد تعطي انطباعًا بأنها عملية ومستقيمة. لقد خدعت ليو تمامًا. كانا على اتصال طوال هذه السنوات، يلتقيان لتناول غداء عيد

الميلاد وما إلى ذلك. لكن في الواقع هي باردة كالثلج. بسببها أنا هنا تحت اسم مستعار، أرتجف من الخوف وأسكر. راقبتني عن كثب طوال هذه السنوات، وعندما لم تكن تتملقني، كانت تهددني. كانت قادمة لشقتي بينما كنت أهرب. رأيتها في الشارع.»

قال بلومكفيست:

— «إذن كارل ذهب إليها.»

— «استجمع شجاعته وأعلن أنه سيقول القصة كاملة، مهما كان الثمن. بعد بضعة أيام مات، أُطلق عليه النار في الغابة كحيوان مطارد.»

— «هل تعتقدين أنه كان قتلاً؟»

— «ليس لدي دليل. لطالما رفضت تصديق ذلك، لعدم رغبتي في قبول أنني قد أكون جزءًا من شيء قادر على القتل.»

— «لكن في الواقع شككتِ في ذلك طوال الوقت، أليس كذلك؟»

صمتت هيلدا. شربت نبيذها وحدقت في الأرض.

قال بلومكفيست:

— «قرأت تقرير الشرطة. بدا مريبًا حتى حينها، والآن أجد أنكِ قدمتِ دافعًا. لا أرى تفسيرًا آخر سوى أنهم كانوا جميعًا متورطين — مانهايمر، أوجرين، جريتز، كلهم. خاطروا بالتعرف عليهم وربطهم بعملية فصلت أطفالاً ينتمون لبعضهم البعض. احتاجوا للقضاء على التهديد قبل أن تُجر أسماؤهم في الوحل.»

بدت هيلدا خائفة ولم تقل شيئًا.

قالت بعد طول صمت:

— «كان ثمنًا باهظًا، رغم ذلك. رغم كل ماله وامتيازاته، لم يكن ليو سعيدًا أبدًا. لم يستعد ثقته بنفسه قط. انضم لعمل العائلة على مضض، فقط ليواجه وقتًا عصيبًا من قبل حمقى مثل إيفار.»

— «ماذا عن دانيال، أخيه؟»

— «بطرق ما كان أقوى، ربما لأنه لم يكن لديه خيار. كل الأشياء التي شُجع ليو على أن يكونها —— فتى مثقف، متعلم، موسيقي —— اضطر دانيال لأن يصبحها سرًا، وبشكل مستقل، وحيدًا ضد كل الصعاب. لكنه شعر بالسوء الشديد أيضًا. تعرض للتنمر من قبل إخوته بالتبني والضرب من قبل والده. دائمًا ما جُعل يشعر بأنه غير منسجم وغريب.»

— «ماذا حل به؟»

— «هرب من المزرعة واختفى عن رادار السجل. طُردت بعد ذلك بوقت قصير، لذا لست متأكدة تمامًا. آخر شيء فعلته له هو التوصية بمدرسة موسيقى في بوسطن. ثم لم أسمع شيئًا آخر حتى...»

استطاع بلومكفيست أن يعرف من الجو في الغرفة والطريقة التي تعاملت بها مع كأسها أن شيئًا ما قد تغير.

— «حتى متى؟»

— «صباح أحد أيام ديسمبر قبل عام ونصف. كنت أقرأ جريدة الصباح وأشرب كأسًا. رن الهاتف. أعطانا السجل تعليمات صارمة بعدم إعطاء الأطفال أسمائنا الحقيقية أبدًا. لكنني... أفترض أنني كنت أشرب بالفعل، وعلى أي حال لابد أنني أفلتها بضع مرات، لأن دانيال تمكن من تعقبي من قبل. وها هو يتصل فجأة. قال إنه فهم كل شيء.»

— «فهم ماذا؟»

— «أن ليو موجود، وأنهما توأمان متطابقان.»

— «توأمان متطابقان، صحيح؟»

— «نعم، لكني لا أعتقد أنه كان يدرك ذلك بعد. على أي حال لم يحدث فرقًا، على الأقل في ذلك الوقت. كان في حالة غضب شديدة، يسأل إن كنت أعلم. ترددت لفترة طويلة. عندما أخبرته أخيرًا بنعم، صمت. ثم قال إنه لن يسامحني أبدًا وأغلق الخط. أردت أن أموت. اتصلت بالرقم مرة

أخرى ووصلت لفندق في برلين، لكن لم يسمع أحد هناك بدانيال برولين. فعلت كل ما بوسعي للعثور عليه. لكن كان الأمر يائسًا.»

— «هل تعتقدين أنه وليو التقيا؟»

— «لا، لا أعتقد ذلك.»

— «لماذا تقولين ذلك؟»

— «لأن هذا النوع من الأشياء دائمًا ما يُعرف. التقى العديد من توائمنا المتطابقين كبالغين. في الوقت الحاضر، في عالم وسائل التواصل الاجتماعي، يرى شخص ما صورة على فيسبوك أو إنستغرام، ويقول إنها تشبه فلانًا تمامًا، ثم تنتشر القصة وأحيانًا تصل للصحف. إنه نوع القصص التي يزدهر عليها الصحفيون. لكن لم ينجح أي من توائمنا في تجميع الصورة كاملة. كانت هناك دائمًا تفسيرات جاهزة وأكدت الصحف فقط الجوانب المثيرة للقاءات. لم يحقق أحد في الأمر برمته بشكل صحيح. في الواقع، لا أستطيع تخيل كيف انت توصلت إليه. كان الجميع حريصين للغاية بشأن السرية.»

ساعد بلومكفيست نفسه بمزيد من النبيذ الوردي، رغم أنه لم يعجبه كثيرًا، وتساءل كيف يعبر عما يريد قوله. ظلت نبرته متعاطفة.

— «أعتقد أن هذا تفكير رغبوي يا هيلدا. هناك سبب للاعتقاد بأن دانيال وليو التقيا. لدي صديق يعرف ليو جيدًا وشيء ما لا يستقيم. هو»

—— اختار، من باب الأمان، الإشارة إلى مالين فرود بضمير "هو" ——

«درس ليو عن كثب ومقتنع بأن ليو أصبح أيمنًا، كما أخبرت أختك. وفوق ذلك أصبح عازف جيتار بارعًا جدًا، على ما يبدو من يوم لآخر.»

— «إذن غير الآلات أيضًا!» انكمشت هيلدا في كرسيها. «هل تقترح...»

— «أنا أسأل فقط ما هي الاستنتاجات التي ستستخلصينها، إذا كنتِ صادقة مع نفسك.»

— «إذا كان ما تقوله صحيحًا، أعتقد أن ليو ودانيال تبادلا الهويات.»

— «لكن لماذا؟»

— «لأن...» كانت تبحث عن كلمات. «... لأنهما كلاهما لديهما نزعة حزينة قوية وموهوبان للغاية. سيكونان قادرين على الانتقال لسياق جديد تمامًا دون صعوبة كبيرة، وربما سيريانها كتجربة جديدة ومثيرة. اعتاد كارل أن يخبرني أن ليو غالبًا ما شعر بأنه مسجون في دور لا يستمتع به.»

— «ودانيال؟»

— «بالنسبة لدانيال... لا أعرف، لابد أنه من الرائع أن يتمكن من الدخول لعالم ليو.»

— «قلتِ إن دانيال على الهاتف كان انفجارًا من الغضب، أليس كذلك؟ لابد أنه كان مؤلمًا له أن يدرك أن شقيقه التوأم نشأ في ظروف ثرية، بينما اضطر هو للعمل أيامًا طويلة في مزرعة.»

— «نعم، لكن...» درست هيلدا زجاجات النبيذ، وكأنها قلقة من أنها قد تنفد قريبًا. «... عليك أن تفهم مدى حساسية وتعاطف هذين الصبيين بشكل استثنائي. كثيرًا ما تحدثت أنا وكارل عن ذلك. كانا وحيدين. لكنهما متطابقان تمامًا وتخميني، إذا التقيا، هو أنه كان لقاءً رائعًا. ربما كان أفضل، أسعد شيء حدث لهما على الإطلاق.»

— «إذن لا تعتقدين أنه من المحتمل أن شيئًا ما سار بشكل خاطئ؟»

هزت هيلدا رأسها. بقوة مفرطة، ظن بلومكفيست.

— «هل أخبرتِ أي شخص أن دانيال اتصل بكِ؟»

ترددت هيلدا ربما لفترة أطول قليلاً من اللازم. أشعلت سيجارة من عقب سابقتها.

— «لا. لم يعد لدي أي اتصال بالسجل. من كنت سأخبر؟»

— «قلتِ إن جريتز تأتي لرؤيتكِ بانتظام.»

— «لم أخبرها شيئًا. لطالما كنت حذرة جدًا منها.»

فكر بلومكفيست لبرهة، ثم تابع بنبرة أشد مما قصد.

– «هناك شيء آخر يجب أن تخبريني به.»

– «هل هو عن ليزبيث سالاندر؟»

– «كيف خمنتِ؟»

– «ليس سرًا أنكما مقربان.»

– «هل كانت جزءًا من المشروع؟»

– «لقد سببت لجريتز مشاكل أكثر من كل الآخرين مجتمعين.»

***

ديسمبر، قبل عام ونصف

دخل ليو شقته بجانب الرجل الذي يشبهه. كان الرجل يرتدي معطفًا أسود رثًا بياقة من الفرو الصناعي الأبيض، وبنطال بدلة رمادي، وحذاءً بنيًا محمرًا بدا وكأنه مشى كثيرًا. خلع قبعته الصوفية ومعطفه ووضع جيتاره. كان شعره أشعث أكثر من شعر ليو، وسوالفه أطول وخدوده أكثر تشققًا. لكن ذلك لم يزد الشبه إلا رعبًا.

كان الأمر كرؤية المرء لنفسه في هيئة جديدة. انتاب ليو عرق بارد. أدرك أنه خائف حتى الموت. شعر بالأرض تنفتح أمامه. لكن الأمر كان محيرًا قبل كل شيء. نظر ليدي الرجل وأصابعه ثم ليديه وأصابعه، وتاق لمرآة. أراد مقارنة كل تجعيدة وتجعدة في وجهيهما. لكن أكثر من أي شيء كان لديه الكثير من الأسئلة، أراد أن يسأل ويسأل ولا يتوقف. فكر في الموسيقى التي سمعها قادمة من بئر السلّم، وفي الرجل الذي وصف نفسه بأنه نصف إنسان فقط —— تمامًا كما شعر هو دائمًا. كانت هناك غصة في حلقه.

– «كيف هذا ممكن؟»

قال الرجل الآخر:

– «أعتقد...»

- «ماذا؟»

- «... أننا كنا جزءًا من تجربة.»

بالكاد استوعب ليو الأمر. تذكر كارل، ووالده يصعد الدرج ذلك اليوم الخريفي، وترنح. انهار في الأريكة الحمراء تحت لوحة **برور هيورت**. جلس الرجل في الكرسي بجانبها. كان هناك شيء مألوف بشكل مخيف حتى في ذلك، الحركة، الجسد يغوص في الكرسي.

- «كنت أعرف شيئًا دائمًا. شيء ما كان خطأ.»

- «هل كنت تعلم أنك متبنى؟»

- «أخبرتني والدتي.»

- «لكن لم تكن لديك فكرة عن وجودي؟»

- «قطعًا لا. أو بالأحرى...»

- «ماذا؟»

- «لقد فكرت. حلمت. تخيلت كل أنواع الأشياء. أين نشأت؟»

- «في مزرعة خارج هوديكسفال. ثم انتقلت لبوسطن.»

تمتم ليو:

- «بوسطن...»

سمع نبض قلب. ظنه نبضه، لكنه كان نبض الرجل الآخر، شقيقه التوأم.

- «هل تريد مشروبًا؟»

- «بالتأكيد يمكنني استخدام واحد.»

- «شمبانيا؟ تدخل مجرى الدم مباشرة.»

- «يبدو مثاليًا.»

نهض ليو واتجه للمطبخ، لكنه توقف دون أن يعرف السبب حقًا. كان مرتبكًا جدًا، مضطربًا جدًا ليفهم ما يفعله.

- «أنا آسف.»

— «آسف؟ لماذا؟»

— «لقد صُدمت عند الباب لدرجة أنني لا أستطيع حتى تذكر اسمك.»

— «دان. دان برودي.»

— «دان؟» قال ليو. «دان.»

ثم ذهب ليحضر زجاجة «دوم بيرينيون» وكأسين. ربما لم تكن تلك اللحظة الدقيقة التي بدأ فيها الأمر. لابد أن محادثتهما كانت سريالية وغير مفهومة لفترة أطول. لكن كان الثلج يتساقط في الخارج وسُمعت أصوات أمسية جمعة، ضحك، أصوات، موسيقى من السيارات في الخارج ومن الشقق الأخرى. ابتسما ورفعا كأسيهما وانفتحا أكثر فأكثر. سرعان ما كانا يتحدثان كما لم يتحدثا لأي شخص من قبل.

لاحقًا، لم يكن أي منهما قادرًا على وصف المحادثة وتعرجاتها. كل خيط، كل موضوع، قُطع بمزيد من الأسئلة والاستطرادات. وكأنه لم تكن هناك كلمات كافية — وكأنهما لا يستطيعان التحدث بالسرعة الكافية. جاء الليل، ثم يوم جديد، ونادرًا ما توقفا لتناول الطعام أو النوم، أو لعزف الموسيقى.

عزفا لساعات طويلة، وبالنسبة لليو كان هذا أفضل شيء على الإطلاق. كان منعزلاً. عزف كل يوم طوال حياته، لكن دائمًا وحيدًا تقريبًا. عزف دان مع مئات الموسيقيين الآخرين — هواة، محترفين، فنانين، بعضهم كان يائسًا، وبعضهم ذو أذن حادة، وبعضهم لا يستطيع العزف إلا في نوع واحد، وبعضهم يستطيع عزفها كلها، أناس قادرون على التحول لمقام آخر في منتصف العبارة والتقاط كل تغيير في الإيقاع. ومع ذلك، لم يعزف من قبل قط مع أي شخص فهمه بشكل حدسي وفوري. لم يعزفا معًا فحسب، بل تحدثا عن موسيقاهما وتبادلا الأفكار، وأحيانًا كان ليو يتسلق طاولة أو كرسيًا ويقترح نخبًا:

— «أنا فخور جدًا! أنت جيد جدًا، جيد بشكل استثنائي!»

كانت متعة غامرة أن يعزف مع شقيقه التوأم لدرجة أنه رفع مستوى عزفه وأصبح أكثر مغامرة، وأكثر إبداعًا في مقطوعاته المنفردة. ورغم أن دان كان الموسيقي الأكثر مهارة، إلا أن ليو أعاد اكتشاف النار في موسيقاه أيضًا.

أحيانًا تحدثا وعزفا في نفس الوقت. أخبرا بعضهما كل تفصيل في حياتهما، واكتشفا صلات ومصادفات لم يكونا على علم بها. تركا قصصهما تمتزج وأضاف كل منهما لمسة من اللون للآخر.

ومع ذلك، ورغم أن دان لم يقل ذلك في ذلك الوقت، لم تكن المشاعر متبادلة دائمًا. في أوقات معينة وجد نفسه مستهلكًا بالحسد عندما تذكر كيف جاع وهو طفل أو كيف هرب من المزرعة. كيف خانته هيلدا. *من المفترض أن ندرس، لا أن نتدخل*. شعر بومضات من الغضب، وعندما اشتكى ليو من أنه افتقر للشجاعة لتكريس نفسه بالكامل لموسيقاه وأُجبر بدلاً من ذلك على أن يصبح شريكًا في ألفرد أوجرين —— أُجبر على أن يصبح شريكًا! —— كان الظلم أكثر مما يستطيع دان تحمله تقريبًا. ومع ذلك كانت تلك اللحظة استثناءً. كانت عطلة نهاية الأسبوع الأولى في ذلك ديسمبر وقت فرح عظيم وغامر له أيضًا.

كانت معجزة أن يلتقي ليس فقط بشقيق توأم، بل بشخص يفكر ويشعر ويسمع كما يفعل هو. وكم من الوقت قضيا يناقشان ذلك فقط، الأشياء التي يمكنهما سماعها! أصبحا منغمسين تمامًا، مهووسين كليًا، مستمتعين بالتجربة المذهلة المتمثلة في القدرة أخيرًا على مناقشة موضوع لا يفهمه أي شخص آخر. أحيانًا تسلق دان أيضًا كرسيًا لاقتراح نخب.

وعدا بالبقاء معًا. أقسموا أن يكونا واحدًا. تعهدا بأشياء رائعة وجميلة كثيرة —— لكنهما تعهدا أيضًا بمعرفة ما حدث، ولماذا. تحدثا عن الأشخاص الذين فحصوهم وهم صغار، وعن الاختبارات والتصوير

والأسئلة. أخبر دان ليو عن هيلدا، وأخبر ليو دان عن كارل سيجر وراكيل جريتز، التي ظل على اتصال بها على مر السنين.

قال دان:

— «راكيل جريتز. كيف تبدو؟»

وصف ليو الوحمة على عنقها، وعند ذلك تصلب دان. عرف أنه هو أيضًا التقى جريتز. كان ذلك الإدراك لحظة حاسمة.

الحادية عشرة مساءً يوم الأحد، ١٧ ديسمبر. كان الشارع مظلمًا وصامتًا، ولم يعد الثلج يتساقط. سُمعت كاسحات الثلج في البعيد.

— «أليست جريتز شريرة نوعًا ما؟»

— «تبدو باردة جدًا.»

— «لقد أرعبتني.»

— «لم أكترث لها كثيرًا أيضًا.»

— «لكنك واصلت رؤيتها؟»

— «لم أقف في وجهها بقدر ما كان يجب عليّ ربما.»

قال دان بلطف:

— «كلانا ضعيف بعض الشيء، أليس كذلك؟»

— «أفترض ذلك. لكن راكيل كانت أيضًا صلتي بكارل. كانت دائمًا تخبرني قصصًا لطيفة عنه، كل الأشياء التي أردت سماعها، أفترض. سأتناول غداء عيد الميلاد معها الأسبوع المقبل.»

— «هل سألتها قط عن خلفيتك؟»

— «آلاف المرات، وفي كل مرة كانت تقول...»

— «... أنك تُرِكت في دار أيتام بجافل، لكنهم لم يتمكنوا من تعقب والديك البيولوجيين.»

ثار ليو:

— «لقد اتصلت بدار الأيتام اللعينة تلك أيضًا، وأكدوا المعلومات.»

– «حسنًا، وماذا عن كل قصة الغجر إذن؟»

– «إنها مجرد إشاعة، كما تقول.»

– «إنها تكذب.»

– «بوضوح.»

ظهرت نظرة قاتمة على وجه ليو.

قال دان:

– «تبدو راكيل كالعنكبوت في وسط الشبكة، ألا تظن؟»

– «يبدو الأمر كذلك.»

– «يجب أن نقضي عليهم جميعًا!»

اشتعل عطش جامح للانتقام في الشقة بشارع فلوراجاتان، وبينما تحول مساء الأحد إلى ليل ثم صباح الاثنين، اتفقا على التزام الصمت وعدم إخبار أحد بلقائهما. سيلغي ليو حجز غداء عيد الميلاد، ويتصل بجريتز ويدعوها للشقة بدلاً من ذلك، مفاجئًا إياها بينما يختبئ دان في غرفة مجاورة. يجب أن تعاني جريتز. حاك الأخوان خطة.

***

أفرغت هيلدا كأسًا تلو الآخر، ورغم أنها لم تبدُ ثملة إلا أنها كانت ترتجف وتتعرق بغزارة لدرجة أن حلقها وصدرها كانا يلمعان.

– «أرادت راكيل جريتز ومارتن شتاينبرج توائم متطابقين وغير متطابقين في المشروع، ليتمكنوا من إجراء مقارنات صحيحة. أُدرجت ليزبيث وشقيقتها كاميلا في أحد سجلات معهد علم الوراثة البشرية واعتُبرتا مرشحتين مثاليتين. لم يكن أحد يكن الكثير من الاحترام لأجنيتا، لكن والدهما كان...»

– «وحشًا.»

– «وحشًا موهوبًا للغاية، وهذا ما جعل الطفلتين مثيرتين للاهتمام للغاية. أرادت راكيل فصلهما. أصبحت مهووسة بالفكرة.»

– «رغم أن الفتاتين كان لديهما بالفعل منزل وأم.»

– «أرجوك لا تظن أنني أحاول الدفاع عن راكيل، ولا لثانية واحدة. لكن... في ذلك الوقت كان لديها حجج قوية، حتى من وجهة نظر إنسانية بحتة. الأب، **زالاشينكو**، كان عنيفًا ومدمنًا للكحول.»

– «أعرف ذلك.»

– «أعرف أنك تعرف. لكني أريد أن أقول ذلك دفاعًا عنا. كانت بيئة منزلية جحيمية يا ميكائيل. لم يكن الأمر مجرد اغتصابات واعتداءات الأب. الحقيقة هي أنه فضل كاميلا بوضوح، مما خلق علاقة كارثية بين الابنتين منذ البداية. وكأنهما ولدتا لتكونا عدوتين.»

فكر بلومكفيست في كاميلا ومقتل زميله **أندريه زاندر**. قبض على كأسه بقوة لكنه لم يقل شيئًا.

قالت هيلدا:

– «كانت هناك أسباب مقنعة —— حتى أنا ظننت ذلك —— لوضع ليزبيث مع عائلة أخرى.»

– «لكنها كانت تعشق والدتها.»

– «صدقني، أعرف. تعلمت الكثير عن تلك العائلة. ربما بدت أجنيتا امرأة محطمة عندما ضربها زالاشينكو حتى ازرقت، لكن عندما تعلق الأمر بأطفالها، كانت مقاتلة. عُرض عليها المال. هُددت. أُرسلت لها رسائل بغيضة بكل أنواع الأختام الرسمية. لكنها رفضت التخلي عن طفلتها. "ليزبيث تبقى معي"، قالت. "لن أتخلى عنها أبدًا". قاتلت بأسنانها وأظافرها، واستمرت العملية طويلاً لدرجة أنه أصبح من المتأخر جدًا فصل الفتاتين. لكن بالنسبة لراكيل أصبح الأمر مسألة مبدأ، هوسًا. استُدعيت للتوسط.»

– «ماذا حدث؟»

– «في البداية، أعجبت بأجنيتا أكثر فأكثر. التقينا كثيرًا في ذلك الوقت، يمكنك القول تقريبًا أننا أصبحنا صديقتين. تبنيت قضيتها. قاتلت حقًا لمساعدتها على الاحتفاظ بليزبيث. لكن راكيل لم تسمح لنفسها بالهزيمة بهذه السهولة، وفي إحدى الأمسيات ظهرت مع **بنجامين فورس**، خادمها.»

– «من؟»

– «إنه أخصائي اجتماعي أساسًا، لكنه قام بعمل راكيل القذر لسنوات. رتب مارتن شتاينبرج له العمل معها. بنجامين ليس أذكى شخص، لكنه ضخم ومخلص بشكل لا يتزعزع. ساعدته راكيل في أوقات عصيبة، بما في ذلك عندما فقد ابنه في حادث سيارة، وفي المقابل سيفعل أي شيء من أجلها. أعتقد أنه يبلغ الستين الآن. طوله أكثر من مترين ولائق بدنيًا للغاية، وله هذا المظهر الكوميدي والطيب بعض الشيء، مكتملًا بحاجبين كثيفين. لكن يمكن أن يصبح عنيفًا، إذا أرادت راكيل، وفي هذه الأمسية بالذات في شارع لوندجاتان...»

توقفت هيلدا وابتلعت المزيد من النبيذ الوردي.

– «نعم؟»

– «كان في أكتوبر، والجو بارد. قُتل كارل سيجر لتوّه، وكنت بعيدة أحضر مراسم تأبين، وهو ما ربما لم يكن مصادفة. خُطط للعملية بعناية. كانت كاميلا نائمة عند صديقة، فقط أجنيتا وليزبيث كانتا في المنزل. لابد أن ليزبيث كانت في السادسة. عيد ميلادهما في أبريل، صحيح؟ كانت هي وأجنيتا في المطبخ، يتناولان الشاي والخبز المحمص. كانت تهب عاصفة في الخارج على "سكينارفيكسبرجيت".»

– «كيف تعرفين كل هذه التفاصيل؟»

– «سمعتها من ثلاثة مصادر مختلفة: تقريرنا الرسمي الخاص —— الذي هو بلا شك الأقل موثوقية —— وأيضًا رواية أجنيتا. تحدثنا لساعات بعد ما حدث.»

– «والثالث؟»

– «ليزبيث نفسها.»

نظر إليها بلومكفيست بدهشة. كان يعلم مدى سرية سالاندر بشأن حياتها الخاصة. بالتأكيد لم يسمع كلمة عن الحادثة، ولا حتى من هولجر بالمجرين.

– «ومتى كان ذلك؟»

– «منذ حوالي عشر سنوات الآن. كان وقتًا في حياة ليزبيث أرادت فيه معرفة المزيد عن والدتها، وأخبرتها بما أعرفه. أخبرتها أن أجنيتا كانت قوية وذكية، ورأيت أن ذلك أسعدها. قضينا وقتًا طويلاً نتحادث في منزلي بسكانستول، وفي النهاية أخبرتني هذه القصة. كانت كلكمة في المعدة.»

– «هل عرفت ليزبيث أنكِ تنتمين للسجل؟»

وصلت هيلدا لزجاجة النبيذ الوردي الثالثة.

– «لا. لم تكن تعرف حتى اسم راكيل. ظنت أنه مجرد إجراء إلزامي فرضته الخدمات الاجتماعية. لم يكن لديها فكرة عن مشروع التوائم، وأنا...»

عبثت هيلدا بكأسها.

– «لقد حجبتِ الحقيقة.»

– «كان هناك أناس يراقبونني يا ميكائيل. كنت ملزمة بالسرية المهنية؛ كنت أعرف ما حدث لكارل.»

– «أتفهم.» قال، وإلى حد ما فعل حقًا.

لا يمكن أن يكون الأمر سهلاً على هيلدا، وكان من الشجاعة منها أن تجلس هناك تتحدث معه بصراحة. لم يكن هناك مبرر ليحكم عليها.

— «أرجوكِ تابعي.»

— «في تلك الأمسية في شارع لوندجاتان، كانت هناك عاصفة، كما قلت. كان زالاشينكو هناك في اليوم السابق وكانت أجنيتا مغطاة بالكدمات وتعاني من آلام في معدتها وبين ساقيها. كانت في المطبخ تشرب الشاي مع ليزبيث. كانتا تتمتعان بلحظة هادئة معًا. ثم رن جرس الباب، وكما يمكنك التخيل، أصابهما الرعب. ظنتا أن الأب قد عاد.»

— «لكنها كانت راكيل.»

— «كانت راكيل وبنجامين، وهو ما لم يكن أفضل بكثير. أعلنا بوقار أنه بموجب قانون كذا وكذا، جاءا لأخذ ليزبيث، لحمايتها. ثم ساءت الأمور.»

— «بأي طريقة؟»

— «لابد أن ليزبيث شعرت بالخيانة الشديدة. كانت مجرد فتاة صغيرة في النهاية، وعندما جاءت راكيل أول مرة وأخضعتها لاختبارات مختلفة، أعطتها الأمل أيضًا. قل ما تشاء عن راكيل، لكن لديها هالة من السلطة. إنها حتى ملكية بعض الشيء، بظهرها المستقيم وتلك الوحمة النارية على عنقها. أعتقد أن ليزبيث حلمت بأنها ستتمكن من مساعدتهما في إبعاد والدها عن منزلهما. لكن في تلك الأمسية أدركت أن راكيل مثل كل البقية——»

— «شخص آخر لم يفعل شيئًا لوقف الإساءة والعنف.»

— «والآن فوق كل ذلك كانت راكيل ستأخذ ليزبيث من أجل سلامتها. سلامتها! كان لدى راكيل حتى حقنة مليئة بـ "ستيسوليد". كانت تنوي تخدير الفتاة وحملها بعيدًا. جن جنون ليزبيث. عضت إصبع راكيل، وتسلقت طاولة في غرفة المعيشة، وتمكنت من فتح النافذة وألقت بنفسها خارجًا. كانا في الطابق الأول فقط، لكنه كان لا يزال سقوطًا من ارتفاع مترين ونصف للأرض وكانت ليزبيث شيئًا صغيرًا ونحيلاً. لم تكن ترتدي

حذاء، فقط جوارب، وجينز وسترة ما، وكانت تهب عاصفة عاتية في الخارج. هبطت في وضع القرفصاء، وسقطت للأمام وضربت رأسها، لكنها قفزت على قدميها وركضت في الظلام. ركضت وركضت، على طول الطريق نزولاً نحو "سلوسن" وإلى "جاملا ستان"، حتى وصلت إلى "مينتتورجيت" والقصر الملكي، متجمدة ومبللة. أعتقد أنها نامت في بئر سلم تلك الليلة. بقيت بعيدة ليومين.» صمتت هيلدا. «هل يمكنني أن أطلب منك...»

— «ماذا؟»

— «أشعر بالسوء الشديد اليوم. هل يمكنك النزول للاستقبال وإحضار بعض البيرة الباردة؟ أحتاج شيئًا أبرد من ماء الغسيل هذا.» قالت، مشيرة للزجاجات.

نظر إليها بلومكفيست بقلق. لكنه أومأ ونزل للاستقبال. لدهشته، لم يشترِ ست زجاجات باردة من «كارلسبرغ» فحسب. بل أرسل أيضًا رسالة مشفرة، ربما لم تكن فكرة جيدة. لكنه شعر بأنه مدين لها بذلك.

«<المرأة ذات الوحمة على عنقها التي أرادت إرسالكِ بعيدًا وأنتِ صغيرة اسمها راكيل جريتز. كانت محللة نفسية وطبيبة نفسية وإحدى المسؤولات عن السجل.»

ثم حمل البيرة صاعدًا لهيلدا واستمع لبقية القصة.

-١٧-

٢١ – ٢٢ يونيو

كانت **سالاندر** في «بار الأوبرا»، تحاول الاحتفال بإطلاق سراحها من السجن. لم يكن الأمر يسير على ما يرام. مجموعة من الفتيات السخيفات الضاحكات بأكاليل الزهور في شعرهن، ربما حفلة توديع عزوبية، كنّ على طاولة خلفها. اخترقت ضحكاتهن كيانها وهي تنظر نحو «كونجستراجاردن». مر رجل في الخارج مع كلب أسود.

اختارت المكان بسبب الكوكتيلات التي يقدمها، وربما أيضًا بسبب الأجواء والصخب، لكنه لم يؤثر فيها حقًا. كانت عيناها تمسحان وجوه الحاضرين بين الحين والآخر؛ ربما تستطيع اصطحاب شخص ما لمنزلها، قد يكون رجلاً، وربما امرأة.

مرت كل أنواع الأفكار في ذهنها، وظلت تنظر لهاتفها المحمول. تلقت بريدًا إلكترونيًا من **هانا بالدر**، والدة **أوغست**. أوغست، الصبي المتوحد ذو الذاكرة الفوتوغرافية الذي شهد مقتل والده، عاد الآن للبلاد، بعد إقامة طويلة في الخارج، ووفقًا لهانا كان «بخير، مع الأخذ في الاعتبار كل شيء». بدا ذلك واعدًا، رغم أن سالاندر لم تستطع منع نفسها من التفكير في نظرته، تلك العينان الزجاجيتان اللتان لم تريا أكثر مما ينبغي فحسب، بل بدا أنهما تنسحبان أيضًا إلى قوقعة. تأملت، ليس دون ألم، أن بعض الأشياء تنطبع في دماغك. لا يمكنك التخلص منها أبدًا، عليك أن تعيش معها. تذكرت كيف، عندما كانا يختبئان في ذلك المنزل الصغير بـ «إنجارو»، ضرب الصبي رأسه مرارًا وتكرارًا على طاولة الطعام في نوبة من

الإحباط الجامح. للحظة عابرة شعرت بالرغبة في فعل الشيء نفسه: تحطيم رأسها على منضدة البار. لكن كل ما فعلته هو أن جزّت على أسنانها.

لاحظت رجلاً يتجه نحوها. يرتدي بدلة زرقاء، بشعر أشقر داكن مسرح للخلف، جلس بجانبها ونظر بقلق مبالغ فيه إلى شفتها المشقوقة ووجهها المتورم: «يا إلهي، من تمكنتِ من إغضابه؟» خاطر على الأقل بنظرة ازدراء، لكن في تلك اللحظة أزّ هاتفها. أرسل لها **بلومكفيست** رسالة مشفرة زادت من توترها. نهضت، وألقت بعض الأوراق النقدية من فئة مائة كرونة على المنضدة ودفعت الرجل في طريقها للخارج.

كانت المدينة تتلألأ والموسيقى تعزف في البعيد. كانت أمسية صيفية رائعة لأي شخص في مزاج مناسب لها. لم تلاحظ سالاندر أيًا من ذلك. بدت مستعدة للقتل. بحثت عن الاسم الذي أُعطيت إياه على هاتفها وسرعان ما أدركت أن **راكيل جريتز** تتمتع بحالة هوية محمية. لم يكن ذلك بحد ذاته مشكلة. كلنا نترك آثارًا، مثلما نشتري أشياء عبر الإنترنت ونكون مهملين في إعطاء عناويننا. لكن بينما كانت تعبر جسر «سترومبرون» في طريقها لـ «جاملا ستان»، كانت عاجزة عن فعل أي شيء، ولا حتى اختراق موقع ربما اشترت منه راكيل جريتز كتابًا. بدلاً من ذلك، فكرت في التنانين.

فكرت كيف، وهي فتاة صغيرة، ركضت حافية القدمين عبر ستوكهولم حتى وصلت إلى القصر الملكي وأسرعت مرورًا بعمود طويل نحو كاتدرائية كانت مضاءة في الظلام. كانت تلك كنيسة «ستور شيركان». لم تكن تعرف شيئًا عنها حينها، ببساطة انجذبت إليها. كانت تتجمد من البرد، وجواربها مبللة تمامًا واحتاجت لبعض الراحة والدفء. ركضت إلى فناء داخلي ودخلت عبر الأبواب الجانبية للكاتدرائية. كان السقف مرتفعًا لدرجة بدا وكأنه يصل للسماء. تذكرت كيف تقدمت للداخل ليتوقف الناس عن التحديق فيها. وعندها رأت التمثال. لاحقًا فقط أدركت أنه

مشهور، ويقال إنه يمثل القديس جورج يقتل تنينًا وينقذ عذراء في محنة. لكن ذلك لم يكن شيئًا عرفته سالاندر حينها أو كانت لتهتم به. رأت شيئًا مختلفًا تمامًا في التمثال تلك الأمسية —— اعتداءً. كان التنين —— لا تزال تتذكره بوضوح —— على ظهره ورمح يخترق جسده، بينما رجل بتعبير غير مبال وفارغ يضرب الحيوان بسيفه. كان التنين أعزل ووحيدًا، وجعل ذلك سالاندر تفكر في والدتها.

رأت والدتها في التنين، وبكل عضلة في جسدها شعرت أنها تريد إنقاذها. أو الأفضل من ذلك، أرادت أن تكون هي التنين نفسه وتقاتل، وتنفث النار، وتسحب الفارس من حصانه وتقتله. لأن الفارس من الواضح أنه لم يكن سوى **زالا**، والدها. كان هو الشر الذي يدمر حياتهم.

لكن ذلك لم يكن كل شيء. كانت هناك شخصية أخرى مصورة في التمثال، امرأة يمكن للمرء أن يغفل عنها بسهولة لأنها تقف جانبًا. كانت ترتدي تاجًا على رأسها وتمد يديها، وكأنها تقرأ كتابًا. أغرب شيء هو أنها كانت هادئة جدًا، وكأنها تنظر لمرج أو محيط بدلاً من مذبحة. في ذلك الوقت، لم تستطع سالاندر التعرف على المرأة كالعذراء التي يتم إنقاذها. في عينيها، كانت المرأة باردة كالثلج وغير مبالية. بدت تمامًا كالمرأة ذات الوحمة التي هربت منها لتوها والتي، مثل كل الآخرين، كانت تسمح باستمرار العنف والإساءة في منزلها.

هكذا رأته. لم يكن والدتها والتنين يُعذبان فحسب، بل كان العالم ينظر بلا قلب. شعرت سالاندر باشمئزاز عميق من الفارس والمرأة في التمثال، وركضت عائدة للمطر والعاصفة، ترتجف من البرد والغضب. كان كل ذلك منذ زمن بعيد ومع ذلك حاضرًا بشكل ملحوظ. الآن، بعد سنوات عديدة، وهي تعبر الجسر إلى جاملا ستان في طريقها للمنزل، تمتمت بالاسم لنفسها: راكيل جريتز.

كانت هذه صلتها بـ «السجل». كانت تبحث عنها منذ أن جاء **بالمجرين** لزيارتها في فلودبيرجا.

***

فتحت **هيلدا** زجاجة بيرة. بحلول الآن كانت عينها اليسرى تتجول قليلاً. في أوقات معينة كانت تفقد حبل أفكارها وتبدو ممسوسة بالندم، وفي أوقات أخرى كانت مركزة بشكل مدهش، وكأن الكحول لم يفعل سوى شحذ ذكائها.

— «لا أعرف ماذا فعلت ليزبيث بعد أن خرجت راكضة من ستور شيركان، فقط أنها تمكنت من التسول لبعض المال في المحطة المركزية في اليوم التالي وسرقت زوجًا من الأحذية كبيرة الحجم وسترة منفوخة من "أولينز". كانت **أجنيتا** خارجة عن طورها من القلق، بالطبع، وأنا... كنت غاضبة وأخبرت راكيل أنها ستعرض المشروع بأكمله للخطر إذا مضت في خطتها. في النهاية، استسلمت. تركت ليزبيث وشأنها. لكنها لم تتوقف أبدًا عن كرهها. أعتقد أنها كانت متورطة عندما حُبست ليزبيث في سانت ستيفان.»

— «لماذا تقولين ذلك؟»

— «لأن صديقها الحميم **بيتر تيليبورين** كان يعمل في العيادة.»

— «كانا صديقين؟»

— «كانت راكيل محللة تيليبورين النفسية. تشاركا الإيمان بالذاكرة المكبوتة ونظريات سخيفة أخرى مشابهة، وكان مخلصًا جدًا لها. لكن الشيء المثير للاهتمام هو أن راكيل لم تكره ليزبيث فحسب، بل أصبحت أيضًا أكثر خوفًا منها. أعتقد أنها أدركت، قبل أي شخص آخر بوقت طويل، ما كانت ليزبيث قادرة عليه.»

— «هل تعتقدين أن راكيل لها علاقة بوفاة هولجر بالمجرين؟»

ألقت هيلدا نظرة على حذائها. سُمعت أصوات بالخارج على الرصيف.

— «إنها قاسية. يمكنني أن أشهد على ذلك أكثر من أي شخص آخر. طاحونة الشائعات التي أطلقتها عندما قررت مغادرة السجل كادت تقضي عليّ. لكن القتل؟ لست متأكدة. أجد صعوبة في تصديق ذلك. على الأقل أفضل ألا أصدقه، وأقل من ذلك...»

قطبت هيلدا وجهها. انتظرها بلومكفيست لتكمل.

— «... أقل من ذلك يمكنني تصديقه بشأن **دانيال برولين**. إنه فتى ضعيف وموهوب جدًا. لن يؤذي أي شخص أبدًا، وأقلهم شقيقه التوأم. لقد خُلقا ليكونان معًا.»

كان بلومكفيست على وشك الإجابة بأن هذا بالضبط ما يقوله الناس عندما يرتكب أصدقاؤهم أو معارفهم أبشع الجرائم. «نحن فقط لا نفهم»، «هذا غير ممكن»، «ليس هو/ليس هي، بالتأكيد؟» ومع ذلك يحدث. لدينا أسمى الآراء عن شخص ما ثم يعمى ذلك الشخص بالغضب ويحدث ما لا يمكن تصوره. لم يقل شيئًا وحاول ألا يتسرع في الاستنتاجات. كان هناك أي عدد من السيناريوهات المحتملة.

تحدثا لفترة أطول ثم راجعا بعض التفاصيل العملية بما في ذلك كيف سيتواصلان في الأيام المقبلة. حثها على توخي الحذر الشديد والاعتناء بنفسها، ثم تحقق من هاتفه ليرى إن كان هناك قطار متأخر عائد لستوكهولم. كان لديه خمس عشرة دقيقة. حزم مسجل صوته، وعانقها وهرع. في طريقه للمحطة حاول مرة أخرى الوصول لسالاندر. كان يحتاج لرؤيتها، وأراد ذلك. لقد طال الوقت كثيرًا.

في القطار شاهد فيديو مهتزًا أرسلته له أخته، ظهر فيه **بشير كازي** غاضبًا يعترف على ما يبدو بأنه وراء مقتل جمال شودري.

***

لم ينتشر الفيديو كالفيروس فحسب، بل أثار أيضًا موجة من النشاط في مقر الشرطة بشارع «بيرجسجاتان». اشتد هذا النشاط عندما، بعد فترة وجيزة، أُرسل تحليلان متطوران لحركة اليد لبوبلانسكي في فرقة جرائم القتل العمد. كانت تلك التحليلات هي السبب أيضًا في أن شابًا ببنية عداء ونظرة ضائعة في عينيه كان منهارًا في إحدى غرف الاستجواب في الطابق السابع، مع إمامه، حسن فردوسي.

كان بوبلانسكي يعرف فردوسي جيدًا إلى حد ما منذ بعض الوقت. كان فردوسي وخطيبة بوبلانسكي، **فرح شريف**، زميلين في الدراسة. كان أيضًا أحد أولئك القادة الذين عملوا على تشجيع تفاعل أوثق بين مختلف الطوائف الدينية في مواجهة تصاعد معاداة السامية والإسلاموفوبيا في البلاد. لم يتفق بوبلانسكي دائمًا مع فردوسي، خاصة بشأن قضية إسرائيل، لكنه كان يكن له احترامًا كبيرًا، وحيا الإمام بانحناءة وقار.

سمع أن فردوسي ساعد في تحقيق اختراق في التحقيق في وفاة جمال شودري، وكان ممتنًا لكنه محبط أيضًا. كشف ذلك عن مدى عدم كفاءة زملائه وكان بوبلانسكي مثقلاً بالعمل كما هو. اتصلت السيدة توريل أخيرًا لتقول إن شخصًا ما قد زارها بالفعل فيما يتعلق بالأوراق التي سلمتها لهولجر بالمجرين. بروفيسور معين يدعى مارتن شتاينبرج — مواطن محترم، على ما يبدو، عمل لكل من الخدمات الاجتماعية والحكومة. أخبرها شتاينبرج أن بعض الأفراد قد وقعوا في مشاكل بالفعل بسبب تلك الأوراق، وجعلها تقسم أمام الله والبروفيسور كالدين الراحل أنها لن تتحدث عنها مرة أخرى، ولا ينبغي لها ذكر زيارة شتاينبرج، «من أجل سلامة ورفاهية مرضانا السابقين».

أخذ شتاينبرج نسختها الاحتياطية، وهي ذاكرة USB. لم تتذكر توريل ما كان عليها، باستثناء الملاحظات الطبية عن سالاندر. لكن بوبلانسكي كان قلقًا بشأن ذلك، خاصة وأنه لم يتمكن من الاتصال بشتاينبرج. أراد

بوبلانسكي قضاء المزيد من الوقت في محاولة فك اللغز، لكن كان عليه ببساطة نسيان كل شيء لبعض الوقت. طُلب منه التعامل مع هذه المقابلة، رغم أنه بالكاد كان لديه وقت لذلك.

نظر لساعته. كانت الثامنة وخمس وأربعين دقيقة صباحًا. يوم رائع آخر سيمر عليه في الغالب. نظر للشاب الجالس بهدوء بجوار الإمام، ينتظر محاميه المعين من قبل المحكمة. كان اسمه **خليل كازي** ويبدو أنه اعترف بقتل جمال شودري حبًا بأخته. حبًا؟ كان الأمر عصيًا على الفهم. لكن ذلك كان نصيب بوبلانسكي التعيس في الحياة. يفعل الناس أشياء مروعة ومسؤوليته هي فهم السبب وتقديمهم للعدالة.

نظر للإمام والشاب، ولسبب ما فكر في المحيط.

***

استيقظ بلومكفيست في سرير سالاندر المزدوج في شارع «فيسكارجاتان». لم يكن ذلك خطته بالضبط، لكنه كان خطأه. ظهر على عتبة بابها وسُمح له بالدخول بإيماءة صامتة. صحيح، في البداية عملا وتبادلا المعلومات فقط. لكن بالنسبة لكليهما كان يومًا حافلاً بالأحداث، وفي النهاية لم يعد بلومكفيست قادرًا على التركيز على ما يفعلانه. مسح الدم الجاف من شفتها وسأل عن التنين في ستور شيركان. كانت الواحدة والنصف صباحًا وسماء الصيف بدأت تشرق بالفعل وهما يجلسان على أريكتها.

— «هل كان ذلك سبب وشم التنين على ظهركِ؟»

— «لا.»

من الواضح أنها لم ترغب في الحديث عن ذلك ولم يرغب هو في الضغط عليها. كان متعبًا وكان ينهض للعودة للمنزل عندما سحبته سالاندر للأريكة مرة أخرى ووضعت يدًا على صدره.

— «فعلته لأنه ساعدني.»

– «ساعدكِ؟ كيف؟»
– «فكرت في التنين عندما كنت مقيدة في السرير في سانت ستيفان.»
– «بماذا كنتِ تفكرين؟»
– «أنه بدا عاجزًا والرمح عالق في جسده، لكنه سينهض يومًا ما، وينفث النار ويدمر أعداءه. هذا ما أبقاني على قيد الحياة.» كانت عيناها مظلمتين ومتوجستين.

نظرا لبعضهما، ربما كانا على وشك التقبيل. لكن سالاندر بدت على بعد أميال وأدارت نظرها نحو المدينة وقطار كان يدخل المحطة المركزية. قالت إنها تعقبت راكيل جريتز عبر متجر على الإنترنت في «سولينتونا» يبيع المطهرات. تمتم بلومكفيست بتقديره، رغم أن ذلك أقلقه. بعد ذلك بوقت قصير، وبعد أن خفت حرارة اللحظة، بدأ رأسه يميل وسأل إن كان بإمكانه الاستلقاء لبعض الوقت على سريرها. لم يكن لدى سالاندر اعتراض. ذهبت للنوم بنفسها بعد قليل وسرعان ما غطت في النوم.

الآن، في الصباح، سمع بلومكفيست أصواتًا من المطبخ. جر نفسه من السرير وشغل آلة القهوة. راقب سالاندر وهي تخرج بيتزا هاواي من الميكروويف وتجلس على طاولة المطبخ. بحث في ثلاجتها، وشتم لأنه لم يكن هناك شيء آخر للأكل. ثم تذكر أنها خرجت لتوها من السجن، وكان لديها ما يكفي من العمل في أول يوم حريتها. اكتفى بالقهوة وضبط الراديو في المطبخ على قناة «P – ١». التقط نهاية نشرة الأخبار اليومية واستمع لتوقعات درجات حرارة قياسية لمنطقة ستوكهولم. قال صباح الخير لسالاندر، التي تمتمت شيئًا في المقابل. كانت ترتدي جينز وقميصًا أسود، بلا مكياج، وبدت شفتها المتورمة والكدمات على وجهها مؤلمة بشكل لا يطاق. بعد ذلك بوقت قصير نزلا للشارع معًا، وتحدثا بإيجاز عن خططهما. افترقا عند «سلوسن». أخبرها أن تهدأ وأومأت.

كان في طريقه لشركة ألفرد أوجرين للأوراق المالية.
كانت هي في طريقها لتعقب راكيل جريتز.

***

بينما كان خليل كازي يُستجوب في غرفة المقابلة، جلس محاميه، **هارالد نيلسون**، ينقر بتوتر على الطاولة بقلمه. كانت هناك لحظات بالكاد استطاع بوبلانسكي تحمل الاستماع. كان يجب أن يكون لخليل مستقبل مشرق؛ بدلاً من ذلك دمر كل شيء.

كان ذلك في بداية أكتوبر، قبل عامين تقريبًا.

بعد أن هربت فاريا من الشقة في سيكلا، تمكنت من البقاء على اتصال سري بخليل وأخبرته أنها تنوي قطع كل الصلات بالعائلة. اتفقا على اللقاء في مقهى بساحة «نورا بانتورجيت» لتودع شقيقها الأصغر. أقسم خليل أنه لم يقل كلمة لأحد، لكن لابد أن الإخوة تعقبوه. سحبوا أختهم لسيارة وأخذوها لسيكلا.

أمضت فاريا الأيام القليلة الأولى مقيدة. وضعوا شريطًا لاصقًا على فمها وقطعة كرتون على صدرها كتب عليها «عاهرة». ضربها بشير وأحمد. بصقوا عليها وتركوا رجالاً آخرين جاءوا للشقة يفعلون الشيء نفسه.

أدرك خليل أن فاريا لم تعد تُعتبر أختًا، ولا حتى إنسانًا. لم يعد جسدها ملكًا لها، وخشي أن يخمن ما ينتظرها. ستؤخذ لمكان ناءٍ، بعيدًا عن متناول الشرطة، حيث سيُراق دمها لتطهير شرف العائلة. أحيانًا، كانوا يتحدثون عن كيف يمكن إنقاذها بالزواج من **قمر**، لكن خليل لم يصدق ذلك. لقد دُنست بالفعل. وكيف سيخرجونها من البلاد مع إبقائها تحت السيطرة؟

كان خليل متأكدًا أن فاريا تواجه الموت المحقق. أُخذ هاتفه هو أيضًا وكان سجينًا فعليًا، لذا لم يكن هناك طريقة لرفع الإنذار. في يأسه، لم يستطع إلا أن يأمل في معجزة. حدثت معجزة صغيرة، أو على الأقل بعض

الراحة: فكوا قيود فاريا وتخلصوا من اللافتة، وسُمح لها بالاستحمام، وتناول الطعام في المطبخ والتحرك في الشقة بدون حجاب. وُزعت الهدايا، وبدا وكأن فاريا ستُعطى تعويضًا عن معاناتها بدلاً من عقاب أشد.

أعطاها الإخوة راديوًا ووجدوا لخليل جهاز «ستير ماستر» مستعمل، أحضره أحد معارفه في «هودينجه». بنى ذلك قوته. كان يفتقد الركض — حرية حركته، قوة خطواته — والآن تدرب لساعات طويلة. بدأ يرى ضوءًا في نهاية النفق، رغم أنه لا يزال يتوقع الأسوأ.

بعد بضعة أيام دخل بشير وأحمد غرفته وجلسا على السرير. كان بشير يحمل مسدسًا، لكن رغم ذلك، لم يبدُ الأخوان غاضبين. كان كلاهما يرتديان قمصانًا مكوية حديثًا بنفس درجة اللون الأزرق. ابتسما له.

قال بشير:

— «لدينا أخبار جيدة!»

سيُسمح لفاريا بالعيش، أو بالأحرى سيُسمح لها بالعيش طالما دفع شخص ما الثمن. أي شيء آخر سيجلب غضب الله، ولن يُنتقم لشرفهم وستنتشر الوصمة وتسممهم جميعًا. أُعطي خليل خيارًا: إما أن يموت، مع أخته — أو يجب أن يقتل جمال وبالتالي ينقذهما. لم يفهم خليل في البداية. لم يرد أن يفهم، قال. واصل فقط الصعود على جهاز «ستير ماستر». لذا عرضوا عليه الخيار مرة أخرى.

— «لكن لماذا أنا؟ لم أستطع إيذاء أي شخص قط.» كان مضطربًا تمامًا.

أوضح بشير أنه، من بين كل الإخوة، خليل وحده غير معروف للشرطة. لديه سمعة جيدة. وفوق كل شيء بفعل هذا يمكن لخليل التكفير عن خذلانه للعائلة. في مرحلة ما لابد أنه أجاب بنعم، سيقتل جمال. كان يائسًا، عالقًا في وضع مستحيل.

كان يحب أخته، وحياته مهددة.

لكن كان هناك تفصيل واحد لم يفهمه بوبلانسكي: لماذا لم يتصل خليل بالشرطة عندما سُمح له بالخروج من الشقة لتنفيذ القتل؟ زعم خليل أنه خطط لفعل ذلك بالضبط. كان سيكشف كل شيء ويطلب الحماية. لكنه حينها ارتبك وشُل، قال، بالدقة التي أُعدت بها العملية. كان آخرون متورطين أيضًا، إسلاميون لم يغفلوا عنه قط، ولم يفوتوا فرصة لإخباره كم هو شخص حقير جمال. كانت هناك فتوى ضد جمال. حُكم عليه بالإعدام من قبل أناس متدينين في بنجلاديش. كان أسوأ من الخنازير، واليهود، والجرذان التي تنشر الطاعون. لقد لطخ شرف العائلة وشرف أخته. ببطء ولكن بثبات، انجذب خليل للظلام ودُفع لفعل ما لا يمكن تصوره. دفع جمال أمام القطار. لم يكن بالتأكيد وحيدًا، لكنه هو من ركض للرصيف ودفعه.

— «لقد قتلته.»

***

كانت فاريا كازي في غرفة الزوار في المبنى «H» من فلودبيرجا. جلست المفتشة سونيا موديغ وأنيكا جيانيني مقابلها. كانت الإجراءات متوترة ومتقطعة بينما أعادت جيانيني تشغيل الفيديو ذي الجودة الرديئة الذي ظهر فيه بشير يعترف بتورطه في مقتل جمال شودري. شرحت جيانيني تحليلات حركة اليد، وأخبرتها أن خليل قدم إفادة مفصلة يعترف فيها بأنه دفع جمال تحت القطار.

— «لقد اعتقد خليل أنها الطريقة الوحيدة لإنقاذك يا فاريا — ولإنقاذ نفسه. يقول إنه يحبك.»

لم تستجب فاريا. كانت تعرف كل هذا بالفعل وأرادت أن تصرخ «يحبني؟ أنا أكرهه.» كرهته حقًا. كان خليل السبب في أنها أبقت فمها مغلقًا لفترة طويلة. ومهما آذاها خليل، لا تزال تشعر بالحمائية تجاهه. في الغالب من أجل والدتهما، فكرت. ذات مرة وعدت فاريا والدتها بأنها

ستعتني بخليل. لكن الآن لم يتبقَ أي عائلة لحمايتها، أليس كذلك؟ تماسكت، ثم نظرت للنساء وقالت:

— «هل هذا صوت ليزبيث سالاندر في الفيلم؟»

— «إنه كذلك، نعم.»

— «هل هي بخير؟»

— «هي بخير. لقد كانت تقاتل من أجلك.»

ابتلعت فاريا. اعتدلت في جلستها وبدأت تتحدث. كان الجو في الغرفة يسوده ترقب مهيب، كما هو الحال دائمًا عندما يقرر شاهد أو مشتبه به التحدث بعد صمت طويل. كانت جيانيني وموديغ مركزتين لدرجة أنهما لم تسمعا رنين الاتصالات الداخلية في الممر والاضطراب المتزايد في أصوات الحراس.

كان الجو حارًا بشكل لا يطاق في غرفة الزوار. مسحت موديغ العرق من جبينها وكررت ما قالته فاريا، مرتين الآن، في نسختين متشابهتين ولكن ليستا متطابقتين تمامًا. بدا أن شيئًا ما لا يزال مفقودًا.

— «إذن كان لديكِ إحساس بأن وضعكِ يتحسن. ظننتِ أن إخوتكِ يلينون، وأنكِ قد تُمنحين نوعًا من الحرية في النهاية.»

قالت فاريا:

— «لست متأكدة مما ظننته. كنت حطامًا. لكنهم اعتذروا. لم يعاملني بشير وأحمد هكذا من قبل قط. قالوا إنهم تمادوا. وأنهم يخجلون. وأن كل ما أرادوه هو أن أعيش حياة محترمة وأنني عوقبت بما فيه الكفاية. أعطوني راديو.»

— «هل خطر ببالكِ في أي مرحلة أنه قد يكون فخًا؟»

— «فكرت في ذلك باستمرار. قرأت عن فتيات أخريات استدرجن لشعور بالأمان ثم...»

— «ثم قُتلن؟»

— «أدركت أن هناك خطرًا حقيقيًا، ليس أقلها بسبب لغة جسد بشير، وهذا أخافني. بالكاد نمت. كان لدي عقدة في معدتي. لكنني كنت مذنبة أيضًا بالتفكير الرغبوي. عليكِ أن تفهمي، كانت تلك الطريقة الوحيدة لتحمل الأمر. اشتقت لجمال لدرجة أنني كنت أجن. أكثر من أي شيء أملت، آمنت أن جمال كان هناك في مكان ما، يقاتل من أجلي. تحليت بالصبر وقلت لنفسي إن الأمور تتحسن. في غضون ذلك استمر خليل في التدرب على جهاز "ستير ماستر" كشخص مجنون. سمعت ذلك الجهاز يضرب طوال الليل. سووش، سووش. كان يدفعني للجنون، لا فكرة لدي كيف كان يفعل ذلك. لم يكن يتوقف، وأحيانًا كان يخرج من غرفته ويعانقني ويقول "أنا آسف، أنا آسف" مائة مرة. قلت إنني سأعتني به، وأتأكد من أن جمال وأصدقاءه سيحموننا كلانا، وربما، لا أعرف... من الصعب القول الآن، بالنظر للوراء.»

قالت موديغ، بنبرة أشد من المعتاد:

— «حاولي أن تكوني واضحة. الأمر مهم.»

نظرت جيانيني لساعتها ومسدت شعرها، وقالت بغضب:

— «يكفي هذا! إذا كانت فاريا غير واضحة، فذلك لأن الوضع نفسه كان غير واضح. في ظل الظروف أعتقد أنها واضحة بشكل مثير للإعجاب.»

قالت موديغ:

— «أنا أحاول فقط أن أفهم. فاريا، لابد أنكِ أدركتِ أن شيئًا ما على وشك الحدوث. تقولين إن خليل كان في حالة توتر شديد. وأنه كان يتدرب بجد لدرجة لم يتبقَ منه شيء.»

— «كان في حالة سيئة جدًا. كان سجينًا أيضًا. لكن كان لدي انطباع بأنه بدأ يشعر بتحسن، فقط بعد ذلك تذكرت النظرة في عينيه.»

— «وكيف بدا؟»

— «يائسًا. كحيوان مطارد. لكن في ذلك الوقت لم أرَ ذلك.»

– «لم تسمعي إخوتكِ الآخرين يغادرون الشقة مساء ٢٣ أكتوبر؟»

– «كنت نائمة، أو على الأقل أحاول النوم. لكنني أتذكر أنهم عادوا في منتصف الليل وكانوا يتهامسون في المطبخ. لم أستطع سماع ما يقولون. في اليوم التالي أعطوني نظرات غريبة، واعتبرت ذلك علامة جيدة. بدا لي أن جمال في مكان قريب. شعرت بوجوده. لكن مع مرور الساعات كان هذا الجو الغريب والمتوتر يتصاعد. جاء المساء ثم رأيت أحمد، تمامًا كما أخبرتك.»

– «قلتِ إنه كان بجوار النافذة.»

– «كان هناك شيء غاضب، شيء مهدد في طريقة وقوفه، وكان يتنفس بثقل. شعرت بثقل على صدري. قال أحمد: "إنه ميت". لم أفهم عمن يتحدث. "جمال ميت"، قال مرة أخرى. أعتقد أنني سقطت على ركبتي. فقدت الوعي للحظة. لم أكن قد استوعبت الأمر حقًا.»

– «كنتِ في صدمة.»

قالت موديغ:

– «ومع ذلك بعد لحظة، وجدتِ هذه القوة المذهلة.»

– «لقد شرحت ذلك بالفعل.»

– «لقد فعلت، كما تعلمين.»

– «أود سماعه مرة أخرى.»

– «كان خليل هناك فجأة. أو ربما كان هناك طوال الوقت. صرخ بأنه هو من قتل جمال، وهذا لم يكن منطقيًا على الإطلاق. لكنه استمر في القول إنه فعل ذلك من أجلي، وأنهم كانوا سيقتلونني لولا ذلك، كان عليه الاختيار بيني وبين جمال. وعندها جاءتني القوة، ذلك الغضب. فقدت صوابي ببساطة، وهاجمت أحمد.»

– «لماذا ليس خليل؟»

– «لأنني...»

– «لأنكِ؟»

– «لأنني لابد أنني فهمت، رغم كل شيء.»

– «ماذا؟ أنهم استخدموا حب خليل لكِ كوسيلة للضغط عليه لارتكاب هذا الفعل الفظيع؟»

– «أنهم دفعوه لذلك، أنهم دمروا حياته مع حياتي وحياة جمال، ولهذا السبب دخلت في نوبة غضب عمياء. جننت. ألا تستطيعين فهم ذلك؟»

قالت موديغ:

– «أستطيع. بصدق أستطيع. لكن هناك أمور أخرى أجد صعوبة أكبر في فهمها — على سبيل المثال، حقيقة أنكِ رفضتِ الإجابة على أي أسئلة أثناء تحقيقات الشرطة. قلتِ إنكِ أردتِ الانتقام. لكن كان بإمكانكِ الرد أيضًا على بشير، أكبر مجرم بينهم جميعًا. بمساعدتنا كان بإمكانكِ وضعه في السجن بتهمة التآمر على القتل.»

تهدج صوت فاريا:

– «لكن ألا تفهمين؟»

– «ألا نفهم ماذا؟»

– «حياتي انتهت مع حياة جمال. ماذا سأكسب بسجن بشير أو خليل أيضًا؟ كان خليل الوحيد في العائلة الذي...»

– «تابعي.»

– «كان الوحيد الذي أحببته.»

– «لكنه قتل حب حياتكِ.»

– «كرهته. أحببته. كرهته. هل هذا صعب الفهم؟»

كانت جيانيني على وشك المقاطعة لتقول إن فاريا بحاجة لاستراحة من المقابلة عندما طُرق الباب. أراد **ريكارد فاغر** التحدث لموديغ.

كان من الواضح فورًا أن شيئًا خطيرًا قد حدث، وأن ما حدث زعزع ثقة مدير السجن. انزعجت موديغ من إطالته. لم يكن ليصل لصلب الموضوع، وكأنه ينوي بدلاً من ذلك إيجاد أعذار بدلاً من الشرح. قال إنه كان هناك حراس أمن ومراقبة وحتى أجهزة كشف معادن. قال ألا ننسى أن بينيتو كانت في حالة خطيرة، بإصابات مستمرة في جمجمتها، وارتجاج، وفك مهشم.

— «لقد هربت من المستشفى، هل هذا ما تحاول قوله؟»

لم يتأثر فاغر:

— «لم يتوقع أحد أنها ستتمكن من مغادرة المكان.» تم تفتيش جميع الزوار. أو على الأقل كان يجب تفتيشهم. لكن حدث شيء لنظام الحاسوب في المستشفى. تعطل، وتوقفت بعض المعدات الطبية عن العمل. أصبح الوضع خطيرًا. كان الأطباء والممرضات يركضون في كل مكان، وحينها ظهر ثلاثة رجال في بدلات. أخبروا الاستقبال أنهم هناك لزيارة مريض آخر، مهندس من «ABB» على ما يبدو، كان في نفس الجناح. ثم حدثت الأمور بسرعة.

كان الرجال مسلحين بننشاكو. بدأ فاغر ، ذلك الأحمق، يشرح أن الننشاكو عبارة عن عصي خشبية تستخدم في الفنون القتالية...

لوحت موديغ بكل ذلك بعيدًا.

— «ماذا حدث بالفعل بحق السماء؟»

— «هؤلاء الرجال تغلبوا على الأمن، وأخرجوا بينيتو من المستشفى واختفوا في شاحنة رمادية تحمل لوحات أرقام مزورة. تم التعرف على أحد الرجال بأنه **إيسبورن فالك**، من عصابة دراجات سفافيلخو الإجرامية.»

— «أعرف ما هي عصابة سفافيلخو. إذن ماذا تم حتى الآن؟»

— «صدر تنبيه على مستوى البلاد بشأن بينيتو. أخبرنا وسائل الإعلام. **ألفار أولسن** تحت الحماية.»

– «وليزبيث سالاندر؟»

– «ماذا عنها؟»

تمتمت: «أحمق.» ثم قالت إن عليها المغادرة فورًا لأن الوضع يتطلب إجراءً فوريًا.

في طريقها للخروج عبر أمن السجن اتصلت ببوبلانسكي وأخبرته عن بينيتو ومقابلة فاريا كازي. اقتبس لها قولًا يهوديًا قديمًا: «يمكن للمرء أن يرى في عيني الرجل، ولكن ليس في قلبه.»

-١٨-

٢٢ يونيو

تأخر **دان برودي** عن العمل مرة أخرى اليوم. كان مضطربًا وخائر القوى، تطارده أفكار سوداوية. لكنه كان يرتدي ملابس أفضل تناسبًا مع الطقس: بدلة كتان زرقاء فاتحة، وقميصًا قطنيًا، وحذاءً جلديًا. كانت الشمس تضرب بقوة وهو يسير في شارع «بيرجر يارلسجاتان» مفكرًا في **ليو**. فجأة سمع صرير فرامل سيارة، وترنح، تمامًا كما حدث في متحف «فوتوجرافيسكا».

للحظة، كافح ليلتقط أنفاسه. ومع ذلك استمر في المشي، وانغمس مجددًا في أفكاره. تلك الأيام في ديسمبر، بعد عطلة نهاية الأسبوع الأولى معًا، ظلت أسعد أيام حياته، رغم لحظات الألم والاستياء. تحدث هو وليو وعزفا الموسيقى دون انقطاع. لكنهما لم يغادرا المبنى معًا قط، بل واحدًا تلو الآخر دائمًا. فقد وضعا خطة. كانا سيواجهان **جريتز** ويجب ألا تشك في شيء.

***

ديسمبر، قبل عام ونصف

ألغى ليو غداء عيد الميلاد في مطعم مع جريتز ودعاها لمنزله في الواحدة ظهرًا يوم ٢٣ ديسمبر بدلاً من ذلك. في غضون ذلك، استمتع الأخوان بألعاب الهوية. في الخارج في المدينة كانا كلاهما ليو، وهذا أمتعهما بشكل هائل. استعار دان بدلات ليو وقمصانه وأحذيته. قص شعره

مثل ليو وتدرب على أن يكون ليو من خلال لعب الأدوار. ظل ليو يقول إن دان كان الأكثر إقناعًا بينهما — «أنت ليو أكثر مني!»

لم يقضِ ليو سوى أيامًا قصيرة في المكتب. في إحدى الأمسيات خرج مع زملائه إلى مطعم «ريش» لكنه عاد مبكرًا حتى حينها ليخبر دان أنه كان على وشك — وأراه بإبهامه وسبابته — كشف سرهما لـ **مالين**.

— «لكنك لم تقل شيئًا؟»

— «أوه، لا. يبدو أنها تظن أنني واقع في الحب.»

— «هل هي منزعجة؟»

— «لا، ليس حقًا.»

عرف دان أن ليو كان يغازل مالين فرود، التي كانت تتم إجراءات طلاقها وستغادر ألفرد أوجرين قريبًا. لكن ليو ادعى دائمًا أنها ليست جادة. اعتقد أن عينها على **بلومكفيست**، الصحفي. وعلى أي حال، لم يعتقد ليو أنه يحبها أيضًا. كانا يتسليان فحسب، كما قال. في الغالب.

كان هو وليو يتبادلان الأفكار والذكريات والنميمة دائمًا. أبرما ميثاقًا بدا غير قابل للكسر، وتدربا بالتفصيل على ما سيفعلانه عند وصول جريتز، كيف سيختبئ دان ويستجوبها ليو، بحذر في البداية ثم بعدوانية أكبر.

في اليوم السابق للغداء، ٢٢ ديسمبر، يوم الجمعة، كانت مالين تقيم حفلة وداع في منزلها بشارع «بونديجاتان». تمامًا مثل دان، كره ليو الحفلات في الأماكن الصغيرة. كان هناك الكثير من الضوضاء. لم يستطع حمل نفسه على الذهاب، كما قال. كانت لديه فكرة أخرى. سيري دان مكتبه في ألفرد أوجرين. من المحتمل أن يكون المبنى مهجورًا لأن معظم الموظفين سيكونون في حفلة مالين، ولا أحد يعمل متأخرًا مساء الجمعة، خاصةً وهي قريبة جدًا من عيد الميلاد. ظن دان أنها فكرة جيدة. كان فضوليًا بشأن عمل ليو.

حوالي الثامنة مساءً غادرا الشقة بفارق عشر دقائق. ليو أولاً مع زجاجة بورجوندي جيدة وأخرى من الشمبانيا في حقيبته: غادر دان بعد عشر دقائق، مرتديًا ملابس ليو أيضًا، لكن ببدلة أفتح ومعطف أغمق. كان الجو باردًا. وكان الثلج يتساقط. كانا سيحتفلان.

خططا للإعلان عن قصتهما في اليوم التالي للقائهما بجريتز ورغم معارضة دان، وعده ليو بمبلغ كبير من المال. لن يكون هناك المزيد من عدم المساواة بينهما، قال. ولا مزيد من العمل المصرفي الاستثماري الممل. سيترك وظيفته وكآبة ألفرد أوجرين ليبدآ العزف معًا. بدأت الأمسية بشكل رائع. شربا ورفعا نخب بعضهما، وامتلأ الهواء بالوعود. «غدًا»، قالا. «غدًا!»

لكن شيئًا ما سار بشكل خاطئ. ظن دان أن السبب هو مكتب ليو. كانت هناك ملائكة من عصر النهضة على السقف، وفن من مطلع القرن على الجدران، ومقابض مذهبة على خزائن الأدراج. كان فخمًا ومبتذلاً لدرجة أن دان شعر بالاستفزاز. نكز أخاه:

— «يبدو أنك تعيش في نعيم.»

وافق ليو:

— «أعرف. أشعر بالخجل. لم أحب هذه الغرفة أبدًا، كانت غرفة والدي.»

دفع دان الأمور خطوة أبعد:

— «كنت مصرًا على إحضاري إلى هنا، أليس كذلك؟ أردت التباهي وفرض كل هذا عليّ.»

— «أوه، لا، أنا آسف. أردت فقط أن ترى حياتي. أعرف أنه غير عادل.»

رفع دان صوته:

— «غير عادل؟»

لم تعد الكلمة كافية. كانت فاحشة. كانت تفوق التصديق. تجادلا ذهابًا وإيابًا، دان يتهم ليو، ثم يهدأ ويعتذر، قبل أن يعود للهجوم مرة أخرى. ثم — من الصعب معرفة في أي نقطة — تمادى دان. الاستياء الذي كان كامنًا تحت السطح، مسببًا التوتر منذ البداية لكن كبحته فرحة لقائهما الغامرة، انفجر الآن. لم يفتح جرحًا بينهما فحسب، بل بدا وكأنه يلقي ضوءًا جديدًا على الوضع برمته.

— «لقد حظيت بكل هذا، ومع ذلك كل ما تفعله هو الشكوى. "ماما لا تفهمني، بابا لم يكن لديه أدنى فكرة. لم يُسمح لي بعزف الموسيقى. كان الأمر صعبًا جدًا، مسكين أنا الغني الصغير". لا أريد سماع كلمة أخرى من ذلك. ألا تفهم؟ لقد ضُربت وجعت. لم يكن لدي شيء، لا شيء على الإطلاق، وأنت...»

كان دان يرتجف في كل جسده، ولم يكن لديه فكرة عما أصابه. ربما كانا كلاهما ثملين. اتهم ليو بأنه وغد ومنافق، متباهٍ يتباهى باكتئابه. كان على وشك تحطيم زوج من المزهريات الصينية، لكنه بدلاً من ذلك خرج، وصفق الباب خلفه.

قضى ساعات يتجول في الشوارع، يتجمد من البرد ويبكي. في النهاية انتهى به المطاف في نزل شباب «af Chapman» في «شيبسهولمن» وأمضى الليلة هناك. لكن في الحادية عشرة من صباح اليوم التالي عاد لشقة ليو في شارع «فلوراجاتان» وعانقه واعتذرا كلاهما. وجها اهتمامهما للتحضير للقاء جريتز. ومع ذلك، بقي شيء غير محسوم معلقًا في الهواء، وهو ما سيؤثر على ما كان على وشك الحدوث.

بعد عام ونصف، كان دان يفكر في ذلك الوقت وهو ينعطف إلى شارع «سمولاندسجاتان»، وظهر ذلك على وجهه. مر بمطعم «كونستنارسبارين» وخرج إلى «نورمالمستورج». كان الطقس حارًا بالنسبة للعاشرة صباحًا. لم

يكن يشعر بحال جيدة، وبالتأكيد لم يكن يتطلع للقاء أشهر صحفي استقصائي في السويد.

***

كانت راكيل جريتز و**بينيتو أندرسون**، اللتان لم يكن لديهما أي قاسم مشترك سوى ساديتهما وحقيقة أن كلتيهما ليستا في صحة جيدة حاليًا، تتطلعان بالتأكيد للقاء ليزبيث سالاندر. لم تعرف أي منهما الأخرى، وإذا صادف أن التقتا لكانتا نظرتا لبعضهما بازدراء. لكن كلتيهما كانتا بنفس القدر من العزم والإصرار على إخراج سالاندر من الصورة. وكل منهما كان لديها شبكاتها. كانت بينيتو مرتبطة بذلك الفرع الخاص من عصابة دراجات «سفافيلخو» الذي تلقى من وقت لآخر معلومات من شقيقة سالاندر، **كاميلا**، ومجموعتها من القراصنة. استطاعت جريتز الاعتماد على دعم من منظمتها، التي كان لديها مواردها التقنية الخاصة أيضًا.

وفوق كل شيء، كان لدى جريتز قوة إرادتها ويقظتها، رغم السرطان. أقامت مؤقتًا في فندق بـ «كونجشولمن» لمنع أي شخص من متابعتها لمنزلها. كانت تدرك جيدًا أن الأمور تسير بشكل سيء. لقد توقعت ذلك، في الواقع. منذ ٢٣ ديسمبر، قبل عيدين ميلاد، عندما انهار كل شيء. في ذلك الوقت، فعلت ما فعلته لأنها لم ترَ خيارًا. كانت مقامرة جريئة من جانبها، والآن وقفت مستعدة مرة أخرى. كانت تفضل أن تبدأ بسالاندر و**فون كانتربورج**. لكن كان من المستحيل تعقب المرأتين، لذا قررت التعامل أولاً مع **دانيال برولين**. كان هو الحلقة الضعيفة. جاءت تمشي في شارع «هامنجاتان»، مرورًا بمتجر «N.K.»، مرتدية معطفًا وتنورة رماديين رفيعين وقميص قطن أسود بياقة عالية. رغم الغثيان والألم، شعرت بالقوة. لكن الحر كان يؤثر عليها. ماذا حدث للسويد؟ عندما كانت شابة لم يكن هناك صيف كهذا أبدًا. كان هذا استوائيًا. كان جنونًا. شعرت بالحر واللزوجة، لكنها تماسكت وشَدّت كتفيها للخلف. أبعد قليلاً في الشارع،

وهي تمر برجلين في بدلتين زرقاوين يحفران حفرة عند حافة الرصيف، شمت رائحة المجاري في الهواء الخانق والراكد. ظنت أن الرجلين بدينان وقبيحان. واصلت السير إلى «نورمالمستورج» وكانت على وشك الانعطاف إلى مقر ألفرد أوجرين عندما قامت باكتشاف مقلق للغاية: ميكائيل بلومكفيست، الصحفي، الذي صادفته بالفعل على درج منزل هيلدا في «سكانستول»، الآن في طريقه لمكاتب الشركة.

خطت جريتز خطوة للظل واتصلت ببنجامين.

***

كان دان برودي، أو ليو مانهايمر كما كان يطلق على نفسه هذه الأيام، جالسًا في مكتبه الأنيق أكثر من اللازم وشعر بنبضه يدق والجدران تنغلق عليه. ماذا عساه أن يفعل؟ أخبره «مستشاره المبتدئ» — كما كان يحب سكرتيره الذكر أن يصف نفسه — أن ميكائيل بلومكفيست في الاستقبال. قال دان إنه سيكون جاهزًا له في غضون عشرين دقيقة.

حتى وهو يقول ذلك عرف أنه يبدو غير مهذب. لكن — كما هو الحال في كثير من الأحيان في الماضي — احتاج لوقت للتفكير. من يدري، ربما سيساعده بلومكفيست في الانتقام من جريتز. مهما كان الثمن.

***

ديسمبر، قبل عام ونصف

كان الثلج يتساقط ذلك اليوم في شارع «فلوراجاتان» وهما ينتظران راكيل جريتز. اعتذر دان مرارًا وتكرارًا.

— «لا بأس. زارتني ضيفة في المكتب أمس بعد أن غادرت.»

— «من كانت؟»

— «مالين. أنهينا الشمبانيا. لم تكن زيارة ناجحة، لم أكن في أفضل حالاتي. كنت في منتصف كتابة شيء ما. هل تود أن ترى؟»

أومأ دان. نهض ليو عن البيانو وغادر الغرفة. عاد بعد دقيقة بورقة داخل مجلد بلاستيكي. بدا وقورًا ومثقلاً بالذنب. بحركة بطيئة ومدروسة سلم الوثيقة، التي كانت بلون الرمل وملمسها خفيف مع علامة مائية في الأعلى.

– «أعتقد أنها بحاجة لشاهد.»

كان خط اليد أنيقًا ومليئًا بالزخارف. نصت الوثيقة على أن ليو يهب بموجبها نصف أصوله لدان.

– «يا إلهي!»

– «سأرى محاميي بعد عيد الميلاد. بالنظر للظروف، يجب أن يسير كل شيء بسلاسة. لا أراه حتى كهدية. أنت تحصل على ما كان يجب أن يكون لك منذ زمن بعيد.» صمت دان. عرف أنه يجب أن يلقي بذراعيه حول أخيه ويقول: «هذا كثير جدًا، هذا جنون، أنت كريم جدًا.» لكن ما كُتب في الوثيقة لم يجعله يشعر بتحسن، أو الوضع أكثر وضوحًا، وفي البداية لم يستطع فهم السبب. شعر بفرط الحساسية وعدم الامتنان. ثم قرر أن هناك شيئًا من العدوان السلبي في الهدية. كان المال يُعطى له من موقع تفوق ساحق، ومهما كانت اللفتة عظيمة، إلا أنها كانت تقلل من شأنه أيضًا.

لذا قال بصوت حازم:

– «لا أستطيع قبول ذلك.»

رأى اليأس في عيني ليو.

– «لكن لماذا؟»

– «الأمر لا يسير هكذا. لا يمكنك إصلاحه بهذه السهولة.»

– «لم أكن أظن أنني بحاجة لإصلاح أي شيء. أريد فقط أن أفعل الشيء الصحيح. أنا لست مهتمًا بالمال اللعين على أي حال.»

– «غير مهتم؟»

جن جنون دان، رغم أن جزءًا منه لابد أنه أدرك كم كان الأمر سخيفًا. لقد مُنح عشرات الملايين من الكرونات، وهو ما سيغير حياته بشكل أساسي. ومع ذلك شعر بالإهانة والغضب. قد يكون ذلك بسبب جدالهما في اليوم السابق، أو لأنه كان يشرب وبالكاد نام. قد يكون بسبب أي عدد من الأشياء، مشاعر الدونية أو أي شيء تقريبًا.

– «أنت فقط لا تفهم. لا يمكنك أن تقول ذلك لشخص عاش دائمًا حياة هامشية. لقد فات الأوان يا ليو. فات الأوان!»

– «لا، لم يفت! يمكننا أن نبدأ من جديد.»

– «لقد فات الأوان.»

صرخ ليو:

– «توقف! أنت غير عادل.»

– «أشعر وكأنني أُشترى. هل تفهم ذلك؟ أُشترى!»

كان يبالغ وعلم ذلك، وآلمه أن ليو لم يرد عليه بنفس الغضب. بدلاً من ذلك أجاب بحزن:

– «أعرف.»

– «ماذا تعرف؟»

– «هؤلاء الناس دمروا كل شيء تقريبًا. أكرههم لذلك. لكن مع ذلك، وجدنا بعضنا البعض. هذا هو المهم، أليس كذلك؟»

كان هناك يأس في صوته لدرجة أن دان تمتم:

– «أنا ممتن بالطبع، لكن...»

لم يكمل. ندم على «لكن» وكان على وشك قول شيء آخر، مثل «آسف، أنا أحمق.» تذكر ذلك جيدًا بعد ذلك. كانا على وشك التصالح، ولا شك أنهما كانا سيجدان بعضهما البعض مرة أخرى، مع مرور الوقت. بدلاً من ذلك سمعا أصواتًا في الردهة، خطوات، ثم صمت. كانت دقيقة

قبل منتصف النهار. لم تكن راكيل جريتز متوقعة قبل ساعة ولم يقم ليو حتى بإعداد الطاولة.

همس:

— «اختبئ.»

وضع ليو وثيقة تبرعه جانبًا، ودخل دان إحدى غرف النوم وأغلق الباب.

***

كان ليو دائمًا مصدر قلق، وليس فقط بسبب قضية **كارل سيجر**. كان غير متوقع في الآونة الأخيرة. ظنت أنه قد يكون له علاقة بـ **مادلين بارد**. فقدانها جعله مرتابًا. كانت تعرف كل شيء عن ليو. لذا تساءلت جريتز عما يحدث عندما ألغى غداء عيد الميلاد ودعاها بدلاً من ذلك لشقته.

كانت تعلم، على سبيل المثال، أنه مثل العديد من العزاب لا يحب الطبخ أو دعوة أي شخص، خاصة أي شخص لا يشعر بالراحة التامة معه. لذلك قررت جريتز الحضور مبكرًا، بحجة أنها تريد مساعدته في المطبخ. لكن في الواقع ما أرادت معرفته هو ما إذا كان قد حدث شيء، أو إذا اكتشف شيئًا عن تبنيه.

بينما خرجت من المصعد إلى الردهة بسقفها الأزرق المطلي، سمعت أصواتًا مضطربة قادمة من داخل الشقة، وكانت متشابهة بشكل غريب. فجأة توقفت الأصوات وعلمت أن من يملكها أدرك وجودها. كان سمع ليو استثنائيًا تمامًا. صُدمت لإدراكها أن شيئًا ما خطأ حقًا.

أرسلت رسالة نصية لبنجامين:

«<عند ليو في فلوراجاتان. أحتاج مساعدتك.>»

أضافت:

«<أحضر حقيبتي الطبية، بكل ما فيها!>»

ثم اعتدلت وطرقت، مستعدة بأدفأ ابتسامة عيد ميلاد. لكنها لم تحتجها. كان ليو يبتسم بالفعل في المدخل، وكالعادة، قبلها على كلا الخدين وساعدها في خلع معطفها، كما تربى أن يفعل. كان لبقًا جدًا لدرجة أنه لم يشر إلى أنها جاءت مبكرة بساعة.

— «تبدين أنيقة كعادتك يا راكيل. يا له من عيد ميلاد سيكون هذا!»

إنه يلعب دوره جيدًا، فكرت. لم تكتشف آثار التوتر في وجهه إلا بعد دراسته بعناية فائقة. ربما كان بإمكانه خداعها، لو كانت الأمور مختلفة. لكن كان لديها عينان حادتان. كان مهملًا، وهو ما عرفه هو نفسه بلا شك: قبل لحظة كانت هناك أصوات، والآن هو بمفرده. وهناك جيتار ملقى على الأريكة.

— «كيف حال **فيفيكا**؟»

— «لا أظن أن أمامها الكثير.»

— «مسكينة.»

— «إنه أمر فظيع.»

هراء، فكرت. *أراهن أنك سعيد لأن العاهرة في طريقها للخروج أخيرًا.*

— «عندما يذهب كلا الوالدين، لا يتبقى سواك.» قالت، وهي تلمس ذراعه. أرادت طمأنته، وإظهار تعاطفها، وفي الوقت نفسه إخفاء شكها. لكن ذلك كان حسابًا خاطئًا. ارتجف ليو، من الواضح أنه تأثر بالاتصال الجسدي، وومض غضب في عينيه. للحظة شعرت بالخوف ونظرت مرة أخرى للجيتار. قررت ترك الأمور تستقر لبعض الوقت. أرادت إعطاء بنجامين وقتًا لحزم حقيبتها الطبية والوصول، لذا استمرت في المحادثة العادية لعشر دقائق أخرى، لكنها لم تعد تطيق ذلك.

— «من هنا؟»

— «من تظنين؟»

أخبرته أنها لا فكرة لديها. لكن تلك كانت كذبة. بدأت الأمور تتضح، ورأت كم كان ليو متوترًا الآن، وكيف كان ينظر إليها كما لم يفعل من قبل. أدركت أنها ستضطر للضرب بقوة، وبلا رحمة، قبل أن يظهر دانيال برولين من حيث يختبئ.

-١٩-

٢٢ يونيو

لم تكن **راكيل جريتز** في منزلها بشارع «كارلبيرجسفاجن»، وقررت **سالاندر** أن تتحين الفرصة. استقلت قطار الأنفاق عائدة إلى «سلوسن» ثم سارت في شارع «جوتجاتان». كانت قد سمعت من **جيانيني** أن **بينيتو** قد هُربت من مستشفى أوريبرو، ولذا كانت متأهبة. كانت دائمًا متأهبة. جعلتها الحياة في السجن، إن لم يكن شيئًا آخر، أكثر حذرًا، لكن رغم ذلك ربما استخفت بالخطر الذي يحيط بها. كان هناك تحالفات تلاحقها أكثر مما أدركت. كانت قوى شريرة من الماضي تحشد أتباعها، تتبادل المعلومات وربما تتفق على العمل معًا.

كان يومًا حارقًا من أيام يونيو وبدت الحياة في المدينة وكأنها تباطأت. كان الناس يتسكعون، يتفرجون على نوافذ المتاجر أو يجلسون في شرفات المقاهي والمطاعم. واصلت سالاندر صعودها نحو شارع «فيسكارجاتان». أزّ هاتفها في جيبها. رسالة نصية مشفرة من **بلومكفيست**.

«<ليو هو دانيال. أنا شبه متأكد.>»

كتبت:

«<هل يتحدث؟>»

أجاب:

«<لا أعرف بعد. سأعاود الاتصال بك.>»

فكرت في التوجه إلى شركة ألفرد أوجرين في «نورمالمستورج» لترى كيف تسير الأمور مع بلومكفيست، لكنها قررت عدم القيام بذلك. أرادت

أولاً العثور على راكيل جريتز، أو معرفة ما إذا كان بإمكانها تعقبها إلى عنوان آخر. ظلت يقظتها عالية وهي تصعد شارع فيسكارجاتان نحو مبنى شقتها، وتساءلت إن كان من الجيد حقًا العودة للمنزل. لم يكن هناك سجل رسمي لإقامتها هناك —— كانت الشقة مسجلة باسم **إيرين نيسر**، وهي هوية كانت تفترضها أحيانًا، وقد نصبت عددًا من ستائر الدخان —— لكن الشبكة كانت تضيق. بدأ الناس يتعرفون عليها. كانت شبه مشهورة هذه الأيام، وكرهت ذلك. كما أن شخصين —— **كالي بلومكفيست** اللعين وعميل وكالة الأمن القومي، **إد نيد** —— تعقباها إلى هنا من قبل، والأخبار تميل للانتشار. كان يجب عليها بيع المكان اللعين، كان كبيرًا جدًا عليها على أي حال. كان يجب أن تنتقل بعيدًا، ربما حتى تغادر الآن.

لكن فات الأوان. أدركت ذلك في اللحظة التي رأت فيها شاحنة رمادية متجهة نحوها في أعلى الشارع. لم يكن هناك شيء لافت للنظر فيها ظاهريًا. كانت طرازًا قديمًا، متوقفة بشكل طبيعي تمامًا بجوار الرصيف. ومع ذلك، أثارت شكوكها. والآن كانت تتدحرج نحوها. استدارت عائدة نزولاً في التل، لكنها لم تذهب سوى بضع خطوات عندما ظهر رجل ملتحٍ فجأة من مدخل ووضع خرقة مبللة على وجهها. شعرت بالغثيان، لكن الأهم من ذلك أنها شعرت بالغباء والإهمال. والآن كانت على وشك فقدان الوعي. رقص الشارع والمباني حولها، لم يكن لديها قوة للمقاومة. تمكنت فقط من سحب هاتفها وهمس الكلمة السرية —— «هاربي» —— قبل أن تشعر بنفسها تسقط وتُرفع من خلال الأبواب الخلفية للشاحنة. كانت رؤيتها مشوشة، لكنها ميزت عطرًا حلوًا لم يكن إلا مألوفًا للغاية.

***

ديسمبر، قبل عام ونصف

سمع **دان** الأصوات في غرفة الجلوس وأدرك أن لا شيء يسير كما هو مخطط له. بدت جريتز وكأنها كشفت أمرهما مباشرة، وعنصر المفاجأة الذي كانا يأملان فيه لم يعد خيارًا. قرر الدخول ومواجهتها.

لكن دان استخف بالتأثير الذي ستحدثه جريتز عليه. وجودها المادي أعاده مباشرة لطفولته. تذكرها واقفة في الطابق العلوي من المزرعة منذ كل تلك السنوات، تراقبه ببرود وهو يعزف على جيتاره. لابد أنها كانت تقارنه بليو حتى حينها، تدرس أوجه التشابه بينهما، وعند هذا الإدراك فقد رباطة جأشه.

قال بغضب جامح:

— «أظن أنكِ تعرفين من أنا.»

خطا خطوة للأمام، لكنه لم يستطع إلا أن يشعر بالضآلة.

صمدت جريتز، هادئة بشكل مدهش.

— «بالطبع أعرف. كيف حالك؟»

صاح دان في وجهها:

— «نريد أن نعرف بالضبط ماذا حدث لنا.»

عندها فقط تراجعت. لكنها ظلت هادئة وهي تعدل ياقة قميصها وتنظر لساعتها. ورغم أنها كانت متوترة — أظهر ذلك الاختلاج حول فمها — إلا أن لديها هيبة وبرودًا جليديًا، كمديرة مدرسة، وهذا جعل دان يشعر أنه هو وليس هي من سيُعاقب.

— «عليك أن تهدأ.»

— «مستحيل. لديكِ الكثير لتشرحيه.»

— «وسأشرح. سأفعل. لكن أولاً أحتاج أن أعرف إن كنتما قد ذهبتما للصحافة.»

عندما لم يكن هناك رد، تابعت جريتز:

— «أتفهم أنكما منزعجان. لكن سيكون من الخطر أن تتسرب القصة الآن، قبل أن تعرفا الصورة الكاملة. ليس الأمر كما تتخيلان.»

قال دان، وتساءل فورًا إن كان ذلك خطأً، خاصة عندما رأى لمحة رضا في وجه جريتز:

— «لم نذهب للعلن — بعد.»

نظر لليو. كان ليو واقفًا هناك، صامتًا، وقدميه ثابتتين، ولم يعطه أي إشارة حول كيفية التصرف. كيف يمكنه منع جريتز من أخذ زمام المبادرة؟

— «أنا امرأة عجوز الآن، وأعاني من آلام مروعة في المعدة، سامحوني على صراحتي. هل يمكنني الجلوس؟ حينها سأخبركما بكل ما تريدان معرفته.»

قال ليو أخيرًا:

— «تفضلي. اجعلي نفسكِ مرتاحة. نريد إجابات على كل أسئلتنا.»

بدأت جريتز بتردد، آملة أن يظهر بنجامين قبل أن تضطر للكشف عن أي شيء مهم حقًا، أو تُجبر على قول أي أكاذيب غير مدروسة. جلس ليو ودانيال مقابلها، كل في كرسيه، وحدقا فيها، يريدان إجابات. ورغم التوتر وأجواء الأزمة، اندهشت من مدى تشابه الأخوين المذهل، أكثر مما هو شائع في التوائم المتطابقين في سنهما. حقيقة أنهما كانا بنفس قصة الشعر ويرتديان نفس نوع الملابس جعلت الشبه أكثر لفتًا للنظر.

— «هكذا كان الأمر. نحن وجدنا أنفسنا في وضع صعب للغاية. كانت لدينا تقارير من عدة دور أيتام ومستشفيات عن توائم متطابقين لم يتمكن آباؤهم من رعايتهم.»

قاطعها دانيال، ورغم أن صوته كان غاضبًا ومليئًا بالكراهية، إلا أنها رحبت بأي مقاطعة:

— «من "نحن"؟»

قالت — بإلهام مفاجئ — إنها أُعطيت شيئًا، لديها في معطفها، قد يساعدهما على فهم الموقف. هل تحضره؟ تساءلت إن كانت ذات مصداقية ولو عن بعد. لكنهما تركاها تذهب، وملأها ذلك بالازدراء. كان دانيال وليو ضعيفين ومثيرين للشفقة، أليس كذلك؟ عندما وصلت للردهة، سعلت لتغطي صوت وضعها مزلاج الباب الأمامي. ثم تظاهرت بالبحث عن شيء في جيب معطفها، وصاحت: «يائس!»

عادت للأريكة، تهز رأسها، وواصلت الحديث بعبارات غامضة. أثار ذلك غضب ليو، وعندما ذكرت كارل سيجر عرضًا، ثار دمه، بدا شبه مجنون. نعتها بالوحش وطالبها بشرح ما حدث لكارل. أخافها ذلك حقًا، لأنها تذكرت نوبات الغضب التي أظهرها كلا الصبيين وهما صغيران. في النهاية، تبين أن انفجار ليو كان شيئًا جيدًا لأنه في تلك اللحظة ظهر بنجامين. لابد أن الصراخ شد من عزمه، لأنه دخل بخطى واسعة دون أن يطرق وأمسك بليو من الخلف. في هذه الأثناء، انحنت جريتز لتبحث في الحقيبة الطبية التي وضعها بنجامين عند قدميها. صرخ ليو طلبًا للمساعدة واندفع دانيال نحو بنجامين. عرفت أنها بحاجة لأن تكون حازمة. بسرعة، بسرعة فتشت في الأدوية في الحقيبة — ستيسوليد، أفيونيات، مورفين، كل شيء — ثم... سرت قشعريرة جليدية فيها: بروميد البانكورونيوم، كورار اصطناعي لتقليد المستخلص المستخدم في السهام المسمومة. سيكون ذلك وحشيًا للغاية. لكن انتظر... كان هناك أيضًا فيزوستيغمين، ترياق يمكنه إبطال تأثيره كليًا أو جزئيًا. خطرت لها فكرة، مستوحاة من اتهام بصقه دانيال أثناء محادثتهما، بالوحشية والظلم، مما أشار إلى وجود مرارة عميقة هناك. كانت فكرة جريئة وجامحة. ارتدت قفازاتها اللاتكسية.

كان بنجامين ثابتًا كعادته وأمسك بليو بقوة، الذي كان يصرخ بينما حاول دانيال تحريره. أعدت حقنة. استغرق الأمر لحظة إضافية لضبط الجرعة. أدركت أنها ستضطر للحقن مباشرة في العضل، لم يكن هناك وقت

لإيجاد وريد، لكن ربما كان هناك ميزة في ذلك. على الأقل، هذا ما قالته لنفسها وهي تغرز الإبرة عبر سترة ليو. نظر إليها بصدمة بينما صاح دانيال: «ماذا تفعلين؟ ماذا بحق الجحيم تفعلين؟»

تكشرت. لابد أن الجيران في الأسفل يتساءلون عن الضجة، وإذا صعدوا قد يكون ليو يتشنج بالفعل، سيبدأ حتى في الاختناق بمجرد توقف عضلاته التنفسية عن العمل. كان الوضع حرجًا وكانت في خطر. لقد تجاوزت خطًا آخر، وأكثر من أي وقت مضى احتاجت للحفاظ على رباطة جأشها. بصوت طبيبها الأكثر سلطة قالت:

— «اهدآ الآن كلاكما. لقد أعطيته مهدئًا فقط، لا أكثر. تنفس يا ليو، تنفس. جيد! ستشعر بتحسن قريبًا. يجب أن نتحدث كأناس عاقلين. يجب أن تتوقفا عن الصراخ هكذا. هذا... جون، يعمل معي، لديه تدريب طبي. أنا متأكدة تمامًا أننا نستطيع حل هذا الأمر وحان الوقت لأخبركما ببقية هذه القصة الحزينة. أنا سعيدة جدًا أنكما وجدتما بعضكما أخيرًا.»

فح دانيال:

— «أنتِ تكذبين.»

كان الوضع خارج السيطرة. كان هناك الكثير من الضوضاء وبحلول الآن كانت مرعوبة من أن الجيران في طريقهم. استمرت في الحديث، محاولة نزع فتيل الموقف، وكل ذلك وهي تعد الثواني للنتيجة الحتمية لحقنتها — السم يخترق دم ليو ويعمل على مستقبلات الأسيتيل كولين النيكوتينية لتثبيط عضلاته. كان المبنى لا يزال هادئًا. لم يتصل أحد بالشرطة. الآن بدأ ليو يتصلب، كما عرفت أنه سيفعل، وحركات تشنجية أرسلته مصطدمًا بالسجادة الفارسية الحمراء. ورغم أن هذه كانت خطوة متطرفة حتى بالنسبة لها، استمتعت جريتز بالشعور المذهل بالقوة. يمكنها إنقاذ حياته في أي لحظة. أو يمكنها تركه يموت. الظروف ستقرر. كان

يجب أن يكون عقلها صافيًا، حادًا ومقنعًا لتتمكن من العمل على مرارة دانيال الواضحة وشعوره بالدونية.

ستجعله يلعب دور حياته.

عندما سقط ليو على الأرض، أدرك دان أن هناك خطبًا مروعًا. انهار أخوه وكأن جسده توقف ببساطة عن العمل. كان ليو يمسك بحلقه وبدا مشلولاً. نسي دان كل شيء آخر وانحنى بجانب أخيه، يصرخ ويهزه. عندما بدأت جريتز في التحدث بالكاد كان يستمع. كان مركزًا تمامًا على محاولة إعادة الحياة لليو، وعلى أي حال، كانت تقول شيئًا غريبًا جدًا لدرجة يصعب استيعابه.

— «دانيال. يمكننا حل هذا الأمر. سنهتم بأن تكون في وضع أفضل مما كنت تتخيله. من الآن فصاعدًا ستعيش حياة لا تصدق بموارد غير محدودة.»

كان هراءً بالطبع، كلمات فارغة، وكل ذلك بينما كان ليو يزداد سوءًا. كان يئن ويتشنج. وجهه رمادي شاحب وشفتاه زرقاوان، وكان يصارع من أجل التنفس. بدا وكأنه يختنق، وعيناه دامعتان ومذعورتان. انتشر اللون المزرق من شفتيه لخديه، واستعد دان لإعطائه تنفسًا اصطناعيًا. لكن جريتز أوقفته وكانت تقول شيئًا، ولم يستطع إلا أن يستمع — بحلول الآن كان مستعدًا للتمسك بأي قشة.

بدت نبرة جريتز مختلفة تمامًا الآن، ليست عاطفية كما كانت من قبل، بل أشبه بطبيب مهدئ. أخذت نبض ليو وابتسمت مطمئنة لدان.

— «لا يوجد ما يدعو للقلق. إنه يعاني فقط من بعض التشنجات. سيكون بخير قريبًا. الجرعة التي أعطيته إياها كانت قوية، لكنها ليست خطيرة. انظر بنفسك!»

ناولته الحقنة ونظر إليها في يده، حائرًا فيما يمكن أن تثبته أو تخبره به.

- «لماذا تعطينني هذه؟»

نظر إليها وهي تقف بجانب الرجل الضخم الذي كان لا يزال يرتدي سترته وحذاءه الشتوي.

خطرت له فكرة مرعبة.

- «تريدين بصماتي على هذه، أليس كذلك؟»

أسقط الحقنة.

- «اهدأ يا دانيال. استمع إلي.»

- «لماذا بحق الجحيم يجب أن أستمع إليكِ؟»

سحب هاتفه، كان عليه الاتصال بالإسعاف. لكن حركة مهددة ومتعثرة من الرجل أوقفته. اشتد ذعره. هل كانوا يحاولون قتل ليو؟ هل كان ذلك متخيلًا حتى؟ كان مرعوبًا، وبجانبه شهق ليو وبدا وكأنه على وشك الموت. صرخ دان مباشرة في أذن ليو شديدة الحساسية. «قاوم! يمكنك فعلها!» تجعد جبين ليو. جز على أسنانه. عاد بعض اللون لوجهه. لكنه سرعان ما تلاشى، ومرة أخرى بدا وكأنه يصارع من أجل الهواء.

التفت دان لجريتز.

- «أنقذيه بحق السماء! أنتِ طبيبة. أنتِ لا تحاولين قتله، أليس كذلك؟»

- «كيف تقول ذلك؟ بالطبع لا. سيكون بخير قريبًا، سترى. ابتعد لأتمكن من مساعدته.»

عندما رأى كم بسلاسة واحترافية تعاملت مع محتويات حقيبتها، شعر بأنه لا بديل لديه سوى الوثوق بها.

كان ذلك مقياسًا جيدًا لمدى يأسه. أمسك بيد شقيقه التوأم، آملًا أن الشخص الذي حقنه بالسم سيكون أيضًا من ينقذه.

كان هذا بالضبط ما فكرت فيه جريتز: كم هو حاسم بالنسبة لها أن تتصرف كطبيبة وتلهم الثقة. قاومت الرغبة في سد مجرى تنفس ليو وإنهاء العملية برمتها بسرعة، وبدلاً من ذلك أعدت حقنة بالفيزوستيغمين قبل أن

ترفع كم سترة ليو لحقن المادة في وريد. تحسن بسرعة، رغم أنه كان لا يزال مشوشًا. شعرت ـــ وهذا هو الأهم ـــ أنها استعادت بعض ثقة دانيال.

ــ «هل سيكون بخير؟»

ــ «سيكون بخير.» قالت، وواصلت الحديث.

كانت ترتجل، لكنها استطاعت الاعتماد على خطة الطوارئ التي كانت قائمة منذ بعض الوقت. قبل سنوات، حصل إيفار أوجرين على تفاصيل تسجيل دخول ليو في الشركة وباسم ليو ـــ أو بالأحرى باستخدام أسماء مختلفة، وشركات وهمية وواجهات أخرى ـــ قام بسلسلة من المعاملات غير القانونية في أسواق الأسهم والمشتقات. جُمعت تفاصيل هذه في ملف لم يكن ليهدد دمار ليو الاجتماعي والمهني فحسب، بل يمكن أن يضعه في السجن أيضًا. استخدم إيفار المعلومات بالفعل للحصول على مادلين بارد ـــ ولم توافق جريتز. كان رأيها الخاص أن إيفار غبي. لكنها في النهاية رضخت. بعد كل شيء، كانت بحاجة للمعلومات التي جمعها للضغط على ليو إذا اكتشف أي شيء وحاول فضحها.

ــ «استمع إلي يا دانيال. يجب أن أخبرك شيئًا. قد يكون أهم شيء ستسمعه في حياتك كلها.»

كان هناك نظرة توسل على وجهه ملأتها بالثقة. تحدثت بصوت كان مهدئًا وعمليًا في آن واحد، كطبيب ينقل تشخيصًا.

ــ «ليو تفاحة فاسدة يا دانيال. يؤلمني أن أقول ذلك، لكن هكذا هو الأمر. لقد تورط في تعاملات داخلية ومعاملات غير قانونية. سينتهي به المطاف في السجن.»

ــ «ماذا؟ ماذا تقولين؟»

استطاعت أن تعرف أنه لا يستوعب. ظل يمسد شعر أخيه، يخبره أن كل شيء سيكون على ما يرام. يا له من هراء. أثار ذلك غضب جريتز، واتخذت نبرة أشد:

– «استمع، قلت. ليو ليس كما تظن. لدينا دليل، وسينتهي به المطاف في السجن. إنه محتال ونصاب.»

نظر إليها دانيال بارتباك.

– «لماذا بحق الجحيم يفعل ذلك؟ إنه ليس مهتمًا بالمال حتى.»

– «هذا ما تظنه.»

– «أهو كذلك؟ قبل أن تصلي حاول أن يعطيني نصف كل ما يملكه —— هكذا ببساطة.» أشار بيده، وعضت شفتها. لم يكن هذا ما أرادت سماعه.

– «لماذا ترضى بالنصف فقط؟»

– «لا أريد أي شيء على الإطلاق. أريد فقط...»

صمت، وكأنه فهم. بالتأكيد شعر بشيء. رؤية الذعر في عينيه، توقعت جريتز انفجارًا، ربما عنيفًا. ألقت نظرة على بنجامين، يجب أن يكون مستعدًا. لكن دانيال نظر باهتمام لليو فقط.

– «ماذا أعطيته حقًا؟ لم يكن مهدئًا، أليس كذلك؟»

لم تجب. كانت غير متأكدة الآن كيف تلعب أوراقها على أفضل وجه. عرفت أن كل كلمة، كل فارق بسيط في صوتها، يمكن أن يكون حاسمًا.

– «كورار.» قالت أخيرًا.

– «وما هذا؟»

– «سم نباتي.»

صرخ دان مرة أخرى:

– «لماذا بحق الجحيم أعطيته سمًا؟»

– «لأنني رأيت ذلك ضروريًا.»

كحيوان يائس وقع في فخ، نظر دانيال لأعلى نحو بنجامين.

— «لكن حينها... حينها أعطيته شيئًا آخر.»

— «فيزوستيغمين. إنه ترياق.»

— «حسنًا، الآن لنأخذه للمستشفى.»

لم تقل جريتز شيئًا فالتقط هاتفه. فكرت في إخبار بنجامين بأخذه منه، لكن طالما لم يجرِ أي مكالمات، لم يكن هناك خطر. خمنت أنه يبحث في جوجل عن معلومات حول الكورار، وتركته يبحث لبعض الوقت. لكن عندما رأت الخوف في عينيه انتشلت الهاتف منه. جن جنونه. صرخ وتخبط، وحتى بنجامين واجه صعوبة في كبحه.

— «اهدأ يا دانيال.»

— «أبدًا!»

— «لكن ألا تفهم أنني أقدم لك هدية رائعة؟»

— «لا أريد أن أسمع!»

أخبرته أن الفيسوستيغمين سيعلق تأثير الكورار لفترة قصيرة فقط.

— «إذن لا يمكنكِ إنقاذه؟» كان صوته بالكاد بشريًا.

— «أنا آسفة جدًا.» كذبت، ولم يكن لدى بنجامين خيار سوى إسكاته.

بينما وضع شريطًا لاصقًا على فم دانيال، أعربت جريتز عن أسفها لاضطرارها للمرور بكل هذا وشرحت بتفصيل أكبر أن عضلات ليو التنفسية ستُسد مرة أخرى قريبًا، وأنه سيختنق ويموت. نظرت إليه. «لدينا وضع صعب بين أيدينا يا دانيال. ليو على وشك الموت وليس لدينا فقط بصماتك على الحقنة، بل لدينا دافع واضح، أليس كذلك؟ أرى في عينيك مدى حسدك لكل ما يملكه. لكن هناك جانب إيجابي...»

كان دانيال يكافح ليضرب يمينًا ويسارًا، محاولاً تحرير نفسه.

— «الجانب الإيجابي هو أن ليو يمكن أن يستمر في العيش —— لكن بطريقة مختلفة يا دانيال. من خلالك.»

أشارت حول الشقة.

— «يمكنك الحصول على حياته، وأمواله وفرصه، وجود لم تكن تحلم به من قبل. يمكنك أن تتولى الأمر يا دانيال. يمكنك الحصول عليه، وأعدك، كل الأشياء الفظيعة التي فعلها ليو، جشعه الدنيء، لن تظهر أبدًا. سنهتم بذلك، سندعمك بكل طريقة. حقيقة أنكما توأمان متطابقان قد تمثل بعض الصعوبات، لا شك. لكنكما متشابهان بشكل استثنائي. كل شيء سيكون بخير، أنا أعرف ذلك.»

في تلك اللحظة بالذات سمعت جريتز صوتًا لم تستطع تحديده. كان أحد أسنان دانيال، الذي طحنه لقطع.

-٢٠-

٢٢ يونيو

خرج **ليو مانهايمر** أخيرًا من مكتبه مرتديًا بدلة كتان زرقاء فاتحة، وقميصًا رماديًا، وحذاءً رياضيًا، ونهض **بلومكفيست** لمصافحته. كان لقاءً غريبًا. قضى بلومكفيست وقتًا طويلاً في البحث عن هذا الرجل، وها هما الآن، يقفان وجهًا لوجه. كان من الواضح فورًا أن هناك شيئًا غير منطوق ومؤلمًا يخيم فوقهما كظل، كشبح.

كان ليو يفرك يديه بتوتر. أظافره طويلة ومرتبة، وشعره مجعد وأشعث قليلاً، وبدا وكأنه يصغي لشيء ما. بدا متوترًا ولم يطلب من بلومكفيست الدخول، وبدلاً من ذلك وقفا في الردهة الكبيرة أمام مكتب الاستقبال.

قال بلومكفيست:

— «استمتعت بمحادثتك مع **كارين لاستاندر** في متحف "فوتوجرافيسكا".»

— «شكرًا. لقد كانت...»

قاطعه بلومكفيست:

— «... ذكية. وصادقة. نحن نعيش في زمن أصبحت فيه الأكاذيب والتقارير الإخبارية الكاذبة أكثر تأثيرًا من أي وقت مضى. أو هل يجب أن أقول "حقائق بديلة"؟»

— «مجتمع ما بعد الحقيقة.» أجاب ليو، ورد ابتسامة بلومكفيست بتردد.

— «بالفعل، ونحن نلعب بهوياتنا أيضًا، أليس كذلك؟ نتظاهر بأننا أناس لسنا هم —— على فيسبوك وما إلى ذلك.»

— «أنا لست على فيسبوك في الواقع.»

– «ولا أنا. لم أفهم المغزى حقًا. لكني أعبث أحيانًا بهويات مختلفة أيضًا. إنه جزء من عملي. ماذا عنك؟»

ألقى ليو نظرة على ساعته ونظر من النافذة للساحة.

– «أنا آسف جدًا. لدي اجتماعات متواصلة اليوم. بماذا أردت أن تراني؟»

– «ماذا تظن؟»

– «ليس لدي أدنى فكرة حقًا.»

– «أي شيء غيرت رأيك بشأنه؟ أي شيء قد يثير اهتمام مجلتي، "ميلينيوم"؟»

ابتلع ليو ريقه بشدة. أعطى السؤال اعتبارًا جديًا، ثم، وهو ينظر للأرض، قال:

– «أفترض أنني على مر السنين قمت ببعض الصفقات التي كان يمكن التعامل معها بشكل أفضل. إنها فوضى عارمة.»

– «يسعدني إلقاء نظرة عليها. الفوضى العارمة هي اختصاصي. لكنني الآن مهتم بأمور شخصية أكثر، انحرافات صغيرة لنقل.»

– «انحرافات؟»

– «بالضبط.»

– «مثل ماذا؟»

– «مثل أن تصبح أيمنًا.»

ليو — إن كان هو ليو حقًا — بدا وكأنه يصغي لشيء ما مرة أخرى. مرر أصابعه في شعره.

– «لم أفعل في الواقع. لقد غيرت فقط. لطالما استخدمت كلتا يدي.»

– «إذن تكتب بنفس الجودة بيدك اليمنى واليسرى؟»

– «تقريبًا.»

– «هل يمكنك أن تريني؟»

سحب بلومكفيست قلمًا ودفتر ملاحظاته.

– «أفضل ألا أفعل.»

تصبب العرق على شفة ليو العليا. أشاح بنظره.

– «هل تشعر بأنك بخير؟»

– «لا، لا أستطيع قول ذلك.»

– «لابد أنه الحر.»

– «ربما.»

قال بلومكفيست:

– «لست في أفضل حالاتي أنا أيضًا. سهرت نصف الليل أشرب مع **هيلدا فون كانتربورج**. أنت تعرفها، أليس كذلك؟»

رأى بلومكفيست الخوف في عيني الرجل وأدرك أنه أمسكه. استطاع أن يعرف من نظرته، من طريقة تململه. لكن ربما — كان بلومكفيست يراقبه بعناية شديدة — كان هناك شيء آخر أيضًا، شيء يصعب تحديده، لمحة من نفاد الصبر ربما، وشك أيضًا. وكأن ليو، أو من يكن، يواجه قرارًا كبيرًا.

– «أخبرتني هيلدا قصة لا تصدق.»

– «أهذا صحيح؟»

– «كانت عن توائم فُصلوا عند الولادة. كان أحد الصبيين يدعى **دانيال برولين**. اضطر للعمل ككلب في مزرعة خارج "هوديكسفال"، بينما شقيقه التوأم...»

قاطع الرجل:

– «ليس بصوت عالٍ.»

تظاهر بلومكفيست بالدهشة ونظر إليه:

– «عفوًا؟»

– «ربما يجب أن نذهب للتمشية.»

– «لست متأكدًا جدًا...»

– «... إن كان يجب علينا الذهاب للتمشية؟»

من الواضح أن الرجل لم يعرف ماذا يقول. تمتم بشيء عن حمام الرجال وهرع. لم يكن العذر مقنعًا على الإطلاق حيث أخرج هاتفه حتى قبل أن يختفي عن الأنظار. حينها اقتنع بلومكفيست أنه خمن بشكل صحيح. أرسل رسالة نصية لسالاندر بأن ليو هو دانيال على الأرجح.

بينما استمر في الانتظار، أصبح قلقًا بشكل متزايد من أنه تم خداعه — وأن الرجل هرب من باب خلفي. مرت الدقائق ولم يحدث شيء، جاء موظفون وزوار وذهبوا. ابتسمت الشابة في الاستقبال وتمنت للجميع يومًا سعيدًا.

كان مكانًا أنيقًا بأسقف عالية وورق حائط بنقوش حمراء. عُلقت على الجدران لوحات زيتية لسادة مسنين في بدلات، يفترض أنهم شركاء سابقون أو أعضاء مجلس إدارة. في هذا العصر، كان غياب النساء فاحشة.

أزّ هاتف بلومكفيست. كانت **جيانيني**، وكان على وشك الرد على المكالمة عندما عاد الرجل — ليو أو دانيال — من الممر. بدا وكأنه تمالك نفسه، ربما اتخذ نوعًا من القرار. كان من الصعب معرفة ذلك. كان حلقه محمرًا وبدا متوترًا وجادًا. كانت عيناه مثبتتين على الأرض ولم يقل شيئًا لبلومكفيست، أخبر موظفة الاستقبال فقط أنه سيغيب لبضع ساعات.

استقلا المصعد نزولاً وخرجا إلى «نورمالمستورج». كانت ستوكهولم حارة بشراسة. كان الناس يهفون على أنفسهم بالصحف، بأي شيء. ألقى الرجال ستراتهم على أكتافهم. انعطفا إلى شارع «هامنجاتان»، ولاحظ بلومكفيست أن الرجل ينظر خلفه بتوتر. تساءل للحظة ما إذا كان عليه اقتراح أن يستقلا حافلة أو سيارة أجرة. بدلاً من ذلك عبرا الشارع إلى «كونجستراجاردن».

واصلا السير في صمت، وكأنهما ينتظران شيئًا ما ليحدث.

كان الرجل يتعرق أكثر مما ينبغي، حتى في هذا الحر، ومرة أخرى يلقي نظرة حوله بقلق. وجدا أنفسهما بشكل مائل مقابل الأوبرا، ورغم أنه لم يستطع تحديد السبب، شعر بلومكفيست بتهديد. ربما ارتكب خطأً، ربما كان أهل «السجل» متقدمين عليه بخطوة بالفعل. التفت. لا شيء. في الواقع كانت الشوارع هادئة، كان هناك شعور بالعطلة في الهواء. جلس الناس على مقاعد الحديقة وعلى شرفات المقاهي، ووجوههم نحو الشمس. ربما كان توتر رفيقه ينتقل إليه. دخل مباشرة في صلب الموضوع:

— «إذن، هل أناديك ليو أم دانيال؟»

عض الرجل شفته وظهر ظل على وجهه. بعد ثانية ألقى بنفسه فوق بلومكفيست، وانهارا معًا على الأرض.

جريتز، التي كانت تنتظر على مقعد في نورمالمستورج، رأت دانيال برولين يبتعد مع بلومكفيست. أدركت أن عناصر قد تحركت ستؤدي لتسرب القصة عاجلاً أم آجلاً.

لم تتفاجأ ولم تصدم. كانت تعلم منذ بعض الوقت أن المخاطر عالية، لكن بدلاً من إثارة اليأس فحسب، منحها هذا أيضًا نوعًا من الحرية، على طول الطريق إلى القبر. بدا أنها اكتسبت عزيمة شخص ليس لديه ما يخسره. بالإضافة إلى ذلك، كان لديها **بنجامين**. لم يكن في أيامه الاخيرة كما كانت هي، لكنه كان مرتبطًا بها، بولائه مدى الحياة وبالأشياء التي لا توصف التي فعلاها معًا. إذا خرج كل شيء للعلن، سيكون سقوطه كبيرًا كسقوطها. دون تساؤل، وافق على إخراج بلومكفيست من الصورة وأخذ دانيال لمكان يمكنهما إقناعه فيه بالمنطق.

لهذا السبب، ورغم الحر، كان بنجامين يرتدي سترة بقلنسوة سوداء ونظارات داكنة. كان يحمل حقنة مخفية مليئة بالكيتامين، مخدر سيُسقط الصحفي مغشيًا عليه تمامًا. ورغم أنها كانت تعاني من آلام في المعدة طوال الصباح، جرّت جريتز نفسها إلى الجادة الممتدة بجانب

كونجستراجاردن. في ضوء الشمس الساطع ميزت بنجامين يتحرك بخطوات سريعة.

اشتدت حواسها. أصبحت المدينة لحظة واحدة مركزة، مشهدًا متلألئًا واحدًا، وراقبت باهتمام دانيال وبلومكفيست وهما يبطئان وبدا أن الصحفي يطرح سؤالاً. جيد، فكرت، سيشتت انتباههما، وفي تلك اللحظة اعتقدت أن الأمر سيسير تمامًا كما هو مخطط له.

في أسفل الشارع ظهرت عربة يجرها حصان. علق بالون هواء ساخن أزرق في السماء وكان الناس يمرون في كل اتجاه، غافلين عما يجري. خفق قلبها ترقبًا وتنفس بعمق. لكن دانيال نظر للأعلى، ورأى بنجامين وألقى بلومكفيست على الأرض. استلقى الصحفي مسطحًا على الرصيف وتردد بنجامين وفوت فرصته. قفز بلومكفيست على قدميه. انقض بنجامين على بلومكفيست. لكن الصحفي تفاداه، ثم هرب بنجامين. الجبان! غاضبة، راقبت دانيال وبلومكفيست وهما يركضان نحو «أوبراشالارين». قفزا في سيارة أجرة واختفيا. استقر الحر كبطانية مبللة فوق جريتز وشعرت فقط بمدى مرضها وغثيانها. ومع ذلك تمكنت من الاعتدال على كامل قامتها، وبأسرع ما يمكنها غادرت المكان.

***

كانت سالاندر ملقاة مضغوطة على أرضية الشاحنة الرمادية، تُركَل على فترات في المعدة والوجه. وُضعت الخرقة الضارة مرة أخرى على أنفها، وشعرت بالدوار والضعف وهي تدخل وتخرج من الوعي. لم تجد صعوبة في التعرف على بينيتو وبشير، ليست تركيبة سعيدة. كانت بينيتو تبدو شاحبة وملفوفة بضمادات حول رأسها وفكها. كانت تجد صعوبة في الحركة، فبقيت ساكنة، وهو ما كان جيدًا. معظم الضربات الموجهة لسالاندر جاءت من الرجال: بشير، ملتحٍ ومتعرق، يرتدي نفس ملابس

اليوم السابق، ورجل ممتلئ في الخامسة والثلاثين تقريبًا برأس حليق، وقميص رمادي وسترة جلدية سوداء. كان رجل ثالث يقود.

تدحرجت الشاحنة مرورًا بسلوسن، على الأقل هكذا ظنت. حاولت تسجيل كل تفصيل في السيارة ــــ لفة حبل، لفة شريط لاصق، مفكان. ركلة أخرى، هذه المرة على رقبتها. أمسك شخص ما بيديها. قيدوها، وفتشوها وأخذوا هاتفها. كان ذلك مقلقًا، لكن الرجل الأصلع حشره في جيبه وكان ذلك جيدًا. دونت ملاحظة عن بنيته الجسدية وحركاته المتشنجة، وميله للنظر باستمرار لبينيتو. من الواضح أنه كلب بينيتو المدلل، وليس بشير.

كان هناك مقعد على الجانب الأيسر من الشاحنة. جلسوا هناك بينما كانت هي ملقاة على الأرض وسط رائحة العطر، ورائحة الكحول الطبي النتنة، وعرق أحذيتهم الرياضية. ظنت سالاندر أنهم يتجهون شمالاً لكنها لم تكن متأكدة، كانت خفيفة الرأس جدًا. لفترة طويلة لم يتحدث أحد، الأصوات الوحيدة كانت أصوات تنفس الناس وضجيج المحرك والقعقعة المعدنية للخردة القديمة، لابد أنها تبلغ من العمر ثلاثين عامًا على الأقل. خرجوا لطريق رئيسي وبعد عشرين دقيقة أو نحو ذلك بدأوا يتحدثون. كان ذلك جيدًا، هذا ما احتاجته. كان لدى بشير كدمة على حلقه، من ضربتها بمضرب الهوكي أملت. بدا وكأنه نام بشكل سيء. في الواقع بدا كالقرف.

ــ «ليس لديكِ فكرة كيف سنجعلكِ تعانين أيتها العاهرة الصغيرة.»

صمتت سالاندر.

ــ «ثم سأقتلكِ. ببطء. بخنجري.» قالت بينيتو.

ظلت سالاندر صامتة. لمَ تفعل، وهي تعلم أن كل كلمة تُنطق تُنقل لعدد من الحواسيب المختلفة. لا شيء متطور جدًا، على الأقل ليس بمعاييرها. عندما تغلبوا عليها في الشارع همست «هاربي» في هاتفها الآيفون المعدل. نشّط ذلك زر إنذارها عبر نظام الذكاء الاصطناعي

لـ«S.R.I.» وشُغل ميكروفون معزز تلقائيًا، مما أدى لتسجيل صوتي أُرسل لجميع أعضاء ما يسمى بـ«جمهورية الهاكرز»، مع إحداثيات GPS للهاتف.

***

تتألف جمهورية الهاكرز من مجموعة من القراصنة النخبة، أقسموا جميعًا قسمًا مهيبًا على استخدام الإنذار فقط في حالات الطوارئ القصوى. ونتيجة لذلك، كان عدد من الموهوبين في جميع أنحاء العالم يتابعون الآن بلهفة الأحداث الدرامية في مؤخرة الشاحنة. معظمهم لم يفهم السويدية، لكن ما يكفي فعل، بما في ذلك صديق سالاندر في «هوجكلينتافاجن» بـ«سوندبيبرج».

كان **بلايج** بعرض منزل بوزن ١٥٠ كيلوجرامًا، لكنه أحدب من قضاء اليوم كله على لوحة مفاتيحه. كانت لحيته غابة ولم يقص شعره منذ العام الماضي. بدا كحالة للرعاية الاجتماعية، لكنه كان عبقريًا في تكنولوجيا المعلومات. كان جالسًا بجانب حاسوبه في روب حمامه الأزرق المهترئ، وأعصابه على أشدها، يتابع إحداثيات GPS شمالاً نحو أوبسالا. السيارة ــــ بدت كبيرة وقديمة ــــ انعطفت شرقًا على الطريق الوطني ٧٧ نحو «نيفستا»، وهذا لم يكن جيدًا. كانوا يتجهون أبعد في الريف، حيث تغطية GPS متقطعة في أفضل الأحوال. سمع المرأة في السيارة مرة أخرى، صوتها أجش وضعيف، وكأنها مريضة.

— «هل لديكِ أي فكرة كم ببطء ستموتين يا عاهرة؟ هل لديكِ؟»

نظر بلايج لمكتبه بيأس. كان مبعثرًا بقصاصات ورق، وأكواب قهوة مستعملة، وحاويات ستيروفوم دهنية. آلمه ظهره. زاد وزنه، وهو ما لم يساعد في مرض السكري لديه، ومر أسبوع تقريبًا منذ آخر مرة خرج فيها من المنزل. ماذا عليه أن يفعل؟ لو كان لديه عنوان لوجهتهم لكان اخترق شركات الكهرباء والمياه، وحدد الجيران ونظم مجموعة من الحراس

المحليين. لكن لم تكن لديه فكرة إلى أين يتجهون. كان عاجزًا. اهتز جسده كله وخفق قلبه.

تدفقت الرسائل. كانت سالاندر صديقتهم، نجمتهم الساطعة. لكن بقدر ما استطاع بلايج أن يرى، لم يكن لدى أي شخص في الأخوية اقتراحات جيدة، على الأقل لا شيء يمكن تنظيمه بالسرعة الكافية. هل يتصل بالشرطة؟ لم يتصل بلايج قط بالسلطات، لسبب وجيه: قلة هي جرائم الإنترنت التي لم يرتكبها. بطريقة أو بأخرى، كانوا دائمًا يلاحقونه، ومع ذلك، فكر، ومع ذلك، حتى الخارج عن القانون يجب أن يلجأ للقانون للمساعدة أحيانًا. تذكر سالاندر — أو «واسب» كما عرفها — تحدثت مرة عن مفتش يدعى بوبلانسكي. كان لا بأس به، قالت، وجملة «لا بأس به» قادمة منها، تُعتبر إطراء كبير. لدقيقة جلس بلايج مشلولاً، يحدق في خريطة «أوبلاند» على شاشة حاسوبه. ثم وضع سماعاته ورفع صوت الملف الصوتي. أراد سماع كل تغيير دقيق في الأصوات، حتى في ضجيج المحرك. كان هناك أزيز وخدش في أذنيه. لفترة قصيرة لم يتحدث أحد. ثم قال شخص ما ما لم يرغب بلايج في سماعه على الإطلاق:

— «هل لديكِ هاتفها؟»

كانت المرأة مرة أخرى. ربما بدت مريعة، لكنها بدت مسيطرة، هي والرجل الذي تحدث أحيانًا للسائق بلغة حملها القراصنة والآن حددوها كالبنغالية.

أجاب أحد الرجال:

— «إنه في جيبي.»

— «أعطنيه.»

كان هناك حفيف وخشخشة بينما مُرر الهاتف. ضغط شخص ما على بعض المفاتيح، وقلبه، وتنفس فيه.

— «هل هناك أي شيء مريب فيه؟»

أجابت المرأة:

– «لا أعرف. لا يبدو كذلك. لكن ربما تستطيع الشرطة استخدام هذه الخردة للاستماع.»

– «من الأفضل أن نتخلص منه.»

سمع بلايج المزيد من الكلمات بالبنغالية وبدا أن السيارة تبطئ. صر باب مفتوحًا، رغم أن السيارة لا تزال تتحرك. دوى صوت الريح في الميكروفون ثم كان هناك صوت انزلاق، تلاه قعقعة ودوي عالٍ مؤلم. مزق بلايج سماعاته وضرب بقبضته على الطاولة. تباً، لعنة، قرف! فاضت الشتائم عبر الشبكة. لقد فقدوا الاتصال بواسب.

حاول بلايج تصور الموقف. كاميرات المرور — بالطبع! لماذا لم يفكر في ذلك؟ لكن سيتعين عليهم اختراق إدارة النقل للوصول لكاميراتهم، وهذا يستغرق وقتًا. ووقتًا لم يكن لديهم.

«<هل يعرف أحد كيف يدخل نظام إدارة النقل بسرعة؟ مثل، الآن؟>» كتب.

وصلهم جميعًا برابط صوتي مشفر.

قال أحدهم:

– «بعض كاميرات المراقبة متاحة للجمهور على الشبكة.»

– «هذا متقطع ومشوش جدًا. يجب أن نقترب بما يكفي لنرى طراز السيارة ولوحات الأرقام.»

– «أعرف طريقًا مختصرًا.»

كان صوتًا شابًا، نسائيًا. استغرق بلايج لحظة لتحديد هويتها: **نيلي**، إحدى أعضائهم الجدد. «حقًا؟» صاح. «عظيم، ادخلي هناك! اتصلوا بها، انطلقوا. أعطوها كل ما لديكم. سأعطيكم الأوقات والإحداثيات.»

دخل بلايج لموقع «www.trafiken.nu»، الذي أظهر موقع الكاميرات على طول الطريق السريع « E-٤ » إلى أوبسالا، وفي الوقت

نفسه أعاد تشغيل الملف من هاتف واسب. نُشط الإنذار في الساعة ١٢:٥٢ ظهرًا. من المرجح أن تكون الكاميرا الأولى على ذلك الطريق هي كاميرا «هاجا ساوث»، وانتظر لحظة... يبدو أن السيارة مرت من هناك بعد حوالي ثلاث عشرة دقيقة، في الساعة ١:٠٥ ظهرًا. ثم جاءت الكاميرات في تتابع سريع، هذا جيد، فكر، جيد. «لينفافارتوربيت» و«لينفافارتوربيت ساوث»، ثم «لينفافارتوربيت نورث» وبوابات «هاجا نورث»، «هاجا نورث»، «ستورا فروسوندا»، «يارفا كروج»، «ميلانجارفا»، ملعب جولف «أولريكسدال». كانت هناك كاميرات كثيرة على طول الجزء الأول، ورغم وجود حركة مرور كثيفة يجب أن يتمكنوا من تحديد السيارة، بما أنها من الواضح طراز أقدم وأكبر، شاحنة صغيرة أو شاحنة خفيفة.

صاح:

– «كيف تسير الأمور؟»

– «اهدأ يا رجل، نحن نعمل على ذلك. شخص ما عبث بهذا حقًا، لقد وضعوا شيئًا جديدًا. اللعنة، "تم رفض الوصول". انتظر. تباً، قرف... نعممم! الآن... نعم... نحن نعمل، نحن في الداخل، الآن نحتاج فقط للحصول على... أي نوع من الحمقى بنى هذا القرف الهاوي!»

كان الأمر المعتاد. شتائم وصراخ. أدرينالين وعرق والمزيد من الصياح، فقط هذه المرة كان أسوأ. كانت مسألة حياة أو موت، وبمجرد أن فهموا النظام وكيفية الدخول وعادوا ذهابًا وإيابًا على كاميرات المراقبة، حددوا السيارة: شاحنة مرسيدس صغيرة رمادية قديمة بلوحات أرقام مزورة على ما يبدو. لكن ماذا الآن؟ شعروا بعجز أكبر بينما مرت السيارة بموقع كاميرا تلو الآخر كروح شاحبة وشريرة، وفي النهاية اختفت وراء مدى المراقبة في الغابات شرق نيفستا، في مكان ما بالقرب من بحيرة «فادابو».

– «ظلام رقمي. تباً، تباً!»

لم يكن هناك من قبل قط كل هذا الصراخ والشتائم بين جمهورية الهاكرز. لم يرَ بلايج بديلاً سوى الاتصال بكبير المفتشين بوبلانسكي.

-٢١-

٢٢ يونيو

كان **بوبلانسكي** يجلس في مكتبه بشارع «بيرجسجاتان»، يتحدث إلى الإمام **حسن فردوسي**. بحلول الآن كان يفهم كيف وقعت جريمة قتل **جمال شودري**. تورطت عائلة **كازي** بأكملها —— باستثناء الأب —— إلى جانب بعض الإسلاميين المنفيين من بنجلاديش. كانت عملية متطورة نوعًا ما، لكن ليس أكثر مما كان ينبغي للتحقيق الجنائي الأولي أن يكشفه دون مساعدة طرف ثالث. بالنسبة للشرطة، لم يكن الأمر أقل من عار. كان بوبلانسكي قد أجرى للتو محادثة مع رئيسة المخابرات السويدية، **هيلينا كرافت**، وكان يناقش الآن مع الإمام كيف يمكن للشرطة أن تكون أفضل في توقع ومنع جرائم العنف كهذه في المستقبل. لكن عقله كان في مكان آخر حقًا. أراد العودة للتحقيق في وفاة **هولجر بالمجرين**، وخاصة البحث في أمر هذا البروفيسور **شتاينبرج**.

— «ماذا كان ذلك مرة أخرى؟»

قال الإمام شيئًا لم يفهمه بوبلانسكي تمامًا، لكن قبل أن يتمكن من الاستفسار أكثر، رن هاتفه وفي الوقت نفسه جاءت مكالمة سكايب من مستخدم أطلق على نفسه اسم «عاصفة قذرة شاملة لسالاندر»، وكان ذلك بحد ذاته غريبًا جدًا. من يطلق على نفسه اسمًا كهذا؟ أجاب بوبلانسكي على هاتفه المحمول وعلى الطرف الآخر من الخط كان شاب يصرخ عليه بلغة سويدية بذيئة إلى حد ما.

— «لن أستمع لكلمة واحدة تقولها حتى تقدم نفسك.»

– «اسمي **بلايج**. شغل حاسوبك وافتح الرابط الذي أرسلته لك، وبعدها سأشرح.»

تردد بوبلانسكي في البداية، لكنه استمر في الاستماع للرجل، الذي كان يستخدم الشتائم بكثرة تتخللها مصطلحات حاسوبية غير مفهومة، لكنه مع ذلك كان دقيقًا وواضحًا فيما لديه ليخبر به. اقتنع بوبلانسكي أخيرًا بفتح الرابط، وشق طريقه عبر ارتباكه وشكوكه، وبدأ العمل. حشد طائرة هليكوبتر وسيارات دورية من ستوكهولم وأوبسالا للتوجه نحو «فادابوسيو». ثم ركض هو و**أماندا فلود** نزولاً لسيارته الفولفو في المرآب. قرر أنه سيكون أكثر أمانًا أن تقود هي وهما يسرعان شمالاً نحو أوبسالا، والأضواء الزرقاء تومض.

***

الرجل بجانبه أنقذه من اعتداء خطير. لم يكن بلومكفيست متأكدًا بعد من فهمه للسبب. لكنها لابد أن تكون علامة جيدة. لم يعودا في نفس الدورين المتعارضين للصحفي الاستقصائي والفريسة كما كانا في بهو ألفرد أوجرين. كان هناك رابط مشترك بينهما، وكان بلومكفيست الآن مدينًا له.

كانت الشمس تضرب بقوة في الخارج. كانا في شقة صغيرة بالطابق العلوي في شارع «تافاستجاتان» بنوافذ علوية تطل على خليج «ريدارفجاردن». استندت لوحة زيتية غير مكتملة لمحيط وحوت أبيض على حامل. كان هناك تناغم في اللوحة، رغم مزيج الألوان غير التقليدي. لكن بلومكفيست أدارها لتواجه النوافذ. لم يرد أي مشتتات.

كانت الشقة ملكًا لـ **إيرين ويسترفيك**، فنانة مسنة لم يعرفها بلومكفيست إلا قليلاً. لكنه شعر بعاطفة معينة تجاهها. كانت حكيمة وتلهم الثقة، وتعيش بعيدًا عن دوامة الأحداث الجارية التي لا تنتهي. أحيانًا كانت تمكنه من النظر للعالم من منظور أوسع. اتصل بها من سيارة الأجرة ليسأل إن كان بإمكانه استعارة مرسمها لبضع ساعات، وربما لبقية اليوم.

قابلتهما بفستان أخضر شاحب عند مدخل الشارع، وسلمت المفاتيح بابتسامة لطيفة.

الآن كان بلومكفيست والرجل، الذي يفترض أنه **دانيال**، يجلسان في الشقة متقابلين. وللأمان، كانت هواتفهما مطفأة ووضعاها على رف في المطبخ الصغير. كان الجو خانقًا تحت السطح، وحاول بلومكفيست وفشل في فتح نوافذ المرسم.

– «هل كانت تلك حقنة في يد ذلك الرجل؟»

– «بدا الأمر كذلك.»

– «أتساءل ماذا كان فيها.»

– «في أسوأ الأحوال، كورار اصطناعي.»

– «سم؟»

– «نعم. جرعة ثقيلة تشل كل شيء، بما في ذلك عضلات التنفس. تختنق.»

قال بلومكفيست:

– «يبدو أنك تعرف كل شيء عنه.»

بدا الرجل حزينًا، واتجه نظر بلومكفيست للنافذة والسماء الزرقاء.

– «هل يمكنني أن أناديك دانيال؟»

صمت الرجل. تردد.

– «إنه **دان**. حصلت على البطاقة الخضراء، وأصبحت مواطنًا أمريكيًا وغيرت اسمي. الآن اسمي **دان برودي**.»

– «أو **ليو مانهايمر**.»

– «نعم، هذا صحيح.»

– «غريب بعض الشيء، ألا تظن؟»

– «بالفعل.»

– «هل تريد أن تحكي لي القصة يا دان؟ لدينا الكثير من الوقت. لن يبحث عنا أحد هنا.»

– «هل هناك أي شيء أقوى للشرب؟»

– «دعني أنظر في الثلاجة.»

وجد بلومكفيست عدة زجاجات من النبيذ الأبيض، من نوع «سانسير». *هذا هو وضعي الطبيعي الجديد*، فكر بكآبة — *الشرب أثناء المقابلات*. أخذ زجاجة ووجد كأسين.

– «تفضل.» قال، وهو يملأهما.

– «لا أعرف حقًا من أين أبدأ. قلت إنك قابلت **هيلدا**. هل تحدثت عن...» مرة أخرى تردد دان، وكأنه يتردد في ذكر اسم أو حدث يملؤه بالخوف.

– «عن ماذا؟»

– «**راكيل جريتز**؟»

– «أخبرتني هيلدا الكثير عنها.»

رفع دان كأسه وشرب، متجهماً وحازماً. ثم ببطء بدأ يحكي قصته. بدأت في نادٍ للجاز ببرلين، بعزف منفرد على الجيتار وامرأة لم تستطع رفع عينيها عنه.

***

كانوا قد قادوا السيارة إلى غابة وتوقفوا. كان داخل الشاحنة خانقًا بشكل لا يطاق، وكل ما كان يُسمع من الخارج هو صوت الطيور والحشرات. كان المحرك يعمل ببطء. كانت **سالاندر** عطشى وشعرت بالغثيان من الكلوروفورم أو ربما من الضرب. كانت لا تزال ملقاة على الأرض، مقيدة، لكن عندما نهضت على ركبتيها لم يعترض أحد، رغم أنهم حدقوا فيها طوال الوقت. أُطفئ المحرك وأومأ من هم على المقعد لبعضهم البعض. شربت **بينيتو** بعض الماء لتبتلع بضع حبات. كانت شاحبة الوجه

ولم تتحرك بينما نهض **بشير** والرجل الآخر. استطاعت سالاندر الآن رؤية ساعدي الرجل الموشومين وشعار عصابة دراجات «سفافيلخو» على سترته الجلدية. نفس عصابة الدراجات التي تحالفت مع والدها وشقيقتها. هل اخترقت **كاميلا** وقراصنتها عنوان سالاندر؟

درست سالاندر الباب الخلفي للشاحنة وحاولت تذكر الحركة التي فُتح بها عندما أُلقي هاتفها في الطريق. بدقة رياضية تذكرت القوة في الحركة، أو بالأحرى انعدامها.

لم تستطع إزالة الحبل حول يديها، لكن يجب أن تكون قادرة على ركل الباب لفتحه. كان ذلك جيدًا، وكذلك إصابة رأس بينيتو ومدى توتر الرجال. تكشر بشير، تمامًا كما فعل في فالهولمن، وسحب قدمه اليمنى ليركلها. امتصت الضربة، مبالغة قليلاً في رد فعلها. ليس أنها احتاجت لذلك. كانت ركلة عنيفة أصابتها في أضلاعها، ثم تلقت ركلة أخرى في الوجه وتظاهرت بالدوار، لكنها طوال الوقت كانت تراقب بينيتو.

منذ البداية، كان لدى سالاندر شعور بأن هذا هو عرض بينيتو أولاً وقبل كل شيء. سيكون لها الكلمة الأخيرة. الآن كانت تنحني فوق حقيبتها القماشية الرمادية على الأرض وتخرج قطعة قماش مخملية حمراء. أمسك الرجال بسالاندر بقسوة من كتفيها. لم يبشر ذلك بالخير، خاصة عندما سحبت بينيتو خنجرًا من الحقيبة — «الكيريس» الخاص بها. كان مستقيمًا ولامعًا، وبدا حادًا جدًا، بشفرة طويلة ذات طرف ذهبي. نُقش المقبض ليمثل شيطانًا بعينين مائلتين. كان نوع السلاح الذي يجب أن يكون في متحف، لا في يدي مريضة نفسية شاحبة الوجه برأس مضمد، كانت تفحص السكين الآن بحنان مجنون.

بصوت نحيل أوضحت بينيتو كيف يُستخدم الكيريس. لم تستمع سالاندر باهتمام، لم يبدُ ذلك ضروريًا، لكنها سمعت ما يكفي. سيُطعن الكيريس عبر القماش الأحمر أسفل عظمة الترقوة مباشرة، مباشرة في

القلب. سيُمسح الدم بالقماش وهو يُسحب. قيل إنه يتطلب مهارة غير عادية. واصلت سالاندر جرد كل شيء في الشاحنة بعناية —— كل شيء، كل تراكم للغبار، كل لحظة من تشتت التركيز. ألقت نظرة لأعلى نحو بشير. أمسك بكتفها الأيسر وبدا مصممًا ومتوترًا. كانت ستموت، وكان ذلك لا يزعجه. لكنه لم يبدُ سعيدًا بشكل خاص، وكان من الواضح سبب ذلك. أساسًا كان مساعدًا لامرأة، ولا يمكن أن يكون ذلك سهلاً لشخص يعتبر النساء مجرد عاهرات أو مواطنات من الدرجة الثانية.

— «هل تعرف قرآنك؟»

استطاعت أن تعرف فورًا من قبضته على كتفها أن سؤالها أزعجه. تابعت لتقول إن النبي أدان كل أنواع الكيريس، إنها تنتمي للشيطان والشياطين، ثم استشهدت بسورة، اخترعتها. أعطتها رقمًا وحثته على البحث عنها. «تحقق وسترى!»

لكن بينيتو نهضت بخنجرها وقالت:

— «إنها مليئة بالهراء. لم يكن الكيريس موجودًا حتى في زمن محمد. الآن هو سلاح للمحاربين المقدسين في جميع أنحاء العالم.»

بدا أن بشير صدقها، أو على الأقل أراد أن يصدقها. «حسنًا، حسنًا، أسرعي.» قال، مضيفًا شيئًا بالبنغالية لصالح السائق في المقدمة.

فجأة بدت بينيتو في عجلة من أمرها، حتى وهي تتغلب عليها الدوار وتترنح جانبًا. كان هناك صوت عالٍ فوقهم، اهتزازات طائرة هليكوبتر. ورغم أنه قد لا يكون له علاقة بهم، إلا أن سالاندر عرفت أن أصدقاءها في جمهورية الهاكرز من غير المرجح أنهم كانوا جالسين لا يفعلون شيئًا. كان الضجيج واعدًا لأن المساعدة قد تكون قريبة قريبًا، ومقلقًا بسبب النشاط المتزايد في الشاحنة.

كان بشير والرجل الآخر يمسكان بها بقوة بينما تقدمت بينيتو نحوها، تبدو مصممة بخنجرها الطويل وقماشها الأحمر. فكرت سالاندر في

بالمجرين. فكرت في والدتها والتنين في ستور شيركان، واستعدت على الأرض.

مهما حدث، كان عليها أن تنهض على قدميها.

***

جلس دان في صمت. وصل لنقطة مؤلمة في القصة. زاغت عيناه وتغيرت يداه بتوتر.

— «عندما قالت راكيل إنها ستدينني بقتل أخي ما لم أتعاون، شعرت بالعجز، بالكاد عرفت ما يحدث. جعلوني أرتدي نظارات شمسية وقبعة. سيكون من الخطر وجود اثنين من ليو في بئر السلّم، قالت —— كان علينا إخراجه من الشقة بينما لا يزال قادرًا على الوقوف. رأيت فرصة. لو تمكنا فقط من الخروج، فكرت، سأتمكن من الصراخ طلبًا للمساعدة.»

— «لكنك لم تفعل.»

— «لم نلتقِ بأحد في المصعد أو على الدرج. كان اليوم السابق لعشية عيد الميلاد. زميل راكيل —— لا أعتقد أن جون هو اسمه الحقيقي، في الواقع. نادته بنجامين عدة مرات. إنه الرجل الذي هاجمك هذا الصباح. على أي حال، هو...» توقف دان وأخذ نفسًا عميقًا. «... جر ليو، الذي كان بالكاد يستطيع البقاء واقفًا، لسيارة فان رينو سوداء متوقفة في الخارج. كان الظلام يحل، أو هكذا شعرت.» وسكت مرة أخرى.

***

ديسمبر، قبل عام ونصف

نظر دان للشارع الفارغ أمامه، غريبًا وكأنه في كابوس موحش بحدود حجرية. ربما كان بإمكانه الهرب لطلب المساعدة. لكن كيف يمكنه التخلي عن أخيه؟ كان مستحيلاً. دفعوا ليو للسيارة وسأل دان:

— «سنأخذه للمستشفى الآن، أليس كذلك؟»

— «نعم.»

هل صدقها؟ لقد قالت للتو إنه لا فائدة، وهددته. صعد للسيارة وركز على شيء واحد: قبل أن تأخذ هاتفه تمكن من القراءة على الإنترنت أن المريض يمكن أن يتعافى من تسمم الكورار طالما استمر التنفس. جلس بجانب ليو في المقعد الخلفي. على جانبه الآخر كان الرجل الذي نادته جريتز بنجامين.

كان دان يركز على محاولة مساعدة ليو على التنفس. مرة أخرى سأل إن كانوا حقًا في طريقهم لمستشفى. كانت جريتز، التي كانت تقود، أكثر تحديدًا هذه المرة. كانوا متجهين لمستشفى كارولينسكا، وذكرت حتى القسم.

— «ثق بي.»

زعمت أنها اتصلت مسبقًا لتحذير المتخصصين، الذين كانوا يستعدون لاستقبال ليو. ربما عرف دان أن كل ذلك هراء. ربما كان مصدومًا جدًا ليستوعب ما يحدث. كان من الصعب تذكر أي شيء على الإطلاق. ركز فقط على إبقاء تنفس ليو مستمرًا، ولم يوقفه أحد. كان ذلك شيئًا يجب أن يكون ممتنًا له. قادت جريتز بسرعة. لم تكن هناك حركة مرور كثيرة ووصلوا لجسر «سولنابرون». بدت مباني المستشفى الحمراء وكأنها ترتفع كشبح في الظلام، وللحظة ظن أن كل شيء قد يكون بخير في النهاية.

لكنه لم يكن أكثر من ستارة دخان، محاولة لإسكاته لبعض الوقت. بدلاً من التوقف، سرعت السيارة مرورًا بالمستشفى، متجهة شمالاً نحو سولنا. لابد أنه كان يصرخ ويضرب لأن هناك إحساسًا حارقًا مفاجئًا في فخذه وشعر أن احتجاجاته تضعف، أقل قوة. لم يتركه الغضب واليأس، لكنه شعر بقوته تتلاشى. هز رأسه ورمش. سعى للتفكير بوضوح، لإبقاء ليو على قيد الحياة. لكنه كان يكافح للبحث عن كلمات ويجد صعوبة في الحركة، وبعيدًا، كما لو من خلال ضباب، استطاع سماع جريتز والرجل

يتهامسان. فقد إحساسه بالوقت. في مرحلة ما رفعت جريتز صوتها. كانت تتحدث إليه الآن، وكان هناك شيء منوم في نبرتها. ماذا كانت تقول؟ تحدثت عن كل ما سيحصل عليه —— عن أحلام تحققت، عن ثروة، سعادة.

مع شهيق ليو بجانبه، وهيئة بنجامين الضخمة على الجانب الآخر، وجريتز تجلس في المقدمة تتحدث عن السعادة والثروات، كان... كان مستحيل الوصف. كان يفوق الكلمات. قد لا يتمكن بلومكفيست من استيعابه أبدًا. لكن كان على دان أن يحاول. لم يكن هناك طريق آخر.

***

سأل بلومكفيست:

— «هل أغرتك؟»

كانت زجاجة النبيذ تقف على طاولة القهوة البيضاء وشعر دان بدافع لتحطيمها فوق رأس الصحفي.

قال، محاولاً جاهدًا أن يبدو هادئًا:

— «عليك أن تفهم. في تلك اللحظة لم أستطع تخيل حياتي بدون ليو.»

صمت مرة أخرى.

— «بماذا كنت تفكر؟»

— «شيء واحد فقط: كيف سنتجاوز هذا.»

— «وماذا كانت خطتك؟»

— «خطتي؟ لا أعرف. أعتقد أنني ظننت أنني سأجاريهم وآمل أن يظهر مخرج. بينما كنا نقود أبعد وأبعد في الريف، تمكنت من استعادة بعض قوتي. كنت أنظر لليو طوال الوقت. ساءت حالته. بدأ يتشنج مرة أخرى، لم يستطع الحركة. آسف، من الصعب عليّ الحديث عن ذلك.»

— «خذ وقتك.»

وصل دان لكأس نبيذه وتابع:

— «لم تكن لدي فكرة أين نحن. الطريق كان يضيق. كنا في غابة صنوبر. حل الظلام وتحول الثلج لمطر. رأيت لافتة طريق. "فيداكرا"، قالت. اتجهنا يمينًا، إلى مسار غابي، وبعد عشر دقائق أوقفت راكيل السيارة وخرج بنجامين. أخرج شيئًا من صندوق السيارة، كان هناك صوت قعقعة غير سار. لم أرد أن أعرف ما هو. كنت مشغولاً بالاعتناء بليو. فتحت الباب، ومددته على المقعد وبدأت الإنعاش القلبي الرئوي. كانت لدي فكرة غامضة فقط عما كنت أفعله، لكني حاولت. لم أحاول جاهدًا في أي شيء في حياتي كلها. كنت دائخًا وتقيأ ليو دون أن ألاحظ حتى. كانت هناك رائحة كريهة في السيارة. شعرت وكأنني أنحني على نفسي، هل يمكنك فهم ذلك؟ وكأنني كنت أعطي نفسًا لنفسي المحتضرة. والشيء الغريب هو أنهم تركوني أستمر في ذلك. كانوا لطفاء معي الآن، راكيل وهذا الرجل بنجامين. كان غريبًا، ولم أفهم حقًا ما يجري. قالت راكيل بصوت ناعم إن ليو سيموت، وسرعان ما سيغادره تأثير الفيسوستيغمين، لا يمكن فعل شيء. كان فظيعًا، قالت. لكن الشيء الجيد هو أن أحدًا لن يبحث عنه. لن يتساءل أحد حتى أين ذهب —— طالما أخذت مكانه. كانت والدته تموت، قالت، ويمكنني الاستقالة من ألفرد أوجرين وبيع حصتي في الشركة لإيفار. لن يتفاجأ أحد. عرفوا جميعًا منذ زمن أن حلم ليو هو مغادرة الشركة. وكأن المشهد كان مهيأ لعدالة إلهية، سأحصل على ما استحققت دائمًا. جاريتهم. لم أرَ بديلاً. تمتمت، ترددت. أخذوا هاتفي، أعتقد أنني أخبرتك، وكنت على بعد أميال في غابة ولم أستطع رؤية أضواء من منزل واحد. عاد بنجامين يبدو في حالة فوضى عارمة، مبللاً بالعرق والمطر، ثلج موحل على بنطاله. كانت قبعته الصوفية مائلة. لم يقل كلمة. علق تواطؤ بغيض وغير منطوق في الهواء، بينما جر بنجامين ليو من المقعد الخلفي. ضرب رأس ليو الأرض وانحنيت للمساعدة. سحبت قبعة بنجامين، أتذكر،

ووضعتها على ليو. ثم أزررت معطفه. لم نكن قد ألبسناه ملابس دافئة حتى: لم يكن لديه وشاح وكان يرتدي حذاءه الداخلي، وكانا غير مربوطين، والأربطة متدلية. كان مشهدًا من الجحيم، وتساءلت إن كان عليّ الهرب لطلب المساعدة. أهرب فقط إلى الغابة أو على طول المسار وآمل أن أجد شخصًا ما. لكن هل كان هناك وقت لذلك؟ لم أظن ذلك. لم أكن متأكدًا حتى إن كان ليو لا يزال على قيد الحياة. لذا تبعتهم إلى الأشجار. كان بنجامين يجر ليو بخرق وعرضت المساعدة. لم يعجب بنجامين ذلك، أراد إبعادي عن هناك. "اذهب"، قال. "ابتعد عن هنا، هذا ليس شيئًا لك"، وصاح مناديًا راكيل. لكني لا أعتقد أنها سمعت. كانت الريح تهب بقوة، محدثة حفيفًا في الأشجار. خدشتنا الشجيرات والفروع ثم وصلنا لشجرة صنوبر كبيرة مريضة المظهر، بجوارها كومة من الحجارة والتراب. كانت مجرفة ملقاة في مكان قريب وللحظة ظننت، أو أردت أن أصدق، أننا عثرنا على نوع من الحفر لا علاقة له بنا.»

— «لكنه كان قبرًا.»

— «كان محاولة لقبر. ليس عميقًا جدًا. لابد أن بنجامين قضى وقتًا عصيبًا في حفر تلك الأرض المتجمدة. بدا منهكًا وهو يضع ليو على الأرض ويصرخ في وجهي لأذهب بعيدًا. أخبرته أنني يجب أن أودعه، وأنه وغد عديم القلب. هددني مرة أخرى، قائلاً إن جريتز لديها أدلة كافية لوضعي في السجن بتهمة القتل. "إنه أخي التوأم بحق المسيح. أظهر بعض المراعاة، اتركني بسلام. سأدفنه بنفسي. لن أهرب، وليو ميت على أي حال. انظر إليه"، صرخت. "انظر إليه!" ثم تركني حقًا. شككت في أنه لم يذهب بعيدًا، لكنه سار بعيدًا عن الأنظار، وكنت وحيدًا مع ليو. قرفصت على كعبي تحت شجرة الصنوبر وانحنيت فوقه.»

***

تناولت **جيانيني** غداءها في مقصف الموظفين بفلودبيرجا وعادت لقسم الزوار في المبنى "H"، للمشاركة في استكمال استجواب فاريا، الذي قادته **موديغ**.

في جلسة بعد الظهر، أثبتت موديغ كفاءتها وفعاليتها. اتفقت مع جيانيني على أنه من المهم ليس فقط إثبات وقائع القمع الطويل الأمد الذي عانت منه فاريا، بل أيضًا بذل ما في وسعهما بعد كل هذا الوقت للتحقيق فيما إذا كان هجومها على شقيقها قد يكون قضية اعتداء وقتل غير عمد بدلاً من القتل العمد. هل كانت تنوي حقًا قتله؟

كانت جيانيني متفائلة. جعلت فاريا تستدعي كل جانب ممكن من حالتها الذهنية وقت الهجوم. لكن حينها تلقت موديغ مكالمة، أخذتها في الممر. عندما عادت لم تعد هادئة ومسيطرة على نفسها. أزعج هذا التحول في المزاج جيانيني.

— «بحق الله، لا تحاولي إظهار وجه البوكر أمامي. أستطيع أن أعرف أن شيئًا خطيرًا قد حدث. قولي ما عندك. الآن!»

قالت موديغ:

— «أعرف، وأنا آسفة. لم أستطع حمل نفسي على إخبارك. اختطف بشير كازي وبينيتو ليزبيث. لدينا الفريق بأكمله يعمل على الأمر، لكنه لا يبدو جيدًا.»

— «أخبريني بكل شيء.»

أخبرتها موديغ، وارتجفت جيانيني. انكمشت فاريا في كرسيها، وذراعاها مطويتان حول ساقيها. لكن شيئًا ما تغير فيها. كانت جيانيني أول من لاحظ ذلك. لم تكن عينا فاريا ممتلئتين بالخوف والغضب فحسب. كان هناك شيء آخر، عميق ومكثف:

— «هل قلتِ "فادابوسيو"؟»

قالت موديغ:

— «نعم، آخر رؤية لهم كانت من كاميرا مراقبة، انعطفت الشاحنة إلى مسار غابي يتجه نحو المنطقة المحيطة بالبحيرة.»

— «نحن...»

قالت جيانيني:

— «نعم، ما الأمر؟»

قالت فاريا:

— «قبل أن نتمكن من تحمل تكاليف الذهاب لمايوركا، اعتادت عائلتي التخييم في فادابوسيو. ذهبنا كثيرًا. إنه ليس بعيدًا، لذا كنا نستطيع أن نقرر في اللحظة الأخيرة الذهاب إلى هناك في عطلة نهاية الأسبوع. كان ذلك عندما كانت والدتنا لا تزال على قيد الحياة. فادابوسيو محاط بغابة كثيفة، كما تعلمين، ومليء بالمسارات الضيقة وأماكن الاختباء. كانت هناك مرة...» ترددت فاريا، ممسكة بركبتيها. «هل لديكِ إشارة على هاتفكِ؟ إذا استطعتِ سحب خريطة مفصلة للمنطقة، سأحاول الشرح.»

بحثت موديغ وتمتمت وبحثت مرة أخرى، وفي النهاية تهلل وجهها. كانت شرطة أوبسالا قد نزلت لهم خريطة.

قالت فاريا، بنبرة جديدة في صوتها:

— «أرني.»

قالت موديغ، وهي تريها الخريطة على شاشتها:

— «قادوا السيارة إلى هنا.»

— «انتظري لحظة. دعيني أحاول تحديد موقعي. هناك شيء يسمى "سودرفيكن" في مكان ما حول البحيرة، أليس كذلك؟ أو "سودرا فيكن"، "سودرا ستراندن"؟»

— «دعيني ألقي نظرة.»

أدخلت موديغ «سودرا» في محرك البحث.

– «هل يمكن أن يكون "سودرا ستراندفيكن"؟»

قالت فاريا بلهفة:

– «هذا هو، نعم، لابد أنه هو. دعيني أرى الآن. هناك مسار وعر صغير، لكنه لا يزال واسعًا بما يكفي لسيارة. هل يمكن أن يكون هذا؟» قالت، وهي تكبر الصورة. «لست متأكدة. لكن في ذلك الوقت كانت هناك لافتة صفراء حيث دخلت السيارة. "نهاية الطريق العام"، قالت. على بعد مسافة قصيرة من المسار، على بعد بضعة كيلومترات، هناك نوع من الكهف، ليس كهفًا حقيقيًا، بل أشبه بمساحة محمية وسط مجموعة كبيرة من الأشجار ذات أوراق كثيفة. إنه في قمة تل على اليسار، ويجب أن تمر عبر ستارة كاملة من الأوراق لكنك تخرج بعد ذلك في بقعة منعزلة تمامًا، محاطة بالشجيرات والأشجار. يمكنك رؤية وادٍ وجدول عبر فجوة في الغطاء النباتي. أخذني بشير إلى هناك مرة، وظننت أنه يريد أن يريني شيئًا مثيرًا، لكنه كان لإخافتي. كان ذلك عندما بدأ جسدي يمتلئ قليلاً وبعض الشبان على الشاطئ صفروا لي. عندما وصلنا، أخبرني مجموعة كاملة من الهراء حول كيف كانوا في الأيام الخوالي يأخذون النساء اللواتي تصرفن كعاهرات إلى هناك لمعاقبتهن. أرعبني حتى النخاع، ولهذا أتذكره. الآن أتساءل إن كان بشير أخذ ليزبيث لذلك المكان.»

أومأت موديغ بجدية وشكرتها. استعادت هاتفها وأجرت مكالمة.

***

كان بوبلانسكي يتلقى تقارير من **سامي حميد**، أحد طياري المروحيات في الشرطة. كان حميد يحلق فوق فادابوسيو والغابات المحيطة على ارتفاع منخفض، لكنه لم ير أي أثر لشاحنة رمادية. ولا المتنزهون، ولا المخيمون، ولا أي من رجال الشرطة الذين يقومون بدوريات في المنطقة. لم يكن الأمر سهلاً، لا شك. كانت البحيرة تحدها شواطئ مفتوحة واسعة، لكن الغابة المحيطة كانت كثيفة وشبكة من المسارات

المتاهية تتقاطع في التضاريس. بدا مكانًا مثاليًا للاختباء، وهذا أقلق بوبلانسكي. لم يلعن كثيرًا منذ فترة طويلة، وظل يحث فلود على القيادة بشكل أسرع.

كانوا يندفعون على الطريق الوطني ٧٧ ولا يزال أمامهم بعض المسافة قبل الوصول للبحيرة. بفضل التعرف على الصوت عرفوا أنهم يلاحقون بينيتو وبشير كازي، مما يعني أن التهديد لسالاندر كان حرجًا. لم يضيع بوبلانسكي ثانية. كان على اتصال بمنسقي شرطة أوبسالا كل بضع دقائق واتصل بكل شخص يمكن تصوره قد يقدم معلومات. اتصل ببلومكفيست عدة مرات، لكن الصحفي أطفأ هاتفه.

شتم بوبلانسكي وصلى بالتناوب. ورغم أنه وسالاندر لم يكونا على علاقة ودية، إلا أنه شعر بعاطفة أبوية تجاهها، ليس أقلها لأنها أعطتهم الوسائل لحل جريمة خطيرة. طلب من فلود زيادة السرعة. كانوا يقتربون من الغابات حول البحيرة. رن هاتفه. كانت موديغ، تخبره بإدخال «سودرا ستراندفيكن» في نظام تحديد المواقع في السيارة، ثم مررت هاتفها لفاريا كازي. لم يفهم لماذا يجب أن يتحدث معها، لكن في الواقع بدت المرأة مختلفة تمامًا، تحدثت بعزم شرس وبوضوح تام. استمع بوبلانسكي بعناية واهتمام وأمل ألا يكون قد فات الأوان.

في الأمام مباشرة، رأوا لافتة صفراء تشير لمنعطف إلى الغابة.

-٢٢-

٢٢ يونيو

لم يكن لدى **سالاندر** أدنى فكرة أين هي. كان الجو حارًا واستطاعت سماع الذباب والبعوض، وحفيف الرياح في الأشجار والشجيرات بالخارج، وخرير الماء الناعم. ركزت على ساقيها. كانتا نحيلتين ولا تبدوان شيئًا يذكر، لكنهما كانتا قويتين، والآن هما الشيء الوحيد الذي تملكه للدفاع عن نفسها. كانت راكعة في الشاحنة، يداها مقيدتان. كانت **بينيتو** تكشر في ضماداتها، والخنجر والقماش يهتزان في يديها. بدت حقًا كالموت. ألقت سالاندر نظرة على باب الشاحنة. أمسك الرجال بكتفيها وصرخوا في وجهها. نظرت لأعلى لترى وجه **بشير** يلمع عرقًا — حدق وكأنه يريد لكمها.

سألت سالاندر نفسها إن كانت ستتمكن من إيقاعهم ببعضهم البعض. كان الوقت ينفد. كانت بينيتو تقف أمامها الآن، ملكة شريرة بخنجرها الطويل، والمزاج داخل الشاحنة يتغير. أصبح مهيبًا وساكنًا، وكأن شيئًا جللاً على وشك الحدوث. مزق أحد الرجال قميص سالاندر ليكشف عن عظمة ترقوتها. نظرت لبينيتو. قطع أحمر شفاهها شقًا عبر بشرتها الرمادية الشاحبة. لكنها بدت أكثر ثباتًا على قدميها الآن، وكأن رعب اللحظة قد شحذ حواسها. بصوت انخفض قليلًا، قالت:

— «أمسكوها جيدًا! جيد، جيد. هذا عظيم. هذه لحظة موتها. هل تشعرين بخنجري مصوبًا نحوكِ؟ ستعذبين الآن. ستموتين.»

حدقت بينيتو في وجه سالاندر وابتسمت بعينين تجاوزتا كل رحمة وإنسانية. لثانية أو نحو ذلك، كل ما استطاعت سالاندر رؤيته هو نصل الخنجر الممدود نحو صدرها المكشوف. بعد جزء من الثانية، غمرتها فيض من الانطباعات. رأت أن بينيتو لديها ثلاثة دبابيس أمان في ضمادتها، ورأت أن حدقتها اليمنى أكبر من اليسرى، ورأت أن هناك لافتة من مستشفى «باجارموسن» للحيوانات داخل باب الشاحنة. رأت ثلاثة مشابك ورق صفراء وسلسلة كلب على الأرض وخطًا مرسومًا بقلم أزرق على داخل الشاحنة فوقها. لكن الأهم من ذلك كله، رأت القماش المخملي الأحمر. لم تكن بينيتو مرتاحة في حمله. ومهما كانت واثقة من نفسها مع الخنجر، كان القماش شيئًا غريبًا، لا شيء أكثر من طقوس فارغة. لم تبدُ تعرف ماذا تفعل به، وفجأة ألقته على الأرض.

استعدت سالاندر بأصابع قدميها. صرخ بشير فيها لتبقى ساكنة، وسمعت توترًا في صوته. رأت بينيتو ترمش والخنجر يُرفع ويستقر على النقطة أسفل عظمة ترقوتها مباشرة. استعدت بتصلب عضلات جسدها وتساءلت إن كانت النجاة ممكنة حتى. كانت على ركبتيها، يداها مقيدتان، والرجال يمسكون بها بقوة. أغمضت عينيها وتظاهرت بالاستسلام لمصيرها بينما استمعت للصمت والتنفس في مؤخرة الشاحنة. شعرت بالإثارة في الهواء، عطش الدم، والخوف أيضًا — نوع من المتعة الممزوجة بالرعب. حتى في هذه الصحبة كان الإعدام مهمة خطيرة، و... ما هذا؟ كان بعيدًا وصعب التمييز، لكنه بدا كضجيج محرك، ليس من سيارة واحدة بل من عدة.

في تلك اللحظة بالذات تحركت بينيتو ثم حان الوقت، حان الوقت تمامًا. قفزت سالاندر في انفجار وقاتلت لتجد قدميها، لكنها لم تفلت من الخنجر.

***

فرملت **فلود** بحدة لدرجة أن السيارة انزلقت ونظرت بغضب لـ **بوبلانسكي** وكأن الخطأ خطؤه. لم يكن كبير المفتشين منتبهًا، كان على الخط مع **فاريا** ونادى:

— «لقد وجدنا اللافتة، أراها.» شتم تحت أنفاسه بينما انحرفت السيارة واهتزت. قالت اللافتة الصفراء بالفعل «نهاية الطريق العام».

سيطرت فلود على الانزلاق وانعطفت إلى المسار، مستنقع من الطين بأخاديد عميقة. المطر، الذي هطل بلا هوادة قبل أن تضرب موجة الحر البلاد، جعله شبه مستحيل العبور، وانزلقت السيارة وارتطمت.

صاح بوبلانسكي:

— «أبطئي، بحق السماء، لا يمكننا أن نفوته!»

وفقًا لفاريا، كان المكان في قمة مرتفع مخفي خلف نوع من ستار من الفروع والأوراق. لم يستطع بوبلانسكي رؤية أي أثر لأي أرض مرتفعة. بالنظر لكثافة الأشجار من حوله لم يظن أن لديهم فرصة كبيرة للعثور على الشاحنة. يمكن أن تكون مخفية في أي مكان في هذه الغابة، قد تكون حتى في طريقها لمكان مختلف. حاول حساب المدة الزمنية التي مرت منذ آخر رؤية للشاحنة. وفوق كل شيء: كيف يمكن للفتاة أن تكون متأكدة من مكان الفسحة؟ كيف يمكنها تذكر كل هذه التفاصيل، أو أن يكون لديها أدنى فكرة واضحة عن المسافات بعد كل هذه السنوات؟

بدت الغابة متشابهة له من كل الجوانب، لا توجد أي معالم مميزة في أي مكان. كان على وشك الاستسلام. كانت الأشجار تنغلق فوق رؤوسهم حتى كاد الظلام يعم. أرسلت أوبسالا كلمة بأن سيارات شرطة أخرى على المسار خلفهم. سيكون ذلك مفيدًا، إذا كانوا بالفعل على الطريق الصحيح. كان متأكدًا أن الغابة ستكون قادرة على تمويه أسطول كامل من الشاحنات أو الشاحنات الخفيفة. لكنه لم يرَ كيف سيتمكنون من العثور على أي شيء في هذه الغابة المنيعة. أجهد عقله بينما تفاوضت فلود مع مستنقع الطين.

ثم، هناك... لم يكن تلاً بالضبط، لكنه لا يزال منحدرًا واضحًا. سرعت **فلود** بلطف، ودارت العجلات، واقتربت السيارة من قمة المرتفع. واصل بوبلانسكي وصف ما يراه. كان هناك حجر كبير كروي الشكل بجانب المسار، ربما تتذكره فاريا. لكنها لم تفعل. تباً! لم يصلوا لأي مكان.

ثم سمع دويًا، شيئًا يضرب صفيحًا أو صفائح معدنية وسمع صراخًا، أصواتًا مضطربة. وضع يده على ذراع **فلود** فضربت الفرامل. سحب مسدسه وقفز خارجًا، ملقيًا بنفسه في الغابة، تحت الفروع وعبر الشجيرات، وفي لحظة دوارة أدرك أنهم وجدوا المكان حقًا.

***

ديسمبر، قبل عام ونصف

ركع **دان برودي** في الثلج المبلل في غابة أخرى وفي وقت آخر من العام، تحت شجرة الصنوبر تلك بالقرب من قرية «فيداكرا»، يحدق في **ليو** بينما يتحول وجهه للون الأزرق، والحياة تتسرب من عينيه الزرقاوين. كانت لحظة رعب خالص. لكنها لا يمكن أن تكون قد دامت طويلاً.

لابد أن دان استأنف التنفس الاصطناعي على الفور، رغم أن شفتي ليو كانتا باردتين كالثلج تحته ورئتيه لا تستجيبان. وظن دان أنه يسمع خطوات عائدة. سرعان ما سيتعين عليه العودة للسيارة كنصف إنسان فقط. *استيقظ يا ليو، استيقظ!* تمتم مرارًا وتكرارًا، كتعويذة، كصلاة. ليس أنه كان لديه أي إيمان بخطته، حتى لو تمكن من إنعاش أخيه.

لابد أن **بنجامين** كان قريبًا، ربما يتجسس عليه في الظلام عبر فجوة في الأشجار. لابد أنه كان متوترًا ونافد الصبر، يائسًا لدفن ليو والخروج من هناك بحق الجحيم. كان الوضع يائسًا، لكن دان استمر، أكثر يأسًا. أغلق أنف ليو ونفخ في مجاريه الهوائية بقوة وعنف لدرجة أصابه الدوار، بالكاد عرف ما يفعله. تذكر سماع سيارة في البعيد، محرك بعيد. كان هناك حفيف في الغابة، صوت حيوان مذعور. طارت بعض الطيور بضربات عالية، ثم

عاد الصمت، صمت مخيف. شعر وكأن حياته ذاتها قد استنزفت، احتاج لأخذ قسط من الراحة، نفد نفسه وسعل. مرت ثانية أو اثنتان قبل أن يدرك أن شيئًا غريبًا يحدث. بدا سعاله يتردد ويصدى من الأرض. ثم أدرك أنه ليو. كان هو أيضًا يلهث ويكافح، بالكاد استطاع دان تصديق ذلك. حدق فيه فقط وشعر — ماذا شعر؟ ليس السعادة. فقط الإلحاح.

— «ليو. سيقتلونك. عليك أن تركض أعمق في الغابة. انهض! اذهب! الآن!»

كافح ليو للفهم. كان يصارع من أجل الهواء ويحاول استعادة توازنه. سحبه دان، ودفعه في الشجيرات. سقط ليو بشكل سيء، لكنه ترنح على قدميه وتعثر بعيدًا.

لم يراقبه دان وهو يذهب. بدأ في ملء الحفرة بطاقة شرسة، ثم سمع ما توقعه لبعض الوقت: خطوات بنجامين. نظر لأسفل في القبر الضحل، متأكدًا من أنه سيُكشف أمره، وأصبح حفره أكثر جنونًا. جرف وشتم، وألقى بنفسه في العمل، والآن استطاع سماع أنفاس بنجامين، سمع حفيف بنطاله وصرير قدميه على الثلج المبلل. توقع أن ينقض عليه بنجامين، أو أن يبدأ في مطاردة ليو. لكن الرجل لم يقل شيئًا. سُمعت سيارة أخرى في البعيد. طارت المزيد من الطيور.

— «لم أحتمل النظر إليه.»

ظن أن الكلمات تبدو جوفاء، وعندما لم يستجب بنجامين استعد للأسوأ وأغمض عينيه. اقترب بنجامين، فاحت منه رائحة التبغ.

— «سأساعدك.»

جرفا ودفعا بقية التراب في القبر الفارغ واستعادا العشب والحجارة بعناية. ثم مشيا ببطء للسيارة، ورؤوسهما منحنية. في طريق العودة لستوكهولم جلس دان بهدوء، يستمع بجدية لخطط جريتز.

***

ارتفعت سالاندر كقذيفة مدفع وطُعنت في جنبها. لم تكن لديها فكرة عن مدى خطورة إصابتها، ولم يكن لديها وقت للقلق بشأنها. فقدت بينيتو توازنها وكانت الآن تطعن بعنف في الهواء بخنجرها. خطت سالاندر بذكاء جانبًا، وضربتها برأسها وقفزت لباب الشاحنة. فتحته برأسها وجسدها وقفزت للأسفل على العشب ويداها مقيدتان، والأدرينالين يضخ في عروقها. هبطت على قدميها، لكن بقوة لدرجة أنها سقطت للأمام وتدحرجت على منحدر قصير وحاد إلى جدول صغير. كان لديها وقت فقط لرؤية الماء يبدأ في التحول للون الأحمر الدموي قبل أن تنهض على قدميها وتركض إلى الغابة. سمعت صوت سيارات تتوقف، وأصواتًا مرتفعة، وأبوابًا تُصفق. لم تفكر في التوقف. احتاجت فقط للابتعاد.

لم يرَ بوبلانسكي سالاندر عبر الأوراق، لكنه لمح رجلين يشقان طريقهما نزولاً على منحدر حاد. فوقهما وقفت شاحنة رمادية مواجهة للأوراق. صاح:

— «توقف. شرطة. لا أحد يتحرك!» وصوب مسدسه نحوهما.

كان الجو حارًا ورطبًا بشكل لا يطاق في الفسحة وشعر جسده بالثقل. كان يلهث. الرجلان اللذان كان يواجههما كانا أصغر سنًا وأقوى، وبلا شك أكثر قسوة أيضًا. لكن بينما نظر حوله واستمع في اتجاه المسار الذي جاءوا منه، شعر أن الوضع تحت السيطرة. كانت فلود تقف في مكان قريب في نفس الوضعية. لابد أن فرق الشرطة التي أرسلتها أوبسالا قريبة جدًا الآن. كان الرجلان غير مسلحين وأُخذا على حين غرة.

— «لا تفعلا شيئًا غبيًا الآن. أنتما محاصران. أين سالاندر؟»

لم يقل الرجلان شيئًا. نظرا بتردد في اتجاه الشاحنة. كان أحد أبوابها الخلفية مفتوحًا. عرف بوبلانسكي على الفور أن شيئًا غير سار سيظهر، شخص يتحرك ببطء وصعوبة. أخيرًا، وقفت هناك بالكاد تستطيع الوقوف،

شبح بخنجر ملطخ بالدماء في يدها: بينيتو أندرسون. بدت وكأنها تترنح ووضعت يدًا على رأسها، ثم فحت في وجهه، وكأنها هي من تطلق الأوامر:

— «من أنت؟»

— «أنا كبير المفتشين جان بوبلانسكي. أين ليزبيث سالاندر؟»

بصقت:

— «تلك اليهودية الصغيرة؟»

— «أخبريني أين سالاندر.»

— «أقول إنها ربما ماتت.»

جاءت المرأة نحوه، وخنجرها مرفوع. حذرها:

— «توقفي عند هذا الحد. لا تتحركي.»

استمرت في القدوم، وكأن مسدسه لا شيء، تفح بمزيد من الملاحظات المعادية للسامية. لم يظن بوبلانسكي أنها تستحق أن يُطلق عليها النار — يجب ألا يُسمح لها بالادعاء بالشهادة في الأخويات الجهنمية التي تقطنها — وكانت فلود هي من أطلق النار. أُصيبت بينيتو في فخذها الأيسر، وسرعان ما اقتحم زملاؤهم المكان وانتهى الأمر. لكنهم لم يجدوا سالاندر أبدًا، فقط قطرات من دمها في الشاحنة. وكأن الغابة ابتلعتها.

***

بدا دان منهكًا. أمسك رأسه بيديه.

قال بلومكفيست بلطف:

— «إذن ماذا حدث لليو؟»

نظر دان من خلال نوافذ المرسم.

— «تعثر في الأشجار، يدور في دوائر. سقط وشعر بالغثيان، أكل ثلجًا أو شرب ماء ذائبًا. مع مرور الوقت وجد القوة للبدء في الصراخ. لكن لم يسمعه أحد. بعد ساعات من التجول في البرد القارس فوجئ بوجوده في قمة

منحدر طويل، انزلق نزولاً، وانتهى به المطاف في حقل. بدت المساحة المفتوحة مألوفة بشكل غامض، وكأنه كان هناك منذ زمن بعيد، أو ربما حلم به. عند حافة الغابة على الجانب الآخر استطاع رؤية ضوء يسطع من منزل بشرفة كبيرة. وصل ليو إليه في النهاية ورن الجرس. عاش هناك زوجان شابان —— اسماهما **ستينا** و**هنريك نوربرينج**، في حال أردت التحقق. كانا يستعدان لعيد الميلاد، يغلفان هدايا لأطفالهما. أصابهما الرعب في البداية —— لابد أن ليو بدا كحطام مطلق. لكنه طمأنهما، قال إن سيارته انزلقت عن الطريق، وفقد هاتفه وربما لديه ارتجاج. أفترض أن ذلك بدا مقنعًا. أدخله الزوجان وأعدا له حمامًا ساخنًا. أعطياه ملابس جافة وأطعموه "يانسنز تيمبتايشن" ولحم خنزير عيد الميلاد، وقليلًا من النبيذ الساخن والمسكرات، وببطء بدأ يستعيد عافيته. لكن لم تكن لديه فكرة عما يجب أن يفعله بعد ذلك. كان يائسًا للاتصال بي، لكنه عرف أن راكيل جريتز أخذت هاتفي المحمول وخشي أن تكون رسائلي الإلكترونية مراقبة أيضًا. ليو ذكي، رغم ذلك —— إنه عادة متقدم بخطوة على بقيتنا. ظن أنه سيكون من الآمن إرسال رسالة مشفرة تبدو غير ضارة، شيء قد أتلقاه بسهولة في اليوم السابق لعيد الميلاد. استعار هاتف آل نوربرينج وأرسل لي رسالة نصية: "<تهانينا دانيال، إيفيتا كون تريد القيام بجولة معك في الولايات المتحدة في فبراير. يرجى التأكيد. جانغو. ستكون جولة ماينور سوينغ. عيد ميلاد مجيد.>»

— «حسنًا. أعتقد أنني بدأت أفهم. لكن ماذا كانت تعني الرسالة؟»

— «حسنًا، لم يرد أن يفشي اسمي الأمريكي. اختار فنانًا عرف أنني لا أعزف معه أبدًا، لذا لن يتمكن أحد من تعقبي بهذه الطريقة. لكن الأهم من ذلك كله أنه وقع باسم...»

— «جانغو.»

— «صحيح. كان ذلك بحد ذاته كافيًا لفهم الأمر، لكن فوق ذلك: "ستكون جولة ماينور سوينغ".»

توقف دان للحظة.

— «"ماينور سوينغ" هي مقطوعة ذات بهجة حياة لا تصدق. ربما ليس هذا صحيحًا تمامًا. هناك مسحة مظلمة أيضًا. كتبها جانغو وستيفان جرابيلي معًا. لابد أن ليو وأنا عزفناها أربع، خمس مرات بالفعل. أحببناها. لكن...»

انتظره بلومكفيست ليتابع.

— «بعد أن أرسل ليو الرسالة، تدهورت حالته. يبدو أنه انهار وجعله الزوجان يستلقي على أريكتهما. واجه صعوبة في التنفس وازرقت شفتاه. لم أكن على علم بكل هذا. كنت في شقة ليو، وكان الوقت قد تأخر. كنا نحن الثلاثة هناك — بنجامين، راكيل وأنا. كنت أجرع كأسًا تلو الآخر من النبيذ بينما راجعت راكيل الخطة البغيضة بأكملها التي أعدتها. وصدمتي كما كنت، جاريتها. وافقت على أن أصبح ليو، وأن أفعل تمامًا كما قالت. أخبرتني كيف أطلب بطاقات ائتمان جديدة وأحصل على كلمات مرور جديدة، وأن أذهب لرؤية فيفيكا في مستشفاها، "ستوكهولمس سيوكيم"، كليو. قالت إنه يجب عليّ أخذ إجازة والسفر، والقراءة عن الأسواق المالية والتخلص من لهجتي الأمريكية والسويدية الشمالية. طارت راكيل في الشقة وأخرجت جواز سفر ليو وبعض الأوراق، لأتدرب على توقيعه. كان هذا لا يطاق. وتلك التهديدات كانت موجودة دائمًا، تهديد أنني كدانيال يمكن أن أدان بقتل أخي، أو أنني كليو يمكن أن أدخل السجن بتهمة التداول الداخلي والاحتيال الضريبي. جلست هناك مذهولاً، أنظر إليها فقط. أو بالأحرى، حاولت أن أنظر إليها، لكنني في الغالب أشحت ببصري، أو أغمضت عيني ورأيت في مخيلتي ليو يتعثر في الغابة، يختفي في الظلام والبرد. لم أرَ كيف كان يمكنه النجاة. صورته ملقى في الثلج، يتجمد حتى الموت. لم أتخيل

أن راكيل صدقت خطتها حقًا، أيضًا. لابد أنها رأت أنني لن أتمكن من تنفيذها أبدًا —— أنني سأنهار عند أدنى شك. أتذكر كيف تبادلت النظرات مع بنجامين وأصدرت له تعليمات من وقت لآخر. طوال الوقت كانت تعبث بشيء ما، ترتب الأقلام، تمسح أسطح الطاولات والكراسي، تنظر في الأدراج، تسوي الأشياء. في مرحلة ما أخرجت هاتفي من جيبها ورأت رسالة ليو. بدأت تستجوبني عن أصدقائي، وجهات اتصالي التجارية وزملائي الموسيقيين، وأجبت بأفضل ما أستطيع، بعضه صحيح ربما، لكن في الغالب أنصاف حقائق وأكاذيب. لا أعرف حقًا. بالكاد استطعت التحدث، ومع ذلك... هل تعلم، لتوفير المال حصلت على بطاقة SIM سويدية، ولم أعط الرقم للكثير من الناس، لذا أثارت الرسالة فضولي. "ما تلك الرسالة؟" سألت، بأكبر قدر ممكن من العفوية. أرَتني إياها، ورؤية تلك الكلمات، شعرت وكأنني استعدت حياتي. لكني لابد أنني سيطرت على نفسي جيدًا. لا أعتقد أنها لاحظت شيئًا. "هذه حفلة، أليس كذلك؟" قالت. أومأت. أخبرتني أنه يجب عليّ رفض هذه الأشياء من الآن فصاعدًا. استعادت هاتفي وأصدرت تحذيرات أشد وطأة. لكني لم أعد أستمع. جاريتها في كل شيء. أعتقد أنني تمكنت حتى من أن أبدو جشعًا قليلاً: "كم من المال سأحصل عليه بالفعل؟" أردت أن أعرف. أعطتني إجابة دقيقة جدًا، أدركت لاحقًا أنها مبالغة، وكأن قراري قد يعتمد على بضعة ملايين هنا أو هناك. بحلول ذلك الوقت كانت الساعة الحادية عشرة والنصف ليلاً بالفعل. كنا على هذا الحال لساعات —— كنت متعبًا جدًا وثملًا جدًا. "هل يمكننا التوقف الآن؟" قلت. "يجب أن أنام قليلاً"، وأتذكر أن راكيل ترددت. هل كان من الآمن تركي بمفردي؟ في النهاية لابد أنها قررت أن عليها الوثوق بي. كنت مرعوبًا لدرجة أنها قد تغير رأيها لدرجة أنني لم أجرؤ على طلب هاتفي مرة أخرى. وقفت هناك متسمرًا في مكاني، أومئ لتهديداتها ووعودها.»

– «لكنهما غادرا.»

– «غادرا، وركزت على شيء واحد فقط ـــ تذكر الرقم الذي أُرسلت منه رسالة ليو. تذكرت فقط الأرقام الخمسة الأخيرة. بحثت في الأدراج وجيوب المعاطف حتى وجدت هاتف ليو الخاص الذي، كعادة له، لم يحتج لرمز أمان. جربت كل بادئة يمكن تصورها لتلك الأرقام الخمسة ـــ أيقظت عددًا لا بأس به من الناس واتصلت ببعض الخطوط غير الموجودة. لكن لم يكن أي منها صحيحًا. شتمت وبكيت، وكنت متأكدًا أن راكيل ستتلقى قريبًا رسالة أخرى منه، وهو ما سيكون كارثة. ثم تذكرت اللافتة التي مررنا بها قبل توقف السيارة في الغابة. فيداكرا، قالت. خمنت أن ليو لابد أنه وجد المساعدة في مكان قريب ولذا...»

– «تحققت من فيداكرا والأرقام الخمسة التي تذكرتها؟»

– «بالضبط، ووجدت هنريك نوربرينج فورًا. ظهر رقم هاتفه مع كل أنواع المعلومات، بما في ذلك عمره. كان هناك حتى صورة لمنزله، وتقدير لقيمته مقارنة بالعقارات الأخرى في المنطقة. أليس الإنترنت مذهلاً؟ أتذكر أنني ترددت ـــ أن يدي كانتا ترتجفان.»

– «لكنك اتصلت، أليس كذلك؟»

– «فعلت. هل تمانع إذا أخذنا استراحة؟»

أومأ بلومكفيست، ووجهه متجهّم، ووضع يده على كتف دان. ثم ذهب للمطبخ الصغير، وشغل هاتفه وغسل الكأسين بينما انتظر. في وقت قصير تقريبًا بدأ الهاتف يصدر صفيرًا وأزيزًا، ونظر لرسائله ليرى ما يجري. كانت هناك واحدة من بوبلانسكي: <اتصل بي. سالاندر في خطر>

شتم وهرع عائدًا للمرسم.

– «مهما حدث يا دان، آمل أن تقدر أنه يجب علينا نشر هذا الأمر بأسرع ما يمكن ـــ ليس أقلها من أجلك. أنا آسف ليس لدينا وقت لمراجعة الباقي الآن، لكن يجب أن أهرع. بالنظر للظروف، من المهم أن

تبقى هنا في المرسم. سأرتب لزميلتي —— رئيستي، في الواقع —— **إريكا بيرجر**، أن تأتي وتبقى معك. هل سيكون ذلك مناسبًا؟ إنها شخص جيد وموثوق، ستعجبك. يجب أن أذهب الآن.»

أومأ دان وللحظة بدا مرتبكًا وعاجزًا لدرجة أن بلومكفيست عانقه عناقًا سريعًا وخشنًا. سلمه مفاتيح المرسم وشكره.

— «كان من الشجاعة منك أن تخبرني. أتطلع لسماع البقية.»

بينما ركض نزولاً على الدرج اتصل بإريكا على خط مشفر. وافقت على القيادة فورًا، تمامًا كما توقع. بعد ذلك أجرى عدة محاولات للوصول لسالاندر. لا رد، فجرب بوبلانسكي.

-٢٣-

٢٢ يونيو

كان لدى **بوبلانسكي** كل الأسباب ليكون راضيًا. لقد ألقى القبض على **بشير** وشقيقه **رازان كازي**. وعلى **بينيتو أندرسون** سيئة السمعة، بالإضافة لعضو من عصابة دراجات «سفافيلخو». بدلاً من ذلك كان منزعجًا ومحبطًا. كان ضباط من قوات شرطة أوبسالا وستوكهولم يبحثون في الغابات حول «فادابوسيو»، لكنهم لم يجدوا أي أثر لسالاندر باستثناء بقع دم في الشاحنة وعلامات اقتحام في منزل عطلات أعلى التل حيث عثروا على بصمات أقدام دامية من حذاء رياضي بحجم طفل. ماذا كانت تفكر بحق الأرض؟ من الواضح أن سالاندر بحاجة لعناية طبية. كانت سيارات الإسعاف تتجه نحوهم، لكنها اختارت الغوص في الغابة، على بعد كيلومترات من أي طريق رئيسي. ربما ركضت للنجاة بحياتها فحسب، دون وقت لإدراك أن المساعدة قريبة. لكن إذا كان عضو حيوي قد ثُقب بخنجر بينيتو، فستكون سالاندر في ورطة، وربما تحتضر. لماذا لم تكن كغيرها من الناس؟

وصل بوبلانسكي إلى مقر الشرطة بشارع «بيرجسجاتان» وكان يدخل مكتبه للتو حين رن هاتفه. كان **بلومكفيست**، أخيرًا، وأعطاه كبير المفتشين سردًا عامًا لما حدث. كان واضحًا أن كلماته أصابت الهدف. طرح بلومكفيست سلسلة كاملة من الأسئلة وعندها فقط قال إنه بدأ يفهم لماذا قُتل **هولجر بالمجرين**. وعد بالعودة لبوبلانسكي بالمزيد في أقرب وقت

ممكن، لكن الآن لم يكن لديه وقت للحديث. تنهد بوبلانسكي ولم يكن لديه خيار سوى الموافقة.

***

ديسمبر، قبل عام ونصف

كانت الساعة تشير إلى العاشرة بعد منتصف الليل. عشية عيد الميلاد، أخيرًا. تراكم ثلج رطب وثقيل على حافة النافذة، وكانت السماء لوحة من الأسود والرمادي. استقرت المدينة في صمت، باستثناء سيارة عرضية في شارع «كارلافاجن». وقف **دان** عند النافذة، يرتجف في كل جسده، وطلب رقم **هنريك نوربرينج** في «فيداكرا».

ترددت نغمة الرنين في أذنه. لا إجابة. ثم سمع رسالة مسجلة انتهت بتكرار: «آمل أنك جيد، آمل أنك بخير.» نظر دان حول الشقة بيأس. لم يكن هناك أثر للدراما التي وقعت هناك مؤخرًا، لكن بدلاً من ذلك سادت نظافة سريرية غير مألوفة، بالإضافة لرائحة مطهر. هرب إلى غرفة الضيوف حيث كان ينام في الأسبوع الماضي، وحاول الرقم مرارًا وتكرارًا. شتم — كان خارجًا عن طوره.

رأى أن **جريتز** عبثت هنا أيضًا. ماذا فعلت بحق الأرض؟ بدت وكأنها نظفت ومسحت كل سطح. شعر برغبة في خلق الفوضى والاضطراب، نزع الملاءات عن السرير، رمي الكتب على الحائط، أي شيء ليتخلص من كل أثر لها. بدلاً من ذلك نظر من النافذة وسمع موسيقى تُعزف من راديو في الطابق السفلي. ربما مرت دقيقة أو دقيقتان قبل أن يلتقط هاتف **ليو** مرة أخرى. حينها رن في يده. أجاب بلهفة. على الطرف الآخر كان نفس الصوت من تحية البريد الصوتي. لكنه لم يعد يبدو مرحًا؛ كان جادًا ورصينًا، وكأن شيئًا فظيعًا قد حدث.

شهق دان:

— «هل ليو هناك؟»

لفترة من الوقت لم يكن هناك جواب. مجرد صمت بدا وكأنه يؤكد الأسوأ، والذي أعاد أيضًا الواقع المرعب للغابة. تذكر برودة شفتي ليو، غياب أي ضوء في عينيه، عدم استجابة رئتيه.

– «هل هو هناك؟ هل هو حي؟»

– «انتظر.»

كان هناك خشخشة في السماعة. استطاع سماع خطوات. استغرق الأمر وقتًا، وقتًا طويلاً. ثم فجأة عادت الحياة، ومعها، العالم وألوانه.

قال صوت يمكن أن يكون صوته:

– «دان؟»

همس:

– «ليو. أنت حي.»

– «أنا بخير. عادت التشنجات، لكن **ستينا** هنا، هي ممرضة، اعتنت بي.»

أخبر دان أنه مستلقٍ على أريكة ببطانيتين فوقه. بدا صوته ضعيفًا لكنه ثابت، ومن الواضح أنه غير متأكد مما يمكنه قوله أمام من كان هناك معه. لكنه ذكر **جانغو** و«ماينور سوينغ».

– «لقد أنقذت حياتي.»

– «أعتقد أنني فعلت.»

– «هذا أمر عظيم.»

– «تقصد أنه كان "سوينغ".»

– «لا يوجد "سوينغ" أكثر من ذلك يا أخي.»

لم يجب دان.

قال ليو:

– «Contra mundum.»

– «ما هذا؟»

— «نحن الاثنان ضد العالم يا صديقي. أنا وأنت.»

قررا اللقاء في منتصف الصباح في فندق «أمارانتن» بشارع «كونجشولمسجاتان»، ليس بعيدًا عن «رادهوسيت»، حيث كان ليو متأكدًا أنهما لن يصطدما بأي شخص يعرفه. أرسل دان سيارة أجرة لإحضاره للمدينة، وقضى الأخوان تلك الساعات في عشية عيد الميلاد في غرفة بالطابق الرابع، يتحدثان ويضعان الخطط والستائر مسدلة. جددا تحالفهما وميثاقهما، وقبيل إغلاق المتاجر للعطلات في الثانية ظهرًا، اشترى دان هاتفين محمولين ببطاقات SIM مسبقة الدفع، ليتمكنا من التواصل.

اتجه إلى شارع «فلوراجاتان»، وعندما اتصلت جريتز على الخط الأرضي كرر بنبرات وقورة أنه قرر أن يفعل كما اقترحت. تحدث لممرضة في «ستوكهولمس سيوكيم»، قالت إن والدته تحت تأثير المهدئات ولن تعيش طويلاً. تمنى لجميعهم في الجناح عيد ميلاد سعيدًا، وطلب منهم تقبيل **فيفيكا** على جبينها من أجله. قال إنه سيزورها قريبًا.

في تلك الظهيرة عاد لـ «أمارانتن» وأخبر ليو قدر استطاعته عن الملف الذي قالت جريتز إنها جمعته حول صفقات التداول الداخلي والاحتيال الضريبي التي تمت باسمه. كان هناك غضب لا قرار له في عيني أخيه، كراهية مرعبة، واستمع دان في صمت بينما واصل ليو الحديث عن كيف سينتقمون من **إيفار** وراكيل وكل البقية. وضع يده على كتف ليو ليشاركه ألمه، لكن أفكاره كانت أقل عن الانتقام وأكثر عن إصرار جريتز على القوى الجبارة التي تقف خلفها. تذكر أيضًا رحلة السيارة في الظلام والقبر في الغابة بجوار شجرة الصنوبر القديمة. أخبره جسده كله أنه لا يملك الشجاعة للانتقام، ليس على الفور. ربما —— خطر له لاحقًا —— كان لهذا علاقة بخلفيته. على عكس ليو، لم يكن لديه الثقة في الاعتقاد بأنه يستطيع الفوز ضد المؤسسة. أو ربما كان ببساطة أنه فُتحت عيناه على القسوة التي تعمل بها هذه المجموعة.

– «بالتأكيد، سنسحقهم. لكن هذا يجب أن يُخطط له بدقة، ألا تظن؟ نحتاج لأدلة. يجب أن نمهد الطريق. لمَ لا ننظر للأمر كفرصة للبدء من جديد، تجربة شيء جديد؟»

لم يكن يعرف ما يحاول قوله. كان يطرح فكرة فحسب. لكنها ترسخت تدريجيًا وبعد ساعة، بعد الكثير من النقاش، كانا يصوغان الخطط، بتردد في البداية، ثم بجدية أكبر وأكبر. عرفا أنهما سيتعين عليهما التصرف بسرعة، قبل أن تدرك جريتز ومنظمتها، أيًا كانت، أنهما خُدعا.

في يوم عيد الميلاد قام ليو بأول ما سيكون العديد من التحويلات لحساب دان برودي البنكي. ثم اشترى تذكرة لبوسطن لليوم التالي، باسم دان. لكن ليو هو من قام بالرحلة بجواز سفر دان الأمريكي وأوراقه. بقي دان في شقة ليو، حيث جاءت جريتز لرؤيته مساء ٢٦ ديسمبر، لوضع مبادئ توجيهية لحياته الجديدة. لعب الدور جيدًا، وإذا لم يبدُ في بعض الأحيان كئيبًا كما يجب، بدا أن جريتز فسرت ذلك كعلامة على أنه يستمتع بوجوده الجديد بالفعل. «ترى شرك الخاص في الآخرين.» كما قال ليو لاحقًا على الهاتف.

في ٢٨ ديسمبر، كان دان جالسًا بجانب سرير والدة ليو في «ستوكهولمس سيوكيم». لم يقل الكثير، ولم يبدُ أن أيًا من الموظفين يشك في شيء، مما عزز ثقته. حاول أن يبدو منزعجًا لكنه متماسك، وأحيانًا تأثر بصدق رغم أنه مع شخص لم يقابله من قبل قط. كانت فيفيكا هزيلة وشاحبة، تشبه الطيور. كانت نائمة وفمها مفتوح، وتنفسها ضعيف. قام شخص ما بتمشيط شعرها ووضع القليل من المكياج، ووُضعت على وسادتين. في مرحلة ما — شعر أنه سيكون متوقعًا — مسد كتفها وذراعها. فتحت عينيها ونظرت إليه بنقد، مما جعله يشعر بعدم الارتياح لكن ليس بالقلق. كانت مخدرة بشدة بالمورفين، وربما كان من الآمن افتراض أن أي شيء يمكن أن تقوله لن يؤخذ على محمل الجد.

— «من أنت؟»

ظهر شيء قاسٍ وحكميّ في ملامحها الرقيقة والدقيقة.

— «إنه أنا يا ماما. ليو.»

بدت وكأنها تتأمل هذا. ابتلعت، وجمعت بعض القوة.

— «لم تكن أبدًا كما أملنا يا ليو. كنت خيبة أمل لأبيكِ ولي.»

أغمض دان عينيه وتذكر كل ما أخبره به ليو عن والدته. كان من السهل بشكل مدهش الرد —— ربما تحديدًا لأن المرأة كانت غريبة.

— «لم تكوني أبدًا ما أملت أنا أيضًا. لم تفهميني أبدًا. أنتِ من خذلتني.»

نظرت إليه، مندهشة ومربكة.

— «خذلتِ ليو. خذلتمانا كلانا —— كلكم فعلتم.»

خرج وعاد للمنزل عبر المدينة. في اليوم التالي، ٢٩ ديسمبر، توفيت فيفيكا مانهايمر. اتصل مدير «ستوكهولمس سيوكيم» ليخبره، ووضع دان إعلانات الوفاة وترتيبات الجنازة في أيدي متعهد دفن أوصى به المستشفى. يمكنهم تنظيمها كما يرون الأفضل، أخبرهم، بعد أسبوع أو نحو ذلك من العام الجديد. هو نفسه لن يحضر.

عندما أخبر إيفار أوجرين أنه بحاجة لإجازة طويلة، لم يتلقَ في المقابل سوى لغة فظة وتعليقات بذيئة حول مدى عدم مسؤوليته. لم يكلف نفسه عناء الرد. في ٤ يناير، غادر هو أيضًا البلاد، بموافقة جريتز.

طار لنيويورك وقابل أخاه في واشنطن العاصمة. بقيا معًا لمدة أسبوع قبل أن يفترقا.

ليو —— كدان —— تعرف بحذر على الموسيقيين في مشهد الجاز ببوسطن. شرح أنه بدأ العزف على البيانو، لكنه كان متوترًا من الأداء في الأماكن العامة. أقلقته لهجته السويدية وكان يشعر بالحنين للوطن، حتى قرر الانتقال لتورنتو، حيث التقى بـ **ماري دنفر**. كانت مصممة ديكور شابة

تحلم بأن تصبح فنانة، وكانت تفكر في تأسيس عمل تجاري مع أختها. لم تكن متأكدة إن كانت تجرؤ على الإقدام. استثمر ليو بعض رأس المال وأخذ مقعدًا في مجلس الإدارة. بعد وقت قصير، اشترى الزوجان منزلاً في «هوجز هولو». عزف البيانو بانتظام مع مجموعة صغيرة من الموسيقيين الهواة الموهوبين، كلهم كانوا أطباء.

كان دان بلا جذور لفترة طويلة. سافر في أوروبا وآسيا، يعزف الجيتار ويقرأ عن الأسواق المالية. وجد لديه عطشًا حارقًا للمعرفة. شعر —— أو بالأحرى اعتقد —— أنه كغريب سيكون قادرًا على تطبيق نوع جديد من المنظور الفوقي على الأسواق المالية، وفي النهاية قرر استئناف مكان ليو في ألفرد أوجرين، ليس أقلها لمعرفة ملف الأدلة الذي كان لدى راكيل جريتز وإيفار أوجرين ضد أخيه. أدرك أنه لن يكون من السهل نفي الادعاءات. عندما كلف أحد أفضل محامي الأعمال في ستوكهولم، **بينغت فالين**، بالنظر فيها، وأُطلع على مدى ونوع الصفقات التي تمت باسم ليو عبر «موساك فونسيكا» في بنما، نُصح بشدة بترك الأمر.

مع مرور الأسابيع، استأنفت الحياة مجراها الطبيعي، كما هو معتاد. تحين دان وليو الفرصة، وبقيا على اتصال وثيق. عندما ترك دان بلومكفيست في بهو ألفرد أوجرين ذلك اليوم، الشخص الذي اتصل به هو ليو. صمت ليو لفترة طويلة، ثم أخبر دان أن الأمر متروك له ليقرر ما إذا كان الوقت مناسبًا لقول قصتهما، مضيفًا أنه سيكون من الصعب العثور على منفذ أكثر ملاءمة من ميكائيل بلومكفيست في ميلينيوم.

الآن بدأ دان بالفعل في الحديث، رغم أنه لم يقل شيئًا بعد عن حياة ليو الجديدة في كندا. واقفًا عند نافذة المرسم، اتصل بتورنتو مرة أخرى وكان في محادثة عميقة عندما قاطعته طرقة خفيفة على الباب. وصلت **إريكا بيرجر**.

***

في وقت سابق من ذلك اليوم، وهي تشعر بغثيان فظيع، جرّت جريتز نفسها عائدة لشارع «هامنجاتان»، تنوي أخذ سيارة أجرة للعودة لمنزلها في شارع «كارلبيرجسفاجن» والانهيار في سريرها. لكن في منتصف الطريق غضبت من نفسها وذهبت لمكتبها في غرب المدينة بدلاً من ذلك. لم يكن من طبعها أن تدع المرض أو الشدائد تتغلب عليها. قررت مواصلة القتال، ونشطت كل اتصال وحليف استطاعت التفكير فيه للعثور على بلومكفيست ودانيال برولين —— باستثناء شتاينبرج، الذي انهار بعد مكالمات متكررة من الشرطة. أرسلت بنجامين لمكاتب ميلينيوم في شارع «جوتجاتان» ولمبنى شقة بلومكفيست في شارع «بيلمانسجاتان». لكن بنجامين لم يواجه سوى أبواب مغلقة. في النهاية استسلمت لليوم وتركته يوصلها للمنزل. احتاجت لبعض الراحة، وأيضًا لتدمير أكثر وثائق المشروع ٩ حساسية، التي احتفظت بها في المنزل في خزنة خلف خزانة ملابس في غرفة نومها.

كانت الرابعة والنصف عصرًا ولا يزال الجو حارًا بشكل لا يطاق. تركت بنجامين يساعدها في الخروج من السيارة. احتاجته حقًا، وليس كحارس شخصي فحسب. كانت دائخة بعد كل ضغوط اليوم. كان قميصها الأسود ذو الياقة العالية مبللاً بالعرق. تأرجحت المدينة أمام عينيها. وقفت مستقيمة ونظرت للأعلى نحو السماء، وللحظة كانت نظرتها منتصرة. قد تُكشف وتُهان في النهاية، لكنها قاتلت —— كانت مقتنعة بهذا —— من أجل شيء أعظم من نفسها: من أجل العلم والمستقبل. كانت مصممة على السقوط بكرامة. عاهدت نفسها على أن تظل قوية وفخورة حتى النهاية، مهما كانت مريضة.

عند مدخل المبنى، طلبت من بنجامين أن يناولها عصير البرتقال الذي اشتراه لها في الطريق، ورغم أنه كان غير لائق بعض الشيء، شربت مباشرة من الزجاجة وشعرت بالانتعاش لفترة وجيزة. استقلا المصعد للطابق السادس، حيث فتحت الباب الأمامي وطلبت من بنجامين الدخول أولاً

وإطفاء إنذار السرقة. كانت على وشك عبور العتبة عندما تجمدت ونظرت لأسفل نحو الطابق السفلي. كانت شخصية شاحبة تصعد الدرج، شابة بدت وكأنها قامت من العالم السفلي.

***

كانت سالاندر أكثر أناقة مما كانت عليه، حتى لو كان وجهها أبيض وعيناها محمرتين، وخدودها مخدوشة من الشوك والشجيرات. كانت تمشي بصعوبة واضحة. لكنها كلفت نفسها عناء شراء قميص وبنطال جينز من متجر ملابس مستعملة في شارع «أوبلاندسجاتان» وحشرت ملابسها الملطخة بالدماء في سلة مهملات. اشترت أيضًا هاتفًا محمولاً في متجر «تيلينور»، وضمادات ومطهرًا من صيدلية. واقفة على الرصيف، مزقت الشريط اللاصق الذي وجدته في منزل عطلات في الغابة واستخدمته لوقف تدفق الدم من وركها، واستبدلته بضمادة جديدة وأفضل.

لفترة من الوقت كانت ملقاة شبه فاقدة للوعي على أرض الغابة. بمجرد أن استعادت وعيها، قطعت الحبل حول معصميها على صخرة مسننة. شقت طريقها للطريق الوطني ٧٧ وحصلت على توصيلة من امرأة في سيارة روفر قديمة على طول الطريق إلى «فاساستان»، حيث جذبت الكثير من الانتباه.

وفقًا لشاهد يدعى **شيل أوفي سترومجرين**، بدت مريضة وخطيرة عندما دخلت «من خلال المدخل المذكور» في شارع كارلبيرجسفاجن. لم تكلف نفسها عناء النظر لنفسها في المرآة في قاعة المدخل، لأنها لم تتوقع أن يكون الأمر مُرضيًا. شعرت كالقرف. ربما لم يتلف الخنجر أي أعضاء حيوية، لكنها فقدت كمية كبيرة من الدم وكانت على وشك الإغماء.

جريتز —— أو **نوردين**، كما قالت اللافتة المضللة على الباب —— لم تكن في المنزل. جلست سالاندر على الدرج في الطابق السفلي، ومن هناك أرسلت رسالة نصية لبلومكفيست. أرسل لها الكثير من النصائح المعقولة

وهراء آخر. كل ما أرادت معرفته، أرسلت له، هو ما اكتشفه. أخيرًا، أعطاها ملخصًا وأومأت وهي تقرأه وأغمضت عينيها.

كان الألم والدوار يزدادان سوءًا، بالكاد قاومت الدافع للتمدد على الأرض. للحظة شعرت وكأنها لن تتمكن من التماسك مرة أخرى، أو فعل أي شيء على الإطلاق. لكنها فكرت في بالمجرين.

تذكرت كيف جاء طوال الطريق لفلودبيرجا في كرسيه المتحرك ولم تستطع إلا أن تفكر كم كان يعني لها طوال هذه السنوات. لكن الأهم من ذلك كله أنها فكرت فيما أخبرها به بلومكفيست عن وفاته، وكان من الواضح أنه كان على حق: جريتز فقط من كان بإمكانها قتل الرجل العجوز. استمدت قوة من ذلك —— كان عليها أن تنتقم لبالمجرين. عرفت أنها يجب أن تضرب بكل قوتها، مهما شعرت بالضعف، لذا سحبت كتفيها للخلف وهزت رأسها، وأخيرًا، بعد عشر أو خمس عشرة دقيقة أخرى، توقف المصعد المتهالك في الطابق العلوي. فُتح الباب ومن خلال الدرابزين استطاعت تمييز رجل ضخم وامرأة أكبر سنًا بكثير في قميص أسود بياقة عالية. الغريب، تعرفت عليها سالاندر من طريقة وقفتها. وكأن مجرد رؤية عمود جريتز الفقري المستقيم أعادها لطفولتها.

لكنها لم تسمح لنفسها بالاستغراق في الأمر. أرسلت رسالة سريعة لبوبلانسكي وموديغ وصعدت الدرج، ليس بثبات شديد ويبدو ليس بهدوء شديد أيضًا. استدارت جريتز ونظرت في عيني سالاندر، أولاً بدهشة ثم —— بمجرد أن عرفتها —— بخوف وكراهية. توقفت سالاندر على الدرج، ممسكة بالجرح في جنبها.

— «نلتقي مرة أخرى.»

— «لقد استغرقتِ وقتًا.»

— «ومع ذلك يبدو وكأنه بالأمس، ألا تظنين؟»

تجاهلت جريتز السؤال وزمجرت:

– «بنجامين! أحضرها إلى هنا!»

أومأ بنجامين. كان أطول من سالاندر بنصف متر وأعرض بمرتين، لذا لم يظن أنه سيواجه أي مشكلة. لكن عندما انقض عليها، دُفع للأمام ليس بكتلة جسده فحسب، بل أيضًا بالانحدار الهابط للدرج. خطت سالاندر بذكاء جانبًا، وأمسكت بذراع الرجل اليسرى وسحبت. في تلك اللحظة أثبت تصميم بنجامين أنه جاء بنتائج عكسية. سقط على وجهه على الدرج الحجري، وكسر كوعه في الطريق. لم ترَ سالاندر أيًا من ذلك. كانت تعرج بالفعل صاعدة الدرج، تدفع جريتز للداخل وتقفل الباب خلفهما. سرعان ما بدأ بنجامين يطرق على الباب من الخارج.

تراجعت جريتز، ممسكة بحقيبتها الجلدية البنية. في بضع ثوانٍ استعادت اليد العليا، لكن لم يكن لذلك علاقة بالحقيبة أو محتوياتها: استنفدت سالاندر الكثير من الطاقة على الدرج لدرجة أن دوارها كاد يغلبها. نظرت حول الشقة بعينين نصف مغمضتين، ورغم أن رؤيتها لم تكن واضحة تمامًا، إلا أنها عرفت أنها لم ترَ شيئًا كهذا من قبل. لم يكن المكان خاليًا من كل الألوان فحسب —— كل شيء كان إما أسود أو أبيض —— بل كان أيضًا نظيفًا وسريريًا بشكل مبهر، وكأن روبوتًا منزليًا يعيش هناك بدلاً من إنسان. لا يمكن أن تكون هناك ذرة غبار في الشقة بأكملها.

استندت سالاندر على خزانة أدراج سوداء. تمامًا وهي على وشك الإغماء، رأت من زاوية عينها جريتز تتقدم نحوها، ممسكة بشيء في يدها. حقنة.

– «سمعت للتو كيف تحبين غرز الإبر في الناس.»

هاجمت جريتز، لكن دون جدوى. ركلت سالاندر الحقنة من يدها، وسقطت على الأرض البيضاء اللامعة وتدحرجت بعيدًا.

رغم أن رأسها كان يدور، إلا أنها تمكنت من البقاء على قدميها ولبضع ثوانٍ ركزت فقط على جريتز. تفاجأت بمدى هدوء المرأة.

– «هيا اقتليني. سأموت بفخر.»

– «بفخر، قلتِ؟»

– «بالتأكيد.»

– «لن يحدث.»

بدت سالاندر مريضة وتحدثت بصوت مسطح ومجهد، لكن مع ذلك، عرفت جريتز أن هذه هي نهاية الطريق. نظرت نحو النافذة على يسارها، باتجاه شارع كارلبيرجسفاجن، وترددت لثانية أو اثنتين. ثم أصبح من الواضح أنه ليس لديها بديل. أي شيء سيكون أفضل من الوقوع في براثن سالاندر. لذا هرعت لباب الشرفة وشعرت بالجاذبية المرعبة لدافع القفز —— لكن سالاندر أمسكت بها قبل أن تتمكن من تسلق الدرابزين. لم يكن بالضبط ما توقعه أي منهما. كانت راكيل جريتز تُنقذ من قبل الشخص الذي خشيت منه أكثر من أي شخص آخر. أمسكتها سالاندر بقوة وقادتها عائدة لشقتها النظيفة سريريًا.

همست في أذنها:

– «ستموتين يا راكيل. لا تقلقي بشأن ذلك.»

– «أعرف. لدي سرطان.»

– «السرطان لا شيء.» كانت نبرة سالاندر تقشعر لها الأبدان.

– «ماذا تعنين؟»

حدقت سالاندر في الأرض.

– «هولجر كان يعني لي الكثير. ما أقوله هو أن السرطان سيبدو لا شيء يا راكيل. ستموتين من العار أيضًا، وصدقيني، سيكون ذلك الجزء الأسوأ. سأحرص على نبش الكثير من القذارة عنكِ لدرجة لن يتذكركِ أحد بأي شيء سوى كل الشر الذي أطلقتِه. ستُدفنين في قذارتكِ الخاصة.»

قالت هذا بقناعة لدرجة أن جريتز صدقتها. ثم فتحت سالاندر الباب بهدوء لتسمح بدخول مجموعة من رجال الشرطة، الذين قيدوا بنجامين إلى درابزين.

قال رجل أسمر بنصف ابتسامة، عرف نفسه بأنه كبير المفتشين بوبلانسكي:

– «مساء الخير يا سيدة جريتز. لدينا أنا وأنتِ الكثير لنتحدث عنه. لقد ألقينا القبض للتو على زميلك، البروفيسور شتاينبرج.»

لم يستغرق رجاله وقتًا طويلاً للعثور على الخزنة خلف خزانة ملابسها. آخر ما رأته من سالاندر كان ظهرها بينما قادها المسعفون بعيدًا.

لم تلتفت سالاندر مرة واحدة. وكأن جريتز لم تعد موجودة بالنسبة لها.

- ٢٤ -

٣٠ يونيو

كان يومًا صيفيًا حارًا آخر. لم تسقط قطرة مطر واحدة منذ أسبوعين. كان **بلومكفيست** في منطقة المطبخ بمكاتب تحرير «ميلينيوم» في شارع «جوتجاتان». كان قد انتهى للتو من كتابة مقالته الطويلة عن «السجل» و«المشروع ٩». مد ظهره وشرب بعض الماء ونظر نحو الأريكة الزرقاء الفاتحة على الجانب الآخر من الغرفة. استلقت **إريكا بيرجر** بحذائها ذي الكعب العالي، تقرأ مقالته. لم يكن متوترًا بالضبط. كان يعلم بالتأكيد أنها قراءة مروعة. كان لديهما سبق صحفي سيكون هائلاً للمجلة. ومع ذلك، لم يكن يعرف بعد كيف سيكون رد فعل بيرجر — ليس بسبب الفقرة أو الفقرتين اللتين أثارتا تساؤلات أخلاقية، بل بسبب جدالهما.

كان قد أخبرها أنه لن يقضي عطلة نهاية أسبوع منتصف الصيف في الأرخبيل أو يحتفل بأي شكل من الأشكال، بل سيركز على قصته. كان بحاجة لمراجعة الوثائق التي تلقاها من **بوبلانسكي**، وكان بحاجة لمقابلة **هيلدا فون كانتربورج** مرة أخرى، وكذلك **دان برودي** و**ليو مانهايمر**، الذي جاء لستوكهولم من تورنتو سرًا مع خطيبته.

كان يعمل على مدار الساعة تقريبًا، ليس فقط على تقرير السجل بل على قصة **فاريا كازي** أيضًا. لم يكن هو من كتبها فعليًا، بل فعلت **صوفي ميلكر**. لكنه كان متورطًا من البداية للنهاية وناقش الإجراءات القانونية مع أخته بينما كانت تعمل على إطلاق سراح فاريا وحمايتها بهوية جديدة.

كان على اتصال منتظم بالمفتشة **موديغ**، التي كانت تقود التحقيق المعاد فتحه فيما أصبح مقبولاً الآن بأنه مقتل **جمال شودري**، والذي كان

بشير و**رازان** و**خليل كازي** واثنان آخران محتجزين بسببه وينتظرون المحاكمة. نُقلت **بينيتو أندرسون** لسجن «هامرفورس» في «هارنوساند»، وكانت هي أيضًا تنتظر تهمًا جديدة. بالإضافة إلى ذلك، غالبًا ما انخرط بلومكفيست في محادثات طويلة مع بوبلانسكي، وكان يقضي وقتًا أطول في الجانب الأسلوبي البحت للقصة أيضًا.

لكن حتى هو وصل لنقطة لم يعد يستطيع فيها فعل المزيد. احتاج لاستراحة. كانت رؤيته ضبابية، وكان الجو حارًا بشكل لا يطاق في مكتبه بشارع «بيلمانسجاتان». في إحدى الظهيرات شعر بوخزة شوق واتصل بـ **مالين فرود**.

— «هل تأتين؟ من فضلك.»

وافقت مالين على إحضار جليسة أطفال إذا وعد بلومكفيست بشراء الفراولة والشمبانيا وثني ملاءاته، وألا يكون عقله في أمور أخرى كما يفعل **كالي بلومكفيست** اللعين عادة. أخبرها أن الشروط تبدو معقولة بما فيه الكفاية. وهكذا كانا يتقلبان في السرير، سعيدين وثملين وغافلين عن بقية العالم، عندما مرت بيرجر دون سابق إنذار بزجاجة نبيذ أحمر باهظة الثمن.

لم تعتبر بيرجر بلومكفيست نموذجًا للسلوك الحسن قط، وهي نفسها كانت متزوجة وليست متزمتة جدًا بشأن العلاقات العابرة. ومع ذلك، خرج كل شيء عن السيطرة. لو كان لديه الوقت والميل لكان استطاع معرفة السبب. أحد الأسباب كان مزاج مالين الناري، وآخر هو حقيقة أن بيرجر كانت منزعجة ومحرجة. كانوا جميعًا محرجين. بدأت النساء يتجادلن مع بعضهن البعض، ثم تجادلن معه أيضًا، حتى خرجت بيرجر بغضب، صافعة الباب خلفها. منذ ذلك الحين، كانت المحادثات في المجلة بينها وبين بلومكفيست متوترة ومقتصرة على قضايا العمل.

لكن الآن كانت بيرجر مستلقية تقرأ، وكان بلومكفيست يفكر في **سالاندر**. كانت قد خرجت من المستشفى وسافرت على عجل لجبل طارق —— قالت إن لديها عملاً لتنجزه هناك. لكنهما بقيا على اتصال يومي بشأن فاريا كازي، والتحقيق في السجل.

حتى الآن، لم يعرف الجمهور شيئًا عن خلفية القصة، ولم تُنشر أسماء المشتبه بهم المفترضين بعد في أي وسيلة إعلامية كبرى. لذلك أصرت بيرجر على أن يصدروا سريعًا عددًا خاصًا من المجلة، حتى لا يسبقهم أحد. ربما كان هذا هو سبب انزعاجها الشديد عندما وجدت بلومكفيست مستلقيًا في السرير يشرب الشمبانيا. رغم أنه لم يكن أكثر جدية من أي وقت مضى بشأن تجهيز التقرير.

الآن ظل يختلس النظر لبيرجر، التي خلعت أخيرًا نظارتها للقراءة ونهضت وانضمت إليه في المطبخ. كانت ترتدي بنطال جينز وبلوزة زرقاء، مفتوحة عند الرقبة. جلست بجانبه على الطاولة. لم يستطع تخمين ما إذا كانت ستبدأ بالثناء أم بالنقد.

— «أنا لا أفهم.»

— «هذا مؤسف. كنت آمل أنني ألقيت بعض الضوء على القصة على الأقل.»

— «لماذا بحق الأرض أبقياه سرًا لفترة طويلة؟»

— «ليو ودان؟ كما أقول في المقال، كانت هناك أدلة على أن ليو متورط في معاملات غير قانونية من خلال شركات وهمية مختلفة. ورغم أنه من الواضح الآن أن **إيفار أوجرين** وراكيل جريتز قد دبرا له المكيدة، إلا أن ليو ودان لم يتمكنا من إيجاد أي طريقة للوصول إليهما. بالإضافة إلى ذلك، وآمل أن يكون هذا واضحًا مما كتبته، بدآ يستمتعان بأدوارهما الجديدة. لم يكن أي منهما يعاني من نقص في المال —— كانت مبالغ كبيرة تُحول طوال الوقت —— وأعتقد أن كليهما كانا يختبران نوعًا جديدًا من الحرية، يشبه

قليلاً الحرية التي يتمتع بها أي ممثل. كان بإمكانهما البدء من جديد وفعل شيء مختلف. أستطيع فهم الجاذبية.»

— «ثم وقعا في الحب.»

— «مع **جوليا** و**ماري**.»

— «الصور رائعة.»

— «هذا شيء على الأقل.»

— «من الجيد أن لدينا مصورين جيدين. لكنك تدرك أن إيفار أوجرين سيقاضينا حتى الإفلاس؟»

— «أعتقد أننا مسلحون جيدًا لذلك يا إريكا.»

— «بالإضافة إلى أنني قلقة بشأن تشويه سمعة الموتى —— بسبب تلك الحادثة المميتة في صيد الأيائل.»

— «أنا متأكد تمامًا أنني على أرض صلبة هناك أيضًا. كل ما أقوله فعليًا هو أن الظروف المحيطة بإطلاق النار غير واضحة.»

— «لست متأكدة من أن ذلك كافٍ. مجرد ذلك ضار جدًا بالفعل.»

— «حسنًا، سألقي نظرة أخرى. هل هناك أي شيء لا يقلقك، أو حتى... أجرؤ على القول، تفهمينه.»

— «أنت وغد.»

— «ربما قليلاً. خاصة بعد حلول الظلام.»

— «هل تخطط لتكريس نفسك لامرأة واحدة فقط من الآن فصاعدًا، أم أنك تفكر في قضاء الوقت مع أخريات أيضًا؟»

— «في أسوأ الأحوال يمكنني تخيل شرب الشمبانيا معك، لو ساءت الأمور.»

— «لن يكون لديك خيار.»

— «هل ستجبرينني؟»

— «إذا اضطررت لذلك، نعم، لأن هذه المقالة —— الجزء الذي لن نُقاضى بسببه، أعني —— إنها...»

توقفت.

— «مقبولة بشكل عام؟»

ابتسمت وأجابت:

— «يمكنك قول ذلك. تهانينا.» فتحت ذراعيها لتعانقه.

لكن شيئًا آخر جذب انتباههما، ولاحقًا سيصعب تذكر التسلسل الدقيق للأحداث. ربما كانت صوفي ميلكر أول من تفاعل. كانت على حاسوبها في مكاتب التحرير وصرخت بشيء غير مفهوم، لكن كان واضحًا أنها مصدومة أو متفاجئة. بعد ذلك بوقت قصير —— أو في الوقت نفسه —— تلقت بيرجر وبلومكفيست أخبارًا عاجلة على هواتفهما. لم يقلق أي منهما بشكل خاص. لم يكن هجومًا إرهابيًا، أو تهديدًا بالحرب. كان مجرد انهيار في سوق الأسهم. لكنهما انغمسا تدريجيًا في الأحداث وهي تتكشف. خطوة بخطوة دخلا في حالة الوعي المتزايد التي تجدها في كل غرفة صحافة عندما تقع أحداث إخبارية كبرى تهز العالم. أصبحا مركزين تمامًا وصرخا بما يريانه على حواسيبهما. كانت هناك تطورات جديدة كل دقيقة.

تسارع الانهيار. سُحب البساط من تحت السوق. انخفض مؤشر ستوكهولم بنسبة ٦ في المائة، ثم ٨، وانخفض أكثر إلى سالب ٩ و١٤ في المائة. في تلك المرحلة أظهر علامات انتعاش طفيف، ثم واصل الانخفاض مرة أخرى، وكأنه يهوي في ثقب أسود. كان انهيارًا كاملاً، ذعرًا جامحًا، وحتى الآن لم يبدُ أن أحدًا يفهم ما يحدث.

لم يكن هناك شيء محدد، لا دافع واضح. تمتم الناس: «غير مفهوم، إنه جنون! ماذا يحدث؟» بعد فترة وجيزة، عندما استُدعي الخبراء، قُدمت كل التفسيرات المعتادة: اقتصاد محموم، أسعار فائدة منخفضة، سوق مبالغ في قيمته، تهديدات سياسية من الغرب والشرق على حد سواء، عدم

استقرار في الشرق الأوسط وحركات فاشية ومعادية للديمقراطية في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية ـــ مرجل سياسي يذكر بالثلاثينيات. لكن لم يحدث شيء جديد ذلك اليوم، لا تطور مهم بما يكفي ليتسبب في كارثة بهذا الحجم. ظهر الذعر من العدم وكان ذاتي الاستدامة.

لم يكن بلومكفيست الوحيد الذي تذكر هجوم القرصنة على «فاينانس سكيورتي» في أبريل. دخل على وسائل التواصل الاجتماعي ولم يتفاجأ بوجود شائعات وادعاءات مستعرة، غالبًا ما تجد موطئ قدم في وسائل الإعلام الرئيسية. قال بلومكفيست بصوت عالٍ، رغم أنه بدا وكأنه يتحدث لنفسه:

— «ليس سوق الأسهم وحده الذي ينهار.»

— «ماذا تعني؟»

— «الحقيقة تسير على نفس المنوال.»

وكأن متصيدي الإنترنت قد سيطروا ليخلقوا ديناميكية مزيفة وُضعت فيها الأكاذيب والحقيقة ضد بعضها البعض وكأنها مفاهيم متكافئة. استقر ضباب منيع من الافتراءات ونظريات المؤامرة على العالم. أحيانًا قام المتصيدون بعمل جيد، وأحيانًا لا. على سبيل المثال، أُفيد بأن الممول **كريستر تالجرين** أطلق النار على نفسه في شقته بباريس، محطمًا من حقيقة أن ملايينه ـــ أو هل كانت مليارات؟ ـــ قد تبخرت. لم يكن نفي تالجرين للقصة على تويتر هو الشيء الوحيد الجدير بالملاحظة فيها؛ كان هناك أيضًا حقيقة أنها رددت صدى وفاة **إيفار كروجر** منتحرًا عام ١٩٣٢.

مزيج من الأساطير الحضرية والقصص الملفقة، جديدة وقديمة، دار في الهواء. كان هناك حديث عن أن التداول الآلي قد جن جنونه، وعن اختراق المراكز المالية وبيوت الإعلام والمواقع الإلكترونية. لكن كانت هناك أيضًا تقارير عن أن الناس على وشك القفز من شرفات وأسطح المنازل في «أوسترمالم»، وهو ما لم يبدُ ميلودراميًا بشكل جامح فحسب بل أعاد أيضًا

إلى الأذهان انهيار بورصة عام ١٩٢٩، حيث قيل إن عمال الأسقف العاملين في وول ستريت قد أُخطئ في اعتبارهم مستثمرين سيئي الحظ، وساهموا في هبوط السوق بمجرد وجودهم هناك.

زُعم أن «هاندلسبانكن» أوقف مدفوعاته وأن «دويتشه بنك» و«جولدمان ساكس» على وشك الإفلاس. تدفقت الأخبار من كل اتجاه، ولم يستطع حتى عين مدربة مثل عين بلومكفيست التمييز بين ما هو حقيقي وما هو ملفق من قبل مجموعات المتصيدين المنظمة في الشرق.

لم يكن لديه شك، مع ذلك، في أن ستوكهولم كانت الأكثر تضررًا. لم يكن انهيار سوق الأسهم سيئًا بنفس القدر في فرانكفورت أو لندن أو باريس، رغم وجود ذعر متزايد في تلك المدن أيضًا. لن تفتح البورصات الأمريكية لعدة ساعات. ومع ذلك، أشارت أسعار العقود الآجلة إلى أنه سيكون هناك انخفاضات حادة في مؤشري داو جونز وناسداك. لم يبدُ أن شيئًا يساعد، وأقلها عندما تقدم محافظو البنوك المركزية والوزراء والاقتصاديون والخبراء للتحدث عن «رد فعل مبالغ فيه»، قائلين إنه لا ينبغي لأحد أن «يهز القارب». أُلقي ضوء سلبي على كل شيء وشُوه. كان القطيع يتحرك بالفعل ويركض للنجاة بحياته، رغم أن أحدًا لم يعرف من أو ماذا أخافه. اتُخذ قرار بتعليق التداول في بورصة ستوكهولم، ربما على عجل لأن الأسعار بدأت في الانتعاش قبل لحظات فقط. لكن كانت هناك حاجة لتحقيقات وتحليلات قبل أن يكون هناك استئناف للتداول.

— «يا للأسف بشأن قصة توأميك. ستغرق في هذه الفوضى.»

رفع بلومكفيست نظره عن حاسوبه وحدق بحزن في بيرجر.

— «تأثرت باهتمامكِ بكبريائي المهني بينما جن العالم كله.»

— «أنا أفكر في ميلينيوم.»

— «أتفهم. لكن يجب أن نؤجل النشر الآن، ألا تظنين؟ لا يمكننا إصدار عدد جديد دون معالجة هذا أيضًا.»

– «لا عدد مطبوع جديد، أتفق مع ذلك. لكن يجب علينا على الأقل نشر شيء عن قصة التوائم عبر الإنترنت. وإلا قد يسبقنا أحد في ذلك.»

– «حسنًا. ربما أنتِ على حق. كل ما ترينه الأفضل.»

– «لكن حينها سيتعين عليك البدء من جديد في هذه القصة الأخيرة. هل يمكنكِ تحمل ذلك؟»

– «بالطبع، لا مشكلة.»

– «جيد.» وأومآ لبعضهما.

سيكون صيفًا حارًا وخانقًا، وقرر بلومكفيست أخذ نزهة قبل معالجة القصة التالية. نزل في شارع «جوتجاتان» باتجاه «سلوسن»، مفكرًا في هولجر بالمجرين وقبضته المضمومة في السرير في «ليليولمن».

خاتمة

كانت الكاتدرائية مكتظة. لم يكن الأمر مجرد أنها «ستور شيركان»، ولم يكن الأمر وكأن الجنازة لرجل دولة مشهور. كانت لمحامٍ مسن لم يتولَ أي قضايا بارزة قط، بل قضى حياته المهنية بأكملها يقاتل نيابة عن الشباب الذين ضلوا طريقهم. ربما كان لتقرير ميلينيوم المنشور مؤخرًا عن ما يسمى بـ«فضيحة التوائم» علاقة بالأمر، إلى جانب الدعاية حول مقتل الرجل العجوز.

كانت الساعة الثانية بعد الظهر. كانت مراسم الجنازة وقورة ومؤثرة، بخطبة غير تقليدية نوعًا ما بالكاد أشارت إلى القدير أو يسوع لكنها صورت المتوفى بضربات فرشاة دقيقة. لكن طغت عليها كلمة التأبين العاطفية التي ألقتها **بريت ماري نورين**، أخت هولجر بالمجرين غير الشقيقة. تأثر الكثير ممن جلسوا في المقاعد بعمق، خاصة امرأة أفريقية طويلة ومهيبة تدعى **لولو ماجورو** كانت تبكي بلا سيطرة. كان لدى آخرين كثيرين دموع في عيونهم أو رؤوسهم منحنية باحترام —— أقارب، أصدقاء، زملاء سابقون، جيران، عدد من الموكلين الذين بدا أنهم حققوا نجاحًا لأنفسهم. كان ميكائيل بلومكفيست هناك، وكذلك أخته **أنيكا جيانيني**، وكبير المفتشين بوبلانسكي وخطيبته فرح شريف والمفتشان سونيا موديغ وجيركر هولمبرج، بالإضافة لإريكا بيرجر وكثيرين آخرين كانوا مقربين من هولجر. لكن كان هناك أيضًا من جاءوا من باب الفضول وكانوا يتلفتون بحماس، وهو ما لم يبدُ أنه يرضي القسيسة، امرأة طويلة ونحيلة في الستينيات من عمرها بشعر أبيض ثلجي وملامح حادة. تقدمت مرة أخرى

بهالتها من السلطة الطبيعية وأومأت لرجل في سترة كتان سوداء كان جالسًا في الصف الثاني على اليسار.

هز الرجل — اسمه **دراغان أرمانسكي**، مالك شركة الأمن «ميلتون سكيورتي» — رأسه. كان دوره في التحدث، لكنه لم يعد يريد ذلك. لم يكن واضحًا لماذا. قبلت القسيسة اعتذاره واستعدت لمرور المعزين بجانب النعش، معطية إشارة للموسيقيين في الأعلى.

في تلك اللحظة نهضت شابة في مؤخرة الكنيسة ونادت: «توقفوا. انتظروا.» استغرق الأمر بعض الوقت قبل أن يدرك الناس أنها ليزبيث سالاندر. ربما كان ذلك لأنها كانت ترتدي بدلة سوداء مفصلة جعلتها تبدو كصبي صغير، رغم أنها كذلك نسيت تهذيب شعرها. كان فوضويًا وشائكًا كالعادة. لم تبذل أي جهد للاقتراب من النعش بطريقة مناسبة للمناسبة أيضًا. كان هناك شيء عدواني في طريقة حركتها، ومع ذلك — في مفارقة غريبة — بدت مترددة بشكل غريب. عندما وصلت للمذبح حدقت في الأرض، رافضة مقابلة عين أي شخص في المصلين. للحظة بدا وكأنها قد تذهب وتجلس مرة أخرى.

— «هل تودين قول بضع كلمات؟»

أومأت برأسها.

— «تفضلي. أفهم أنكِ كنتِ مقربة من هولجر.»

— «كنت كذلك.»

ثم صمتت. كان هناك تمتمة عصبية في الكنيسة. كان من المستحيل فك شفرة لغة جسدها، رغم أن معظمهم ظن أنها تبدو غاضبة، أو مذهولة. عندما بدأت تتحدث أخيرًا، كانت بالكاد مسموعة حتى لمن هم في الصف الأول.

صاح أحدهم:

— «بصوت أعلى!»

رفعت عينيها وبدت ضائعة.

— «كان هولجر... مزعجًا. متعبًا. لم يتقبل أن الناس لا يريدون التحدث ويفضلون أن يُتركوا وشأنهم. لم يعرف متى يستسلم. اقتحم حياتك فحسب وجعل كل أنواع الغرباء المضطربين ينفتحون. كان غبيًا بما يكفي ليؤمن بالناس، حتى بي — ولم يكن هناك الكثير من الناس الذين شاركوه هذا الرأي. كان عجوزًا فخورًا رفض قبول المساعدة، مهما كان الألم سيئًا، وكان دائمًا يفعل كل ما بوسعه لكشف الحقيقة، ليس لنفسه أبدًا. لذا بطبيعة الحال...»

أغمضت عينيها.

— «... كان هناك كل الأسباب لقتله. قتلوا رجلاً عجوزًا أعزل في سريره وهذا يجعلني غاضبة، غاضبة حقًا، خاصة وأن هولجر وأنا...»

لم تكمل الجملة. حدقت بذهول جانبًا. ثم اعتدلت ونظرت مباشرة للمصلين.

— «في آخر مرة رأينا بعضنا فيها، تحدثنا عن ذلك التمثال هناك. أراد أن يعرف لماذا كنت مفتونة به إلى هذا الحد. أخبرته أنني لم أره قط كنصب تذكاري لعمل بطولي، بل كتجسيد لاعتداء فظيع. فهم فورًا، وسأل: "ماذا عن النار التي ينفثها التنين؟" قلت إنها نفس النار التي تحترق داخل كل من يُداس عليه. نفس النار التي يمكن أن تحولنا لرماد ونفايات، لكنها أحيانًا، إذا رصدنا أحمق عجوز مثل هولجر، ولعب الشطرنج معنا وتحدث إلينا وأبدى اهتمامًا فحسب، يمكن أن تصبح شيئًا مختلفًا تمامًا: قوة تسمح لنا بالرد. عرف هولجر أنه لا يزال بإمكانك النهوض على قدميك، حتى مع رمح عالق في جسدك، ولهذا استمر في الإلحاح وكان مزعجًا جدًا.» قالت، ثم صمتت مرة أخرى.

استدارت وانحنت للنعش، حركاتها متيبسة وزاوية، وقالت «شكرًا»، و«آسفة». التقطت نظرة من ميكائيل بلومكفيست، الذي ابتسم لها. ربما ابتسمت هي أيضًا، كان من الصعب معرفة ذلك.

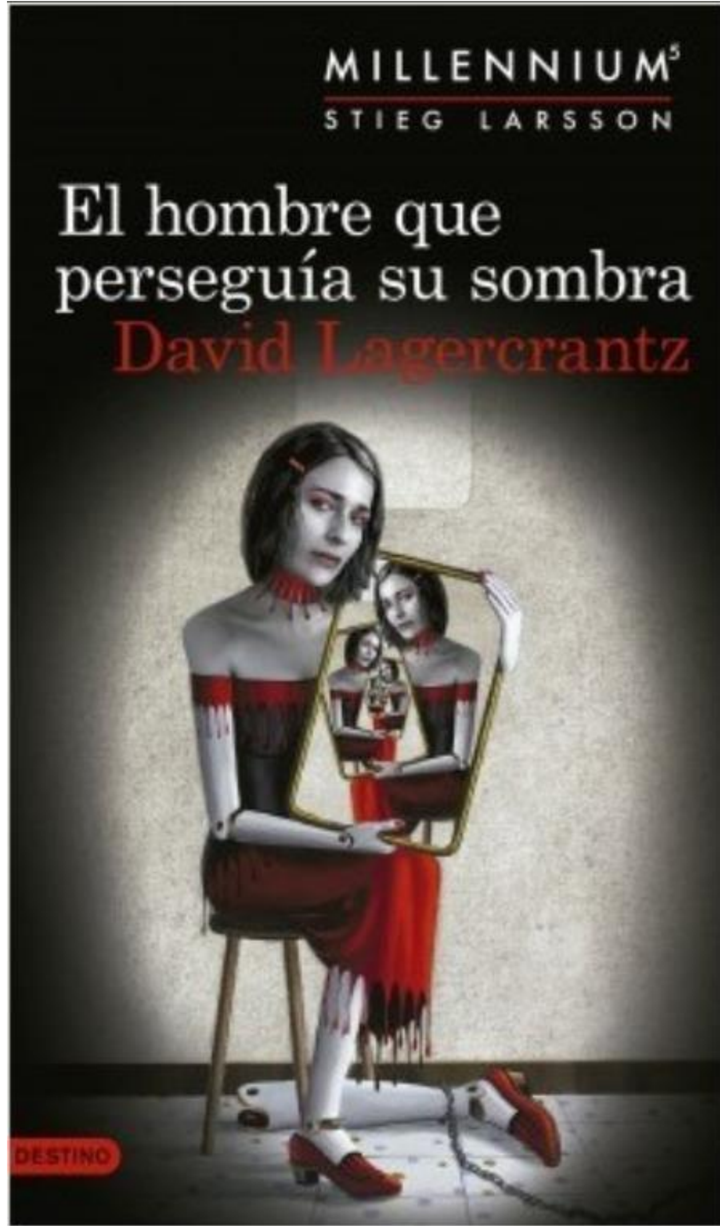
انفجرت الكنيسة بالهمس والوشوشة، وواجهت القسيسة صعوبة في استعادة النظام للموكب بجانب النعش. بالكاد لاحظ أحد سالاندر وهي تتسلل على طول صفوف المقاعد وتختفي عبر باب الكنيسة، إلى الساحة بالخارج والأزقة الضيقة في جاملا ستان.

ـ تمت ـ



David Lagercrantz

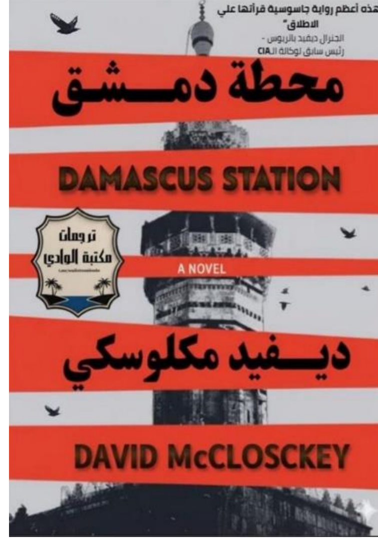
The Girl Who Takes an Eye for an Eye

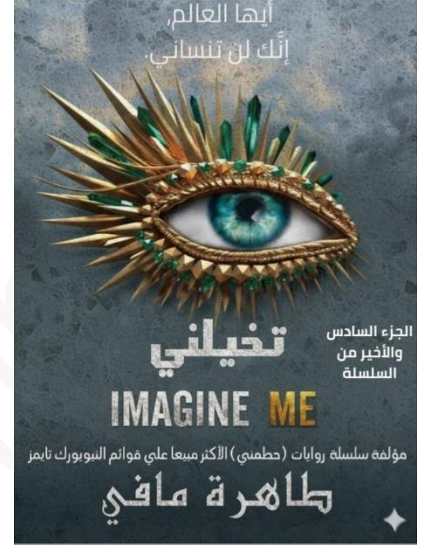


غلاف الرواية الأصلي باللغة السويدية

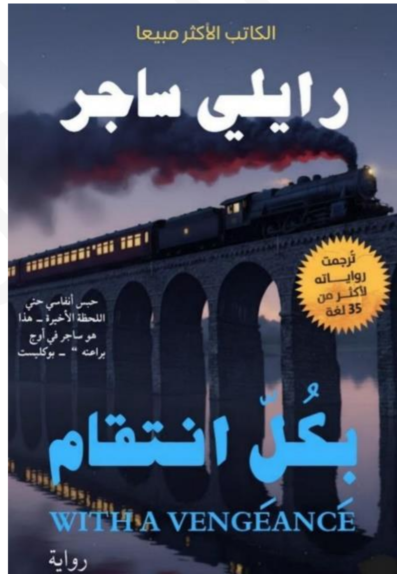
ترجماتنا

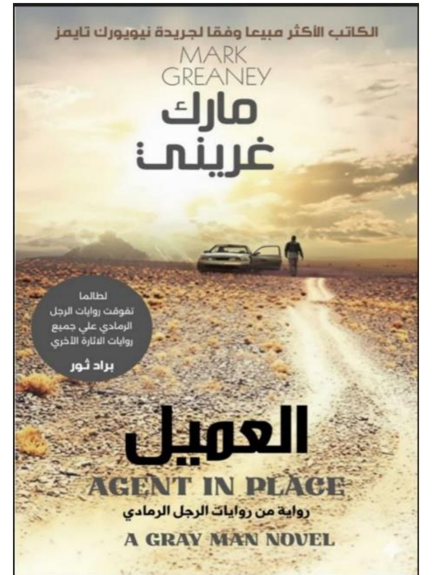














وغيرها الكثير علي قناتنا👇👇

t.me/wadistreambooks

فتاة تعاقب بالمثل

ديفيد لاغركرانتز

الفتاة ذات وشم التنّين
لا تعرف معنى الغفران.

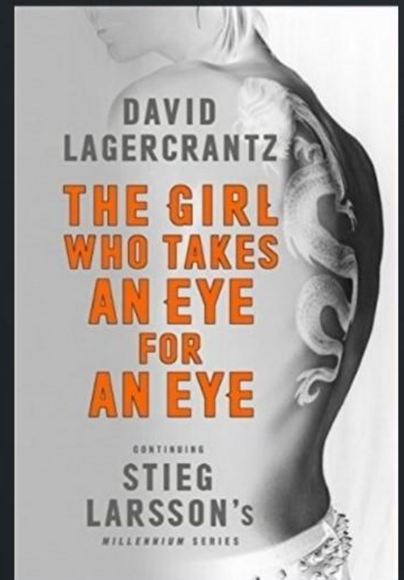
سالاندر محتجزة داخل جناحٍ شديد التحصين في سجنٍ نسائي، عالمٌ يضجّ بالعنف من كل الجهات. لكن هكر بقدراتها لا تُردع بجدرانٍ أو أقفال.

تمدّ ميكائيل بلومكفيست بخيطٍ ثمين يقوده إلى سبقٍ صحفي خطير لمجلة ميلينيوم, تحقيقٍ يكشف تجربةً مظلمة تُخفي سرًّا بالغ السوء — وقد يكون هو نفسه المفتاح لكشف ألغاز طفولتها المروّعة.

أما وشم التنّين على ظهر سالاندر, فهو تعهّدٌ لا يفارقها: معركة لا نهاية لها ضد الظلم الذي يطوّقها من كل صوب. وهي عازمة على الوصول إلى الحقيقة... أيًّا كان الثمن.







ترجمة / قناة wadistreambooks

@t.me/wadistreambooks